جنايات أرسطو في حق العقل و العلم

– مظاهرها ،آثارها ، أسبابها–

– قراءة نقدية لكشف جرائم أرسطو في حق العقل و العلم –

الأستاذ الدكتور

خالد كبير علال

دار المحتسب

–الطبعة الأولى– الجزائر–

٢٠١١/١٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على النبي الكريم محمد بن عبد الله ،و على آله و صحبه ، و من سار على دربه إلى يوم الدين ، و بعد: أفردتُ كتابي هذا لنقد فكر الفيلسوف اليوناني أرسطو طاليس (ت ٣٢٢ ق م)) ، قصد الكشف عن جرائمه التي ارتكبها في حق العقل و العلم ، و غابت عن كثير من أهل العلم قديما و حديثا . و قد عنونته ب : جنايات أرسطو في حق العقل و العلم – مظاهرها ، آثارها ، أسبابها – . و قد سميتُها جنايات لأنها ليست أخطاء عادية ، و إنما هي أخطاء غير عادية ،كثيرة و خطيرة و فادحة ، نتيجة انحراف أرسطو عن منطق البحث الاستدلال العلميين ، بقصد و بغير قصد .

و قد اخترتُ الكتابة في نقد الفكر الأرسطي بالطريقة التي اتبعتها في كتابي هذا ، لأنها أصبحت أمرا ضروريا لابد منه لأمرين أساسيين: الأول هو أنه على الرغم ما أظهرته العلوم المعاصرة و بعض الدراسات النقدية الحديثة الجادة من كثرة أخطاء أرسطو و انحرافاته المنهجية ، و خطورته على العقل و العلم ، فإن التيار الأرسطي المعاصر نهض من جديد على مستويين بارزين : الأول السعي لإعادة الاعتبار للفكر الأرسطي بحق و بغير حق ، و بطريقة غلب عليها التحريف و الغلو ،و التدليس و التغليط من جهة . و إغفال و طمس و تبرير الجوانب السلبية من فكر أرسطو من جهة أخرى . و من مُمثلي هذا التيار: الباحث مُصطفى النشار في كتبه التي أصدرها حول فكر أرسطو و الفلسفة اليونانية ، منها: نظرية العلم الأرسطية ،و نظرية المعرفة عند أرسطو .

و المستوى الثاني هو تبني الرشدية الحديثة للفكر الأرسطي ، لأنه هو الأرضية التي يقوم عليها الفكر الفلسفي عند ابن رشد الحفيد .و بما أنه لا فكر رشدي دون فكر أرسطي ، وجدت الرشدية الحديثة نفسها مُضطرة لتبني الفكر الأرسطي و الدفاع عنه بحق و بغير حق

. و من ممثلي هذا الاتجاه محمد عابد الجابري و مدرسته ، و قد أظهر ذلك صراحة في كتابيه : تكوين الفكر العربي ، و بُنية الفكر العربي .

و أما الأمر الثاني فمفاده أنه بما أن ما قام به هؤلاء فيه إفساد كبير للعقل و العلم ،و فيه تحريف لكثير من حقائق التاريخ ،و فيه غلو في تعظيم أرسطو و التعصب له بالباطل ، و فيه إحياء لأفكار دهرية شركية صابئية تفسد الفكر و السلوك ،و فيه إخفاء كبير لسلبيات و أخطاء و انحرافات فكر أرسطو ؛ فقد أصبح من الضروري التصدي لهم و للفكر الأرسطي بهدم أُسس فكر أرسطو ، هدما علميا يقوم على الوحي الصحيح ،و العقل الصريح ، و العلم الصحيح . و بهذا يُشل هذا التيار من أساسه بانتقادنا للفكر الأرسطي من جهة ،و يأخذ فكر أرسطو مكانه الذي يستحقه بلا إفراط و لا تفريط من جهة أخرى .

و أما لماذا كتبتُ في هذا الموضوع الفلسفي ،و أنا مُتخصص في التاريخ الإسلامي ؟ . فالجواب واضح ، هو أن تخصصي الدقيق ليس في التاريخ الإسلامي عامة،و إنما هو في التاريخ الفكري للفرق الإسلامية ، و الفكر الفلسفي عند المسلمين جزء لا يتجزأ من هذا التاريخ من جهة ،و هو امتداد للفكر الفلسفي اليوناني من جهة أخرى . و لا يمكن نقد الفكر الفلسفي عند الفلاسفة المسلمين نقدا صحيحا و كاملا إلا بدراسة الفكر اليوناني عامة و الأرسطي خاصة .

هذا فضلا على أن من حق أي باحث أن يكتب في أي موضوع إذا كان مُطلعا عليه ،و مُتمكنا منه ،و لا يُشترط فيه أن يكون مُتحصلا على شهادة علمية تشهد له بتخصصه في الموضوع الذي كتب فيه. فليست الشهادة هي التي تُكسب العلم و الكفاءة ،و إنما العمل و الاجتهاد هما اللذان يُكسبان العلم و الكفاءة العلمية . فكم من إنسان له شهادة في تخصص ما ، لكنه عاجز أن يكتب فيه مقالا نقديا واحدا !! . و لا يحق لأي إنسان أن يحتكر علما لمجرد أن له شهادة فيه ، فمن حق غيره أن يكتب فيه ما دام قادراً على الكتابة

فيه . و من يُصر على الإنكار عليَّ ، فأنا لن أتراجع عن موقفي ،و بيّني و بينه الدليل ، لا الشهادات و لا التخصصات ، و لا الأشخاص و لا الألقاب.

و أما فيما يخص منهجي في نقدي لأرسطو و فكره ، فسأكون صارما بالحق و لا أتعاطف معه ،و لا أبحث له عن الأعذار و المبررات ،و لا أُدَلِله كما دلّله المدلول . لكني من جهة أخرى لا أكذب عليه ،و لا أُحرّف كلامه ،و لا أُحمّله ما لا يحتمل . فهذا حقه عليَّ الذي تفرضه الموضوعية و الأمانة العلمية .

و سأعتمد في نقدي لأرسطو و فكره على ثلاثة أصول صحيحة ، منها أنطلق و إليها أَحتَكِمُ ، هي : الوحي الصحيح ،و العقل الصريح ،و العلم الصحيح .

و أما بالنسبة للمصادر التي اعتمدتُ عليها في كتابي هذا فقد حرصتُ على الاعتماد على كتب أرسطو أولا ، فإذا تعذر عليّ الرجوع إليها اعتمدتُ على الكتب المتخصصة في الفلسفة اليونانية عامة ،و الأرسطية خاصة . ثم بعدها اعتمدتُ على المصنفات الفلسفية و التاريخية العامة التي تُفيد في موضوع كتابي هذا ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . كما رجعتُ إلى كتب أخرى متنوعة استفدتُ منها في ردودي و انتقاداتي لمختلف قضايا الفكر الأرسطي في الإلهيات و الطبيعيات و الإنسانيات . و هذه المصنفات موجودة في قائمة المصادر و المراجع ، في آخر الكتاب ، لم أر كبير فائدة في أعادة ذكرها هنا ، فمن أرادها فهي في قائمة المصادر و المراجع .

و أُشير هنا إلى أن بحثي هذا لم أُقمه على اصطياد و انتقاء مجموعة مُتفرقة من أخطاء أرسطو ، ثم نفختها و جعدتها ، و إنما هو عمل علمي شامل لأعمال أرسطو أقمتُه على قاعدة عريضة و أساسية من أخطاء أرسطو و انحرافاته المنهجية في كل مجالات العلوم التي كتب فيها . و هي قاعدة تضمنت مئات الأخطاء و الانحرافات و الجنايات ، ذكرتها — مع كثرتها– كعينات فقط من باب التمثيل لا الحصر ،و ضربتُ صفحا عن أخطاء أخرى كثيرة

جدا . و أنا في عملي هذا لا أدعي الكمال ، فهو عمل بشري عرضة لمختلف الأخطاء و النقائص ، كغيره من أعمال الإنسان الأخرى . لكنني اجتهدتُ قدر المستطاع لبلوغ الهدف المنشود ،و يبقى المجال مفتوحا للاعتراضات و الانتقادات و الزيادات .

و أخيرا أسأل الله سبحانه و تعالى التوفيق و السداد ،و الإخلاص في القول و العمل ، و هو الموفق لما يُحبه و يرضاه ، و على الله قصد السبيل .

أ ، د : خالد كبير علال

١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١م — الجزائر-

الفصل الأول

مظاهر جناية أرسطو على العقل و العلم في الإلهيات

أولا: الله تعالى في فلسفة أرسطو

ثانيا: نشأة الكون و مكوناته في فلسفة أرسطو

ثالثا: حركة الكون في فلسفة أرسطو

رابعا : الغائية و الوظيفية في الكون عند أرسطو

خامسا: مصادر إلهيات أرسطو

مظاهر جناية أرسطو على العقل و العلم في الإلهيات

اتخذ الفيلسوف اليوناني أرسطو طاليس (ت ٣٢٢ ق م) مواقف فلسفية كثيرة تتعلق بالجانب الإلهي من هذا العالم ، كوّن بها نسقا فكريا ، و شرحها- من خلاله- ،و أقام عليه فكره المتعلق بالعلوم الطبيعية و الإنسانية. فما هي أساسيات إلهياته ؟ ، و ما هي مظاهر جناياتها على العقل و العلم .

أولا : الله تعالى في فلسفة أرسطو :

أطلق أرسطو على الله سبحانه و تعالى اسم : المحرك الذي لا يتحرك ، و هو عنده جوهر أزلي مفارق للمادة ، غير متحرك بالضرورة . و هو المبدأ الذي يتوقف عليه الكون ، و العقل الأول و المحرك الأول . و لا بد أن يكون بطبيعته لا يتحرك ،و القول به أمر ضروري ، لأن تسلسل المحركات إلى ما لا نهاية هو محال ، فلابد إذن من أن تنقطع السلسلة عند محرك أول لا يتحرك . و هو أسمى الموجودات ، و لا يُوجد عنده معقول أسمى من ذاته ، فهو عاقل و معقول[١] .

و قال فيه أيضا : ((فإن كان الإله كحالنا في وقت ما فذلك عجب ، و إن كان أكثر ، فأكثر عجبا فله كذلك . و هو حياة ، لأن فعل العقل الحياة ،و ذلك هو الفعل. و العقل الذي بذاته ، و له حياة فاضلة و مؤبدة . فنقول إن الإله حي أزلي في غاية الفضيلة ، فإذا هو حياة ، و هو متصل أزلي ، و هذا هو الإله))[٢] .

---

[١] أرسطو : كتاب الطبيعة ، حققه عبد الرحمن بدوي، الدار القومية للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ج ٢ ص: ٨٤٥ و ما بعدها. و ماجد فخري : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٢ . و ماجد فخري: أرسطو : المعلم الأول، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٨ ، ص: ٨٤، ٩٩ . أرسطو : مقالة اللام من كتاب ما بعد الطبيعة ، مُلحقة بكتاب أرسطو عند العرب لعبد الرحمن بدوي، ط٢ ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٨ ، ص: ٣ ، ٤ . و أرسطو : مقالة الجما من كتاب ما بعد الطبيعة ،، ملحقة بكتاب الميتافيزيقا لإمام عبد الفتاح إمام ، ص: ٢٦٧ . و علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي: أرسطو و المدارس المتأخرة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، د ت ، ج ٢ ص: ١٩٢ .

[٢] ابن رشد : تفسير ما وراء الطبيعة ، ط١ ، دار إدريس ن سوريا ، ٢٠٠٧ ، ج ٣ ص: ٣١٦، ٣١٧ .

و قال أيضا : ((كل متحرك فواجب ضرورة أن يكون يتحرك عن شيء ما ... و لما كان المتحرك يتحرك عن شيء فواجب ضرورة أن يكون كل متحرك أيضا في مكان ، فإنما يتحرك عن غيره . و المحرك أيضا عن شيء آخر ... إلا أن ذلك ليس يمر بلا نهاية ، بل لابد من أن يقف عند شيء ما ، هو أولا سبب الحركة))[1] .

و وصف الله تعالى بأنه هو مبدأ الموجودات و أولها ، و غير متحرك بالذات و لا بالعرض ، و هو محرك الحركة الأولى الأزلية[2] . وذكر أن المعقول عند الناس ليس هو العاقل ، لكن العقول التي ليست من الهيولى- و هي الإلهية- فإنه يلزم أن ((يكون المعقول منها، و العقل ،و فعل العقل شيئا واحدا بعينه))[3] .

و من ذلك أيضا أنه قال : المحرك الذي لا يتحرك متصف بالكمال لكنه خالٍ من القوة و ما تنطوي عليه من قابلية التحرك أو الصيرورة ، فهو المحرك الذي لا يتحرك، لأنه لو كان ينطوي على أي قدر من القوة لامكن انقطاع الحركة ،و هو محال ، فأوجب وجود محرك لا يتحرك ، حرّك المتحرك الأزلي الذي هو السماء الأولى- الفلك المحيط [4] .

و إله أرسطو لا يفعل شيئا أبدا ، و ليست له رغبات ، و لا إرادة و لا هدف ،و هو ((حيوية خالصة ، لدرجة أنه لا يعمل أبدا ،و هو كامل كمالا مُطلقا ؛ لذلك ليس بمقدوره أن يرغب بأي شيء ؛ فهو لا يفعل شيئا ، و عمله الوحيد هو التفكر في جوهر الأشياء ... فإن وظيفته الوحيدة هي التفكر في ذاته))[5] .

و زعم أرسطو أنه يستحيل على ذلك الإله أن يُدرك غير ذاته ، لأن القول بخلاف ذلك يعني أن الإدراك مرتبط بشيء آخر غير الذات الإلهية ، يتوقف عليه ذلك الإدراك. كما أن

[1] أرسطو : الطبيعة ، ج ٢ ص: ٧٣٣ ، ٧٣٥ .
[2] أرسطو : مقالة اللام من كتاب ما بعد الطبيعة ، مُلحق بكتاب أرسطو عند العرب ، ص: ٤ .
[3] ابن رشد : تفسير ما وراء الطبيعة ، ج ٣ ص: ٣٦٤ .
[4] ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١٣١ .
[5] ول ديورانت : قصة الفلسفة ، ص: ١١٤

إدراكه للعالم المتغير يُؤدي إلى تغير في المدرك له ، و هو الإله . و كما أن ذلك الإدراك يعني وجود شيء أشرف من جعل الإدراك هو موضوعه-أي ذاته – و لا يجعل الإله أفضل الموجودات ،و لم يكن وجوده أفضل الوجود ، و إنما هو قوة قابلة للإدراك . و بما أن الإله عند أرسطو فعل محض وجب أن ((ثمة أشياء لا يُعقل أن يُدركها العقل الإلهي)) ، و عليه فإن ((العقل الإلهي يُدرك ذاته لأنها أفضل الموجودات ، فهي إذاً إدراك بلا إدراك ، أو عقل للعقل))[1] .

و إله أرسطو ليس هو صانع العالم ،و لا يعلم عنه شيئا، و لا يُعنى به ، فهو عله غائية للعالم ، لأنه معشوق له و ليس علة فاعلة له . فهو يفعل ضرورة لا اختياراً ، و يتأمل ذاته أزليا ، فهو إذن العقل و العاقل و المعقول[2] .

و يرى أرسطو أن الإله بما أنه عقل فهو إما أن يكون ((عاقلا لذاته أو لشيء آخر ... و إن كان عاقلا لشيء آخر فما يخلو أن يكون عقله دائما لشيء واحد ، أو لأشياء كثيرة . فمعقوله على هذا منفصل عنه ، فيكون كماله إذن لا في أن يعقل ذاته لكن في عقل شيء آخر . إلا أنه من المحال أن يكون كماله بعقل غيره ، إذ كان جوهرا في الغاية من الإلهية و الكرامة و العقل. و لا يتغير فالتغيّر فيه انتقال إلى الأنقص،و هذا هو حركة ما ، فيكون هذا العقل ليس عقلا بالفعل لكن بالقوة ... و إذا كان هكذا – أي الوجود بالقوة- فلا محالة يلزمه الكلال و التعب من اتصال العقل بالمعقولات . و من بعد فإنه يصير فاضلا بغيره كالعقل من المعقولات ، فيكون ذلك العقل في نفسه ناقصا و يُكمل بمعقولاته . و إذا كان هذا هكذا فيجب أن نهرب من هذا الاعتقاد بها . مالا يُبصر بعض الأشياء أفضل من أن يُبصر))[3] .

و أُشير هنا إلى موقف ابن رشد مما قاله أرسطو و دفاعه عنه في قوله السابق ، فأنكر أن يكون أرسطو جعل الإله جاهلا بغيره ، و لا أنه يعلم الكليات دون الجزئيات ؛ ثم قال :

[1] ماجد فخري: أرسطو المعلم الأول ، ص: ١٠٠ ، ١٠١ .
[2] علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي: أرسطو و المدارس المتأخرة ، ج ٢ ص: ١٩٢ ، ٢٠١
[3] أرسطو : مقالة اللام من كتاب أرسطو عند العرب ، ص: ٩ .

((و الحق أنه من قِبل أنه يعلم ذاته فقط يعلم الموجودات بالوجود الذي هو علة في وجوداتها . مثال ذلك من يعلم حرارة النار فقط فإنه لا يُقال فيه : إنه ليس له بطبيعة الحرارة الموجودة في الأشياء الحارة علم ؛ بل هذا هو الذي يعلم طبيعة الحرارة بما هي حرارة . و كذلك هو الأول سبحانه هو الذي يعلم طبيعة الموجود بما هو موجود بإطلاق الذي هو ذاته . فكذلك كان اسم العلم مقولا على علمه سبحانه ، و علمنا باشتراك الاسم . و ذلك أن علمه هو سبب الموجود ، و الموجود سبب لعلمنا ، فعلمه سبحانه لا يتصف بالكلي ،و لا بالجزئي ، لأن الذي علمه كلي فهو عالم للجزئيات التي هي بالفعل بالقوة ، فمعلومة ضرورة هو علم بالقوة ، إذ كان الكلي إنما هو علم الأمور الجزئية ، و إذا كان الكلي هو علم بالقوة و لا قوة في علمه سبحانه ، فعلمه ليس بكلي ، و أبين من ذلك ألاّ يكون علمه جزئيا ، لأن الجزئيات لا نهاية لها ،و لا يحصرها علم ، فهو سبحانه لا يتصف بالعلم الذي فينا ،و لا بالجهل الذي هو مقابله ، كما لا يتصف بهما ما شأنه ألاّ يُوجد فيه واحد منهما . فقد تبين إذاً وجود موجود عالم لا يتصف بالعلم الذي فينا ،و لا بالجهل الذي فينا ،و لا يُغاير وجوده علمه))[1] .

و أقول : إن معظم ما قاله أرسطو عن الإله غير صحيح ،و قد وقع في أخطاء فادحة ، منها ما يُضحك ، و منها ما تُثير الاستغراب و التعجب ، و منها ما يشهد قطعا على أن أرسطو لم يكن على منهج صحيح في تناوله لموضوع الألوهية . و الدليل على ذلك الشواهد الآتية:

أولا : إنه لا يصح القول بأن الإله لا ينطوي على أي قدر من القوة ، لأنه لا يُمكن أن يكون الإله كذلك ، بدليل الأمرين الآتيين : الأول هو أن من صفات الإله الأزلية الضرورية أنه قوي ، و إلا ما كان ربا و لا خالقا . و هذا أمر بديهي فأرسطو إما جاهل ، أو مُتبع لهواه. و الثاني هو أن الكائن الحي مهما كان نوعه و صفاته فلابد من أن ينطوي على قوة ، و إلا ما كان حيا .

---

[1] ابن رشد : تفسير ما وراء الطبيعة ، ج ٣ ص: ٣٦٧-٣٦٨ .

و ثانيا : لا يصح وصف الله تعالى بأنه المحرك الذي لا يتحرك ،و أن القول بذلك ضروري ، لأمرين أساسيين : الأول هو أن الله سبحانه هو الخالق لهذا العالم و ليس هو المحـــــــــــــــــــــــــرك لـــــــــــــــــــــــــــــــــه . و الأدلة العقلية و الشرعية و العلمية شاهدة على أن الكون مخلوق و ليس أزليا ،و لا هو مُتحركا فقط[1] . و هذا يستلزم أن نصف الله تعالى بالخالق ، و لا نصفه بالمحرك الذي لا يتحرك .

و الأمر الثاني هو أن صفة الحركة ليست عيبا و لا نقصا، ،و هي من صفات الكائن الحي. فإذا وصفنا الله تعالى بها ، فهي صفة كمال في حقه ،و تليق به سبحانه . و لا يصح النظر إلى هذه الحركة نظرتنا إلى الحركة التي يتصف بها المخلوق ،و هذا هو الخطأ الذي وقع فيه أرسطو ، فنفاها بدعوى أنها نقص و تفيد التغير ، لكنه نسي أو تناسى بأنه وصف الإله بعكس تلك الصفا عندما نفاها عنه ، و هي أنه وصفه بصفة السكون ، فيكون قد شبهه بالجمادات ،و هي صفة نقص لا صفة كمال بالنسبة للمخلوق .

علما بأن كلا من صفتي الحركة و السكون لهما وجهان : نقص ،و كمال ؛ فالمخلوق المتحرك اتصافه بالحركة هي صفة كمال بالمقارنة إلى الكائن غير المتحرك . لكنها مع ذلك قد تكون صفة نقص عندما تكون دليلا على الحاجة ، فيتحرك هذا الكائن ليقضي حاجته ، لأنه لا يستطيع قضاءها دون أن يتحرك . و نفس الأمر ينطبق على المخلوق الجامد ، فهو يستطيع أن يقضي حاجاته جامدا كالأشجار التي تأخذ حاجياتها من الغذاء دون أن تنتقل إلى مكان آخر ؛ لكن بعضها لا يستطيع توفير حبوب التلقيح بنفسها ، لأن الأمر يتطلب تنقلها ،و بما أن هذا غير ممكن في حقها ، فهي في حاجة إلى غيرها ليوفر لها ذلك . فتتدخل مخلوقات أخرى توفر لها ذلك ، من إنسان ،أو طيور ،أو حشرات ،أو رياح .

لكن كل ذلك لا ينطبق على الله تعالى لأن صفاته كلها كمال لا نقص فيها ،و هي صفات أزلية تابعة لذات الله الفعال لما يريد . و منها صفتا الحركة و السكون ، فاتصاف الله تعالى بهما لا نقص فيه أبدا ، و قد دلت النصوص الشرعية على اتصاف الله تعالى بهما

[1] سنثبت حدوث الكون و بطلان زعم أرسطو بأزليته ، في المبحث الثاني من هذا الفصل .

في نصوص كثيرة ، على أساس أنه سبحانه { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } سورة الشورى:١١-، و { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ } سورة الإخلاص:١-٤- ، و {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } سورة طه:٥- ، و {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً }سورة الفجر:٢٢ - ، و { فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ }سورة الأعراف:١٤٣- ، و في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له))[١] . و بما أن المخلوق الذي يتصف بصفتي الحركة و السكون أكمل ممن يتصف بأحدهما ،و بما أن الله تعالى هو الخالق العظيم المتصف بصفات الكمال و المخالف للمخلوقات ، فإن اتصافه بالحركة و السكون ليس نقصا و لا عيبا و لا عجزا ،و إنما هما صفتا كمال في حقه سبحانه .

و بناءً على ذلك فإنه لا يصح ما زعمه أرسطو من أنه من الضروري أن يكون الإله أزليا غير متحرك . لأن الصواب هو أن يُقال : إنه من الضروري أن يكون الإله أزليا متصفا بكل صفات الكمال التي لا نقص فيها أبدا . و بما أن صفة الحركة ليست نقصا في حقه سبحانه فمن الضروري أيضا أن يكون اتصاف الله تعالى بها هو من كمال ذاته و صفاته .

و أُشير هنا إلى أن من غرائب أرسطو و سفسطاته أنه أكثر التأكيد على أن الإله مُحرك لا يتحرك ، حتى أنه يجعل القارئ يعتقد أن أرسطو يقول بأن هذا الإله هو الذي تولى عملية التحريك عن إرادة و قصد . لكن الحقيقة خلاف ذلك تماما و هي أن إله أرسطو ليس هو المحرك الفعلي و الحقيقي للعالم . و قد سبق أن ذكرنا أقواله في ذلك التي نصت على أنه نفى من أن يكون للإله فعل ، أو علم بغيره ، أو أنه حرّك العالم عن إرادة و قصد ، و صرّح أيضا بأن إلهه كان معشوقا للعالم من دون أي قصد منه و لا فعل . و هذا يعني أنه لا يصح أن يُوصف الإله بأنه المحرك الفعلي و الحقيقي ، لأنه وَصْف فيه تغليط و تدليس و سفسطة

[١] البخاري : الصحيح ، حققه محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة١٤٢٢ هـ ج ٢ ص: ٥٣ .

. مع أن الحقيقة هي أن الكون-حسب زعم أرسطو- هو الذي تحرك من داخله فكان عاشقا لمعشوقه . و سنزيد هذا الموضوع تفصيلا في المبحث الثالث من هذا الفصل بحول الله تعالى .

و ثالثا إن قول أرسطو :((كل متحرك فواجب ضرورة أن يكون يتحرك عن شيء ما)) هو حكم عام لا يصدق على كل كائن ، و إنما يصدق على المخلوقات و لا يصدق أبدا على الخالق . و عليه فإنه لا يصح أن يُقال: إن كل كائن لا بد له من بداية ، أو لابد أن يكون حادثا . فهذا لا يصح لأن الكائن قد يكون مخلوقا حادثا ،و قد يكون خالقا أزليا . و نفس الأمر ينطبق على المتحرك ، فقد يكون خالقا أزليا ،و قد يكون مخلوقا حادثا . و عليه فلا يصح قول أرسطو ، و يصح أن نقول : كل متحرك مخلوق فهو حادث بالضرورة ،و كل متحرك خالق فهو أزلي بالضرورة .

و بناء على ذلك فإن قول أرسطو بأن كل متحرك واجب ضرورة أن يتحرك عن شيء قبله ، و هكذا إلى أن يجب أن نتوقف عند محرك لا يتحرك . فهو توقف ذاتي يقوم على الرغبة أكثر مما هو توقف علمي موضوعي صحيح ، لأنه يُمكن أن يُقال : لماذا لا يكون ذلك التأثير المتبادل بين المحرك و المتحرك تأثيرا أزليا دائما أبديا ، على طريقة أرسطو نفسه عندما قال بأزلية العالم و الحركة ، و كونها حركة دائرية[1] ؟ . و بما أن الكون ليس أزليا شرعا و عقلا و علما[2] ، فإن رأي أرسطو لا يصح ،و فرضنا الذي ذكرناه اعتراضا على أرسطو لا يصح هو أيضا . فطريقة أرسطو في طرحه لذلك الموضوع غير صحيحة و يجب تركها و التخلي عنها ،و طرح الموضوع بطريقة أخرى صحيحة توافق الوحي الصحيح ،و العقل الصريح ،و العلم الصحيح ، مفادها : يجب ترك طريقة المحرك الذي لا يتحرك ،و علاقته بالكون الذي حرّكه ،و إحلال محلها مقولة : إن الكون مخلوق ، و لا بد له من خالق خلقه . و عليه فلا المخلوق خالق ،و لا الخالق مخلوق ،و بذلك يتوقف التعليل ،و هو توقف منطقي بديهي ،و لا يصح الاستمرار فيه ، لأنه لا يصح طرح تساؤل : من خلق الخالق ، لأن الخالق ليس مخلوقا ، و لو كان مخلوقا ما كان خالقا ، و بما أنه خالق فهو ليس مخلوقا .

---

[1] سيأتي توثيق ذلك في المبحثين الآتيين .
[2] سنوثق ذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل .

فهو الأول و الآخر ، و المتقدم و المتأخر ،و الأزلي و السرمدي الذي ليس قبله شيء ،و لا بعده شيء .

و رابعا إن زعمه بأن الإله خالٍ من القوة مع اتصافه بالكمال، فهو زعم باطل مردود على أرسطو . لأنه من الثابت عقلا أنه لا حي دون قوة ، و لا إله دون قوة . و بما أن الله تعالى هو الحي القيوم ،و إله هذا الكون و خالقه فإنه بالضرورة قوي متين ، لا يعجزه شيء في الأرض و لا في السماء ، فهو سبحانه كما وصف نفسه : { إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ }سورة هود:٦٦- ، و { الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ }سورة الحشر:٢٣ - .

و الحقيقة إن زعم أرسطو بأن الإله خالٍ من القوة ، هو من أغرب أخطائه و أفحشها ،و لا يصح الوقوع فيه أبدأ ، بل هو من أغرب أباطيله و خرافاته و سفسطاته !! . و هو قد تحجج بقوله : لو كان الإله ينطوي على أي قدر من القوة لأمكن انقطاع الحركة[١] . لكنه مبرر لا يصح ، و لا يصدق على الله تعالى ، لأن صفاته تعالى - منها القوة — هي صفات أزلية ،و هو سبحانه فعال لما يريد . و هذا يستلزم عدم انقطاع أو توقف أية صفة من صفاته ، فهو سبحانه الأزلي بذاته و صفاته الفعال لما يريد ،و يخلق ما يشاء و يختار .

و خامسا إن زعم أرسطو بأن الإله لا يعقل- بمعنى يعلم- غيره ،و إنما يعقل ذاته فقط ، بدعوى أن هذا هو الكمال ،و عقله لغيره نقص و لا يصح في حقه . فهو زعم باطل ، و قول مُضحك و مردود على صاحبه . لأن الكمال الكامل الذي يتصف به الله تعالى يستلزم أن يكون كاملا في علمه أيضا ، و هو أنه يعلم ذاته و غيره علما كاملا شاملا لا نقص فيه . لأن الذي يعقل و يعلم ذاته فقط ناقص ،والذي يعقل و يعلم غيره فقط ناقص هو أيضا ،و هذان الأمران لا يصحان في حق الله تعالى ، فهو سبحانه يجمع بين الأمرين ، يعقل و يعلم ذاته و غيره بصفة كمال لا نقص فيها أبدا .

---

[١] ماجد فخري: الفلسفة اليونانية ، ص: ١٣١ .

علماً بأن أرسطو قد طرح موضوع علم الله بطريقة ناقصة ، فحصره في احتمالين فقط : إما أن يعقل ذاته ، و إما أن يعقل غيره . و هذا طرح ناقص تضمن احتمالين غير صحيحين ، و غاب عنه الاحتمال الثالث ،و مفاده : أو أنه يعقل ذاته و غيره . و هذا هو الصحيح الموافق للعقل الصريح ،و الوحي الصحيح . فكمال العلم الإلهي يستلزم انه سبحانه يعلم ذاته و غيره علما كاملا شاملا لا نقص فيه .

و أما المبررات التي تحجج بها أرسطو ، فهي لا تصمد أمام المناقشة البديهية الموضوعية . أولها إنه ذكر أن القول بخلاف رأيه يعني أن الإدراك الإلهي مرتبط بشيء آخر غير الذات الإلهية ، يتوقف عليه ذلك الإدراك[1] . و هذا تبرير لا يصح ، لأن إدراك الله تعالى شامل كامل لا نقص فيه ،و الله تعالى غني بذاته غِنى مطلقا ، و ليس مرتبطا بأحد ، و لا تابعا له في ذاته و لا صفاته . و كيف يكون تابعا لغيره ، و كل ما سواه هو من مخلوقاته و مُفتقر إليه ؟؟!! ، و هل يُعقل أن يكون الخالق تابعا لمخلوقاته ؟؟!! . فالصحيح هو أن إدراك الله تعالى ، هو من صفاته الأزلية يدرك به ذاته و غيره إدراكا كاملا لا نقص فيه ،و لا يصح وصفه بما زعمه أرسطو .

و مبرره الثاني مفاده هو أن إدراك العالم المتغير يُؤدي إلى تغير في المدرك له و هو الإله[2] . و هذا اعتراض باطل يدل على أن صاحبه جاهل بالله تعالى ، لأن زعمه هذا يصدق على المخلوق لا على الخالق . فهذا الرجل جعل علم الله كعلم الإنسان يتغير حسب تغير معلوماته ، و توسع معارفه . و قياسه هذا باطل ، لأنه في غير محله . فَعِلم الله تعالى انكشاف تام شامل مُطلق ، لا يحده زمان و لا مكان ،و لا تعوقه حواجز و لا عوالم ،و لا يتصف بالزيادة و لا بالنقصان . و قولنا هذا يُوجبه العقل الصريح ، و قد نص عليه الوحي الصحيح أيضا . فلا يمكن أن يكون إدراك الخالق كإدراك المخلوق ،و لا يمكن أن يكون ناقصا كنقصان إدراك مخلوقاته ،و لا يمكن أن يكون تابعا لها . و أما من الوحي الصحيح فالأدلة على ذلك كثيرة جداً ، منها قوله سبحانه: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ

[1] ماجد فخري: أرسطو : المعلم الأول ، ص: ١٠٠ .
[2] نفسه ، ص: ١٠٠ ، ١٠١ .

}سورة الرعد:٩- ، و {أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ }سورة التوبة:٧٨- ، و {عالم الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ }سورة سبأ:٣- ، و {وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى }سورة طه:٧- ، و {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ }سورة غافر:١٩ - .

و أما المبرر الثالث -الذي تحجج به- ، فمفاده هو أن أرسطو ذكر أن إدراك الإله لغيره دون ذاته يعني أنه يُوجد شيء أشرف من إدراكه لذاته ،و هذا عند أرسطو غير مقبول ، مما جعله يزعم بأنه توجد أشياء لا يُعقل أن يعقلها الإله[١] . و هذا اعتراض لا يصح ، لأن الصواب ليس كما قال الرجل ، و إنما هو أن الله تعالى لا يعلم ذاته فقط ،و لا يعلم غيره فقط ، و إنما يعلم ذاته و غيره معا ، يعلمها علما شاملا كاملا ،و هذا هو الأشرف والأكمل ، و الأجدر و الأليق . و نسي أرسطو أو تناسى أن قوله بأن الإله يعلم ذاته فقط ، يتضمن وصفا له بالعجز من حيث أراد أن يُنزهه ، فأخطأ في المنهج و النتيجة.

و أما مبرره الرابع-الأخير الذي تحجج به- فمفاده أن أرسطو ذكر أن عقل الإله لغيره يجعل كماله في غيره لا في ذاته . لكن من المحال أن يكون كماله في غيره ، لأنه جوهر غاية في الإلهية و الكرامة و العقل ، و لا يتغير لأن التغير فيه انتقال إلى الأنقص ، و هذا حركة ما ، فيكون هذا العقل ليس عقلا بالفعل ،و إنما بالقوة ،و هذا يُؤدي لا محالة إلى أنه يُلزمه الكلال و التعب من اتصاله بالمعقولات ، فيصير فاضلا بغيره ، و يصبح ناقصا في نفسه ،و يكمل بمعقولاته ، لذا يجب أن نهرب من هذا الاعتقاد ،و ما لا يُبصر بعض الأشياء أفضل من أن يُبصر[٢] .

و مبرره هذا غير صحيح ،و هو يندرج ضمن مبرراته السابقة ، و فيه تغليط و تدليس و سفسطة . لأن كمال الله تعالى هو كمال ذاتي أزلي مُطلق ليس تابعا لمخلوقاته في أي صفة من صفاته ،و لا يصح حصر علم الله و إدراكه بين أمرين : إما أن يعلم ذاته ، و إما أن

[١] ماجد فخري: أرسطو ، ص: ١٠٠، ١٠١ .
[٢] سبق توثيق ذلك .

يعلم غيره ، و هذا لا يصح ،و قد سبق أن بينا وجه الصواب في ذلك . فهذا الرجل أمره غريب جدا ، لا أدري هل هو لم يكن يدرك ما قلناه ، أو أنه كان يتعمد القول برأيه السابق الظاهر البطلان ؟ ! .

فعلم الإله و إدراكه و عقله لذاته و لغيره كل ذلك هو من مُستلزمات الألوهية على أساس من الشمولية و الكمال المطلقين . و لا يصح وصف إدراك الله و علمه بمخلوقاته بأنهما تغير و انتقال و نقص ، فهذا اعتراض صبياني ، أو كلام جاهل بالله لا يعي ما يقول . لأن الله تعالى كامل و أزلي بذاته و صفاته ،و فعال لما يريد ، عالم الغيب و الشهادة ، و علمه شامل كامل مُطلق بلا حدود ، لا تحده حدود الأزمان و لا الأكوان و الأماكن . و قد أوصله جهله بالله إلى أنه زعم أن علم الله بغيره يُوصله إلى التعب و الكلال !!! . و هذا قول مُضحك ،و عورة من عورات أرسطو ،و جريمة من جرائمه في موضوع الإلهيات ، فهل يصح في العقل البديهي أن الله الخالق العظيم يصيبه التعب و الكلال ؟؟!! . و قوله هذا سبقه إلى القول به كفار بني إسرائيل عندما زعموا أن الله عندما خلق الكون تعب فارتاح في اليوم السابع ، فسجل ذلك القرآن الكريم ،و رد عليهم و على أمثالهم ، في قوله سبحانه : {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ }سورة ق:٣٨- ، و {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ }ق٣٨- .

و بناء على ذلك يجب علينا أن نهرب من الاحتماليّن اللذين طرحهما أرسطو ، و لا نهرب فقط من الاحتمال الذي حذّرنا منه ،و لا نرضى بما قرره كحل جزافي ، عندما قرر أن ما لا يُبصر بعض الأشياء أفضل من أن يُبصر . فهذا كلام باطل ، إذا صح في حق بعض المخلوقات ، فإنه لا يصح أبدا في حق الله تعالى الخالق العظيم ، الفعال لما يُريد ، المتصف بصفات العظمة و الجلال و الكبرياء .

و أما تأويل ابن رشد الحفيد لموقف أرسطو و دفاعه عنه ، فهو تأويل تحريفي لقول الرجل و مصادم له . لأن أرسطو نصّ صراحة على أن الإله يعقل ذاته فقط و لا يعقل غيره ،و قد أشرنا إلى مبرراته التي تحجج بها ،و قرر من خلالها أن الإله يعقل ذاته فقط . و عليه لا يصح

لابن رشد و لا لغيره أن يُحرّف كلام أرسطو ،و لا يُقوّله ما لم يقله ،و ما لم يُرده . فلا تأويل مع الكلام الواضح المحكم القطعي الدلالة .

و ابن رشد قد مارس التأويل التحريفي[1] مع كلام أرسطو ، و هو واضح التهافت ، لأنه عندما قال : إن عقل الإله بذاته يتضمن عقله و علمه بغيره . هو قول لا يصح لأمرين : الأول هو أن أرسطو أعلن صراحة أن الإله لا يعقل إلا ذاته ، فنفى أن يكون يعقل غيرها ،و من ثم سقط الاحتمال الذي تعلق به ابن رشد . و الثاني هو أن القول بأن الإله لا يعقل إلا ذاته ، لا يتطلب ،و لا يستلزم أنه يعلم غيره لأن القول قد نفى ذلك من جهة ، كما أنه حتى إذا أبعدنا النفي ، فإن القول واضح في حصر عقل الإله لذاته ،و من ثم فهو لا يستلزم عقله و علمه بغيره من جهة أخرى .

و أما قول ابن رشد بأن علم الله ليس كليا و لا جزئيا ،و لا يصح وصفه بذلك ؛ فهو زعم باطل ، لأن علم الله تعالى علم شامل كامل ،و مع أنه مُخالف لعلم مخلوقاته ، فإنه بالضرورة العقلية و الشرعية ، أنه سبحانه يعلم بكل ما في الكون بكلياته و جزئياته . و هذا يقوله العقل البديهي ،و نص عليه القرآن الكريم مرات عديدة ، منها قوله سبحانه : {أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ }سورة التوبة:٧٨- ، و {عالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ }سورة سبأ:٣- ، و {وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى }سورة طه:٧- ، و {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ }سورة غافر:١٩ - .

و فيما يخص قول ابن رشد من انه لا يصح وصف علم الله بأنه علم بالكلي ،و الكلي هو علم بالقوة ،و لا قوة في علمه . فهذا التعليل ينطبق على المخلوق ، لأن علمه يتكون من العلم بالفعل و العلم بالقوة . و أما الله تعالى فعلمه شامل كامل أزلي لا نقص فيه، و لا يصح وصفه بأنه علم بالقوة ،،و قد أصاب ابن رشد في نفي كون علمه تعالى بالقوة . لكنه مع ذلك فهو سبحانه يعلم بكل ما في العالم بكلياته و جزئياته ،و علمه ليس نقصا و لا

[1] إن ابن رشد الحفيد معروف بتأويلاته التحريفية ، و عنها أنظر كتابنا : نقد فكر الفيلسوف ابن رشد الحفيد ، و الكتاب منشور ورقيا و إلكترونيا .

عيبا ،و إنما هو كمال ما فوقه كمال . لكن علمه بالكلي لا يتطلب ما حذّر منه ابن رشد ، لأن ما حذّر منه ينطبق على المخلوق لا على الخالق .

و لا يصح من جهة أخرى نفي ابن رشد لصفة علم الله بالجزئي ، بدعوى أن الجزئي لا نهاية له . فهذا كلام باطل مُثير للضحك و الاستغراب ، لا يصح و لا يجوز نسبته إلى الله تعالى ،و إنما هو يصدق على المخلوق لا على الخالق . فالله تعالى عالم بكل شيء علما كاملا شاملا مُطلقا لا تغيب عنه جزئيات و لا كليات ،و كلامنا هذا لا يحتاج إلى دليل ، لأنه من بديهيات العقل الصريح و الوحي الصحيح . و ليس صحيحا أن الجزئيات لا نهاية لها ، فهذا زعم باطل بناه ابن رشد على زعم أرسطو القائل بأزلية الكون ،و استمراية الحركة و التوالد أزلاً و أبداً . و هذا زعم لا يصح ،لأن الكون له بداية و ستكون له نهاية[1] ، و هذا يستلزم أن جزئياته محدودة ،و ليست لا نهائية . و حتى إذا افترضنا جدلا أن الكون أزلي ، فإن الله تعالى يعلم بكل جزئياته و كلياته اللانهائية ، لأنه سبحانه علام الغيوب لا يعزب عنه شيء في الأرض و لا في السماء .

و بناء على ذلك فإنه يتضح منه أن ما فعله ابن رشد هو عملية تأويلية تحريفية للدفاع عن موقف أرسطو في نفيه لعلم الله بغيره ،و لم يكن الهدف منه تفسير كلامه تفسيرا علميا موضوعيا صحيحا . فمارس ذلك التأويل التحريفي محاولة منه لدفع الشناعة التي لحقت بأرسطو عندما نفى عن الله عقله و علمه بغيره . و يُؤيد ذلك أيضا تصرف ابن رشد غير العلمي في كلام أرسطو ، و يتعلق بقول أرسطو: ((فلا محالة أنه يُلزمه الكلال و التعب من اتصال العقل بالمعقولات)) . هذا القول لم يذكره ابن رشد في تفسيره لكتاب أرسطو : ما بعد الطبيعة ، فقد نقل كلامه الذي نصّ فيه على أن الإله لا يعقل إلا ذاته ،و أوّله تأويلا تحريفيا كما سبق أن بيناه ؛ لكنه أسقط قول أرسطو المتعلق بالكلال و التعب ((فلا محالة أنه يُلزمه الكلال و التعب من اتصال العقل بالمعقولات)) . هذه العبارة موجودة في النص الأصلي لكتاب ما بعد الطبيعة في مقالة اللام ،و كانت معروفة لدى أهل العلم في العصر الإسلامي ،و قد أوردها الشيخ تقي الدين بن تيمية في كتابه درء تعارض العقل و النقل[2] .

[1] سنفصل في موضوع أزلية الكون و خلقه في المبحث الثاني من هذا الفصل .
[2] ج ١٠ ، ص: ٣٥٧ ، ٣٧٧ .

فلماذا لم ترد عند ابن رشد عندما نقل نص أرسطو ؟! ، و هل أسقطها عمدا ، أو سقطت منه سهوا ؟ ! . الأرجح عندي هو انه تعمد إسقاطها ، لأنه عندما دافع عن أرسطو في موقفه السابق بالتحريف و التغليط ، وجد تلك العبارة مخالفة للعقل و الشرع ، و كاشفة لخطأ أرسطو ، و جالبة له الشناعة ،و ناسفة لدفاعه التأويلي ، أسقطها من النص الذي نقله من كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو . و هذا عمل ليس من العلم ،و لا من الدين ،و لا من العقل في شيء ، و إنما هو عمل تحريفي تغليطي إجرامي .

و أخيرا- خامسا- إن أرسطو قد أقام فكره حول الإله و صفاته على متناقضات ، تشهد بنفسها على ضعف فكره و تهافته ،و بطلان معظمه . فمن ذلك أن أرسطو يقول بوجود أزليّين ، هما: الإله و العالم ، الأول مُحرك بلا قصد و لا إرادة من دون أن يتحرك ، و الثاني يتحرك بسبب تأثره بالمحرك الذي لا يتحرك ، كتأثر العاشق بمعشوقه من دون تبادل للعشق . و هذا تناقض واضح ، لا يصح في العقل و لا في المنطق ، لأن المفروض بديهة التسوية بين الأزليّن و الجمع بينهما في الذات و الصفات ، لأنه لا يُوجد أي مبرر منطقي صحيح للتفريق بينهما . لكن أرسطو فرّق بينهما من دون أي دليل صحيح ، إلا رغبته الشخصية ، و هي ليست دليلا ، و إنما هي رغبة تندرج ضمن المزاعم ،و المزاعم ليست أدلة ،و لا يعجز عنها أحد ، و لا قيمة لها في ميزان البحث العلمي الصحيح ، إذا لم تكن معها أدلتها و براهينها الصحيحة .

و المثال الثاني -من تناقضات أرسطو- يتعلق أيضا بالأزليين : الإله و الكون ، الأول لا قوة فيه ، و الثاني فيه قوة ، و هذا تناقض واضح ، و لا يصح القول به . لأنه بما أنهما كائنان حيان أزليان بينهما علاقة كعلاقة العاشق بمعشوقه ، فإن هذا يستلزم أنهما يتصفان بالقوة و الحركة ،و لا يصح التفريق بينهما دون دليل عقلي صحيح . لكن أرسطو لم يلتزم بذلك و فرض رغبته على هذين الأزليين فجعل أحدهما له قوة ، و الآخر لا قوة له . و هذا فعل لا يصح ، و ما هو إلا زعم مردود على صاحبه ،و ليس من العلم و لا من المنطق الصحيح ،و لا من الموضوعية في شيء .

و المثال الثالث مفاده أن أرسطو نصّ على أن الإله له فعل دائم ،و هو أفضل الموجودات و أكملها و أفضلها على الإطلاق ؛ ثم نقض ذلك عندما زعم أن الإله لا فعل له و لا قوة ، و انه لم يصنع العالم ،و لا عِلم له به ،و أنه لا يعلم إلا ذاته !! .

و المثال الأخير- الرابع- مفاده أن أرسطو أشار صراحة إلى أن الإله مُخالف للموجودات عندما وصفه بأنه أفضلها ، و أكملها ، و أشرفها على الإطلاق . لكنه يأتي و ينقض هذا الأصل و يسوي به الموجودات عندما زعم أنها أزلية مثله ،و جعل بعض الموجودات آلهة مثله سماها الجواهر المفارقة[١] . و سواه بالإنسان في علمه بغيره ، فزعم أن الإله إن عقل غيره فإنه سيُصاب بالكلال و التعب ،و علمه سيتغير !! .

و أُشير هنا إلى أن مقدمات أرسطو حول الإله و الكون هي في الحقيقة تنفي وجود الإله أكثر مما تثبته بدليل الشاهدين الآتيين : الأول قوله بوجود أزليين: الإله و الكون ،و هذا يعني بسهولة إلغاء وجود الإله ، لأنه يُمكن الاستغناء عنه بوجود الكون الأزلي، فهو بما أنه كذلك فهو أزلي في كل صفاته و مكوناته ،و لا يصح افتراض أنه ناقص في أي صفة من صفاته، و من يقول بذلك ليس عنده دليل صحيح إلا رغبته الذاتية ،و هي ليست دليلا .

و الثاني هو بما أن الكون أزلي ،و هو العاشق و المتحرك، فهذا يعني أنه حي مريد قادر سرمدي ،و أنه هو الذي تحرك من ذاته، و هو الذي حرّك نفسه ، و هذا يعني أنه هو الكون و الإله معا ،و من ثم يمكن بسهولة إسقاط الإله و الاستغناء عنه ، لأنه فقد دوره و وجوده من عدمه سيان . و هكذا يكون أرسطو قد بنى أساس فكره على المقدمات الضعيفة و المرجوحة ،و لم يُقمه على مقدمات منطقية يقينية صحيحة على أساس من العقل الصريح و العلم الصحيح . فأين اليقين و البرهان اللذان تغنى بهما أرسطو كثيرا في كتابيه : القياس و البرهان[٢] ؟؟!! .

[١] سنوثق ذلك و نتوسع فيه في المبحث الثاني من هذا الفصل بحول الله تعالى .
[٢] سنعود إلى موضع البرهان و القياس في الفصل الرابع إن شاء الله تعالى .

و إنهاءً لهذا المبحث يتبين منه أن أرسطو كان جاهلا بالله جهلا كبيرا، و أنه أخطأ في معظم أفكاره المتعلقة بذات الله و صفاته، فكانت أخطاؤه جسيمة جدا تتعلق بالمنهج و التطبيق . وقد وقع في ذلك بسبب انحراف و قصور و ضعف منهجه الفكري في تناوله لموضوع ذات الله و صفاته . فلم يُقمه أساسا على عقل صريح ،ولا علم صحيح ،و إنما أقامه أساسا على ظنونه و رغباته ،و خلفياته المذهبية، و بعض أساطير مجتمعه . فأفسد بذلك جانبا من فكره و سلوكه ، و جنى به على نفسه و أتباعه، و على العقل العلم معا.

ثانيا: نشأة الكون و مكوناته في فلسفة أرسطو:

اتخذ أرسطو مواقف فلسفية عديدة أوقعته في أخطاء و انحرافات منهجية فاحشة و كثيرة ؛ بعضها يتعلق بنشأة الكون و مكوناته ، و بعضها يتعلق بطبيعة العالم ، فهل هو أزلي أو مخلوق ؟ . و منها ما يتعلق بالعناصر المكونة للكون ،و بعضها الآخر يتعلق بألوهية العقول و الأجرام السماوية ،و الغاية من الوجود . فما تفاصيل ذلك ؟ ، و كيف دنى بها على العقل و العلم ؟ .

(أ) : قول أرسطو بأزلية العالم و أبديته :

كان أرسطو يقول بأن العالم باقٍ لا يزول، و أن ((الشمس تستمر في دورانها على الحالة التي نشاهدها ، كما هي كذلك قديما)) . والأفلاك لا تقبل الفساد و لا تتخرب[1] .و السماء عنده ليست مُكوّنة و لا مُولدة ، و لا يمكن أن تقع تحت الفساد كما قال بعض الناس ،و لكنها ((لا مبدأ لها و لا منتهى في الدهر كله ، و هي علة الزمان ، الذي لا نهاية له مُحيطة به)) ، فالسماء دائمة غير واقعة تحت الفساد و الفناء[2] .

و الكون عند أرسطو أزلي واجب الوجود ، لا بداية له و لا نهاية[3] ، و كما هو أزلي في مادته فهو أزلي أيضا في حركته ،و المحرك الذي لا يتحرك هو محرك الحركة الأولى الأزلية[4] . و زعم أنه استبان له و صح عنده– بناء على مقدماته– أن السماء غير مصنوعة و لا مكونة ،

---

[1] ديوجين لا يرتيوس: مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ، ترجمة عبد الله حسين ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦ ، ص: ١٢٣ ، ١٢٤ .

[2] ابن رشد : شرح السماء و العالم ، حققه أسعد جمعة ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، ٢٠٠٢ ، ج ٢ ص: ٣ ، ٤ .

[3] أرسطو : الكون و الفساد ، ترجمة أحمد لطفي السيد ، الدار القومية ، القاهرة ، د ت ، ص: ٢١٥ .

[4] أرسطو : مقالة اللام ، ص: ٧ . و ابن رشد : تفسير ما وراء الطبيعة ، ج ٣ ص: ٣٣٣ .

و أنها دائمة[1] . و العالم قديم بمادته ،و صورته ، و حركته ، و أنواع موجوداته ،و لا يفسد فيه إلا أفراد أنواعه . فهو كله أزلي لا بداية له و لا نهاية [2] . الأجرام السماوية لا تخضع للتكَوّن و لا الفساد ، فاستحال عليها الحدوث ،أو التغير ، أو التلاشي ،و هي تدور في أفلاكها دورانا أزليا لا يطرأ عليها خلل قط[3] .

و لأرسطو شواهد تحجج به في قوله بأزلية العالم و أبديته ، منها أنه ذكر أنه تبين له أن طبيعة الأجسام السماوية المتحركة باستدارة هي واحدة بسيطة لا اختلاف فيها ،و لا يُلحقها تغير و لا انفعال أثري أصلا[4] .

و منها أنه استدل على أن الجرم السماوي أزلي غير قابل للزيادة و النقصان ، هو أن المشاهدة تدل على ذلك ، فمنذ أقدم العصور لم يطرأ أي تغيير على فلك السماء الأقصى ، أو أي جزء من أجزائه[5] . و لو كانت الشمس حادثة لفسدت و تغيرت [6].

و منها أنه استدل بأنه ((لو كانت الهيولى–المادة– حادثة لحدثت عن موضوع ، لكنها هي موضوع تحدث عنه الأشياء ، بحيث يلزم أن توجد قبل أن تحدث و هذا خُلف . و لو كانت فاسدة لوجبت هيولى أخرى تبقى لتحدث عنها الأشياء ، بحيث تبقى الهيولى بعد أن تفسد ، و هذا خلف كذلك))[7] .

و آخرها استدل به على أزلية تناسل الأجيال الإنسانية، و مفاده أنه ((لو ثبت أن له أول إنسان لكان من غير أب و أم ،و هو مُحال)) ،و استدل بنفس الاستدلال في شأن الطيور ، فقال: إنه لا يُمكن أن يكون هناك بيضة أولية هي أصل لجميع الطيور ،و لا طائر

---

[1] ابن رشد : شرح السماء و العالم ، ج ٢ ص: ٢٣٠ .

[2] ابن رشد : الآثار العلوية ، حققه سهير فضل الله ، و سعاد عبد الرازق ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٤ص: ٢٩ .يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١٩٠ .

[3] أحمد فخري: أرسطو : المعلم الأول ، ص: ٥٥ .

[4] ابن رشد : تلخيص الآثار العلوية ، حققه جمال الدين العلوي ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص: ١٩ .

[5] ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١١٨ ، ١١٩ .

[6] ابن رشد : تلخيص الآثار العلوية ، ٨١، ٨٦ .

[7] يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١٨٧-١٨٨ .

أولي هو أصل لجميع البيض ، بدليل أن الطير من بيضة ،و البيضة من طير ،و هكذا . و استدل بنفس الطريقة في سائر الأجناس و الأنواع التي في الكون[1] .

تلك هي أقوال أرسطو و شواهده في قوله بأزلية العالم و أبديته . و إبطالاً لها ،و رداً على صاحبها أقول : إن قوله بأزلية العالم و أبديته هو زعم باطل من بدايته إلى نهايته ، و تضمن تناقضات و أباطيل ، و انحرافات منهجية فادحة ، جنى بها على فكره و سلوكه ،و على أتباعه . و الانتقادات الآتية تُثبت ذلك بوضوح :

أولها إنه واضح من أقوال أرسطو أنه تكلم بجزم و تأكيد ، و إثبات و يقين ، في موضوع أزلية الكون و أبديته ،و هذا انحراف كبير عن منهج البحث العلمي الصحيح ، فهو لم يلتزم طرق الاستدلال الصحيحة التي تناسب موضوع أزلية الكون . فهذا موضوع غيبي ظني مقدماته معظمها احتمالية ، و لا تخضع للتجربة ،ولا للقياس العقلي الجلي الصحيح ، فكان عليه أن يتجنب القطع و الجزم،و يقول بالظن و الاحتمال ، و الترجيح و التقريب . لكن أرسطو لم يلتزم بالمنهج العلمي الصحيح ،و تكلم في أمور غيبية كأنه يراها ، مع أنه لا يُمكنه رؤيتها و لا معرفة آثارها من جهة ،و انطلق من مقدمات معظمها غير صحيحة ، و بنى عليها أفكاره و اختياراته من جهة أخرى . فأوقعه هذا الانحراف المنهجي في أخطاء و انحرافات كثيرة جعلت ما قاله حول أزلية الكون غير صحيح ، لا نكاد نعثر فيه على موقف صحيح .

فمن تلك الانحرافات قوله بأزلية العالم و أبديته ، و تركه القول بحدوثه ؛ مع أن القول بخلقه و حدوثه يكاد يكون من بديهيات العقول ،و هو كذلك عند الغالبية الساحقة من الناس . لأن أدلة الحدوث واضحة و سهلة و طبيعية ، و ليس فيها معاندة للبديهة و لا الفطرة . لكن أرسطو ترك ذلك و اتخذ موقفا خاطئاً ،و اتبع طريقا عِوجا للاستدلال على موقفه . فترك حجج الفطرة و البديهة و راءِ ظهره ،و خاض في موضوع غيبي ليُثبت عكس ما تدل عليه شواهد الفطرة و البديهة . و بما أنه لم يكن عنده أدلة صحيحة ينطلق منها ،

[1] ديوجين لا يرتيوس : مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة، ص: ١٢٣، ١٢٤ .

فإنـه لجـأ إلى ظنونـه و رغباتـه وتمنياتـه ،و ملاحظاتـه و معلوماتـه الناقصـة ، و تحكماتـه و خلفياته الفكرية ،و جعلها مقدمات بنى عليها مواقفه المتعلقة بأزلية الكون و أبديته . فأوقعه ذلك في أخطاء و انحرافات كثيرة ،و سيأتي تفصيل ذلك فيما يأتي من هذا المبحث و الذي يليه بحول الله تعالى.

و منها أيضا أن أرسطو أكد على أنه تبين له أن الأجرام السماوية-كالشمس مثلا- لا تفنى ، و لا تتغير ، و لا تفسد . و هذا كلام غير علمي ، و لا يصح الجزم به ، لأنه يتعلق بموضوع غيبي لا تكفي فيه النظرة العادية التي عند كل الناس ،و لا يمكن رؤية الأجرام عن قرب ،و لا إجراء تجارب عن مادتها و تاريخها كما هو الحال في عصرنا . فالرجل لم يكن في مقدوره – من الناحية العلمية — الخوض في ذلك الموضوع بطريقة صحيحة ، لكنه — مع ذلك — خاض فيه بلا علم صحيح ، و لا منهج قويم ،و أكد على أن العالم أزلي، و نصّ على أن ذلك تبين له بفضل مقدماته و أقيسته و تحليلاته . و نحن نعلم يقينا أن أرسطو وقع في أخطاء كثيرة عندما تكلم في موضوع أزلية العالم ، منها تأكيده على أن الكون أزلي أبدي لا بداية له و لا نهاية . و قد ثبت شرعاً و علماً أن الكون حادث مخلوق ، له بدية ،و ستكون له نهاية[1] .

و ثانيا إن مقدمات أرسطو و استدلالاته في قولة بأزلية العالم لا تصح و متناقضة فيما بينها . من ذلك أنه قال بوجود أزليين ، هما: الإله و الكون ، و هذا غير صحيح ، لأن الثابت شرعا و عقلا أن الكون ليس أزليا ، و إنما هو مخلوق[2] . ثم زعم أن هذين الأزليين أحدهما كامل ،و هو الإله ،و الثاني ناقص ،و هو الكون ، يحتاج إلى من يُحركه . و هذا زعم بلا دليل من العقل و لا من العلم ، و هو تحكم موجه من خلفياته الذاتية و المذهبية . لأن الصحيح هو إما أن يكون الأزليان متساويين في الذات و الصفات ، و في هذه الحالة لا يحتاج أي منهما إلى الآخر ،و يصبح وجودهما كأنه واحد لا اثنان . و إذا لم يتساويا فالكون هو الناقص في هذه الحالة ، و يكون تابعا إلى الإله ،و هذا لا يتفق مع القول بأزليته ، و لا يوجد دليل مقنع يُفسر سبب ذلك، و أرسطو لم يُقدم أي دليل يُبرر به قوله بأن الكون

[1] سنوثق ذلك من الشرع و العلم لاحقا .
[2] هذه حقيقة ثابتة شرعا و علما ن لا تحتاج على توثيق ، لكننا سنوثقه لا حقا بحول الله تعالى .

ناقص مع كونه أزليا !! . فلماذا لم يكن أزليا في كل صفاته ؟، و لماذا كان كما زعم هو ؟ ، لا جواب صحيح على ذلك ، و ليس عند أرسطو رد صحيح يُبرر به موقفه ، و كل ما ذكره ليس جوابا علميا ، و إنما اعتمد أساسا على رغبته و ظنونه ،و أقيسته و اجتهاداته الاحتمالية الظنية !! .

و ذلك النقص المتمثل في حاجة الكون إلى من يُحركه ، هو دليل دامغ ضد قول أرسطو بأزلية العالم : نشأة و حركة ؛ فهو شاهد قاطع على أن العالم ليس أزليا في تحركه و لا في تكوّنه ، و إنما هو حادث مخلوق . فأرسطو متناقض مع نفسه، لكنه مُصر على موقفه القائل بأزلية العالم و أبديته ، مع انه نقضه من حيث يدري أولا يدري ، و نص على ما يُخالفه و ينقضه .

و من ذلك أيضا أنه-أي أرسطو- في الوقت الذي أكد فيه على أزلية الكون نصّ صراحة على أن الإله هو الذي جعل الكائنات حية نشطة متحركة متناسلة ، و هذا دليل دامغ على أن ذلك ليس أزليا . فلو كانت أزلية ما احتاجت إلى من يُحركها و يُحييها و يُنشطها ، و بما أن ذلك حدث لها فهي بالضرورة حادثة مخلوقة و ليست أزلية مهما تصورنا قِدمها ، فهي مسبوقة بعدم ضرورةً . و القول بخلاف هذا يعني أن تلك الكائنات كانت أزلية في حالة كاملة و لم تكن في حاجة إلى تدخل عامل خارجي، و لا تدخل الإله في تحريكها،و بهذا يسقط زعم أرسطو و مقدماته الظنية الخيالية .

و ربما يُقال : إن أرسطو قال بأن الإله هو الذي حرّك الحركة الأزلية الأولى ، بناءً على مبدأ دوام فاعلية الإله الأزلية ، و بما أنه فاعل أزلي ، فحركة العالم تابعة لها ، و لا يمكن أن تكون لها بداية و لا نهاية . و هذا العليل لا يصح لثلاثة أمور : أولها هو أنه لا يصح التأكيد على أن فعل الإله أزلي دائم بالضرورة ،و لا يصح فرض رغباتنا عليه ، فهذا القول لا دليل عليه . لأن الإله في تصور العقل الفطري البديهي هو أنه سبحانه فعال لما يريد ،و يفعل ما يشاء و يختار ، متى أراد ، و كيفما أراد . فهو إما أن يفعل دائما بإرادته و اختياره ، و إما أنه يفعل و يتوقف باختياره و حكمته ، و إما أنه لا يفعل مُطلقا بإرادته و اختياره و

حكمته . و هذا يعني أنه لا يستطيع أرسطو و لا غيره التأكد من الاحتمال الصحيح الذي اختاره الإله تجاه الكون . و لا يُمكننا التأكد من ذلك إلا بالوحي الصحيح ، أو بالعلم الصحيح ، أو بهما معا . و بما أنه ثبت شرعا و علما بأن الكون مخلوق ، فهذا يعني أن الله تعالى لم يكن فعله مع هذا الكون فعلا أزليا ، و إنما كان فعلا حادثا مخلوقا له بداية و ستكون له نهاية . و بذلك يسقط قول أرسطو بأزلية الفعل الإلهي في تحريكه و تفعيله للكون .

و الأمر الثاني هو أن القول بأزلية الكون بناءً على أزلية الفعل الإلهي في تحريكه له ، هو دليل دامغ على أنه أكمل و أسبق منه ، و هذا يستلزم أن الكون ليس أزليا مهما تصورنا قِدم الفعل الإلهي ،و قد سبق أن فصلنا هذا الأمر أعلاه .

و الأمر الثالث هو أن الإصرار على القول بأن حركة العالم أزلية لا بداية لها ، يعني أن هذا الكون أزلي في كل صفاته ،و لم يكن في حاجة إلى تدخل أي عامل خارجي ،و لا حرّكه محرك لا يتحرك . و هذا يُسقط حكاية العشق و المحرك الذي لا يتحرك من أساسها.

و بذلك يتبين– في كل الحالات– أن مقدمات أرسطو لا تصح ، و متناقضة فيما بينها . علماً بأن الثابت شرعا و علما أن القول بأزلية العالم باطل ، لكننا نحن هنا نناقش أرسطو عقليا لنبين بطلان قوله و تهافته من الناحية النظرية التجريدية التي اشتُهر أرسطو ببراعته فيها . فتبين من ذلك أن هذه البراعة كانت براعة سفسطائية تلاعبية ،و لم تكن براعة بديهية منطقية صحيحة .

و ثالثا إنه واضح من أقوال أرسطو و مواقفه من أزلية الكون و حدوثه ؛ أنه ترك المنهج الصحيح ،و الأدلة الواضحة الدالة على خلق العالم و حدوثه ، و لجأ إلى الظنون و التخمينات ، و استخدم منهجا منحرفا قاصرا ضعيفا في تناوله لذلك الموضوع ،و أقام عليه مقدماته الظنية التحكمية ، فأخطأ في المنهج و التطبيق و النتيجة . فلو نظر إلى الموضوع بعقل بديهي إلى نفسه و ما يُحيط به من كائنات لتبين له منهجيا أن أسهل طريق و أصحه للبحث عن حدوث الكون من أزليته – قبل التطور العلمي الحديث– هو الانطلاق من

الكائنات الحية عامة ، و الإنسان خاصة ، لأن هذه الكائنات تشهد بنفسها على أنها مخلوقة لها بداية و نهاية .

و أما المظاهر الأخرى من كواكب ، و هواء ، و مياه ، فهي بالضرورة يجب أن تسبق الإنسان في الظهور ، لأن وجوده على الأرض يتوقف عليها ، فلا يمكنه أن يسبقها من جهة ،و تلك الموجودات ليس لنا عليها دليل مباشر يُثبت بدايتها ، و لا أزليتها من جهة أخرى .

و بناء على ذلك لم يبق أمامنا إلا الانطلاق من الإنسان و الكائنات الحية الأخرى الثابت حدوثها ، فبما أنها ليست أزلية ، فسنعمم ذلك – باستخدام قياس التمثيل– على كل كائنات العالم الأخرى ، من أرض ،و كواكب ،و شموس ، و بحار ، على أساس مبدأ الجمع بين المتماثلين ،و التفريق بين المختلفين ؛ ، بما أن تلك الكائنات تشبه الإنسان و الحيوان في أنها كلها محكومة بقوانين ، و أنها لا تملك مصيرها بيدها ،و أن كلا منها مُسخر لخدمة غيره ، فهذا يعني أن الكل مخلوق .

و هذه الطريقة هي طريقة عقلية جمعت بين المنطق البديهي ،و حقائق الواقع المشاهدة و الملموسة ،و أوصلتنا إلى أن العالم حادث مخلوق . فجاء الشرع و العلم و أكدا على صحة هذا المنهج و نتيجته[1] ، و أثبتا خطأ أرسطو منهجا و نتيجة . فلا هو اتبع العقل الصريح ،و لا العلم الملموس الصحيح !! .

و رابعا إن زعم أرسطو بأن الكون أزلي بالوجوب ، بمعنى أنه واجب الوجود ، بأن يكون أزليا ، فهذا كلام باطل ، لا دليل صحيح عليه من العقل ،و لا من العلم . و الرجل في زعمه هذا لم يُقدم دليلا صحيحا ،و إنما اعتمد على ظنونه و تحكماته و رغباته ، و بنى عليها زعمه هذا . فلا يُوجد أي دليل عقلي ،و لا مقدمة صحيحة يُوصلان إلى القول بوجوب أزلية الكون من جهة ،و قد ثبت شرعا و عقلا بطلان القول بأزلية الكون من جهة

[1] لأن الشرع حث في آيات كثيرة على تدبر الكائنات الحية و الجامدة ، لوصلها إلى خلق الكون ،و معرفة خالقه . كما أن العلم الحديث من المعروف أنه قام أساسا على الاستقراء ، و منه وصل إلى نتائج قرر بها حدوث الكون و عدم أزليته .

أخرى . فأين هذا الوجوب الذي زعمه أرسطو ؟! ، إن هذا الرجل أمره غريب جدا ، يفرض علينا رغباته ، و تمنياته ، و ظنونه ، على أنها حقائق أوجبها الاستنتاج العقلي . و هذا افتراء على العقل و الحقيقة ، و لا يصح أن يصدر عن إنسان يحترم العقل و العلم .

علماً بأن وجود أي موجود في الواقع فله ثلاث حالات ، أولها: إذا كان مستحيلا فلا يُمكن أن يُوجد في الواقع كموجود حقيقي . و الثانية هي وجود موجود ممكن الوجود ، فهو مخلوق له بداية و نهاية . و الثالثة–الأخيرة– وجود موجود واجب الوجود ،و هو الأزلي الذي لا بداية و لا نهاية ،و يستحيل تصور عدم وجوده . و لتحديد نوع وجود الحالتين الثانية و الثالثة لابد من وجود أدلة صحيحة–عقلية و شرعية و علمية– تُثبت حالة كل نوع . و أرسطو عندما قال بأزلية العالم و وجوب وجوده لم يُقدم أي دليل صحيح من العقل ،و لا من العلم ،و لجأ إلى ظنونه و رغباته و تحكماته . و هذا فعل تغليطي و تدليسي مردود عليه ، و لا يُمكن قبوله .

و خامسا إن قول أرسطو بأزلية العالم مع أنه غير صحيح ، فإنه أضعف مكانة وجود الإله في فلسفته ، فجعله أمرا زائدا افتراضيا يُمكن الاستغناء عنه ، مع أن المفروض عقلا و شرعا و علما أن وجود الله تعالى هو أمر ضروري لأنه لا مخلوق بلا خالق . لكن قول أرسطو بأزلية العالم جعل الأمر خلاف ذلك ، و أصبح يُمكن أن يُقال: بما أن أرسطو يقول بوجود أزليين ، هما : الإله الكامل المحرك ،و الكون الأزلي الناقص المتحرك بدون أي دليل صحيح ؛ فإن وجود الكون الأزلي يكفي وحده لتفسير الطبيعة و مظاهرها ، و هو لا يحتاج إلى من يخلقه ، و لا إلى من يُحركه و هو كامل في طبيعته . و هذا اعتراض وجيه أقوى من قول أرسطو بوجود أزليين ، لأن الحقيقة هي لا بد من وجود أزلي واحد ، إما الكون الأزلي و لا إله ، و إما الإله الأزلي ،و الكون المخلوق . و بما أن الكون مخلوق ، فلابد له من خالق ، و هكذا يكون وجود الله تعالى وجودا ضروريا خلاف وجوده في إلهيات أرسطو.

و إذا كان وجود الإله ليس ضروريا في فلسفة أرسطو ، فكذلك تحريكه للكون ، هو أيضا ليس ضروريا ، لأن الكون حسب زعمه أزلي ، و الأزلي غير محتاج لغيره في ذاته و لا في

صفاته . و أرسطو قد زعم أيضا أن الكون تحرك من ذاته ، كتحرك العاشق في عشقه لمعشوقه من دون علم و لا مبادلة من معشوقه[1] . فالكون إذن لم يكن في حاجة إلى من يحركه ، و هذا يجعل قول أرسطو بتحريك الإله للكون لا معنى و لا أساس له، و ليس ضروريا ، و يُمكن الاستغناء عنه كلية .

فإلهيات أرسطو لا تقوم على أساس صحيح ، في موقفها من الإله و لا من الكون ، و إنما تقوم على مقدمات أقامها صاحبها على ظنونه و رغباته ، و تمنياته و تحكماته .

و سادسا إن قول أرسطو بأن أنواع الكائنات أزلية و أفرادها حادثة مخلوقة لها بداية و لها نهاية ، كالإنسان مثلا ، فهو كنوع تناسُله أزلي ، لكن أفراده حادثة . فهو قول لا يصح ، أقامه أرسطو انطلاقا من قوله بأزلية الكون ،و لم يُقمه على دليل صحيح من العقل ،و لا من العلم . و الشواهد الآتية تثبت عدم صحة زعمه هذا . أولها إنه سبق أن بينا أن القول بأزلية الكون قول غير صحيح ، و إنما هو مخلوق ، و هذا يستلزم أن الإنسان و غيره من كائنات العالم حادثة كلها ، و ليست أزلية الأنواع و لا الأفراد .

و الشاهد الثاني مفاده هو أن أرسطو نفسه نقض زعمه هذا ، عندما قال : إن الإله هو الذي أوجد التوالد الحيواني[2] . و هذا يعني أن توالد الكائنات الحية كانت له بداية ، و مهما تصورنا قِدمه ، فهو مخلوق و ليس أزليا . و القول بخلاف هذا ينفي تدخل الإله ،و هو نقض لما قاله أرسطو حول تدخل المحرك الذي لا يتحرك . و في الحالتين هو ضد مقولة أرسطو .

و الشاهد الثالث مفاده هو أن حدوث أفراد أنواع الكائنات الحية ، يعني بالضرورة حدوث كل أفرادها . و هذا يعني أيضا أن كل الأنواع هي أيضا حادثة ، لأن هذه الأنواع هي مكونة من أفراد ،و ليست تمثل كائنا كليا منفصلا يُسمى نوعاً . بمعنى آخر هو أنه لا يُوجد لكل نوع من الكائنات كائن كلي مَستقل بذاته يسمى مثلا: الإنسانية ، أو الأسدية ،أو الغنمية ، أو الخيلية ، أو الزواحفية . و بما أن الأمر هكذا ، فحدوث الأفراد يستلزم حدوث

[1] سنوثق ذلك و نتوسع فيه قريبا بحول الله تعالى .
[2] سبق توثيق قوله هذا .

الأنواع ، التي هي في الحقيقة مجموعة أفراد مستقلة،و ليست كائنات كلية . و بما أنه لا وجود للأنواع دون الأفراد ،و الأفراد حادثة ، فبالضرورة يجب أن تكون للأنواع حادثة لها بداية رغم أنف أرسطو .

فذلك هو الذي يقوله العقل الصريح القائم على البديهة و القياس الجزئي الصحيح . و يمكن توضيحه و تدعيمه بمثال واقعي ، مفاده : إن السيارات الموجودة في العالم بأنواعها و أعدادها ، هي سيارات كلها مصنوعة لها بداية و ستكون لها نهاية لا محالة ، مهما تصوّرنا استمرار عملية إنتاجها . و هذا يعني أن جميع تلك السيارات حادثة كلها بأفرادها و أنواعها . و لا يصح القول بأن أفرادها حادثة ، و أنواعها أزلية ، لأننا نعلم يقينا أن هذا السيارات بأفرادها و أنواعها لم تكن موجودة قبل العصر الحديث ،و وجدودها الفردي هو الذي أنتج الأنواع ، و لا وجود لأنواعها دون وجودها الفردي .

و الشاهد الأخير- الرابع – مفاده هو أن أرسطو-في قوله السابق – قلب الأمر من أجل فكرة يُريد الوصل إليها ، من دون أن يقدم أي دليل صحيح مُكتفيا بزعمه السابق ، و الزعم ليس دليلا ، و لا يعجز عنه أحد . و الحقيقة هي أن أرسطو فرض رغبته و تحكمه على المقدمات التي اعتمد عليها ، فقوّلها ما لم تقل ،و حمّلها ما لا تحتمل ، و استنتج منها ما لا يصح استنتاجه منها . و قد سبق أن بينا أن حدوث الأفراد يستلزم حدوث الأنواع التي لا وجود حقيقي لها في الواقع كأنواع كلية ، و لا وجود نظري لها دون أفرادها . لكن أرسطو مارس التغليط و التلاعب بالألفاظ ، فطرح مقدمات صحيحة ، و لم يأخذ بنتيجتها الصحيحة البديهية ، و إنما فرض عليها رغبته و عكس نتيجتها . و هذا فعل ليس من الموضوعية و لا من العلم في شيء، و هو عمل مردود على صاحبه، و شاهد قوي على ذاتية صاحبه ،و ممارسته للتغليط و السفسطة .

و أُشير هنا إلى أن أرسطو-بناء على قوله بأزلية التوالد الحيواني- كان قد ذكر مثالين ، يتعلق الأول بالإنسان ،و الثاني بالبيضة . فعن الإنسان أكد صراحة على أنه من المستحيل

أن يكون أول إنسان من غير أب و لا أم . قوله هذا في الحقيقة ليس مستحيلا ، و إنما هو أصدر حكمه هذا بناء على قوله بأزلية الكون و التوالد الحيواني ؛ و لو نظر إلى الموضوع على أساس القول بحدوث الكون و التناسل الحيواني ، ما أصدر ذلك الحكم القطعي باستحالة كون أول إنسان من غير أب و لا أم . مع أن الحقيقة الثابتة ليست ما زعمه الرجل ،و إنما هي التي أنكرها و حكم عليها بالاستحالة . و بما أن الكون مخلوق شرعا و علما ، فإن كل المخلوقات وُجدت بعد أن لم تكن . و أن أول إنسان خلقه الله تعالى من غير أب و لا أم .

و أما حكاية البيض و الطير ، فهي ليست مُشكلة أصلا ، لأن الطيور مخلوقة كغيرها من الكائنات ، و من ثم فلها بداية محددة ، سواء كانت بدايتها من ذكر و منه خُلقت الأنثى ، كما حدث في الإنسان ، أو كانت بدايتها من أنثى و منها خُلق الذكر ، أو خُلقا دفعة واحدة ، أو ... فالنتيجة هي أن كل ذلك ممكن ، و لا توجد أية مَشكلة في نشأة الطيور ، أو أي نوع من الحيوانات. و إنما المشكلة أوجدها أرسطو في قوله بأزلية الكون.

و أخيرا- سادسا- إن قول أرسطو بأزلية العالم ، كما أنه لم يصح عقلا ، فإنه ثبت بطلانه أيضا بالوحي الصحيح و العلم الصحيح . فأما شرعا فقد نص الله تعالى في آيات كثيرة على العالم مخلوق ، له بداية و ستكون له نهاية ، منها قوله سبحانه : ((أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ))- سورة الأنبياء : ٣٠ - ،و ((كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا إنا كنا فاعلين))- سورة الأنبياء: ١٠٤- ، و ((وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً))-سورة الفرقان : ٢ - ،و ((كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ))- سورة الرحمن :٢٦- ٢٧ - ، و ((إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ))-سورة التكوير : ١-٢- ، و ((إِذَا السَّمَاءِ انفَطَرَتْ))- سورة الانفطار : ١ - ، و ((يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ))- سورة إبراهيم : ٤٨ - ،و غيرها كثير .

و أما علمياً ، فقد : فقد نص العلم الحديث على أن العالم ليس أزليا ، و أن له بداية قُدرت ب: ١٣ مليار سنة ، و أنه ستكون له نهاية حتمية[1] . و أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة أن العالم يسير إلى الانهيار و الفناء ، و أن الشمس –مثلا– في طريقها إلى الزوال بسبب ما تفقده من طاقتها تدريجيا . و أن النجوم في حالة ميلاد و فناء من القديم إلى يومنا هذا ، و لها آجال مُحددة تُولد فيها و تموت كبني آدم . و تبين من الحسابات العلمية أن الأرض عند تكوّنها كان يومها يُساوي ٤ ساعات ، و هو اليوم يُساوي ٢٤ ساعة ، بسبب تباطؤ سرعتها المحورية[2] .

و بذلك يكتمل انتقادنا لقول أرسطو بأزلية العالم و أبديته ،و منه تبين عقلا و شرعا و علما، أنه قول باطل ، أقامه صاحبه على ظنون و رغبات و تحكمات شخصية ، لا سند صحيح لها عقلا و لا علما . و اتضح منه أيضا أن أرسطو وقع في تناقضات في قوله بذلك الزعم ، أبطلت مقدماته ، عندما فرض عليها رغباته و تمنياته و ظنونه . منها أنه زعم أن الكون أزلي ، لكن الإله حرّكه !!. و أن التوالد الحيواني أزلي ، لكن الإله هو الذي بدأه !! . و أن الأفراد التي في الأعيان حادثة ،و الأنواع التي في الأذهان أزلية !! . و أن الكون أزلي بالوجوب ، لكنه مُحتاج إلى غيره !! . ومن كل ذلك يكون أرسطو قد جنى–بذلك الفكر– على نفسه و أتباعه ، و العقل و العلم معا .

ب– موقف أرسطو من الخلق من عدم :

بما أن أرسطو قال بأن الكون أزلي لا بداية له ، فهذا يعني بالضرورة أن الكون عنده غير مخلوق . و من ثم فهو غير معني بالخلاف الذي حدث بين القائلين بحدوثه : فهل خلقه الله تعالى من مادة سابقة ، أو أنه خلقه من عدم ، أي من لا شيء ؟ . لكنه مع ذلك أنكر

[1] دافيد برجاميني : الكون ، دار الترجمة ، بيروت ، ص: ٩٨ . و منصور حسب النبي : الزمان بين العلم و القرآن ، ص: ١٠٨، ١٢٢ .

[2] الكون ، ص: ٥٠، ٩١، ٩٨ . و آن تري هوايت : النجوم ، ترجمة إسماعيل حقي ، ط٧ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٩٢ ، ص: ٢٠ ، ٢١ . و روبرت أغروس و جورج ستانسيو : العلم في منظوره الجديد ، المجلس الوطني للثقافة ، الكويت ، ص: ٩ ، ٦٠ ، ٦١ . و منصور حسب النبي : نفس المرجع ، ص: ٨٩ ، ١٠٠ .

إمكانية الخلق من عدم ،و نفى أن ينبثق شيء من عدم ،و قد نقله عنه ذلك ابن رشد الحفيد و انتصر له[1] .

و أقول : نعم إنه يستحيل عقلا و شرعا و علما أن يُوجد شيء من عدم ، أو ينبثق موجود من غير شيء . فالقول بذلك هو نقض للعقل و العلم و الشرع جميعا. لكن هذه الحقيقة يجب وضعها في مكانها الصحيح ، فهي تصدق على المخلوق لا على الخالق أبدا . و لا يصح نفيها عن الخالق عقلا ،و لا شرعا ،و لا علما .

فأما عقلا فإن العقل مثلا لا يمنع الخلق من عدم بالنسبة للخالق عز وجل ، فهو–أي العقل– إذا حكم باستحالة الإنسان أن يُوجد شيئا من لا شيء ، أو أن يُظهر شيئا من عدم ؛ فإنه لا يمنع ذلك في حق الله تعالى ، لأنه هو الخالق ، و كيف يكون خالقا ،و لا يستطيع أن يخلق من شيء و من غير شيء ؟ ! . و الكائن المخلوق من غير شيء لم يخلق نفسه،و لن يستطيع خلقها ،و لا خَلقَه مخلوق مثله ،و لن يستطيع فعل ذلك أيضا . فالمخلوق هو الذي يعجز عن الخلق من عدم ،و أما الخالق فلا يُعجزه شيء ، فهو يخلق من شيء ، و من غير شيء،و إلا لا يكون خالقا . و عندما يخلق الله شيئا من غير شيء ، فلا يصح أن يُقال : خُلق من غير شيء ، بمعنى أنه خلق نفسه من غير شيء ،و إنما الله تعالى هو الذي خلقه من دون شيء ، فهو مخلوق لله تعالى . و بما أنه سبحانه هو الخالق ، فلابد أن يكون قادرا على الخلق من عدم . لذا قال سبحانه و تعالى : ((أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ))– سورة النحل : ١٧ – . و { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ } سورة الطور: ٣٥-٣٦- .

و أما شرعا فإن الخلق في القرآن الكريم له معنيان واضحان ، أولهما إيجاد شيء من شيء ، لقوله تعالى: ((خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مارج مِّن نَّارٍ))– سورة الرحمن :١٤– ١٥ – . و ثانيهما إيجاد شيء من غير أصل و لا احتذاء ، لقوله تعالى : ((إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ))– سورة يونس : ٣ —

[1] ماجد فخري: أرسطو : المعلم الأول ، ص:١٠٢ . ابن رشد : كتابه تلخيص ما وراء الطبيعة ، ص: ٥٠ و ما بعدها .

، فلم يقل لنا أنه خلق ذلك من مادة سابقة كما في النوع الأول ، فهذا المعنى هو الذي يُسمى خلق شيء من لا شيء ، بدليل قوله تعالى ، : ((إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ))–سورة يس : ٨٢ – ،و ((هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ))–سورة غافر : ٦٨ – . فالله تعالى مُطلق القدرة و الإرادة يخلق ما يشاء و يختار ، من شيء و من غير شيء .

و أما من الناحية العلمية فإن فكرة الخلق من عدم–أي من لاشيء– أصبحت لها مكانتها في علم الفيزياء الحديثة ، و فيها يقول الفيزيائي منصور حسب النبي : ((ياليتها من نتيجة مذهلة يتحدث عنها علماء الفيزياء الآن ، بعدما كانوا قديما يقولون : إن المادة و الطاقة لا تفنى و لا تُستحدث ،و هذا صحيح طبعا في طور التسخير–أي بعد الخلق– ، أما في طور الخلق الإلهي فهناك قانونان ، أحدهما : كن فيكون من جهة ، و الخلق من عدم من جهة أخرى)) .و الخلق من عدم لا يحتاج مطلقا إلى زمن سابق لأن الزمان هنا هو افتراض ذهني لا وجود له فيزيائيا عند بداية الخلق ، و هو ما يُسمى في الفيزياء الحديثة بأنه ((قفزة كمية في الزمكان دون حاجة لمادة أو طاقة)) [1] .

و قال أيضا : إنه يجب التمييز بين الخلق من عدم بلا زمن ،و الخلق بالأمر الإلهي المسخر بقوانين ثابتة ، و هو الخلق من مادة سابقة ، و الخلق الأول لا يتم إلا ب : كن فيكون ،و لا يحتاج لزمان و لا لمادة ، و لا لطاقة . فهو خلق من لا شيء في لا زمن ،و عندما يُوجد هذا النوع من الخلق يصبح خاضعا للنوع الثاني من الخلق الذي هو في طور التسخير الخاضع –في المكان و الزمان– لمقادير محددة ثابتة يدرسها العلماء . و قال الفيزيائي ستيفن هوكنج : ((إن لحظة الانفجار العظيم لا تخضع لقوانيننا العادية الفيزيائية ، لأنها تُوحي لنا بالخلق من عدم))[2] .

و بما أن المخلوق لا يَخلق من عدم، و لا عدمٌ يَخلق ذاته، و بما أنه ثَبُت أن الكون مخلوق مسبوق بعدم ، فإن هذا يستلزم أن خالقا خلقه من عدم ، و هو الله عز وجل.

[1] منصور حسب النبي : الزمان بين العلم و القرآن ، ص: ١٢٣، ١٢٤ ، ١٢٦ .
[2] نفس المرجع ، ص: ١٢٨ .

فواضح مما ذكرناه أن أرسطو أخطأ عندما أصدر حكما عاما بأنه لا يُمكن انبثاق شيء من عدم ، من دون أن يُميز بين الخالق و المخلوق . كما أن الذي أوقعه في ذلك هو قوله بأزلية الكون ،و نقص معرفته بالله تعالى ، فقد كان جاهلا بالله تعالى وصفاته جهلا كبيرا ، و قد سبق أن بينا طرفا من ذلك في المبحث الأول من هذا الفصل .

ج- العناصرالخمسة المكونة للعالم عند أرسطو :

يعتقد أرسطو أن العالم مُكوّن من خمسة عناصر أزلية بسيطة التكوين، منها أربعة مُكونة لعاَلم ما تحت فلك القمر- العالم الأرضي- ، و الخامس مُكوّن لعاَلم ما فوق فلك القمر- العالم السماوي-[1] .

ففيما يخص العناصر الأربعة فهي عند أرسطو تتمثل في : التراب، و الماء، و الهواء ، و النار ،و هي جواهر بسيطة ، و مضادات قابلة للصيرورة و التحول ، لكنها غير قابلة للتحلل إلى عناصر أبسط منها ، تتكون منها جميع الكائنات الأرضية [2] . و أنكر أرسطو على الطبيعيين القائلين بأن الأجسام مكونة من مادة واحدة معينة ، و خطأهم لأن قولهم- حسب رأيه- يُمايز العناصر جوهريا ،و يجعلها مُتمايزة بالعَرَض فقط ، كالشكل ، و الحجم . لكن الملاحظة-حسب أرسطو- تدل على أنها تتباين بالخصائص و ليس بالأعراض ، كما أن العقل يدل على أن الاختلاف في العرض لا يُحدث اختلافا في الجوهر[3] .

و رتب أرسطو تلك العناصر في عالم الكون الفساد- ما تحت فلك القمر- كالآتي : النار أعلاها ، و التراب أسفلها ،و الهواء و الماء بينهما ، و يتصلان بهما هكذا: الهواء مُتصل بالنار، و الماء مُتصل بالتراب-الأرض- ،و الهواء و الماء كل منهما متصل بالآخر[4] .

---

[1] سنفصل في الفلك عند أرسطو في الفصل الثاني، بحول الله تعالى .

[2] أرسطو : مقالة الدال ، ص : ٣٥٦ . ديوجين لا يرتيوس : المختصر ، ص: ١٢٣ . و ابن رشد : الآثار العلوية ، تحقيق سهير فضل الله ، و سعاد عبد الرزاق ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص: ١٥ و ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١١٦. و أرسطو : المعلم الأول ، ص: ٨٤، ١٦٢ .

[3] يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١٧٣ ، ١٧٤ .

[4] ابن رشد : تلخيص الآثار العلوية ، حققه جمال الدين العلوي ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤ ، ص: ١٩ . و ماجد فخري: أرسطو ، ص: ٤٢ .

و أما العنصر الخامس فهو عند أرسطو عنصر بسيط ، لا يقبل الفساد و لا التكوّن ، لأنه لا ضد له ، و يسمى الأثير ، و مادته هي المكونة للأجرام السماوية . و هو يُقابل العناصر الأربعة في عالم الكون و الفساد ، لكن مادته تختلف عن مادتها ، لأنه جسم لا ضد له ، لذا فهو لا يتغير و لا يفسد ، بمعنى انه أزلي و لا يقبل التحولات التي تحدث للعناصر الأربعة في عالم الكون و الفساد[١] .

و زعم أرسطو أن العناصر الأربعة مُكَوّنة من مادة سماها : الهيولى . و هي-حسب زعمه- موضوع غير معين في نفسه ، و أزلية حاملة لتلك العناصر ،و لا تُوجد مُفَارقة مُنفَصلة إلا في الذهن ، و لكنها توجد دائما متحدة في صورة ما بالجسم الذي تدخل في تركيبه . و هي ليست ماهية ،و لا كمية ، و لا شيئا داخلا في المعقولات التي هي أقسام الوجود . و لكنها قوة صرفة لا تُدرك في ذاتها،و إنما نضطر لوضعها ، و ندركها بالمماثلة كما ندرك الخط شيئا بغير صورة ، لأنه تارة يكون في صورة ، و طورا يكون في أخرى[٢].

و تلك الهيولى هي في الحقيقة ليس لها وجود فِعلي مُستقل عن العناصر الأربعة و الأجسام التي تدخل في تركيبها ؛ فهي ليست من الموجودات ، و إنما ((هي تكتسب صفة الوجود لدى اتحادها بإحدى الكيفيات الأربع ، و هي : الحار ، و البارد ، و الرطب ،و الجاف ، التي يُقابلها : النار ، و الماء ، و الهواء ، و التراب . فتُصبح حينئذ أحد هذه الأجسام البسيطة))[٣] . و قد أشار أرسطو إلى أن الهيولى لها شبه وجود ، فهي ليست عدماً، و ليست موجودا مركباً ، لكنها قريبة منه[٤] . و بمعنى آخر فهي مادة لا وجود لها بالفعل ، بل لها وجود بالقوة و حسب ، فهو عدم نسبي ،و ليس عدما محضا ؛ لكنها تستمد وجودها الفعلي من الصورة التي تتجوهر بها ، فتصبح بذلك لها القابلية للوجود . و

---

[١] ديوجين لا يرتيوس : المصدر السابق ، ص: ١٢٣ . و ابن رشد : شرح السماء و العالم ، ص: ٢٠٥ . و ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١١٨ ، ١١٩ . و يوسف كرم : المرجع السابق ، ص: ٩٢ .
[٢] يوسف كرم : المرجع السابق ، ص: ١٧٥، ١٧٦ ، ١٩٦ . و ماجد فخري: أرسطو ، ص: ٣١ .
[٣] ماجد فخري : نفس المرجع ، ص: ٤٩ .
[٤] أرسطو : الطبيعة ، ج ١ ص: ٨٢، ٨٣ .

لهذا فإن الصورة عند أرسطو هي الوجود الفعلي و ليست المادة ، لأن الصورة جوهر الشيء و ماهيته ،و سابقة للمادة [1].

و تلك المادة عند أرسطو هي المكونة لطبيعة الموجودات الطبيعية ، كمادة الخشب التي هي مادة الأشياء الخشبية ، و مادة البرونز التي يستمد كل شيء برونزي مادته منها كالتمثال البرونزي مثلا . و هي مادة ثابتة لا شكل لها ،و تبقى في ((كل حالة كما هي في ذاتها بلا تغير))[2] . و على أساس تلك المادة تحدث عملية التكوّن و الفساد ،و يجب أن تتوفر فيها أربعة عوامل ، أو علل و أسباب ، هي: المادة ، و الصورة ، و الفاعل و الغاية[3] .

و المادة عند أرسطو لها وجودان : وجود بالقوة ، و وجود بالفعل ؛ الأول ليس وجودا بالمعنى الأصيل ، لكنه يختلف عن العدم المحض ، و الثاني هو الوجود الحقيقي للمادة حسب الصورة التي تظهر بها. و حسب أرسطو أن الآراء التي خالفته في قوله بالوجودين ، هي آراء عاجزة عن تفسير ظاهرة الصيرورة ، أو التغير في الكون ، و هي أخص ما يتميز بها عالمنا . و عليه فإنه : يستحيل تأويل هذه الظاهرة ما لم نُقر بأن بين الوجود و العدم طوراً ثالثا، و هو طور القوة ، أو الإمكان ، و إلا لم يكن بين الممكن و الممتنع فرق ، فأمكن للشيء أن ينبثق عن الممتنع ،و امتنع له أن ينبثق عن الممكن ، و هو مُحال، و لكان الحدوث أو التغير على سبيل الطفرة،و هو ما تُكذبه المشاهدة)) [4] .

تلك هي أقوال أرسطو التي بينت موقفه من العناصر الخمسة المكونة لمادة العالم و موجوداته . و هي مواقف مليئة بالأخطاء، و غير صحيحة في معظمها،و تضمنت أيضا أوهاما و مغالطات ، و تحكمات لا مبرر صحيح لها . فجنى بها أرسطو على عقله و علمه ،و على أتباعه و من تأثر به . و تفصيل ذلك فيما يأتي:

أولا إن القول بأن العناصر الخمسة جواهر أزلية لا تفنى و لا تفسد ، هو قول بلا علم، و رجم بالغيب ، لأنه لم يكن عنده أي دليل صحيح يجعله يقرر ذلك، و إنما اعتمد

---

[1] ماجد فخري : المرجع السابق ، ص: ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ .
[2] أرسطو : مقالة الدال ، ص: ٣٤٦ .
[3] ماجد فخري: المرجع السابق ن ص: ٨٦ .
[4] نفسه ، ص: ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٦٣ .

على ظنون و اجتهادات ضعيفة ، لا يصح الاعتماد عليها للقول بأزلية تلك العناصر . و بما أنه سبق أن أبطلنا زعم أرسطو بأزلية العالم، فإن قوله بأزلية العناصر الخمسة باطل أيضا ، لأنه جزء من هذا الكون الحادث،و حدوث الكل يستلزم حدوث أجزائه .

و ليس صحيحا أن العناصر الخمسة بسيطة لا تتفكك و لا تتحلل ، فهذا زعم باطل ، و قول بلا علم ، و ما كان له أن يقول ذلك من دون دليل صحيح . لأن الثابت قطعا أن تلك العناصر(الماء، و النار، و الهواء، و التراب) ، هي بنفسها عناصر مُركبة من مجموعة عناصر أخرى . فالماء مثلا يتكون من عنصريين أساسيين ، هما : الأوكسجين ،و الهيدروجين ،و التراب يتكون من عدة معادن ،و الهواء يتكون أيضا من الأوكسجين ، و النيتروجين، و الهيدروجين، و غير ذلك .، و كذلك النار تتكون من الأوكسجين ،و مواد أخرى[1] .

و ثانيا ليس صحيحا أن العالم العلوي(ما فوق فلك القمر) مُكوّن من مادة الأثير ، التي هي مغايرة للعناصر الأربعة المكوّنة للعالم الأرضي(ما تحت فلك القمر) . فهذا كلام بلا علم، و رجم بالغيب ، بناه أرسطو على ظنونه و رغباته ، لأن الثابت شرعا و علما أن العالم كله مخلوق من مادة واحدة في أصلها الأول ، و واحدة أيضا في أصغر وحدة مكونة لها ، و هي الذرة . فالله تعالى يقول: ((أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ))- سورة الأنبياء : ٣٠ - ،و ((ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ))- سورة فصلت : ١١ - .

و أما علماً فقد تبين حديثا أنه يُوجد تشابه كبير بين مكونات العالمين العلوي و السفلي ، لأن العالم بأسره أصل مادته واحدة ، حسب نظرية الانفجار العظيم. فالشمس مثلا ، من مكوناتها : غازا الهيدروجين و الهليوم ، يمثل فيها الأول ٤/٣ من كتلتها .و هذان الغازان موجودان في الغلاف الغازي للأرض[2] ، و الهيدروجين يدخل في تكوّن الماء ، و موجود في القشرة الأرضية بنسبة ١ / ١٠٠ [3] .

---

[1] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الهواء، و الماء ، النار .
[2] منصور حسب النبي : لزمان بين العلم و القرآن ، ص: ١٠٨ . و دافيد برجاميني : الكون ، دار الترجمة ، بيروت ، ، ص: ١٣ ، ٨٧ .
[3] الموسوعة العربية الميسر ، مادة : الهيدروجين .

و من مظاهر قول أرسطو بلا علم أنه زعم أن عالم ما فوق فلك القمر مُكوّن من عنصر واحد ، هو الأثير . و هذا غير صحيح ، و كان على أرسطو أن لا يتكلم في أمر لا يستطيع رؤيته ،و لا التأكد منه بواسطة آثاره . و الصحيح أن العالم العلوي مُكوّن من عناصر كثيرة ، من غازات ،و معادن ،و أشعة . و قد أثبتت الأبحاث الفيزيائية الحديثة عدم وجود عنصر الأثير الذي قال به أرسطو ،و من اتبعه من أهل العلم[1] .

و بناء على ما ذكرناه فليس صحيحا ما ذكره أرسطو بأن القول بوحدة أصل المادة يُبطل تمايز الأجسام جوهريا ،و يجعلها مُتمايزة بالعرض فقط . فهذا لا يصح ، لأن أصلها هو نفسه قابل للتغير و اكتساب جواهر و خصائص أخرى عن طريق التفاعل الكيميائي و الذري . فالماء مثلا له ذاتيته و خصائصه ، فإذا تفكك بالحرارة يتحول إلى غاز الأوكسجين و الهيدروجين ، و في هذا الحالة يصبح لكل منهما خاصيته و صفاته . و نفس الأمر ينطبق على المعادن، فهي تتحول من حالة إلى أخرى عن طريق التفاعل الكيميائي و الذري ، و في كل حالة تتحول إليها يكون لها فيها ذاتية و خصائص . و عليه لا يحدث ما أشار إليه أرسطو من ذهاب الخصائص الجوهرية ، و إنما الذي حدث هو اختلاف تنوّع و تعدد في الحالات ،و ليس إبطالا لجواهر و خصائص الأجسام الطبيعية . و صحيح أن أرسطو و من تابعه لم يكونوا على علم بذلك من الناحية التجريبية ، لأنه لم يكن أُكتشف في زمانهم ، لكن الخطأ دخلهم من أنهم جزموا بأمر بأدلة ظنية ، من جهة ،و لم يُدققوا البحث في موقفهم من تفاعلات الأجسام من جهة أخرى .

و ثالثا إن ترتيب أرسطو للعناصر الأربعة في العالم الأرضي (ما تحت فلك القمر) على أساس طبيعة كل عنصر : حرارة و خفة ، فالنار في الأعلى ،و التراب في الأسفل ، و الماء و الهواء بينهما ؛ هو ترتيب غير صحيح ، لأن الحقيقة خلاف ذلك في باطن الأرض و وجهها و أعلاها . فنحن نجد أن تلك العناصر كلها موجودة في باطن الأرض ، و متداخلة فيما بينها ، و كذلك حالها فوق سطحها . و في سماء الأرض لا يوجد الترتيب الذي ذكره الرجل

[1] نفس المرجع ، مادة : الفيزياء، الأثير ، الضوء .

، لأن غلافها الجوي كله هواء تقريبا ، تتخلله ذرات من الغبار،و بخار الماء، و يُمثل فيه غاز الآزوت ٧٨/ ١٠٠ من حجمه ،و ٧٦/١٠٠ من وزنه[١] . فالترتيب الذي ذكره الرجل غير صحيح ، قاله ظنا و تأملا ، و اجتهادا و تخمينا ، فأخطأ من جانبين: الأول أن قوله غير صحيح، و الثاني أنه جزم بأمر جانب منه لا يُمكنه رؤيته ،و لا التأكد منه بآثاره ، كقوله بأن النار مُحيطة بالهواء، و أن الماء هو العنصر الموجود بين الجسم السماوي و الأرضي[٢] .

و رابعا إن ما قاله أرسطو حول الهيولى– المادة الأولى– غير صحيح في معظمه ، و فيه تغليط و سفسطة . لأنه إن كانت هذه الهيولى لها وجود حقيقي و مادتها تخالف المادة المعروفة، فهي في هذه الحالة لها وجود حقيقي، و لها موضوع ، و كمية، و كيفية، و صورة حسب طبيعتها ،و من لا تنطبق عليها الصفات التي ذكرها أرسطو .

و إن كان لها وجود حقيقي و مادتها لا تختلف عن المادة المعروفة ، و لا تنفك عنها كما قال أرسطو ، فهي بالضرورة لها صورة ، و كمية ، و كيفية ... و في هذه الحالة لا يصح وصفها بالصفات التي ذكرها أرسطو ، لأنها لا تنطبق عليها .

و أما إن كانت الهيولى هي مجرد فكرة مجردة، و ليس لها وجود موضوعي حقيقي في الواقع ، فهي في هذه الحالة معدومة ، و المعدوم لا وجود حقيقي له . و من ثم لا يصح التكلم عنها كأنها موجودة في الواقع ، و لا وصفها بتلك الأوصاف ،و لا نفيها عنها أيضا ، لأن المعدوم لا وجود له في الواقع .

و مع وضوح و معقولية ما قلناه ، فإن أرسطو يُغالط و يُسفسط عندما أصر على وجود نسبي ثالث للهيولى بين الوجود و العدم ، فلا هو موجود ،و لا هو معدوم ، فهو في منزلة بين المنزلتين حسب زعمه . و هذا زعم باطل مردود عليه ، لأنه لا يُوجد –عقلا و لا علما– شيء لا هو موجود و لا هو معدوم ،و لا يُوجد شيء بين الوجود و العدم ، فهو إما موجود و إن اختلفت طبيعته ، و إما غير موجود . و كلام أرسطو لا يقوله عاقل صادق يعي ما يقول ،و إنما يقوله مُتعصب ، أو جاهل . و نحن لا نترك بدائه العقول و حقائق

---

[١] حسن أبو العينين : أصول الجغرافيا المناخية ، ص: ٥٧ و ما بعدها . و الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الهواء، الأرض .

[٢] ابن رشد : تلخيص الآثار العلوية ، حققه جمال الدين العلوي، ص: ٢١، ٢٢، ٨٤ .

الواقع ،و نتبع أرسطو في هذه الأوهام و الأباطيل من جهة ،و لا نعتذر له في هذه التُرهات و السفسطات من جهة أخرى . فالرجل لا للمنطق اتبع ،و لا للواقع المشاهد احتكم !! .

و عليه فإنه لا يصح زعم أرسطو بأننا مُضطرون بأن نقول بالوجود النسبي للهيولى بين الوجود و العدم . لأنه بينا أنه لا توجد أية ضرورة تدفعنا إلى الاعتقاد بذلك من جهة ،و القول بها باطل عقلا و واقعا من جهة أخرى . و قوله بأننا نُدرك تلك الهيولى كما ((نُدرك الخط بغير صورة ، لأنه تارة يكون في صورة ، و طورا في أخرى)) ، هو مثال ضده ، و لا يصلح مثالا على زعمه . لأن الخط له صورة و حجم و مادة ، و إذا تغيّر الخط تتغير بعض أوصافه أو كلها ،و هذا ليس نفيا للوجود، و لا هو وجود بين موجود و معدوم ،و إنما هو اختلاف تنوع و تعدد للموجود . كما أن الرجل نسي أو تناسى أنه لا يصح تمثيل الهيولى المزعومة بالخط ، لأن الهيولى لا وجود حقيقي لها، و ليست مرئية لأنها بين الموجود و المعدوم حسب زعم أرسطو ، لكن الخط شيء موجود ، له صفات محسوسة ، لا هو معدوم ،و لا شبه معدوم . و لو كانت الهيولى مثله لكانت موجودة ،و ليست في منزلة بين الوجود و العدم ،و بما أنها ليست مثله ، فلا يصح ضربه مثالا للاستدلال على وجودها، و هي غير موجودة !! .

و بذلك يتضح أن الرجل قال بوجود تلك الهيولى المزعومة ، ليس لأنها موجودة حقيقة ،و إنما قال بوجودها لأنها ضرورية لنسقه الفكري الزائف الذي بناه على القول بأزلية الكون : وجودا ،و حركة . و هذا تبرير مرفوض ، من جهة ،و قد سبق أن بينا بطلان زعمه بأزلية الكون ،و قوله بهذه الهيولى الخُرافية من جهة أخرى .

و خامسا إنه كما بينا– بالمناقشة العقلية– بطلان قول أرسطو بتلك الهيولى المزعومة ، فهو باطل أيضا شرعا و علما . فأما شرعا فإن الله تعالى قد نصّ صراحة على أنه خلق العالم من مادة واحدة ، لها وجود موضوعي حقيقي ، كقوله سبحانه و تعالى : ((أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا

يُؤْمِنُونَ))- سورة الأنبياء : ٣٠ - ، و ((ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ))-سورة فصلت : ١١ - .

و أما علماً فإن العلم الحديث قال بأن الكون تكوّن من مادة واحدة بناءً على نظرية الانفجار العظيم، و هي-أي المادة- على تنوّعها فإنها تتكون من أصغر جزء معروف هو الذرة ، لها وجود حقيقي بذاتيتها و صفاتها و آثارها، و هذا أمر ثابت معروف ، من حقائق العلم الحديث لا يحتاج إلى توثيق [١] .

و سادسا إن تقسيم أرسطو للموجود إلى قسمين: موجود بالفعل ،و موجود بالقوة ، هو تقسيم غير علمي و لا يصح ،و ليس تقسيما حقيقيا . و توضيحه هو أن الصحيح أن الموجود هو وجود واحد ،و هو الوجود- الموجود- بالفعل ،و أما الوجود-الموجود- بالقوة ، فهو وجود مزعوم لا حقيقة له في الواقع كموجود موضوعي ، و إنما هو عدم- معدوم- ،و العدم ليس له وجود يُمثله كموجود حقيقي في الواقع، و إنما يُمثله العدم بأنه معدوم .

و لتوضيح ذلك نضرب المثال الآتي: إذا قلنا : هذا الولد الصغير طفل بالفعل، و رجل بالقوة –بالإمكان- . معنى ذلك أن هذا الطفل له وجود حقيقي كطفل ، لكن ليس له وجود حقيقي كرجل ، و إنما له استعداد ليكون رجلا في المستقبل إن طال عمره . فهذا الاستعداد ليكون رجلا هو جزء من طفولة الطفل ،و ليس جزءا من مرحلة رجولته ، لأنه ما يزال لم يصل إلى مرحلة الرجولة . فالموجود بالفعل هو مرحلة الطفولة و من خصائصها الاستعداد ليكون الطفل رجلا إن عاش . لكن لا يصح وصف مرحلة الرجولة بأنها وجود بالقوة ، لأن هذا الولد ما يزال طفلا، و لم يبلغ مرحلة الرجولة التي لا وجود لها في الحقيقة ، و الاستعداد الذي في الطفل-ليكون رجلا- ليس هو الرجولة ،و إنما هو من خصائص الطفولة. فالقول بأن الرجولة وجود بالقوة ، هو قول فيه تحريف و تغليط و سفسطة ،و يتنافى مع ما يتطلبه الأسلوب العلمي في الدقة و الوضوح في التعبير .

[١] لكن سبق توثيقه .

و أما قوله بأن الإقرار بوجود طور ثالث للمادة بين الوجود و العدم ، هو أمر ضروري و إلا يستحيل تفسير ظاهرة التغير و الصيرورة في الطبيعة . و هذا الطور هو طور القوة– الإمكان– ،و بدونه لا يُوجد فرق بين الممكن و الممتنع ،و لكان ذلك التغير أو الحدوث بطريقة الطفرة ، و هذا أمر يُكذبه الواقع[1] . فالأمر ليس كما قال أرسطو و دافع عنه ، و لا يستلزم ما نبّه إليه ؛ لأنه سبق أن بينا —في مثال الطفل– أن الوجود واحد فقط ، هو الوجود بالفعل ،و استعداده ليكون طفلا ليس وجودا بين الوجود و العدم ، و إنما هو وجود واحد تابع لوجوده الحقيقي كطفل ،و ليس وجودا مُستقلا عنه .

و بذلك يتضح أن التغير و صيرورته في الطبيعة هو تغير في إطار ثابت من جهة ، و تغير قائم على استعدادات الكائن من جهة أخرى . و هذه العملية مُستمرة و فاعلة في الطبيعة من دون افتراض ما توهمه و افترضه أرسطو من وجود ثالث بين الموجود و المعدوم ، لأنه غير موجود في الحقيقة ،و لا يصح القول به . و عليه فإن الموجود المتغيّر يأخذ ذاتيته و خصائصه من طبيعته و حسب تحوّله من طور إلى آخر ،و في كل الحالات عندنا وجود و عدم ،و لا يُوجد وجود ثالث بينهما،و لا يصح توهمه و افتراضه . و قولنا هذا لا يُلغ الفرق بين الممكن و الممتنع ، لأن الممكن هو جزء من الموجود بالفعل الذي له استعداد على التغيّر ، و ليس مُستقلا عنه ،و لا جزءا من العدم ،و لا له وجود ثالث بينهما . و هذا يعني أن الفرق يبقى قائما بين الممكن و الممتنع ،و أن التغير سيستمر في الطبيعة سواء كان بطيئا ، أو سريعا ، أو فُجائيا .

و أخيرا– سابعا– إن قوله بأن الصورة أسبق من المادة ، فإن كان يقصد بذلك الصورة كوجود حقيقي مادي في الواقع ، فإنه لا مادة بلا صورة ،و لا صورة بلا مادة . و المادة قبل تحوّلها إلى هيئة أخرى ، فهي تحمل صورة مُسبقاً ، و لا يمكن أن توجد بلا صورة . و الصورة مهما تغيرت فهي لا توجد بلا مادة .

---

[1] ماجد فخري : أرسطو ، ص: ٨٩ ، ٩٠ .

و أما إذا كان يقصد بالصورة كوجود صوري في الذهن ، كالنجار الذي له صورة في ذهنه و يعمل على تجسيدها بالخشب في صورة مادية ، فإن الحقيقة هي أن مادة الخشب لها صورة مُسبقة تمثل حالتها الخشبية الأولى . و الصورة الذهنية التي يحملها النجار ليُجسدها في الواقع هي أسبق ذهنيا لا واقعيا ، فهي ليست صورة حقيقية في الواقع ، و إنما صورة ذهنية فقط . فهي ليست ذات وجود حقيقي مادي في الواقع ، و عليه لا يصح القول أنها أسبق من المادة ، لأن كلامنا يتعلق بها و هي في الأعيان لا في الأذهان . و مع ذلك توجد حالات كثيرة تكون فيها الصورة المادية أسبق من الصورة الذهنية ، و ذلك عندما يأخذ الإنسان صورا من الطبيعة فيُجردها ذهنيا ، ثم يعمل على رسمها أو تقليدها .

و إنهاءً لما ذكرناه يتبين أن أرسطو أخطأ في معظم ما قاله عن العناصر الخمسة المكونة للعالم ،و ما يتصل بها من حالات أخرى . و اتضح أيضا أنه تكلم في أمور لم يكن في مقدوره رؤيتها ،و لا يُمكنه التأكد من صحتها بوسائل أخرى ؛ و مع ذلك تكلم فيها بأسلوب الجزم و الإثبات . و هذا فعل مرفوض شرعا و عقلا و علما ، و هو انحراف منهجي كبير عن منهج الاستدلال القويم ، و البحث العلمي الصحيح . و هذا يعني أن الرجل لم يكن حريصا على التثبت ، و التدقيق ، و التمحيص عندما خاض في موضوع العناصر الخمسة و ما يتصل بها ،و إنما كان مهملا لذلك ، متأثرا بخلفياته الذاتية و المذهبية.

و تبين أيضا أن أرسطو كان ذاتيا إلى درجة كبيرة من جهة ،و مهملا لجانب كبير من أساسيات البحث العلمي الصحيح من جهة أخرى . فعندما أراد أن يجعل العالم العلوي أزليا إلهيا ، زعم أنه يتكون من عنصر واحد بسيط لا يتغير ،و لا يفسد ، و لا يفنى ،و لا ضد له ،و أن الآلهة هي التي تُحركه حتى جعل عددها يُساوي عدد الأفلاك[1] !! . قال كل ذلك– و غيره– بلا دليل صحيح من العقل و لا من العلم ، و خاض فيه بظنونه و تأويلاته ،و اجتهاداته و رغباته .

[1] سنتكلم عنها فيما يأتي .

و كما أنه أقام فكره على التناقض في موقفه من الإله و قوله بأزلية الكون ، فإنه هنا وقع أيضا في التناقض و بنى عليه موقفه من الهيولى . من ذلك أنه زعم أن الهيولى لا هي موجودة ،و لا هي معدومة !! . و أنها موجودة و ليست مفارقة للمادة ، لكنها- مع ذلك- لا ماهية و لا موضوع لها ، و لا كمية ،و لا كيفية ،و لا صورة لها ... !! .

قول أرسطو بألوهية العقول و الأجرام السماوية:

كان أرسطو يعتقد بتعدد الآلهة و يُسميها عقولا ، و يزعم أن عالم ما فوق فلك القمر- الأجرام السماوية- كلها ذات طبيعة إلهية . و تفصيل ذلك هو أنه قال بوجود عقول في العالم العلوي، و هي جواهر و محركات ، و عقول أزلية مفارقة للمادة ،و ليست هيولانية . و قد وصف العقول العشرة بأنها آلهة ،وهي خارجة عن الزمان ،و لا يُؤثر فيها . و جعل عددها يُساوي عدد الحركات و الكواكب، آخرها العقل الفعال ، الذي يُحرك فلك القمر[١] . و هي محركات الأجرام السماوية و الطبيعية ، تحركها حركة أزلية دائمة[٢] .

و أما الأجرام السماوية و مكوناتها ، فقد كان أرسطو يُؤلّها ، و يزعم أنها جواهر ،و موجودات إلهية . و قد أشاد أرسطو بأجداده اليونان الذين نسبوا الألوهية إلى الأجرام السماوية[٣] .

و أقول: إن قول أرسطو بتعدد الآلهة ،و ألوهية الأجرام السماوية ، هو قول باطل عقلا و علما و شرعا ، و ليس له في ذلك إلا الأوهام و الظنون ،و السفسطة ،و المزاعم . و هو خرافة من خرافاته التي أخذها عن المجتمع اليوناني و الحضارات القديمة . و تفصيل ذلك فيما يأتي :

---

[١] أرسطو : مقالة اللام ، ص: ٣ ، ٤ . و ديوجين لا يرتيوس : مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ، ص: ١٢٤ . و ابن رشد : تفسير ما وراء الطبيعة ، ج ٣ ص: ٣٥٢، ٣٥٣ ، و تلخيص ما بعد الطبيعة ، حققه عثمان أمين ، مكتبة البابي الحلبي ، القاهرة ،١٩٥٨ ، ص: ١٥٤ . . و ماجد فخري: أرسطو المعلم الأول ، ص: ٥٦، ٥٧ ، ٩٨، ٩٩ ، ٨٤ . و تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١١٤ . و علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي ، ج ٢ ص: ٢٠٥ .

[٢] ديوجين لا يرتيوس : مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ، ص: ١٢٤ . و ماجد فخري : أرسطو ، ص: ٥٦ ، ٥٧ ، ٩٨ ، ٩٩ . و تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١١٩ ، ١٢٠ . و يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١٧٥ .

[٣] أرسطو : مقالة الدال ، ص: ٣٥٦ . ابن رشد : تفسير ما وراء الطبيعة ، ج ٣ ص: ٣٥٦ ، ٣٥٧ .و ماجد فخري : أرسطو ، ص: ٥٥ ، ١٠٠ . و علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي ،ج ٢ ، ص: ٢٤٠ .

أولا إنه قال بتلك المزاعم –أُلوهية العقول و الأجرام– من دون أي دليل صحيح ، و إنما قالها زعما ،و ظنا ،و رغبة . و متى كانت المزاعم و الظنون و الرغبات أدلة و براهين ؟ ! . إنها ليست حججا و لا أدلة ، و إنما هي مزاعم لا يعجز عنها أحد ،و من صفات أهل الظنون و الأهواء ، أنهم من الذين يصدق عليهم قوله سبحانه و تعالى : { إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى }–سورة النجم:٢٣– ،و {وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً }–سورة النجم:٢٨– ،و{فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }–سورة القصص:٥٠– .

و من جهة أخرى أنه لا يُوجد أي مبرر صحيح للقول بتلك المزاعم و الخرافات ، انطلاقاً من فلسفة الرجل ،و من خارجها أيضا . فبالنسبة لفلسفته فبما أنه قال بأزلية العالم بما فيه من عقول و أجرام،و ذكر أن الإله هو الذي حرّكه، فهذا وحده كافٍ لجعل العالم يتحرك و يُؤدي وظيفته كاملة من دون أية حاجة إلى القول بتعدد الآلهة التي سماها عقولا مُفارقة . و أما من خارجها فالأمر أوضح و أصح ، فبما أن الكون مخلوق، و لا بد له من خالق عظيم كامل الصفات ، فهذا يعني أن كل ما سواه مخلوق ليس بإله ،و لا توجد أية حاجة ،و لا مُبرر للقول بوجود آلة غير الله سبحانه و تعالى .

فواضح من ذلك أن أرسطو لم يكن–فيما زعمه– مُتبعا للعقل الصريح ،و لا للعلم الصحيح ، و إنما كان مُتبعا لظنونه و أهوائه ،و رغباته و تناقضاته . فلماذا سمح لنفسه أن يتكلم في موضوع لا يُمكنه رؤيته ،و لا لديه من آثار صحيحة تُمكنه من الخوض فيه، حتى يزعم أنه توجد عقول إلهية تُحرك العالم ؟! . و من أين له بأن الأجرام السماوية هي أيضا ذات طبيعة إلهية ، مع أن الظاهر من صفاتها أنها كائنات مخلوقة كالإنسان و غيره ؟ ! . فالرجل جانب الصواب و قال بخرافات و حماقات ، و وقع في أخطاء فادحة و مُضحكة ، مع أنه كان في مقدوره تجنب ذلك ، لو أنه اتبع المنهج البديهي في الاستدلال . فلو طبقه و نظر به إلى الأجرام السماوية ، لتبين له أنها كائنات كالتي نراها على الأرض ، ثم يُطبق عليها

مبدأ الجمع بين المتشابهين ،و التفريق بين المختلفين . فسيتبين له أن تلك الأجرام هي كغيرها من الكائنات الأرضية ، ليست آلهة ،و لا أنصاف آلهة ،و إنما هي كائنات مخلوقة . و هذه النتيجة البديهية هي نتيجة صحيحة ، أوصلنا إليها المنطق الفطري البديهي الذي طبقناه في استدلالنا هذا ،و هي نفس النتيجة التي قررها الشرع ،و قال بها العلم الصحيح . لكن أرسطو أرادها عِوجا ، فتفلسف تفلسفا معوجا قرر به أمورا باطلة ،و أخرى خُرافية . و هذا إخلال كبير منه بمنطق البحث الاستدلال العلمي الصحيح ، فباع بذلك المنطق و العلم بالظنون و الأوهام،و الرغبات و الخرافات ، و هذه هي الميزة الغالبة على إلهيات أرسطو من بدايتها إلى نهايتها .

و ثانيا إنه كما أن أرسطو لم يُقدم دليلا صحيحا على قوله بتعدد الآلهة ،و ألوهية الأجرام السماوية ، فإنه أيضا هو قول مُخالف للوحي الصحيح ،و العقل الصريح ، و العلم الصحيح . فأما عقلا فلا شك أن العقل البديهي لا يعرف إلا الخالق و المخلوق ، و بما أن الله تعالى هو الخالق لهذا العالم فلا يصح، و لا يُعقل، و لا يُوجد أي مبرر مُقنع للقول بتعدد الآلهة. لأن الله تعالى كامل غني بذاته ، و على كل شيء قدير ، فلا يحتاج إلي تلك الآلهة المزعومة ، و القول بوجودها معه عبث ،و لا فائدة من وجودها من جهة . و بما أن الكون مخلوق ، فلا يُمكن أن يكون إلهاً ،و لا يُمكن أيضا أن تكون بعض كائناته آلهة من جهة أخرى .

و أما شرعا فالأمر واضح جدا ، بأنه-أي الشرع- لا يقبل مزاعم أرسطو من أساسها ، و يرفضها رفضا مُطلقا ،و ينسفها نسفا . من ذلك قوله سبحانه : {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ }-سورة الشعراء:٢١٣- ،و {وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ }-سورة الذاريات:٥١ - ،و {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً }-سورة الفرقان:٣- ،و {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ }-سورة الأنبياء:٢٢- ،و {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ }-سورة المؤمنون:٩١- .

و أما علما ، فإن العلم الحديث هو أيضا أثبت ما قرره العقل الصريح ،و الشرع الصحيح ، من أن هذا الكون مخلوق ، ليس أزليا ، و لا ربا ،ولا خالقا ،و لا إلهاً ، و ليست أجرامه السماوية آلهة ، و لا تحركها آلهة ،و لا أنصاف آلهة . و إنما الكل مخلوق خاضع لسنن إلهية مُحكمة غاية في الدقة ، و لا يحتاج إلى آلهة لتحركه ،و هذه الحقائق هي من ثوابت الشرع و العلم معا ، لا تحتاج إلى توثيق .

و ثالثا إن أرسطو كما بنى أقواله على التناقض في موقفه من الإله ،و أزلية العالم ،و العناصر الخمسة ، فإنه هنا أيضا ضل التناقض سمة فكره و منهجه في الاستدلال . من ذلك أن أرسطو قال بوجود الإله الكامل ، ثم زعم أنه توجد آلهة أخرى كثيرة . و هذا نقض للقول الأول ، لأنه لا مبرر لوجودها مع وجود الإله الكامل .

و منها أيضا إن أرسطو ذكر أن الإله هو الذي حرّك تلك الآلهة- العقول- ،و هذا يعني أنها ناقصة ،و لم تكن قادرة على الحركة بذاتها . و هذا نقض لقوله بألوهيتها ، فلو كانت آلهة ما احتاجت إلى غيرها .

و من تناقضاته أيضا أنه قال بأزلية تلك الآلهة من جهة ، ثم قال بأن الإله هو الذي حرّكها من جهة أخرى . و هذا تناقض صارخ ، لأن الأزلي لا يحتاج إلى من يُحركه ،و إذا حرّكه غيره فهذا يعني أنه ليس أزليا ،و أن له بداية تحرّك فيها مهما تصورنا قِدم الفعل الإلهي .

و أخيرا يتبين-مما ذكرناه- صحة ما قلناه سابقا ، من أن أرسطو لم يُقم أقواله المتعلقة بألوهية العقول و الأجرام السماوية ، لم يُقمها على عقل صريح ،ولا على علم صحيح . فأخطأ أخطاء فاحشة أفسد بها جانبا من فكره و سلوكه ، و جنى بها على العقل و العلم ،و باعهما بالظنون و الرغبات ، و الأوهام و الخرافات .

ثالثا: حركة الكون في فلسفة أرسطو:

يُعد مبدأ الحركة من أهم أُسس إلهيات أرسطو ، فبها تحرّك الكون ،و بها أصبح أزليا أبديا ،و بها تستمر عمليات توالد الكائنات الحية ،و موقفه منها هو الذي أوقعه في أخطاء كثيرة ، جنى بها على العقل و العلم معاً . فما هو مصدرها ؟ ، و ما هي طبيعة تحريك الإله للكون ؟ ،و ما هو دليله على أزليتها؟ ،و ما هي تفاصيل تلك الأخطاء ؟ .

زعم أرسطو أن الإله هو الذي حرّك العالم بواسطة الفلك المحيط ،و العقول الإلهية المحركة للأجسام السماوية ، حرّكه بحركة أولى أزلية[١] . و قد تحرك بالاضطرار من المحرك الأول[٢] . و الإله عند أرسطو غير مُنشغل بالعالم ، فهو منشغل بتأمل ذاتي لا نهاية له ، لذا فهو حرّك العالم كما يُحرك المحبوب محبه من دون قصد منه[٣] . و لم يكن تحريكه علة فاعلة عن قصد و اختيار من الإله ،و إنما كان علة غائية بالنسبة للكون . فالإله يُحرك دون أن يتحرك كما يُحرك المعشوق عاشقه من دون أن يتحرك ؛ فالإله هو المعشوق يُحرك معشوقه عن طريق العشق . و بمعنى آخر أنه حرّك العالم على نحو ما تحركنا الأشياء المشتهاة و اللذيذة ،و لاسيما المعقولة، من دون أن تتحرك هي[٤] .

و زعم أيضا أن الإله هو محرك الحركة الأولى الأزلية للكون ،و هي متصلة به دائما ، و تحريكه هو بالاضطرار ، فهو يفعل ضرورة لا اختيارا . و ينبغي أن يكون فعله دائماً ، و إلا لم تكن الحركة المنبثقة عنه أزلية[٥] .

و تلك الحركة ليست حادثة ،و لا تفنى و لا تفسد ، و هي متصلة الحركة و الزمان ، فزمانها مُتصل أزلي ،و لا يُمكن تصور بداية لزمانها ، لأن كل توقف يستلزم زمانا قبله ،و

---

[١]سبق توثيق ذلك أكثر من مرة ، لكن أنظر مثلا :أرسطو : مقالة اللام ، ص: ٧ . و ديوجين لاير تيوس: المختصر، ١٢٤ . علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي ، ج ٢ ص: ٢٠١ .
[٢] أرسطو : نفس المصدر ، ص: ٧ ، ٨ .
[٣] جفري بارندر : المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، عالم المعرفة ، رقم : ١٧٣ ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون ، الكويت ، ص: ٦٠ .
[٤]أرسطو : مقالة اللام ، ص: ٥ ، ٦ . ابن رشد : ما وراء الطبيعة ، ج ٣ ص: ٣٠٥ و ما بعدها . و ماجد فخري: أرسطو ، ص: ٩٦ ، ٩٧ ، ١٧٠ . علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي، ج ٢ ص: ١٩٢ .
[٥] أرسطو : نفسه ، ص: ٧ . و مقالة اللام ، ص: ٦ . و ابن رشد : تفسير ما وراء الطبيعة ، ج ٣ ص: ٣٥٤ ، ٣٥٥ . و ماجد فخري: أرسطو ، ص: ٩٦ ، ٩٧ . و علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي ، ج ٢ ص: ٢٠١ .

هكذا . فهي حركة أزلية متصلة و واحدة ، لا بداية لها ،و غير مُمكن أن تكون لها بداية. و حركة السماء الأولى مستوية بدرجة واحدة لا اختلاف فيها من حيث الشدة و الضعف ، فلو كانت مختلفة لظهر لنا آثار ذلك ،و لو كانت كذلك لتباعدت الكواكب عن بعضها في طول الدهر[1] .

و عَلّل سبب أزلية الحركة و الكون بأن حركة العالم دائرية تجعل الكون يرجع على نفسه ، و بذلك لا يكون محدودا و لا بداية له . و لو كانت على خط مستقيم لكان محالا أن يكون الكون أزلياً، فوجب بذلك أن يكون الكون دائريا . لكن حركة التوالد التي تخضع لها الكائنات الحية في الأرض تتم على خط مُستقيم ، من أعلى إلى أسفل ،و بالعكس ، لذلك لم تكن نفس أفرادها تعود و تتكرر في الوجود. و زعم أن الجسم المستدير يتحرك حركة لا تسكن أبدا ،و هذا ليس من باب القول فقط، و إنما هو من باب العقل و الحس أيضا[2] . و زعم أيضا أن سبب أزلية الحركة المستديرة هو أنها حركة كاملة و غير متناهية ، لأن المستقيمة ناقصة و متناهية . و قرر أن الحركة المستديرة باقية دائما بالضرورة[3] .

و الحركة عند أرسطو هي حاملة الزمان ، و الزمان صفة لها ،و لا ينفصل عنها، و هو غير متناه من طرفيه: من القبل و من البعد ، و هما أزليان و متصلان[4] .

تلك هي طائفة من أقوال أرسطو و آرائه المعبرة عن موقفه من حركة الكون : مصدرا و نشأة ، مصيرا و زمانا . و رداً عليه أقول :

أولا إن قول أرسطو حول حركة الكون ، غير صحيح في معظمه ،و قد بناه على الظن و الرغبة ، و القول بلا علم . و ما هو إلا زعم ، و الزعم ليس دليلا ،و لا يعجز عنه أحد . و قد وقع الرجل في انحراف استدلالي كبير– هو امتداد لمنهجه السابق– فأوقعه في أخطاء

---

[1] ابن رشد : تفسير ما وراء الطبيعة ، ط١ ، دار إدريس ، سوريا ، ٢٠٠٧ ، ج ٣ ص: ٢٨٥ . و شرح السماء و العالم ، ج ٢ ص: ١٨٨، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٣٠.

[2] أرسطو : الكون و الفساد ، ص: ٢١٥ . و مقالة اللام ، ص: ٤ ، ٥ . ابن رشد : تفسير ما وراء الطبيعة ، ج ٣ ص: ٣٠٢ . يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٩٢ .

[3] أرسطو : الطبيعة ، ج ٢ ص: ٨٩١ .

[4] ابن رشد : تفسير ما وراء الطبيعة ، ج ٣ ص: ٢٨٨، ٣٠٢ . و ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١١٤، ١١٥ ، ١٣١ . و أرسطو : المعلم الأول ، ص: ٤٨ .

و متناقضات ، سيأتي ذكرها تِباعاً فيما يأتي بحول الله تعالى . من ذلك أن قوله في الحركة قد بناه على ما قاله في الإله و أزلية الكون ، فهو فرع من أصل . و بما أنه سبق و أن أبطلنا معظم ما قاله عن الإله ،و بينا بطلان قوله بأزلية العالم ، فهذا يستلزم أن قوله بأزلية الحركة و الزمان هو باطلا بالضرورة . لكنا – مع ذلك– فإننا سنواصل مناقشته عقليا لمزيد من التوضيح و الإبطال لمزاعمه المتهافتة أصلا .

و ثانيا إن أرسطو لم ينطلق من مقدمات صحيحة ، و إنما انطلق من رغبات و تحكمات بنى عليها زعمه السابق . و هذا أمر مرفوض موضوعيا و علميا . من ذلك أنه زعم أن الحركة منها المستديرة ، و هي أزلية كاملة غير متناهية ،و تتعلق بالعالم السماوي . و منها الحركة المستقية ، و هي حادثة تتعلق بالعالم الأرضي ، حيث الكون و الفساد . و هذا زعم غير صحيح ، لأن الحركة ليست محصورة في المستديرة و المستقيمة ، فمنها مثلا الحركة المتعرجة . و كما أنه لم يُقدم دليلا عل ذلك التفريق بين الحركتين ،و كل ما قاله هو زعم و ليس دليلا ، فلم يُقدم حجة و لا شاهدا يُثبت بأن الحركة المستديرة أزلية و المستقيمة حادثة ،و إنما قال ذلك رغبة و تحكما منه . و هذا الانتقاد كافٍ وحده لرفض زعم أرسطو لأنه خطأ من الناحية الاستدلالية ،و ما بُني عليه فلا يصح . و الشواهد الآتية تزيد زعمه إبطالا و تهافتا .

أولها بما أنه سبق أن بينا: شرعا و علما و عقلا بأن الكون حادث مخلوق ، فهذا يستلزم إبطال زعمه بأزلية الحركة المستديرة ، لأنها هي جزء من أنواع الحركات في الكون ، و بما أنه حادث مخلوق فهي بالضرورة مخلوقة لا محالة .

و الشاهد الثاني هو أنه لا يُوجد في الحركة المستديرة ما يدل على أنها أزلية لا متناهية و لا فاسدة ،و أن غيرها حادث فاسد . فهي كما نراها في الطبيعة لا تختلف عن المستقيمة و لا عن المتعرجة ، فهي مثلهما. لأن كلا منها مُسخّر يتحرك في إطار ثابت ،و له دورة كاملة يُؤديها و يتحرك فيها . و العبرة هنا ليست في شكلها ،و إنما في دورتها الكاملة التي تقوم بها

، في إطارها الذي تتحرك فيه ، فهي هنا مُتشابهة تماما . و عليه فكل منها كامل في دورته من جهة ، و متناهٍ في إطاره من جهة أخرى . فالمستديرة مثلا لها بدايتها و نهايتها في إطارها الذي تتحرك فيه، و يمكن تحديد نقطة بداية و نهاية لها ، و عندما تكملها تُعيد الدورة و هكذا ،و هذا الأمر ينطبق أيضا على الحركتين : المستقيمة و المتعرجة ، فلا فرق بينهما و بين المستديرة المستديرة .

و الشاهد الثالث مفاده أنه لا يصح القول بأن الحركة المستديرة كاملة غير متناهية، و غيرها مُتناهٍ ،و ليس كاملا . فهذا زعم باطل ، لأن كل كائنات هذا العالم بما فيها الحركة المستديرة ، هي في ذاتها كاملة قبل فنائها ، و غير متناهية ما دامت حية ، فإذا ماتت انتهت . و عليه فإن كل كائن هو كامل في خلقته من جهة ، و ناقص في ذاته بحكم أنه مخلوق من جهة أخرى . و هذا يعني أن كل كائن له دورة حياة تبدأ من مولده و تنتهي بموته ،و هذه سنة كونية إلهية تنطبق على كل المخلوقات دون استثناء ، بما فيها الحركة المستديرة .

و من ذلك أن النجوم و الكواكب –مثلا– لها مدارات تدور فيها ، و مع ذلك فهي لها بداية و نهاية ،و قد ثبت هذا شرعا و علما ، بأنها تموت و تتلاشى كغيرها من المخلوقات الأرضية ،و هذا أمر لا يحتاج إلى توثيق[1] .

و الشاهد الرابع مفاده أنه لا يُوجد أي اختلاف حقيقي نوعي بين الحركتين المستديرة و المستقيمة . فالإنسان يصنع الحركتين و يستخدمهما في آلاته الصناعية ، من دون أي فرق جوهري بينهما، فهو اختلاف تنوع ،و ليس اختلافا جوهريا من حيث الحدوث و عدمه،و لا من جهة التناهي و عدمه . فهما حادثتنا لهما بداية و نهاية بلا شك . و إنما أرسطو هو الذي يُفكر برغباته و تحكماته ، فعندما أراد أن تكون الحركة أزلية أخترع حكاية الحركة المستديرة ، فعجبا منه ،و من تفكيره المعوج !! .

[1] كما أن عدم أزلية الكون يستلزم أن الأجرام السماوية هي أيضا لها بداية و نهاية .

و الشاهد الأخير- السادس- مفاده أنه من الثابت علماً أن الكون كله يتحرك حركة مستديرة ، من خلال أصغر وحدة مُكوّنة له هي الذرة ، و هي تتحرك دائريا في مداراتها . و مع ذلك فالكون كله حادث مخلوق كما سبق أن بيناه . فأين حكاية أرسطو المزعومة بأن الحركة المستديرة أزلية ؟ ! .

و ثالثا إن زعم أرسطو بأن الحركة التي حدثت بين الكون و المحرك الذي لا يتحرك ، حدثت من جهة الكون فقط ، كما يحدث بين العاشق و المعشوق من دون قصد من المعشوق . هو زعم باطل، و كلام فارغ، و عورة من عورات الرجل،و خرافة من خرافاته ، و قول بلا علم ، و رجم بالغيب . فمن أين له هذا الحكاية المضحكة ؟! ، إنه مُطالب بالدليل الصحيح لإثباتها ، و رغباته و تحكماته مرفوضة مردودة عليه . و نحن نطالبه بالدليل اليقيني ،و إلا فقوله كلام باطل . إنه لن يستطيع الظفر به ، لأن زعمه هذا باطل أساسا من جهة ،و لأنه تكلم بلا علم في أمر غيبي لا يُمكنه معرفته من جهة أخرى .

و مما يُبطله هو أنه ليس صحيحا أن عملية العشق المزعومة تتم من طرف واحد ، فهي قد تحدث من الطرفين ، بل المعروف أنه إذا حدث ، فسيحدث بتفاعل الطرفين قصدا من العاشق و المعشوق . لكنه قد يحدث من طرف واحد ، لعدم علم المعشوق ، أو لرفضه . و عليه فمن أين لأرسطو أن عملية العشق التي حدثت و حركت الكون -حسب زعمه- كانت من جهة الكون من دون مشاركة الإله ؟ ! . بمعنى أن الإله كان علة غائية للكون من دون قصد منه ،و لم يكن علة فاعلة له . إنه-أي أرسطو- لا يملك أي دليل صحيح على زعمه ،و لن يستطيع الإتيان به أو إثباته ، لأمرين أساسيين : الأول هو أن زعمه هذا خرافة من خرافاته. و الثاني مفاده هو أنه لن يستطيع التأكد منه إلا إذا أستطاع أن يُعيد تاريخ حدوث تلك الحكاية ليراها ، أو أنه كان حيا حاضرا عندما حدثت فرآها مباشرة ، أو أنه يمتلك أدلة ملموسة تشهد بحدوث تلك الحكاية ، أو أن الإله اتصل به و أخبره بها . و لا شك أن كل هذه الاحتمالات مُستحيلة في حقه، فلا يتحقق و لا واحد منها فيه . فالرجل يتكلم بلا علم،و يُخرّف على نفسه و غيره، و زعمه باطل مردود عليه .

و من جهة أخرى فإنه بما أن ذلك العشق المزعوم تم من طرف الكون فقط حسب زعم أرسطو ، فمعنى هذا أنه الكون كان كائنا حيا واعيا يعشق و يُحب قبل حدوث عملية العشق المزعومة ، فاختار هو ممارستها. و هذا يعني أنه كان متحركا أصلا قبل عملية العشق ، لأن من طبيعة الحي الواعي العاشق أنه يتحرك حسب طبعه . فهو إذن مُتحرك بطبعه ،و لا يحتاج إلى عشق الإله ليتحرك ،و لا إلى الإله ليُحركه قصدا، أو بلا قصد . و بهذا يسقط زعم أرسطو بأن العالم تحرك بسبب عشقه للإله من دون قصد منه .

و إذا فرضنا جدلا أن الكون تحرّك بعد العشق ، فهذا أيضا يعني أنه كان قادرا على القيام بالعشق من تركه ، و لم يُكن محتاجا إلى من يُحركه ،و من ثم فحو مُتحرك أصلا، و له اختيار في الفعل من عدمه، و من هذه صفاته لا يحتاج إلى من يُحركه . و إذا افترضنا أنه لم يكن حيا و لا مُتحركا، فهذا يعني أنه كان ميتا، و الميت لا يُمكن أن يعشق أبدأ . و من ثم تسقط الحكاية المزعومة من أساسها . و إذا قيل : إن العشق تم من طرف الإله تجاه الكون . فهذا لا يصح ، لأنه مُخالف لقول أرسطو صراحة ، و يُنقضه أيضا ، لأنه يعني أن الإله هو الذي تحرك بسب عشقه للكون الجامد، فتحرك تجاهه: عشقا و فعلا ، و قصدا و اختيارا . و هذا مبطل تماما لحكاية العشق الأرسطية المزعومة .

و رابعا إن قوله بان حركة العالم أزلية ، هو قول لا يصح عقلا ،و لا شرعا ،و لا علما . فأما شرعا و علما فقد سبق أن بينا بطلان قوله بأزلية العالم، و هذا يستلزم بطلان قوله بأزلية الحركة ، لأنها جزء لا يتجزأ منه . و أما عقلا فهو لا يصح أيضا ، لأنه إذا كانت حركات العالم العلوي ، و حركة التوالد الحيواني في العالم الأرضي أزلية لا بداية لها ، فهذا يستلزم أن الكون لم يكن في حاجة أبدا إلى من يُحركه،و لا إلى من يعشقه لكي يُحركه . و سبب ذلك واضح ، هو أنه –أي الكون – كان موجودا كاملا بكل حركاته و كائناته ، و لم يكن يحتاج أبدا إلى من يُحركه .

و أما إذا لم تكن تلك الحركات العلوية و الأرضية موجودة ، فأوجدتها حركة حكاية العشق المزعومة، فهذا يعني بالضرورة أنها حادثة ، أوجدتها تلك الحركة ، التي تدخلت و أوجدت كل

حركات العالم . و في الحالتين لا يصح زعم أرسطو في قوله بأزلية حركة العالم ، فهو باطل مردود على صاحبه .

و أما إذا قيل: إن أرسطو قال بأزلية الكون على أساس أنها قائمة على أزلية دوام الفعل الإلهي و أبديته . فهذا لا يصح أيضا ، بدليل الشواهد الآتية : أولها إنه ليس لأرسطو دليل صحيح يُثبت به زعمه، و لن يستطيع الحصول عليه أبدا . لأن الفعل الإلهي لا يُمكن أن يكون محصورا فيما قال به أرسطو ، و إنما هو قائم على القدرة و الاختيار ،و الإرادة المطلقة ، والإله الذي لا يتصف بذلك فليس ربا ،و لا خالقا ،و لا إلهاً رغم أنف أرسطو الجاهل بالله . فالله تعالى فعال لما يُريد ، ومن ثم فهو سبحانه إما أن يفعل دائما دون توقف باختياره، و إما أنه لا يفعل مُطلقا بإرادته، و إما أنه يفعل و يتوقف باختياره أيضا . فقول أرسطو لا يصح من وجهين : الأول أنه زعم أن دوام فاعلية الإله مفروضة عليه فرضا ،و هذا زعم باطل و مُضحك ، لأنه لا يصح عقلا و لا شرعا أن يفرض أرسطو و لا غيره أمرا ما على الله سبحانه و تعالى . و من يقول بذلك فهو جاهل، أو مريض ، و أو زنديق مُعاند مُكابر .

و الوجه الثاني مفاده أن قول أرسطو لن يستقيم إلا إذا جاء بدليل قطعي من عند الله ينص على أن فعله تعالى دائم أبدي . و هذا لن يحصل عليه أرسطو ،و من ثم فزعمه باطل ،و استدلاله بدوام الفاعلية لا يصح .

و الشاهد الثاني هو أنه بما أن الدليل الصحيح قد قام على أن الكون بكل ما فيه من مخلوقات و حركات حادث مخلوق ، فهذا يعني بالضرورة أنه ليس قائما على دوام الفاعلية الإلهية الأزلية كما زعم أرسطو ،و إنما هو قائم على الفعل الاختياري لله في الفعل من عدمه .

و الشاهد الثالث هو أن القول بتدخل الفعل الإلهي في التحريك، فإن هذا يستلزم أن هذا التدخل له بداية مهما تصورنا قدمه،و القول بخلافه هو تناقض ،و لا يصح الهروب و الاختفاء بحكاية دوام الفاعلية . لأن الأمر محصور بين أمرين : إما أن يكون الكون أزليا

بكامله ،و من ثم فهو لا يحتاج أبدا إلى الإله ليخلقه،و لا ليُحركه . و إما أنه كان محتاجا إلى الإله ، ليُحركه أو لأمر آخر . و هذا يستلزم أن الكون كان موجودا ناقصا ينتظر من يُحركه، و هو بهذه الحالة قد سبق الفعل الإلهي في الوجود ، ثم تدخل الفعل الإلهي ليحركه ، و هذا يستلزم بالضرورة أن فعله له بداية مهما تصورنا قدمه، فهو حادث يُؤدي بالضرورة إلى حدوث الحركة .

و الشاهد الرابع–الأخير– مضمونه أن قول أرسطو بدوام فاعلية الفعل الإلهي ، لا يصح و يتناقض مع قوله بأن العشق بدأ من العاشق نحو معشوقه، بمعنى أنه بدأ من الكون نحو الإله . و هذا يعني أن الفعل لم يبدأ من الإله و إنما بدأ من الكون ،و هذا يستلزم أن الفعل له بداية بالضرورة ،و ليس أزليا من جهة ،و هو يُبطل القول بدوام الفاعلية الإلهية المزعومة من جهة ثانية،و لا يصح نسبة الفعل الأول الحقيقي إلى الإله ، و إنما يجب نسبته إلى الكون من جهة ثالثة . و كل هذا يُبطل زعم أرسطو في قوله بأزلية الحركة بدعوى دوام فاعلية الفعل الإلهي . فالرجل اخترع فكرة دوام الفاعلية للاختفاء من ورائها . ثم جعلها مقدمة بنى عليها زعمه بأزلية حركة الكون .

و خامسا إن زعمه بأن الزمان أزلي بسبب أزلية الحركة ، فهو زعم باطل، و بما أن الأمرين مترابطين ، على أساس أن الحركة حاملة الزمان كما ذكر أرسطو ،و بما أنه سبق أن أثبتنا بطلان قوله بأزلية الكون و حركته، فإن هذا يستلزم أيضا بطلان القول بأزلية الزمان . لكننا مع ذلك نقول : إن موقف أرسطو من الزمان غير صحيح، لأنه امتداد لقوله بأزلية العالم، و بما أنه سبق أن أبطلنا قوله بذلك، فهذا يستلزم خطأ و بطلان موقفه من الزمان . فالزمان ليس أزليا ،و إنما هو مخلوق من مخلوقات هذا العالم ، فخلق الله تعالى للكون أوجد الكون بمادته و زمانه و مكانه ، فالكل حادث مخلوق . و هذا الموقف لا يُثير أية مُشكلة حقيقية ، كالتي أشار إليها أرسطو عندما قال : إن القول ببداية للزمان ليس حلا، لأنه يستلزم وجود قبل و بعد للزمان . و هذا اعتراض لا يصح ، لأنه بناه على أساس القول بأزلية العالم ، و بما أنه حادث مخلوق ،و ليس أزليا ، فاعتراضه يسقط و لا يصح . لأنه لا وجود لزمان و لا

لحركة، ،و لا لمكان و لا لمادة قبل الخلق ،و هنا يتوقف السؤال بطريقة طبيعية ،و لا يصح السؤال عن الزمان و لا عن غيره من المخلوقات . و بذلك يسقط زعم الرجل و اعتراضه .

و من جهة أخرى فقد ذكر الفيزيائي المعاصر منصور حسب النبي أن الفيزياء الحديثة نصت على أنه لا زمان دون مكان،و لا مكان دون زمان ، و لا وجود لزمان مُطلق ، و لا لمكان مُطلق ،و قد أُطلق على دمجهما مصطلح : الزمكان . و نصت أيضا على أن الزمن نسبي و ليس مُطلقا ، فالزمن الذي نحس به على كوكب الأرض يختلف عن الزمن المقيس على الكواكب الأخرى . من ذلك أن السنة على كوكب عطارد مثلا يُعادل ٨٨ يوما من أيامنا ،و يومه يُعادل ٥٩ يوما من أيامنا، فقصُر عامه و طال يومه بالنسبة لأعوامنا و أيامنا [١] .

و هذه المعطيات العلمية الحديثة كما أنها تُبطل قول أرسطو بأزلية الزمان من جهة ، فإنها من جهة أخرى تُبطل أيضا زعمه بأن حركة السماء مستوية واحدة .

و أخيرا – سادسا – أُشير هنا إلى أن أرسطو كما بنى موقفه من الإله ،و نشأة الكون و مكوناته على التناقض ، فإنه قد بنى موقفه من حركة الكون على التناقض أيضا . فأصبح التناقض سمة أساسية من سمات إلهياته ، لأنه لم يُقمها على عقل صريح ،و لا على علم صحيح، و إنما أقامها أساسا على رغباته و أوهامه ،و تحكماته و خرافاته . و أما تناقضاته المتعلقة بهذا المبحث فمنها :

أولها إنه زعم أن فعل الإله يجب أن يكون أزليا، ثم زعم أن الحركة بدأت من الكون كتحرك العاشق نحو معشوقه ،و هذا نقض للقول بأزلية الحركة الفاعلة .

و التناقض الثاني مفاده أنه – أي أرسطو – زعم أن فعل الإله دائم أزلي ،و هو الذي حرك العالم ، ثم زعم أن الفعل بدأ من الكون في عشقه للإله من دون أي قصد و اختيار

[١] منصور حسب النبي: الإشارات القرآنية للسرعة العظمى و النسبية ، دار المعارف، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص: ٨١ ، ٨٢ .

من الإله . و هذا تناقض يتعلق بمن هو الفاعل الحقيقي ، فهل هو الإله ، أو الكون ؟ ،و أرسطو قد أسند إليهما الفعل معا ،و نفاه عنهما أيضا !! .

و الثالث إنه زعم أن الإله و الكون أزليان ، و لا يتحركان ، ثم قال: إن الإله لم يُحرك إرادة و قصدا، و إنما الكون هو الذي تحرك عشقا له . و هذا تناقض صارخ فكيف استطاع الكون أن يتحرك و هو لا قدرة له على الحركة ،ولا على التحريك ؟ ! . و من أين له ذلك ؟ ! .

و التناقض الرابع مفاده أن أرسطو زعم أن الكون لا يتحرك ، و مُحتاج إلى من يُحركه، ثم زعم أن الكون هو الذي تحرك بعشقه للإله من دون مشاركة من الإله . و هذا تناقض ، لأن القول بأن الكون هو العاشق يستلزم أنه كائن حي واعٍ يستطيع الحركة بذاته ،و لا يحتاج إلى من يُحركه . و هذا يعني أيضا أن الكون هو الذي حرّك نفسه، و من ثم فليس الإله هو الذي أوجده ، لأنه أزلي حسب زعم أرسطو ،و لا هو الذي حرّكه، و إنما الكون هو الذي حرّك نفسه بقصد و وعي و إرادة ، عندما عشق الإله . فالكون في الحقيقة هو الإله ، فهو كون و إله ،و هذا شبيه بفكرة وحدة الوجود. فأرسطو انطلق من القول بالثنائية : الإله و الكون ، و انتهي إلى القول بوحدة الوجود ،و هذا بسبب قوله بأزلية العالم .

و التناقض الرابع مفاده هو أن أرسطو أكد مراراً على أن الإله هو الذي حرّك ،و جعل التوالد الحيواني أزليا، و أن فعله في ذلك هو أبدي سرمدي ، لكنه زعم أيضا أن الإله ليس هو الذي أمر، و لا خلق، و لا له علم بالكون، و لا هو قادر على الفعل . فهذا تناقض صارخ واضح !! ، فهل يُعقل أن يقوم الإله بتلك الأفعال ، و هو لا علم له بالكون ،و لا قادر على الفعل ؟! . أليس هذا من أغرب تناقضات و مهازل فكر أرسطو ؟! ، و هل يصح أن يصدر هذا عن إنسان عاقل يعي ما يقول ؟ ! ، و أليس من يقول هذا لا يستحق الاحترام العلمي ؟ ! .

و التناقض الأخير- الخامس- مضمونه أن الرجل زعم أن الحركة المستديرة أزلية بذاتها، و أن الحركة المستقيمة المتحكمة في توالد كائنات الأرض هي حادثة بذاتها و ليست أزلية .

لكنه سبق أن ذكرنا أنه زعم أن التوالد الحيواني في الأرض– الذي تحكمه الحركة المستقيمة– هو توالد أزلي على مستوى الأنواع . و هذا تناقض ، فكيف تكون الحركة المستقيمة حادثة من جهة ،و أزلية من جهة أخرى ؟ ! .

فواضح مما تقدم ذكره ، أن قول أرسطو بأزلية الحركة و الزمان هو قول غير صحيح، و أنه اخترع مبررات وهمية من عنده ، ثم جعلها مقدمات بنى عليها ذلك الزعم .. فهذا الرجل يفرض رغباته و تحكماته، و ظنونه و خرافاته على بدائه العقول ،و حقائق الطبيعة ، ثم يُوجهها كما يريد حسب أهوائه و خلفياته المذهبية . و بمثل هذا الانحرافات و الخرافات جنى أرسطو على نفسه و أتباعه ،و على العقل و العلم . و مسلكه هذا لا يصح و مرفوض عقلا ، و شرعا ، و علما ،و ليس هو من الموضوعية ،و لا من الاستدلال العلمي الصحيح في شيء .

رابعا : الغائية و الوظيفية في الكون عند أرسطو:

بنى أرسطو موقفه من الغائية و الوظيفية في الطبيعة على أساس إلهياته التي سبق أن ذكرناها . و انطلاقا منها فإن الكون عنده ليس له غاية محددة يعمل من أجلها ، فهو أزلي أبدي، يُكرر نفسه على أساس الحركة الدائرية . و ليس الإله هو الذي جعل للكون غايته، و إنما الكون هو الذي تحرك من ذاته وجعل لنفسه غاية هي عشق الإله من دون أي تدخل منه ، فلم يكن له دخل مباشر في تحريك العالم ،ولا في تحديد و توجيه مساره و غايته ،و العالم كله عاشق للإله [1] .

و عنده أن أسمى وظائف الإنسان في الحياة، هو ممارسته للتأمل النظري، و سعادته الكاملة يجدها في ذلك ،و به يقترب من الطبيعة الإلهية و يتشبه بها، لأن فعل الإله هو تأمل ذاته ، فهو عقل و عاقل و معقول [2] . و الإنسان– كغيره كائن من كائنات العالم الأرضي –

---

[1] سبق توثيق كل ذلك ، فلا نعيد توثيقه هنا .
[2] مصطفى النشار: نظرية المعرفة عند أرسطو ، ط ٣ ، دار المعارف ، ١٩٩٥، ص: ٥ .

يطلب دائما الكمال من الموجودات العلوية الأزلية، فهدفه في حياته الدنيوية أنه يسعى إلى تحقيق ذلك الكمال[1] .

و يعتقد أرسطو أنه ليس للإنسان خلود في هذه الأرض كفرد، و إنما له خلود كنوع ، فهو في ذلك كغيره من الحيوانات خلودها لأنواعها لا لأفرادها[2]. و عندما يموت الإنسان يُفارق عقله المادة ، و ينفصل عن الجسد و يصبح بذاته فقط ، و عندها فقط يكون خالدا و أزليا ،و مع ذلك لا نذكر حاله الأولى ، لأنه عقل غير منفعل ، و قد سماه أيضا بالنفس الناطقة ، لكن العقل المنفعل قابل للفساد[3] .

وأما عن الغائية و الوظيفية العملية في الطبيعة ، فقد فسر أرسطو تنوع الكائنات الحية و وظائفها بالاضطرار و الحاجة و الطِباع ،و انتقد القائلين بالآلية في حركة الطبيعة ، و عنده أن الطبيعة لا تفعل شيئا باطلا و لا عبثا . من ذلك أنه ذكر أن الطِباع هيأ للإنسان يدين ، بدلا من الرجلين الأماميتين ، لعدم حاجته إليهما. و أشار إلى أن الفيلسوف أنكساغورس لم يقل صوابا عندما قال : لما كان للإنسان يدان صار أحكم و أعقل من جميع الحيوان . ، فرد عليه بأن الأمثل هو أن نقول: لما كان ((الإنسان أعقل و أحكم من جميع الحيوان ، صارت له يدان)) . و قال أيضا : ((فليس الإنسان حكيما جدا لحال أن له يدين ، بل لأنه حكيم جدا صارت له يدان)). و خلاصة فكرة أرسطو هي أن الوظيفة توجد العضو و تعدمه [4] . و يرى أيضا أن الحاجة إلى الولادة بين الحيوانات هي التي دعت إلى الجماع ،و ((صيّر الطباع أعضاء مُختلفة موافقة بعضها لبعض ، فبهذا النوع يختلف عضو الذكر و عضو الأنثى))[5] .

---

[1] ماجد فخري: أرسطو ، ص: ٩١ .
[2] سبق توثيق ذلك، و مناقشته ، لكن أنظر مثلا: ماجد فخري : أرسطو ، ص: ٨٩ .
[3] أرسطو : كتاب النفس ، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، ط ١ ، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٤٩ ، ص: ١١٣ .و ماجد فخري : أرسطو ، ص: ٨٤ ، ١٦١ .
[4] أرسطو : في أعضاء الحيوان ،- من كتاب الحيوان – حققه كروك رمكة ، مجمع العلوم الملكية الهولندي، ١٩٧٨ ،، ص: ٤٩ . و طبائع الحيوان البري و البحري، المقالة : ١٤ ، حققه عزة سليم سالم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥ ، ص: ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢ ، ١٥٥ . و الطبيعة ، ج ١ ص: ١٤٢ و ما بعدها . إمام عبد الفتاح إمام : أرسطو و المرأة ، ص: ٢٥ ، ٢٩ .
[5] أرسطو : في كون الحيوان ، المقالات : ١٥ – ١٩ ، ترجمة يحيى بن البطريق ، حققه يان بروخمان ، و ويوان دروسات لولوقس ، مؤسسة دي خُوي ، رقم : ٢٣ ، بريل ، بمدينة ليدن ، ١٩٧١ ، ص: ٣ .

تلك هي نظرة أرسطو إلى الغائية و الوظيفية في الكون عامة،و العالم الأرضي خاصة . فأين خطأه في ذلك ؟ ،و كيف جنى به على العقل و العلم .

أولا ، لا يصح القول بأن العالم الأرضي – عالم الكون و الفساد — ناقص و يسعى دائما لإدراك الكمال في طلبه الأبدي له بفعل الموجودات العلوية الأزلية. فمن أين لأرسطو هذا الزعم ؟ ! و من الذي حدد للكون هذه الغاية ؟ ! . علماً بأن القول بذلك فيه تناقض مع أفكار الرجل نفسها ، لأنه بما أن العالم الأرضي أزلي بطبيعته حسب زعمه ، فمن المفروض أنه لا يختلف عن عالم الموجودات العلوية الأزلية ، و يجب أن يكون كاملا بطبيعته و أزليته ، على أساس أزلية الأنواع التي قال بها الرجل . فالعالم الأرضي إذن لا يختلف عن العالم السماوي ، فكل منهما كامل أزلي بذاته و بأنواعه ، و بذلك يكون الرجل قد ناقض نفسه .

فمن أين لأرسطو بأن العالم الأرضي يطلب ذلك الكمال المزعوم ؟ ! ، و من الذي أعلمه بذلك ؟ . واضح من مواقف الرجل السابقة، أنه لا الإله قرر ذلك،و لا أخبر به ، لأن الإله —حسب زعمه– لم يكن له دخل مباشر في ظهور الكون المتحرك،و لا كان له علم به . و لا الكون ذاته هو الذي حدد ذلك الهدف ، لأن أرسطو وصفه بأنه كان ناقصا غير قادر على الحركة،و إنما الإله هو الذي حرّكه و جعل حيواناته تتوالد أزلياً[1] . و أمام هذا التناقض الصارخ لم يبق إلا أن أرسطو هو الذي حدد تلك الغاية للكون ، فمن أين له ذلك ؟ و ما هو دليليه عليه ؟ . واضح بداهة أنه ليس لأرسطو أي دليل صحيح يُثبت به زعمه ، لأنه خاض في أمر لا يُمكنه أن يقول فيه قولا يقينيا . فتجاوز حدوده و تكلم بالظن و التخمين ، و اتخذ موقفا بناه على رغباته و تحكماته .

و بناء على ذلك فإن زعمه بأن غاية الكائنات في هذا الوجود أنها تطلب كمالها بعشق الإله . هو كلام غير ثابت و لا يُمكنه إثباته أبدا ، و يمكن معارضته بأن يُقال مثلا : لا ، إن الغاية من الكون و موجوداته هي عبادة الخالق . أو يُقال : لا ، إن الغاية من ذلك هي اللعب

[1] سبق توثيق ذلك .

و اللهو ،و الاستمتاع بملذات الدنيا . و كل ذلك مُمكن نظريا، فهو ليس بمستحيل ، و لا بواجب ، لكن الذي يُبين الاحتمال الصحيح في هذا الأمر، هو الشرع وحده . و بما أن الله تعالى قد بينا لنا ذلك في قوله سبحانه : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ }–سورة الذاريات : ٥٦–٥٨– ،و {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }– سورة الأنعام:١٦٢– ؛ فإن الاحتمال الصحيح هو أن الله تعالى خلقنا لنعبده وفق شرعه بإخلاص و حب و التزام بدينه . فأرسطو قد أخطأ في موقفه هذا خطأين : الأول أنه قال : إن الغاية من الكون هي عشق الإله ،و هذا مُخالف للشرع . و الثاني أنه أكد على صحة رأيه و بنى عليه أفكاره دون دليل صحيح من جهة ،و لا يُمكنه إثباته بيقين من جهة أخرى .

و ثانيا إنه كما أن أرسطو أخطأ في قوله بحكاية العشق، فإنه أخطأ أيضا في قوله بخلود العقل الإنساني المفارق للمادة[١] . فمن أين له ذلك ؟ إنه قرر أمرا لا يُمكن إثباته إلا بدليلي يقيني ،و لا يُمكن لأرسطو الحصول عليه. فلم يُخبره به إلهه المحرك الذي لا يتحرك،و لا أخبره به الكون الذي عشق معشوقه !! . و إن قيل : إن أرسطو هو الذي قرر ذلك . فنقول : نعم في إمكانه أن يجتهد لمحاولة معرفة مصير عقل الإنسان بعد موته ، لكن الرجل لم يفعل ذلك فقط ، و إنما قرر موقفه على أنه حقيقة من دون أي دليل صحيح من جهة ، كما أنه لا يصح عقلا الخوض في ذلك المجال الذي لا يستطيع الإنسان إدراكه و تصوّره من جهة أخرى . و هذا خطأ كبير: منهجاً و نتيجةً ، كان قد وقع في مثله سابقا ؛ فهذا الرجل مواصل على نهجه في الانطلاق من رغباته و تحكماته و بناء أفكاره عليها .

علما بأن حقيقة غاية الإنسان في الدنيا و مكانتها في فكر أرسطو هي غاية زائفة ، و من ثم فهي خرافة بعد وفاته . لأنه زعم انه بعد الموت يحدث خلود للنوع لا للأفراد . و هذا تغليط و زعم باطل ، لأنه إذا كان الأفراد لا يخلدون ،و لا وجود لكائن مُطلق آخر

[١] ربما يقول بعض الناس : إن أرسطو عندما أشار إلى خلود العقل المفارق ، كانت إشارته غامضة ،و لم يقصد به الخلود الأخروي . و هذا الرأي فيه وجاهة، لكنه ضعيف جدا لأن كلام أرسطو في خلود ذلك العقل واضح كما نقلناه من كتاب النفس ،و من كتب أخرى .و سنذكر بعضه في الفصلين الثالث و الرابع بحول الله تعالى .

اسمه الإنسان ، أو الإنسانية ، فهذا يعني أن لا يُوجد خلود للأفراد و لا للأنواع ، و إنما أرسطو يُغالط و يُسفسط ،و قد سبق أن بينا بطلان زعمه بحدوث الأفراد و أزلية الأنواع ، فلا نعيده هنا . و عليه فغاية الإنسان في هذا العالم عند أرسطو ، هي غاية عبثية جوفاء ، و تنتهي إلى عبث ،و ليست غاية حقيقية في الدنيا و بعد الممات .

و أما إذا قيل : إن أرسطو كان يقول بخلود العقل المفارق بعد الموت ، و لم يكن ينكره ،و لا شكك فيه . فنحن نقول: إن كلام أرسطو في ذلك لا يُقدم و لا يُؤخر ،و ليس بجديد، لأنه يندرج ضمن قوله بأزلية الكون ،و أبدية توالد أنواع الكائنات الحية من جهة ،و هو خلود لا دليل صحيح عليه ، و إنما هو من أوهام و تخمينات و رغبات الرجل من جهة أخرى . و هو أيضا خلود زائف و لا معنى له، لأنه لا ينتهي إلى معادٍ أخرويٍ يتحقق فيه العدل المطلق بين بني آدم . فليس من العدل و لا من الحق القول بخلود لا قصاص فيه، و ليس من العقل و لا من العدل أن يعيش الإنسان في دنياه بعقله و لحمه ، و شحمه و عظمه ثم عندما يموت يخلد عقله فقط !!. فالعقل و العدل يقولان بخلود الإنسان بكل مكوناته ليحاسب عن أعماله كلها يوم المعاد الأخروي . و هذا الذي قلناه قد نص عليه الشرع الصحيح و يُرجحه العقل الصريح ،و العلم الصحيح .

و ثالثا إن تعليل أرسطو لظاهرة اختلاف وظائف أعضاء الحيوان بالحاجة و الضرورة ، هو تعليل غير علمي ،و غير مقنع . و قد بناه على قوله بأزلية العالم و إنكار تدخل الإله في خلقه و توجيهه . لذلك وجدناه ابتدع حتمية زائفة في تفسيره للتنوع الحيواني و الوظيفي في الكون، أقامها على رغباته و تحكماته ، كما فعل في مواقفه السابقة من الإله و صفاته، و الكون و ما يتصل به . فهو هنا يُطبق خلفياته المذهبية و المنهجية المتعلقة بالإلهيات يُطبقها هنا على عالم الطبيعة الحيوانية . فهو في هذا الموضوع لا يُعلل التعليل الصحيح ، بقدر ما يفرض حتمياته التي هي في الغالب رغباته و تحكماته المذهبية . و قد جعلها تحل محل الإله ، لأن هذه الحتمية المزعومة غير قادرة على تفسير الظاهرة تفسيرا عقليا علميا صحيحة إلا إذا جعلناها إلهاً . لكن أرسطو متناقض مع نفسه في هذا الأمر ، لأنه يُنكر التدخل الإلهي في

الطبيعة تدخلا إراديا مقصودا فاعلا في الطبيعة من جهة ،و يفرض الغائية الوظيفية على الطبيعة كأنها حتمية واعية تُمارس عمل الإله من جهة أخرى!! فمن أين جاءت ؟! ، و من الذي وضعها ؟ ! . و هل لها هدف غائي حقيقي ؟.، ليس لأرسطو جواب صحيح على هذا التساؤلات .

و بناءً على ذلك فإنه لا يُمكن إيجاد تفسير صحيح لظاهرة اختلاف وظائف و أعضاء الحيوان و علاقتها بالحاجة و الضرورة من جهة ، و يكون ذلك التفسير موافقا للعقل و الشرع، و للواقع و العلم من جهة أخرى ، إلا بالقول بأن ذلك التنوع الكثير ، و المدهش ، و المعجز قد تمّ بفعل التدخل الإلهي . لأن الواقع الحقيقي الذي نشاهده من حال الكائنات الحية ، يشهد أنها تعيش في البيئة الواحدة ،و هي شديدة التنوع في باطن الأرض و ظاهرها،و في سمائها ، من طيور، و زواحف ، و خيول ، و ديدان ، و أغنام ، و نباتات ، و حشرات ،و ... إلخ . فلو كان ذلك اضطرارا بسبب طِباعها ،و حاجياتها كما زعم أرسطو، لكانت كلها مُتشابهة ، لأن وسطها الواحد يفرض عليها ذلك، و كلها قادرة على أن تعيش على نمط واحد ، و ليست في حاجة إلى ذلك التنوع في الأنواع ،و الأشكال ،و الألوان من جهة ، و لا تستطيع تلك الحتمية المزعومة أن تُحدث فيها ذلك في الأنواع و الأشكال من جهة أخرى . و كان يكفيها أن تكون نوعا واحدا على غرار النوع الواحد كالأغنام مثلا . و بما أنها ليست كذلك فهذا دليل قطعي دامغ على أن هذا التنوع ليس سببه الكائنات نفسها ،و لا الظروف الطبيعية المحيطة بها ، و لا توجد أية حتميات طبيعية فعلت ذلك ، لأن الكل مخلوق محكوم بخلقته التي جبله الله تعالى عليها.

و عليه فإنه لا يُمكن أن يُوجد ذلك التنوع الحيواني المشاهد ، إلا بفعل كائن مُختار مريد قادر يفعل ما يشاء و يختار ، و هو الله سبحانه و تعالى . و بدون هذا التفسير الموضوعي الصحيح ، لا يُمكن تعليل تلك الظاهرة تعليلا صحيحا يكون موافقا للشرع الصحيح، و العقل الصريح، و العلم الصحيح . و من يرفض هذا التفسير ، فإنه لن يستطيع الاعتراض عليه،و لا يُمكنه رفضه بالدليل الصحيح، و إنما إذا فعل ذلك ، فإنه سيعترض عليه و يرفضه

بأهوائه و ظنونه ، و مزاعمه و حتمياته الزائفة، و تفسيراته الخرافية . و هذا مسلك أهل الأهواء ،و ليس هو من مسلك أهل العلم المخلصين الراسخين في العلم ، و لا هو من الموضوعية و لا من العلم في شيء .

و رابعا إن مثال أرسطو المتعلق باليدين ،و زعمه بأن الطباع هو الذي هيأ للإنسان ذلك دون غيره من الحيوان ، فهو تفسير غير صحيح بتلك الطريقة . لأنه لا يستطيع أن يُجيب جوابا صحيحا عن : لماذا خُص الإنسان بذلك دون غيره من الكائنات الأخرى ؟ . و من هذا الطِباع الذي فعل ذلك ، فهل هو خالق أو مخلوق ؟ ، و لماذا فعل ذلك في حق الإنسان ؟ ، ،و لماذا اختلف طِباع الإنسان عن طِباع الكائنات الأخرى ؟ ، و ... إلخ . فواضح من ذلك أن قول أرسطو بالطباع هو نوع من الهروب، و الإحالة على مجهول أيضا .

و أما رده على قول أنكساغورس ، فهو أيضا تفسير ضعيف و لا يصح أيضا . فليست اليدان هما اللتان جعلتا الإنسان أعقل و أحكم من جميع الحيوانات ،ولا أن عقله و حكمته جعلا له يديّن . فتفسيرهما غير صحيح ، لأنه لا يصح النظر إلى الإنسان بهذه النظرة الجزئية، فهو مخلوق كامل في خلقته ككائن ناقص ،كحال باقي المخلوقات . لأن كل مخلوق هو كامل في خلقته ، و يُؤدي دورة حياته بتمام و كمال حسب طبعه . و عليه فلا إنسان بلا عقل ،و لا إنسان بلا يدين ،و لا عقله هو الذي أوجد يديه، و لا يداه هما اللتان أوجدتا عقله . فالإنسان كائن مخلوق مُستقل بذاته كغيره من كائنات هذا العالم المحدث المخلوق .

و ليست الحكمة العالية جدا في الإنسان هي التي أوجدت له يدين ، فهذا تعليل لا يصح ، لأن وجود اليدين في الإنسان هما صفة كمال و نقص معا، ،و ليستا صفة كمال فقط . فالإنسان لما كان محتاجا إلى اليدين خلقهما الله تعالى له . و لا شك أن الإنسان لو كان يستطيع أن يلبي حاجياته دون يدين لكان ذلك بالنسبة إليه أحسن و أكمل ، لكن الله تعالى لم يُرد له ذلك ليجعله يحس بأنه مهما تميز عن الحيوان بصفات ممتازة انفرد بها ، فهو يبقى – مع ذلك– مخلوقا ناقصا .

و عليه فليست حكمة الإنسان العالية هي التي أوجدت له يديه كما زعم أرسطو، لأنه لو كانت هي التي أوجدتهما لكان من الأحكم و الأحسن و الأنفع للإنسان أن لا تجعل له يدين مُطلقا، و تجعله قادرا على تلبية كل ما يريده دون يدين ، كأن تجعله يحقق أغراضه بالأمر فقط من دون أن يتحرك من مكانه . و بما أن هذا لم يحدث فدلّ على أن تفسير الرجلين غير صحيح . و أنه ليس صحيحا أن الوظيفة هي التي توجد العضو و تعدمه، و إنما الصحيح هو أنه لا الوظيفة توجد العضو ، و لا العضو يُوجد الوظيفة ،و لا أحدهما يعدم الآخر . و إنما الكائن مخلوق لله بكامله، و لم يكن للمخلوق في خلقه رأي و لا دور ، و لا خُلق ناقصا في خِلقته حتى يظهر له عضو ، و لا خُلق بأعضاء زائدة عن خلقه حتى تندثر . و قولنا هذا يشهد على صحته الشرع و الواقع معا .

فأما شرعا فالله تعالى ذكر مرارا أنه سبحانه خلق كل شيء بإتقان و حكمة ،و قدره تقديرا مُحكما ، كقوله سبحانه : {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً }- سورة الفرقان:٢- ،و {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ }- سورة السجدة:٧- ، و { صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ }- سورة النمل:٨٨- ، و {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ }- سورة الملك:٣- .

و أما واقعا ، فالذي لا شك فيه أن الطبيعة التي نراها — و نحن جزء منها- تشهد على أن كل أنواع المخلوقات — مع أنها مخلوقة ناقصة- إلا أنها كاملة في خلقتها . وأن كلا منها يحيا حياته طبيعيا ،و يُؤدي دورة حياته كاملة تتفق مع خلقته و طبعه . و لا يحتاج أي نوع منها إلى اكتساب عضو ،و لا إلى فقدانه . و كل كائن لن يستطيع أن يخرج عن طبعه و وظيفته . فإذا أخذنا حيوانا بريا- ليس من طبعه العيش في الماء- و رميناه في البحر مثلا ، فإنه سيموت لا محالة ،و إذا رمينا فأرا إلى الأعلى فإنه لن يتكون له جناحان لكي يطير، و إذا قطعنا للطائر جناحيه، ثم قذفناه إلى الأعلى فإنه سيسقط و لن يظهر له جناحان ليطير ،

و... . فكل كائن خُلق كاملا في خلقته لا يحتاج زيادة و لا نقصانا ، و يُؤدي دورة حياته بتمام ، و بذلك تسقط مزاعم أرسطو ،و أمثاله من التطوريين المحْدَثين.

و أما ربطه بين حاجة الحيوان إلى الولادة و الجماع ، فإن الحقيقة ليست كذلك ، لأن الحاجة إلى الولادة ليست هي التي أوجدت الجماع بعضوي الذكر و الأنثى بالضرورة . و لا التوالد يتوقف على تلك الطريقة فقط . و إنما الصحيح هو أن ذلك الجماع هو وسيلة من وسائل التوالد التي خلقها الله تعالى في الكائنات الحية ، و يُمكن تحقيق الغرض بدونه . و قد ثبت علميا أنه توجد كائنات حية تتوالد بدون جماع ، فتلقي الإناث بيضها في الخارج، فتأتي الذكور و تضع عليه النُطاف فيتلقح ، أو أن يلقي الذكر النُطاف في الماء ، فيدخل بواسطته إلى جسم الأنثى و يحدث التلقيح . و أخرى لا تتكاثر جنسيا ، و إنما عن طريق الانقسام الخلوي[1] . فالحقيقة إذن ليست كما قال أرسطو ، و إنما هي أن الله تعالى كما أنه أكثر من أنواع المخلوقات ، فإنه سبحانه عدد من طرق تكاثرها ، و لم يجعلها تتكاثر كلها بالجماع المعروف .

و أخيرا- خامسا – إنه كما سبق أن بينا أن أرسطو كان متناقضا مع نفسه في مواقف كثيرة من إلهياته، فهو هنا قد ناقض نفسه أيضا و لم يستطع التخلص من تناقضاته التي أصبحت من أساسيات فكره في الإلهيات . من ذلك إنه زعم أن العالم الأرضي أزلي و كائناته الحية أزلية بأنواعها ، فهي أبدية بلا بداية و لا نهاية . و هذا يعني أنها كاملة في خلقتها و لن تتغير ؛ لكنه ينقض ذلك و يعود و يزعم بأن العالم الأرضي ناقص يطلب الكمال بعشقه للعالم السماوي !! .

و المثال الثاني مفاده هو أن أرسطو كان قد قال بأن الإله لم يخلق العالم،و لا هو الذي حرّكه عن قصد و إرادة و اختيار، و لا كان له علم به، و لا كان الكون قادرا على الحركة ، ثم يأتي و يقول : إن للكون غاية يسعى إلى تحقيقها . و هذا تناقض صارخ ، فمن الذي

---

[1] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : التكاثر ، و الأسفنج ، و الأسماك .

جعل له تلك الغاية ؟؟!! . فإن قيل : الإله هو الذي جعل ذلك . فهذا لا يصح، لأنه يتناقض مع ما ذكرناه عنه . و إن قيل : الكون هو الذي جعل الغاية لنفسه . فهذا لا يصح و لا يتفق مع موقف أرسطو من الكون . فالكون كان ناقصا ليس مُتحركا حسب زعم أرسطو، فكيف يضع الغاية لنفسه، ؟؟!! . و إذا قيل : كان الكون حيا عاشقا، لذا جعل غاية لنفسه . فهذا يعني أنه كان حيا واعيا ، مريدا قادرا[1] ، و لم يكن في حاجة إلى إله أرسطو ليُحركه . و هذا لا ينسجم مع إلهيات أرسطو و يُهدمها من أساسها ، لأنها تقوم على أن المحرك الذي لا يتحرك هو الذي حرّك العالم الذي لا يتحرك ، لكن الاحتمال الثاني الذي ذكرناه يُخالف ذلك، و يُناقض قول أرسطو و يُهدمه بالضرورة . و إذا قيل : إن أرسطو هو الذي وضعها للكون . فهذا صحيح بأنه هو الذي اختلقها، لكن لا يصح و لا يحق له فعل ذلك ، و قد سبق أن ناقشناه فيه . فواضح من ذلك إذن أن الغاية التي ذكرها أرسطو تتناقض مع إلهياته ، و لا يُمكن رفع ذلك التناقض إلا بهدم إلهيات الرجل .

و المثال الثالث من تناقضاته مضمونه أن أرسطو قال بأزلية الكون و أبديته، فلا بداية و لا نهاية له ، ثم قال: إن للكون بكل كائناته غاية يسعى إلى تحقيقها . و كلامه هذا فيه تناقض و لا يستقيم ، لأنه إذا كان في مقدور الكون تحقيق غايته ، فهذا يعني أنه عندما يُحققها سيتوقف عن الحركة ، لأن غايته هذه هي التي تحركه، و هذا يتناقض مع قول أرسطو بأزلية العالم و أبديته . و إذا لم يكن في مقدوره تحقيقها ، فهذا نقض لمبدأ الغائية لأنها لن تتحقق ،و لا فائدة منها ، و القول بها عبث و ضحك على الناس من جهة ،و لا فائدة للكون و موجوداته من السعي وراء غاية لا يُمكن تحقيقها من جهة أخرى .

و المثال الأخير – الرابع من تناقضاته – مضمونه أن أرسطو أشار مرارا في كتبه إلى أن الطبيعة لا تفعل شيئا باطلا، و عملها قائم على الوظيفية و الغائية . و هذا صحيح لا شك فيه ، لكن الرجل ناقض نفسه عندما لم يجعل للكون نهاية يكون فيها المعاد الأخروي غاية نهائية كبرى . لأن وجوده مطلوب و ضروري إنسانيا و أخلاقيا ،و عدم وجوده هو نقص و عبث في الطبيعة . لأنه من الثابت تاريخا و واقعا أن حياة الإنسان مملوءة بالفساد و الظلم و

---

[1] هذا مجرد احتمال فرضناه جدلا ،و إلا فإن الحقيقة هي أن الكون حادث مخلوق ،و من ثم لا يُمكنه أن يضع لنفسه غاية،و لا قانونا ،و لا أي أمر آخر .

الجرائم ،و أن مئات الملايين من البشر قتلوا ظلما و عدوانا و لم يُقتص لهم،و أن آخرين أُخذت حقوقهم ، فماتوا و لم يسترجعوها ،و آلاف من كبار ظلمة طغاة العالم ماتوا و لم يُقتص منهم . فمن الضروري- أخلاقيا و إنسانيا- أن يُوجد المعاد الأخروي ليتحقق فيه العدل المطلق بين كل الناس ،و عدم وجوده هو ظلم و عدوان ، و إهمال و عبث . لكن أرسطو لم يقل بالمعاد الأخروي ، و نقض موقفه بأن الطبيعة لا تفعل شيئا باطلا و لا عبثا . فعدم وجوده هو نقض لتلك الغائية من جهة ، و هي غائية عبثية ظالمة مهملة للعدالة و حقوق الناس من جهة أخرى .

و ختاما لهذا المبحث يتبين أن موقف أرسطو من الغاية و الوظيفية في الكون هو موقف يتناقض مع أصول إلهياته،و غير صحيح في معظمه ، و مُخالف للشرع الصحيح ،و العقل الصريح و العلم الصحيح . و غايته هي غاية عبثية جوفاء، لا يترتب عنها شيء حقيقي هام مصيري في حياة الإنسان ، فلا يتحقق بها عدل ،و لا يرتفع بها ظلم في النهاية ، لأنها بلا نهاية ، أقامها صاحبها على إلهيات دهرية عمياء : مصدراً و مصيراً .

و اتضح أيضا أن نظرته للغائية الوظيفية في الكون لا تختلف في النهاية عن النظرة الآلية للطبيعة التي انتقدها . فهي نظرة أزلية آلية حتمية لا بداية لا و لا نهاية . و قد جعل غاية الإنسان و الحيوان سواء ، فهي في النهاية أزلية أبدية ، فلا معاد و لا حساب ينتظره ، و كلاهما تأكله خرافة دهرية الأنواع و هلاك الأفراد التي قال به أرسطو. فجنى بذلك على نفسه و أتباعه،و ساهم في إفساد الفكر و السلوك معا .

خامسا: مصادر إلهيات أرسطو :

هل نجد لإلهيات أرسطو(ت ٣٢٢ ق م) مصادر و أصولا في التراث الفكري المعاصر لأرسطو و السابق له ، أم لا نجد لها ذلك ، لأنها من نتاج فكر أرسطو وحده فقط ؟ . و هل كان أرسطو يذكر مصادره المتعلقة بالإلهيات ؟ ،وإذا كان استفاد من فكر غيره في الإلهيات ، ففيما تمثل ذلك،و إلى أي حد بلغ ؟ . هذا التساؤلات و غيرها ستتضح أجوبتها فيما يأتي من مبحثنا هذا .

ففيما يتعلق بقول أرسطو بالمحرك الذي حرك العالم ،و قوله بتعدد الآلهة و ألوهية الأجرام السماوية ، فإن أقواما ،و بعض الفلاسفة المتقدمين قد سبقوه إلى القول بنفس قوله ، أو بما يقاربه جدا . منهم : أكسينوفانس (ق: ٥ ق م) قال بأن الإله حرّك العالم من دون أن يتحرك[١] . و قال أفلاطون (ت ٣٤٧ ق م) : إن الإله هو المحرك الذي حرك الحركة الدائرية للعالم[٢] .

و اعتقد السومريون بتعدد الآلهة ، و زعموا أنها تسكن في الكواكب و النجوم[٣] . و قال البابليون بتعدد الآلهة، و قد سجلت ذلك ملحمة جلجامش البابلية (ما بين: ١٩٥٠- ١٥٥٠ ق م) نصت على تعدد الآلهة،و عبادتها ،و خدمتها، من دون ذكر للمعاد الأخروي ، و هذا فيه تشابه كبير مع إلهيات أرسطو و قومه عامة فيما يتعلق بتعدد الآلهة و عدم القول بالمعاد الأخروي[٤] .

و أَلّـهَ قدماء المصريين كثيرا من مظاهر الطبيعة ،و عبدوها ، منها عبادة السماء، و الشمس ، و القمر ،و غيرها من الأجرام السماوية[٥] . و ألّه الكلدانيون[٦] الأجرام السماوية ،و عنهم أخذه اليونان و العرب[٧] . و قد أشار أرسطو نفسه إلى أن الكلدانيين قالوا بألوهية الكواكب[٨] .

و نفس الأمر ينطبق على اليونانيين فاعتقدوا أن كل ما هو سماوي، فهو إلهي ، و قد ورد في ملحمة أسطورية يُونانية – تعود إلى القرنين : ٨، و ٧ قبل الميلاد- ، ورد فيها ذكر

---

[١] ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٣٣ . حسين حرب : الفكر اليوناني قبل أفلاطون ، ص: ٦٣، ٦٤ .
[٢] يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٧ .
[٣] خزعل الماجدي : متون سومر ، ط١ ، الدار الأهلية ، الأردن ، ١٩٩٨ ، ص: ٢٠ .
[٤] مصطفى النشار : المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، ط١ ، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٧ ، ص: ١٢٠، ١٢٥ .
[٥] أحمد علي عجيبة : دراسات في الأديان الوثنية القديمة ، ط ١ ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص: ٩٥ .
[٦] هم قوم ساميون عاشوا في بابل بالعراق ، في الفترة ما بين القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، إلى ٨٧٥ قبل الميلاد ،و كانت لهم هناك حضارة معروفة . الموسوعة العربية العالمية ، مادة : كلدانيا .
[٧] ماجد فخري: أرسطو ، هامش ص : ٥٥ .
[٨] ابن رشد : تفسير ما وراء الطبيعة ، ج ٣ ص: ٣٥٦، ٣٥٧ .

لتعدد الآلهة، و أنها أزلية كلها ، أروعها الإله البديع أيروس[1] . و ألّهوا مختلف مظاهر الطبيعة العلوية السفلية و عبدوها ،كالسماء ، و الأرض[2] . و عندما قال أرسطو بألوهية العقول المفارقة أشاد بأجداده اليونانيين الذين قالوا بأُلوهية الأجرام السماوية[3] .

و من فلاسفة اليونان الذين قالوا بذلك : الطبيب اليوناني ألقمايون (ق: ٥ ق م)، فقد قال بألوهية الأجرام السماوية[4] . و قال فيثاغورث (ق:٦ ق م) بأن الأجرام السماوية كلها آلهة . و قال بتعددها أيضا أكسينوفانس (ق: ٥ ق م)[5] . و قال أفلاطون بتعدد الآلهة، منها آلهة علوية، و أخرى متوسطة ،و أخرى سفلية[6] .

و فيما يتعلق بالجواهر المفارقة التي قال بها أرسطو ، فهي نفسها العقول الأزلية الإلهية ،و هي ذاتها الآلهة التي أشرنا إليها أعلاه ، و قد أكد ذلك ابن رشد الحفيد [7] . و قد قال بها أفلاطون في زعمه بأن الإله عندما صنع العالم جعل في كل كوكب من الكواكب نفسا تحركه و تديره، و هي نفوس إلهية عاقلة خالدة [8] .

و أما بالنسبة لقول أرسطو بأزلية العالم و العناصر المكونة له، و الحركة المحركة له، و ،و إنكار الخلق من عدم ؛ فقد سبقته إلى القول بذلك طائفة من فلاسفة اليونان . فقال طاليس بأن العالم أزلي لا أول له و لا آخر ،و أنه على حاله دون تغيير في جميع أزمنته[9] . و و قال بذلك أيضا أنكسيمندرس ق: ٦ ق م) ،و أنكسيمنيس (ق: ق ٦ ق م) ،و هرقليطس (ق: ٥ ق م) ، و الفيثاغوري فيلولاس الكروتوني –كان معاصرا لأفلاطون– ، و بارمانيدس (ق: ٥ ق م) ، و أمبادوقليس(ق: ٥ ق م) ، و أكسينوفانس (ق: ٥ ق م)

---

[1] بريو سينكين : أسرار الفيزياء الفلكية و الميثولوجيا القديمة ، ترجمة حسان ميخائل إسحاق ، ط ١ ، دار علاء الدين ، دمشق ، ٢٠٠٦ ، ص: ٨٤ . دحام إسماعيل العاني : موجز تاريخ العلم ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم التقنية ، الرياض ، ٢٠٠٢ ، ج ١ ص: ١٠٥ .

[2] أحمد علي عجيبة : دراسات في الأديان الوثنية القديمة ، ص: ١٤٩، ١٥٠ .

[3] ماجد فخري: أرسطو ، ص: ١٠٠ .

[4] أرسطو : كتاب النفس ، ص: ١٥ .

[5] ديوجين لا يرتيوس : المصدر السابق ، ص: ٦٧ . و ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٢٦ ، ٩٦ . حسين حرب : الفكر اليوناني قبل أفلاطون ، ص: ٥١ .

[6] ديوجين لايرتيوس : نفس المصدر، ص: ١٠١ . و ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٨٦ ، ٨٩ . علي علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي ، ج ٢ ص: ٢٤٠ .

[7] في كتابه : تفسير ما وراء الطبيعة ، ج ٣ ص: ٣٥٨ .

[8] يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١٠٥ .

[9] ديوجين لايرتيوس: مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ، ص: ٥ .

[١] . و قال أنكسمينيس (ق: ٦ ق م) ، و أنكسيماندرس (ق: ٦ ق م): أن الحركة المحركة للعالم و المسيرة له ، هي حركة أزلية[٢] .

و عن الخلق من عدم ، فقد أنكر فلاسفة اليونان القول بالخلق من عدم ، منهم : لوقسيس ،و تلميذه ديموقريطس ،و أفلاطون، و أمبادوقليس ، فكانوا يرون استحالة حدوث ذلك الخلق[٣] . و نحن قد ذكرنا مبررهم عندما ناقشنا أرسطو في قوله بذلك،و بينا خطأه فيه .

و قال بالعناصر الأربعة المكونة للعالم (النار ، و الهواء ، و الماء ، و التراب) طائفة من فلاسفة اليونان- قبل أرسطو- ، منهم : فيثاغورث ، و أمبادوقليس (ق : ٥ ق م) [٤] ، الذي قال أيضا بالعنصر الخامس الذي هو الأثير، و قد سماه الأثير الإلهي ،و قد حكاه عنه أرسطو في كتاب النفس[٥] ، و أشار إلى أنه هو أول من تحدث عن العناصر الأربعة[٦]. و منهم منهم أيضا : أفلاطون[٧] ، و أكسينوفانس الذي كان يقول بعنصرين فقط ، هما: التراب و الماء[٨] .

و أُشير هنا إلى الصينيين القدماء قالوا بالعناصر الأربعة ،و أضافوا إليها عنصرا خامسا هو الخشب . ، الذي يتفاعل مع العناصر الأخرى على أساس التضاد الموجود بينها [٩] .

---

[١] حسين حرب: الفكر اليوناني قبل أفلاطون ، ط١ ، دار الفكر اللبناني، بيروت ، ١٩٩٠ ، ١٦ ، ١٧ ، ٤٠، ٤١ ، ٦٣، ٦٤ ، ٧١ ، ٧٢ . و ماجد فخري تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٢٩ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٤ . و إميل برهيية : تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة جورج طرابيشي ، ط ٢ ، دار الطليعة ، بيروت، ١٩٨٧ ، ج ١ ص: ٦٢ . و يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية، ص: ١٦ ، ١٧ .

[٢] يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١٦ ، ١٧ ، ٦٢ .

[٣] ديوجين لايرتيوس : المختصر ، ص: ٨١، ١٠١ . و مصطفى النشار : تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، ج ٢ ص: ٢٢٧ . و ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٤٤ .

[٤] ديوجين لايرتيوس: المصدر السابق ، ص: ٦٧ ، ٨٥ . و يوسف كرم : نفس المرجع ، ص: ٧٤، ١٠٤ . و حسين حرب : نفس المرجع، ص: ٥١ ، ٧١ ، ٧٢ . و ماجد فخري: نفس المرجع، ص: ٤٤

[٥] ص: ١٢.

[٦] أرسطو : مقالة الألفا ، ملحقة بكتاب الميتافيزيقا لإمام عبد الفتاح إمام ، ص: ٢٦٧ .

[٧] ديف روبنسون : أقدم لك أفلاطو، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١ ، ص: ص: ١٤٧ . مصطفى النشار : تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠، ج ٢ ص: ٢٢٦، ٢٢٧ .

[٨] ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص: ٣٢ .

[٩] كمال المويل : صفحات من تاريخ الطب، يوجد البحث على الشبكة المعلوماتية ، ص: ٢٤ ، ٢٥ .

و الذين قالوا بتلك العناصر – قبل أرسطو – أشاروا إلى أنها تتفاعل فيما بينها على أساس التضاد الموجود بينها، و بذلك تظهر الموجودات و تختفي على أساس ذلك التفاعل . و قد أشار إليه الصينيون ،و أمبادوقليس، و أنكسامندرس[1] ،و غيرهم .

و فيما يخص المادة الأولى المكونة للعالم التي قال بها أرسطو ،و المعروفة باسم الهيولى ، فقد قال بها أنكسيماندرس (ق: ٦ ق م) قبله ، و زعم أنها مادة الكون الأولى أزلية لا نهائية ،و لا متعينة كيفا ،و لا محددة كماً ،و هي مادة بلا صفات ، و هي هلامية قابلة للتكون و التشكل حسب الأنواع لأن الفرق بينها هو فرق كيفي ،و لو كانت مُحددة لكانت ((أُستنفدت منذ فترة طويلة في خلق العوالم المتعددة و فنائها))[2] .

تلك هي أهم أصول إلهيات أرسطو ، و مقارنتها بإلهيات الذين سبقوه من فلاسفة اليونان و غيرهم[3] . فماذا يتبين منها ؟ . واضح منها أولا أن إلهيات أرسطو ليست جديدة عن أهل العلم في زمانه ، فهي لا تختلف – في الغالب– عن إلهيات السابقين له في أصولها وكثير من جزئياتها من جهة ، و هي من جهة أخرى قريبة جدا من إلهيات شيخه أفلاطون ، فيما يخص العناصر الأربعة ، و تعدد الآلهة ،و الحركة .

و ثانيا ما سبب هذا التشابه الكبير بين إلهيات أرسطو و السابقين له ؟ . فهل نقلها عنهم حرفيا بحكم أنه كان واسع الإطلاع على تراث السابقين له، و قد أشار إلى ذلك في بعض كتبه ؟ . أو أنه نقل ذلك عنهم عن وعي و فهم و اجتهاد ، من دون تبعية و تقليد لهم ؟ . أو أنه نقل عنهم جانبا من إلهياته مُتابعة لهم و تأثرا بهم ، و وافقهم على جانب آخر اجتهادا و اختيارا ،و توافق معهم في جانب آخر من إلهياته على أساس تطابق الأفكار

---

[1] نفسه ، ص: ٢٤ ، ٢٥ . و ماجد فخري : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٤٤ . و حسين حرب : الفكر اليوناني قبل أفلاطون ، ص: ٤٠ ، ٤١ .

[2] وولتر ستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص: ص: ٣٣ .

[3] تلك الأصول سبقت مناقشتها فلا نعيدها هنا .

، لا على أساس الانطلاق من أفكارهم في الإلهيات ؟ . و الراجح عندي أن أرسطو جمع بين كل ذلك ، فتابع ، و قلّد ،و اجتهد .

و ثالثا إن أرسطو — في أخذه بإلهيات السابقين له — لم يكن مُصيبا في ذلك، لأنه سبق أن بينا بطلان معظم ما قاله في إلهياته . و هذا يعني أنه لم يكن في المستوى المطلوب من النقد و التمحيص : منهجا و لا تطبيقا . فلم يتمكن– في الغالب– من تمييز صحيح إلهياته من سقيمها ، حتى انه أقامها على التناقضات ، و الرغبات ، و التحكمات ، و لم يُقمها على العقل الصريح،و العلم الصحيح ، و هذا أمر سبق أن بيناه .

و قبل ختام هذا الفصل أذكر هنا مواقف هادفة لبعض أهل العلم من إلهيات أرسطو . أذكرها تتميماً ، و إثراءً ، و تأكيدا لانتقادات و آراء أوردناها سابقاً ، و سأذكر–بحول الله تعالى– منها سبعة مواقف . أولها موقف أبي الريحان البيروني (ت ٤٤٠ هجرية) فإنه يرى أن طريقة أرسطو في قوله بأزلية العالم هي طريقة تمويهية ،و أنه في ذلك هو مُزخرف لكفرياته ،و مُتبع لهواه . ثم توسع في الرد عليه[1] .

و الموقف الثاني للشيخ تقي الدين بن تيمية (ق: ٨ الهجري) يرى أن أصحاب المنطق الصوري– منهم أرسطو – هم من أجهل الناس برب العالمين. و ذكر أيضا أن أرسطو و أتباعه في الإلهيات هم ((أجهل من اليهود و النصارى بكثير كثير)) ،و أن أكثر كلام أرسطو في ذلك خطأ. و هم ((جهال بالعلم الإلهي إلى الغاية ، ليس عندهم منه إلا قليل كثير الخطأ)) . و أشار إلى أن أرسطو ((أكثر ما بنى الأمور الإلهية على مقدمات سُفسطائية في غاية الفساد)) [2] . و من ذلك أيضا أنه وصف أقوال أرسطو و أصحابه في الله و صفاته و أفعاله بأنها أقوال لا يقولها ((إلا من هو من أجهل الناس و أضلهم ،و أشبههم بالبهائم من الحيوان)) [3] .

[1] عبد الكريم اليافي : حوار البيروني و ابن سينا ، ط١ ، دار الفكر، سوريا ، ٢٠٠٢ ، ص: ٣٧ .
[2] ابن تيمية: الرد على المنطقيين ، ص: ١٤٣ ، ٢٢٢ ، ٢٣٤ ، ٢٧٨ ، ٣٩٥ .
[3] ابن تيمية : درء التعارض ، ج ٢ ص: ٣٥٥ .

و الموقف الثالث للمحقق ابن قيم الجوزية ، إنه يرى أن كلام أرسطو في الإلهيات كله خطأ من أوله إلى آخره ، و قد جاء بما يسخر منه العقلاء ، فادعى أن الله كان يُلحقه التعب و الكلال من تصوّره للمعلومات ،و أنكر أن يكون الله يعلم شيئا من الموجودات[1] .

و الموقف الرابع للباحث محمد علي أبي ريان ، إنه يرى أن إلهيات أرسطو متناقضة في تصوّرها لله تعالى ، فهي تصفه بأنه عاطل عن الفعل ، فلا خلق و لا قدرة و لا اختيار و لا عناية ، خاضع للضرورة اللولبية . ثم هي من جهة أخرى تصفه بأنه معشوق ، و له الكمال المطلق و الغبطة الإلهية و التأمل الإلهي . فمذهبه هذا هو حفظ للوجود بمعزل عن الله ، حاول الربط بينهما بطريقة تعسفية ، ثم ((تعود لتضفي على الوجود الإلهي أسمى الصفات و أشرفها، دون أن يكون لهذه الصفات أدنى تأثير في المخطط الوجودي ، فتكون هذه الصفات مجرد ألفاظ لا مدلول لها))[2] .

والموقف الخامس للكاتب ول ديورانت ، إنه علّق على موقف أرسطو من الإله و صفاته ، بقوله ((يا له من إله فقير ، هذا الإله الذي يعتقده أرسطو ، إنه مَلِك لا يفعل شيئا ، مَلِك بالاسم لا بالفعل . و لا غرابة في أن يُحب البريطانيون أرسطو ، لأن إلهه صورة طبق الأصل من ملكهم ، أو صورة عن أرسطو نفسه))[3] .

و الموقف السادس للباحث الإنجليزي برتراند راسل : يرى أن إله أرسطو هو إله ((فلسفي لا لون له ،و ما هو إلا مُلحق من ملاحق نظريته في السببية))[4] .

و الموقف الأخير –السابع – للباحث ماجد فخري: ذكر أن أرسطو عندما قال بالمحرك الذي لا يتحرك ، فإنه لم يتحرر من الاعتقاد بألوهية الكواكب كل التحرر[5] .

---

[1] ابن قيم الجوزية : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ج ٢ ص: ٢٥٩ .
[2] محمد علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي ، ج ٢ ، ص: ٢٠٨ .
[3] قصة الفلسفة ، ط ٦ ، مكتبة المعارف، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص : ١١٤ .
[4] برتراند راسل : حكمة الغرب ، سلسلة المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون ، الكويت ، رقم : ٦٢ ، ١٩٨٣ ، ج ١ ، ص: ١٤٠ .
[5] ماجد فخري : أرسطو ، هامش ص: ٥٥ .

و تعليقا على ذلك أقول : إن أقوال هؤلاء تتضمن انتقادات صحيحة لإلهيات أرسطو، و بعضها كان يشمل إلهياته عامة، و بعضها الآخر ركز على جزء من جزئياتها ،و بعضها كان انتقادا قويا لاذعا هادما لكل أو معظم إلهياته . لكن ملاحظة الباحث ماجد فخري لا أوافقه عليها ،و لا تصح أيضا ، لأن التوحيد الذي قال به أرسطو ، ليس توحيدا جديدا، و لا حقيقيا ، لأن قوله قال به غيره ، من اليونان و غيرهم . و يعني وجود إله أول هو أكبر الآلهة ، و معه آلهة أخرى كثيرة تساعده في الخلق،و هذا قاله أرسطو ،و أفلاطون ،و أكسينوفانس ، و غيرهم من الفلاسفة[1] . فالتوحيد الذي قال به هؤلاء ، ليس هو التوحيد الحقيقي الذي جاء به الوحي الصحيح، الذي يعني الأحدية و الصمدية ، و عدم الشرك بالله ، كما في قوله سبحانه قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَد }-سورة الإخلاص : ١-٤ - . فتوحيد هؤلاء ليس توحيدا حقيقيا ،و إنما هو توحيد ناقص و زائف يقوم على تعدد في القول بالألوهية ، مبني على الترتيب و الأولوية في درجة الألوهية . و هذا القول موجود الديانات الشركية ، التي تؤمن بوجود كبير الآلهة ،و معه آلهة أخرى تساعده ، كما هو حال العرب قبل الإسلام و غيرهم الشعوب . و قد سجل القرآن الكريم ذلك في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : (({ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ } سورة الزمر:٣- ، و { أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ }سورة الأنعام:١٩- .

علما بأن أرسطو عندما قال بذلك لم يكن يسعى إلى التحرر من القول بتعدد الآلهة ، لأن القول به هو جزء أساسي من إلهياته ،و قد نص أرسطو صراحة على أنها هي التي تحرك الأجرام السماوية ، و قدّر عددها بأكثر من ٤٧ إلهاً[2] . و لهذا وجدناه يُشيد بأجداده اليونان الذين قالوا بأُلوهية الأجرام السماوية[3] .

[1] سبق توثيق ذلك، و أنظر أيضا : ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية ، ٣٣ .
[2] سبق توثيق ذلك .
[3] سبق توثيق ذلك .

و إنهاءً لهذا الفصل يُستنتج منه أن إلهيات أرسطو باطلة في معظمها منهجا و تطبيقا . و لا تقوم على بديهيات العقل ،و لا على المقدمات اليقينية ، يصدق ذلك على موقفه من الله وصفاته، و على القول بأزلية الكون و ما ترتب عنه . و قد تضمنت تلك النماذج من إلهياته أكثر من ٦٨ خطأً و انحرافا منهجيا ، و هي عينات من باب التمثيل لا الحصر . و سبب ذلك هو أنه لم يُقمها على العقل الصريح و لا على العلم الصحيح، و إنما أقامها أساسا على رغباته و ظنونه و تحكماته ، فأوقعته في تناقضات كثيرة ، و نتائج خاطئة جنى بها على نفسه و أتباعه ،و على العقل و العلم معاً . و قد ذكرناها مُفصلة فيما تقدم من مباحث هذا الفصل.

و أتضح أيضا أن معظم ما قاله أرسطو حول الإله و صفاته غير صحيح مما دلّ على أن هذا الرجل كان جاهلا بالله جهلا كبير ، حتى أنه زعم أن الإله لا يعلم إلا ذاته، و لا علم له بغيره ، و لو عَلِم بها لأصابه التعب ، و أن معه آلهة تساعده في الخلق قَدّرها بأكثر من ٤٧ إلهاً . و هذا بلا شك تفكير خرافي يهدم العقل و يُفسد الفطرة ، فأوصله ذلك إلى الاعتقاد بخرافات سماها العقول و الجواهر ، و ما هي بعقول و لا جواهر ،و إنما هي خرافات و أباطيل و سفسطات ، ضحك بها أرسطو على نفسه ،و على أتباعه .

و من ذلك أيضاً أنه تبين أن إلهيات أرسطو هي إلهيات دهرية صابئية شركية ، و ليس لها غاية حقيقية هادفة ،و إنما لها غاية عبثية جوفاء عمياء . و ذلك بسبب قوله بأزلية العالم ،و تعدد الآلهة ،و عدم القول المعاد الأخروي .

الفصل الثاني
مظاهر جناية أرسطو على العقل و العلم
في علم وظائف الأعضاء

أولا : من أخطاء أرسطو المتعلقة بالإنسان و الحيوان

ثانيا : حقيقة موقف أرسطو من المنهج التجريبي .

مظاهر جناية أرسطو على العقل و العلم
في علم وظائف الأعضاء

توسع أرسطو في علم وظائف الأعضاء عند الإنسان و الحيوان ، ضمن كتاباته في علوم الطبيعة ، كعلمي الفلك و الجغرافيا . فوقع في أخطاء كثيرة جدا ، بعضها يتعلق بالحقائق العلمية ، و بعضها الآخر يتصل بالانحرافات المنهجية المتعلقة بأبجديات و شروط منطق البحث و الاستدلال في مجال علوم الطبيعة: التزاماً و ممارسة و نتيجة .

أولا : من أخطاء أرسطو المتعلقة بالإنسان و الحيوان:

نُخصص هذا المبحث لأخطاء أرسطو و انحرافاته المنهجية المتعلقة بالإنسان و الحيوان من جهة علم وظائف الأعضاء و ما يتصل به . و سنذكر منها نماذج كثيرة جدا ، و سنوردها في ثماني مجموعات ، بحول الله تعالى .

الأولى تتعلق بالمني و الحمل، و الجنين و الولادة ، و تتضمن ثمانية نماذج . الأول مفاده أن أرسطو قسّم المني إلى نوعين من جهة كثافته : رقيق ، و جامد يشبه البَرَد ، الأول موافق لولادة الإناث ، و الثاني موافق أكثر لولادة الذكور. و قبل كلامه هذا نصّ على أنه ((ليس يكون ولد من المني الرقيق)) [1] . لكنه وصف المني أيضا بأنه لا يجمد بما فيه من الهواء ، لأن الهواء لا يجمد[2] .

و وصف المني بأنه رطوبة من الرطوبات ، و هو فضلة طعام يُحتاج إليه ، و فضلة الغذاء الأخير. و قد سوى بينه و بين طمث النساء ، فقال : ((إن الطمث الذي يعرض للنساء فضلة من الفضول، و المني أيضا فضلة)) [3] . ثم قال : إنه تبين بالوجوب بأن المني ((هو فضلة غذاء ، و فضلة الغذاء الأخير)) ، بمعنى أن المني يتكون من فضلة الغذاء الدمي الأخير الذي اكتمل نضجه و طبخه ، فيخرج بغير لون الدم ، لكن عندما يُكثر الرجل الجماع و يُجهد نفسه فيه يخرج المني دميا غير ناضج . فالمني يتكون من فضلة الغذاء الدمي الأخير– أي الناضج — و هو الذي يفترق في أعضاء الجسم[4] .

و أقول: أولا إن نوع الجنين لا علاقة له بكثافة المني من رقته ، لأن المسئول عن نوع الجنين هو الرجل ، لأن منيه يحمل الخاصيتين ، و هذا سنفصله لاحقا إن شاء الله تعالى . و هذا يعني أنه لا دخل هنا لكثافة المني من رقته ، في تحديد نوع الجنين ، و لهذا معظم الرجال لهم أطفال من الجنسين . و عليه فإن قول أرسطو و تعليله لا يصح و غير علمي . علماً بأن كلام أرسطو فيه تناقض ، فهو نفى أن يكون ولد من المني الرقيق ثم عاد و نقض ذلك .

---

[1] أرسطو : طباع الحيوان ، حققه عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٧ ، ص: ٤٦٤ .
[2] أرسطو : في كون الحيوان ، ص: ٦٢ .
[3] أرسطو : كتاب طبائع الحيوان ، المقالة : ١٤ ، ص: ١٢٧ . و في كون الحيوان ، ٣٢، ٣٥ .
[4] في كون الحيوان ، ص: ٣٥ ، ٣٦ .

و ثانيا إنه لا تصح المقارنة بين الطمث و المني ، لأن الطمث انتهى دوره عندما يخرج من المرأة ، فيخرج ليُرمى ، لكن المني لم ينته دوره ، فهو يخرج أساسا للقيام بمهمة الإخصاب ، فهو ليس فضلة ، كحال الطمث من جهة ، كما أن الطمث هو بقايا فاسدة من دم و مكونات بطانة الرحم ، لكن المني يخرج حيا كاملا طازجا لم يفسد ، و لم يحدث له ما حدث للطمث من جهة أخرى . و المني ليس فضلة من جهة أصل تكوّنه ، ولا عند خروجه ، و لا هو فضلة بمعنى أنه يُرمى للتخلص منه كالفضلات و السموم التي يرميها الجسم ليتخلص منها ، كالعَرَق ، و البراز ، و البول ،و دم الحيض .

و الرجل مُخلّط و مّضطرب في وصفه للمني بأنه فضلة ، فمرة سوى بين المني و الطمث بأنهما فضلة ، و هذا يعني أنه قصد بهما أنهما فسدا و فقدا وظيفتيهما ، و يجب التخلص منهما . و مرة أخرى وصفه بأنه فضلة غذاء ، و فضلة الغذاء الأخير الدمي ، الذي اكتمل نضجه ،و هذا يُخالف الوصف الأول !!.

و الحقيقة أن الرجل أخطأ في تفسيره لطريقة تكوّن المني ، فزعم أن المسألة هي مسألة طبخ و نضج في الدم ، فإذا لم ينضج جيدا فهو مني دمي ناقص ،و إذا نضج فهو مني كامل غير دمي . و هذا لا يصح ، لأن الرجل أغفل ما تقوم به الخصية في تكوين المني ، لأن الدم ليس هو الذي يكوّن المني ،و إنما هو يُغذي الجسم و يُطهره من سمومه . و الخصيتان– كغيرهما من أعضاء الجسم– تأخذان منه الغذاء ، ثم تتوليا إنتاج النُطاف– المني –، و الهورمونات الذكرية التي تحتاجها[1] .

و ثالثا ليس صحيحا أن المني لا يجمد ، فهذا الرجل يتكلم بلا تثبت و لا تجربة،و إنما يتكلم من رغباته و تأملاته ، و ظنونه و تحكماته . و هو كان قد وصف النوع الثاني من المني بأنه جامد، و هذا يُناقض قوله بأن المني لا يجمد . و ربما يُقال : إنه قصد بذلك أنه كثيف جدا، و ليس أنه يجمد . و هذا مبرر له وجه صحيح ، لكنه لا يعفي صاحبه من

[1] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : التكاثر البشري ، الخصية :

التناقض في التعبير ، و هو مسئول عنه . و المهم هو أن المني يتجمد كغيره من السوائل مع اختلاف درجات تجمدها ، و في زماننا يُجمد مني الرجل و يُخزن في المخابر ، لأغراض كثيرة ، كإجراء التجارب ، و استخدامه مُستقبلا ،و نقله لاستخدامه في مكان آخر[1] .

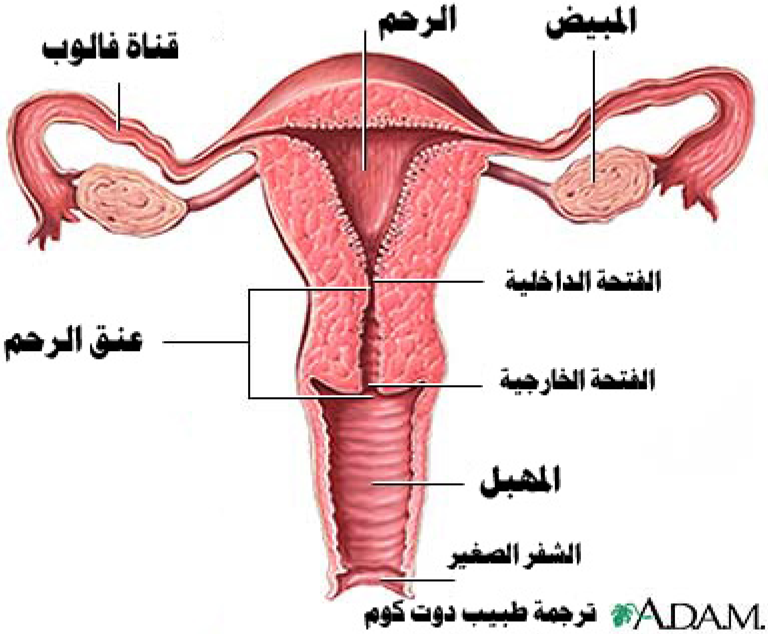
و ليس صحيحا أن وجود الهواء ضمن مكونات المني هو الذي يمنعه من التجمد . لأن الهواء يتكون من عدة غازات ، و هي قابلة للتجمد ، كما يحدث في الماء و هو مُكون أساسا من غازين ، هما : الأكسجين و الهيدروجين ، و مع ذلك فهو يجمد . و نفس الأمر ينطبق على السوائل الأخرى ، فهي كلها مُكونة من غازات . و يبدو أن أرسطو قال ذلك و أخطأ فيه ، بسبب تأثره بإلهياته الزائفة ، فقد سبق أن ذكرنا أنه جعل الهواء من العناصر الأزلية البسيطة التي لا تقبل التغير و لا الفناء ،و لهذا قال بأن الهواء لا يجمد . و هذا مثال واضح على تأثير إلهيات أرسطو في صاحبها ، فأوردته الموارد ، و أفسدت عليه جانبا كبيرا من فكره و سلوكه .

و النموذج الثاني- من أخطاء المجموعة الأولى — مفاده أن أرسطو زعم أن أرحام جميع الحيوانات مُجزأة إلى قسمين مثل ((تجزّئ أنثى الذكورة بجزأين)) . و عندما تكلم عن الحيوان الكثير الأرجل قال : ((و لذلك يُظن أن يكون رحمه واحدا ليس مُجزءاً ، و عِلة ذلك عِظم الجسد لأنه متشابه من ناحية))[2] .

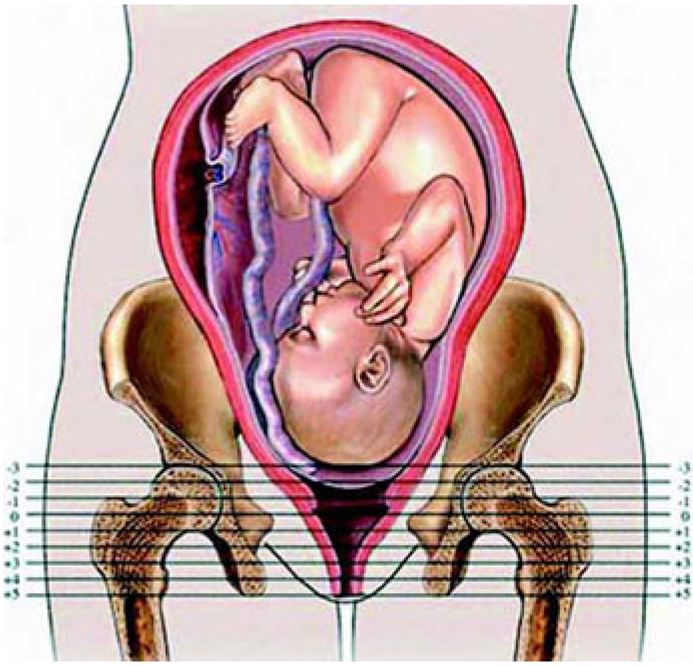
و أقول: قوله هذا غير صحيح ، و فيه تناقض صارخ ، لأنه أصدر حكما عاما بأن أرحام جميع الحيوانات مُجزأة إلى قسمين دون أن يستثني من حكمه أي حيوان ، ثم يعود و ينقضه بظن يتعلق بالحيوان كثير الأرجل بأنه ربما كان له رحم واحد !! . و الرجل قد أخطأ في حكمه الأول من جهتين : النتيجة ، و القياس ، فمن جهة النتيجة فرحم المرأة ليس مُجزءاً إلى قسمين، و إنما هو مُكوّن من قسم واحد كما هو موضح في الصورتين رقم : ٠١، ٠٢ . و كذلك رحم أنثى الفيل ، فرحمها يتكون من قسم واحد فقط ، كما هو مُبين في الصورة

[1] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الاستيلاد .
[2] أرسطو : في كون الحيوان ، ص: ٦ .

رقم : ٠٣ . هذا فضلا عن أن الحيوانات البياضة ليس عندها رحم واضح كأرحام الثدييات ، لأنها لا تحتاج إليه ، و كثير منها رحمها عبارة عن قناة لا غير، كما هو في الأسماك مثلا [١] .



–الصورة رقم: ٠١ : رحم المرأة [٢] –



الصورة رقم : ٠٢ : الجنين داخل الرحم[١]

---

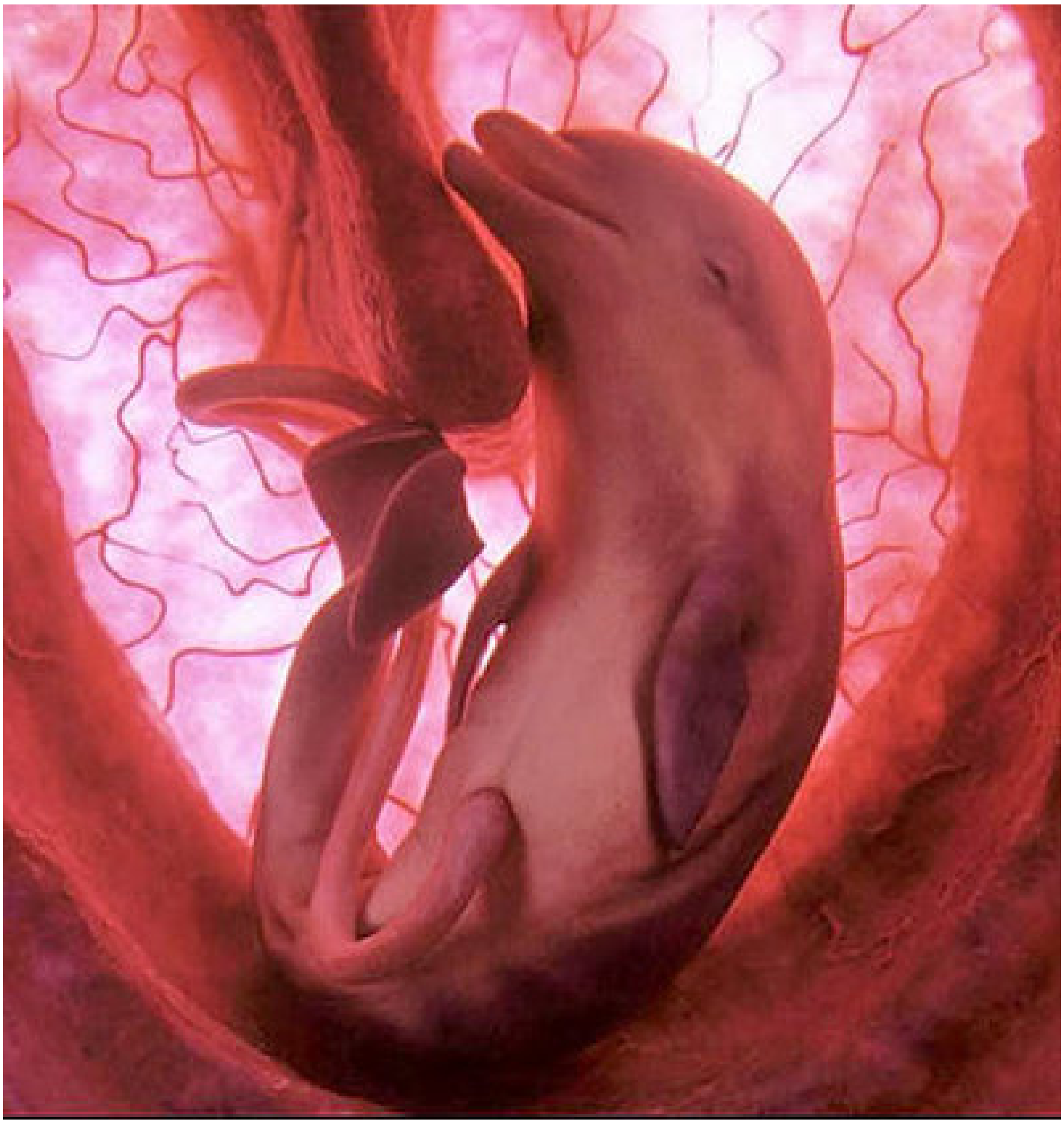
[١] أنظر : الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الأسماك .
[٢] الصورة مأخوذة من موقع طبيب دوت كوم ، على الشبكة المعلوماتية .

و أما من حيث القياس ، فالذي يُقابل الخصيتين هما المبيضان ،و ليس الرحم ، كما زعم أرسطو . فلو كان قد شاهد الجهاز التناسلي للثدييات ما وقع في هذا الخطأ . و لو فكر جيدا لتنبه إلى أن القول بانقسام الرحم إلى قسمين لا يصلح للجنين ، خاصة لدي الأنثى التي تحمل جنينا واحدا ، كالمرأة في الغالب ،،و أنثى الفيل أيضا . فهل ينقسم الجنين ؟ ، فهذا لا يصح، و هل يأخذ جهة واحدة من الرحم ؟ ،و هذا لا فائدة منه في الغالب.

و النموذج الثالث مفاده أن أرسطو زعم أن للمرأة أكثر من بطن في رحمها ، فلا يُمكنها أن تلد أكثر من خمسة أولاد من بطن واحد . و ذكر خبرا مؤداها أن امرأة في الماضي ولدت ٢٠ ولدا في أربعة بطون ، فوضعت من كل بطن خمسة أولاد ، و قد عاش كثير منهم[٢] .

و أقول: قوله عن عدد البطون باطل جملة و تفصيلا، و هو قول بلا علم،و رجم بالغيب . لأن الثابت قطعا أنه ليس للمرأة إلا بطن واحد ، هو تجويف الرحم كما هو واضح من

[١] الصورة مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .
[٢] أرسطو طباع الحيوان ، ص: ٤٧٢ .



– الصورة رقم : ٠٢ : جنين الفيل[١] –

الصورة رقم : ٠٢ ،و فيه ينمو الجنين . و المرأة سواء ولدت واحدا ، أو خمسة ، أو عشرة ، كلهم يُوجدون في بطن واحد . و حكاية تلك المرأة التي صدق بها أرسطو ، فحتى و إن صدقنا جدلا بأنها ولدت عشرين ولدا ، فإنها قد ولدتهم كلهم من بطن واحد لا محالة . لكن الغرابة من أرسطو كيف سمح لنفسه أن يزعم ذلك الزعم فيما يخص عدد بطون المرأة ، من دون أن يتأكد بنفسه من ذلك العدد المزعوم ؟! . إنه خطأ فادح يدل قطعا أن الرجل أهمل التجربة و المشاهدة ، و أخذ بالظنون و الرغبات ، و الروايات الواهية على حساب

[١] الصورة مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .، و هي بنفسها مصدر .

المنهج العلمي الصحيح في البحث و الاستدلال الذي يفرض عليه السعي للتأكد و المعاينة و التجربة . فأفسد – بهذا الإهمال و الإخلال– العقل و العلم معا.

و النموذج الرابع يتعلق بشرط حدوث الحمل ، يرى أرسطو أنه لكي يحدث الحمل عند المرأة ((ينبغي أن يكون إفضاء زرع كليهما معاً ، فإذا أفضى الرجل عاجلا ،و أبطأت المرأة فلا يمكن أن يكون منهما ولد . و أكثر ذلك النساء أبطأ إفضاءً للزرع من الرجال ،و هذه علة مانعة للولد)) . و قال أيضا : ((و ليس يُمكن أن تحمل النساء إن لم تحسسن بإفضاء الزرع ،و لا يُولد من جماع المرأة و الرجل إن لم يكن إفضاء زرعهما معاً)) . و ((لذلك نقول : إنه ينبغي أن يتفق وقت خروج زرع الأنثى و زرع الذكر معاً)) . و اشترط أيضا لحدوث الحمل أن يكون قذف الرجل للمني نحو الجزء الأمامي من الرحم ، ليشفطه الرحم .و إما إن حدث القذف ناحية الرحم نفسه –أي إلى الداخل– فإن ((الجماع لا يصحبه إخصاب أبدا)) [1] .

و أقول : شرطه هذا غير صحيح ، و من الثابت و المعروف علمياً أن حدوث الحمل لا يحدث كما ذكره أرسطو و أكد عليه،و جعله شرطا ضروريا لحدوث الحمل . لأن الحمل يحدث عندما يلتقي الحيوان المنوي ببويضة المرأة و يُلقحها في قناة المبيض ، و هذه البويضة عندها وقت محدد تنزل فيه شهريا، و لا دخل في ذلك للجماع ،و لا لمني الرجل إطلاقا ،و لا للسائل الذي قد تفرزه المرأة أثناء الجماع . و هذه البويضة تنزل من المبيض دوريا عند كل امرأة اكتملت أُنوثتها ، سواء كانت متزوجة ، أو غير متزوجة .

و أما السائل الذي سماها أرسطو زرع المرأة ، فهو ليس كذلك،و إنما هو سائل تفرزه المرأة أثناء عملية الجماع ،و قد لا تفرزه إذا كانت نفسيتها غير مهيأة للجماع . و لو تدبر أرسطو في الأمر جيدا ،و أو سأل المتزوجات لتبين له أنه قد تحمل المرأة في جماع لم تحصل لها فيه لذة ،و لا أفرزت سائلا . و هذا معروف ، لأن حدوث الحمل لا يتوقف على لذة المرأة

[1] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٤٨٩ ، ٤٩٥ ٤٩٦ ، ٤٩٩ .

الجنسية ،و لا على السائل الذي تفرزه ، و إنما يتوقف على التقاء الحيوان المنوي بالبويضة و تخصيبه لها . فالرجل أخطأ في القياس و النتيجة معا .

و أما قوله عن القذف و اتجاهه ، فهو باطل أيضا ، لأن ذلك لا دخل له في حدوث الإخصاب من عدمه، و الثابت أن القذف يتم داخل المهبل ،و منه تدخل الحيوانات المنوية إلى الرحم ،و منه تصعد صوب قناة المبيض و هناك يحدث الحمل ، كما سبق أن بيناه[١] . فالأمر ليس كما ذكره الرجل ، و هو من تخميناته و أوهامه التي عودنا بها ، إنه تكلم بلا علم في أمر لم يره ،و لا يُمكنه أن يره ، و لا اجتهد في السؤال عنه .

و النموذج الخامس– من أخطاء المجموعة الأولى – يتعلق بدور كل من الرجل و المرأة في حدوث الحمل ، و مفاده أن أرسطو ذكرنا عنه انه أكد على دور الرجل و المرأة في حدوث الحمل ، و سمى مادة كلٍ منهما بأنها زرع ،و هو أمر ضروري لحدوثه ،و بدونه مع التزامن لا يحدث حمل قط[٢] .

و زرع المرأة عند أرسطو هو الطمث – دم الحيض – ،و له دور في حدوث الحمل من عدمه ، لأنه إذا كان الطمث سليما مستقيم الحال فإنه يُساعد على حدوث الحمل ، فإذا ما حدث عقم في هذه الحالة ، فالسبب ليس منه، و إنما يكون من قِبل الرحم[٣] .

و وصف الطمث بأنه زرع غير نقي ، بمعنى أنه خليط ، لأنه غير مكون من شيء واحد[٤] . و هو فضلة النساء ، مصدره من دم العروق الدقيقة المتشعبة عن العرقين الكبيرين الصادرين من القلب . فعندما تنتهي العروق الكثيرة الدقيقة إلى الأرحام و تكون ممتلئة بالغذاء أكثر مما ينبغي و لم يقو الطِباع على طبخه لحال البرودة ، و لم يتمكن الدم من الخروج لدقة العروق و لطفها ، تصبب إلى الأرحام . فإذا لم تقو الأرحام على قبول ذلك الدم لكثرته ،و لضيق

---

[١] قولنا هذا لا يحتاج إلى توثيق ، فهو معروف و ثابت في علم الطب ، لكن أنظر : الموسوعة العربية العالمية ، مادة : التكاثر البشري .
[٢] سبق توثيق ذلك .
[٣] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٤٨٩ .
[٤] أرسطو : في كون الحيوان ن ص: ٦٥ .

الأماكن يعرض للنساء نزف الدم ،و هذا هو الطمث . و هذه الفضلة- أي الطمث- إذا لم تكن مطبوخة نضيجة بالطمث يخرج أبداً قليلا قليلا ، و ((لذلك يكون طمث أحداث النساء أبيض اللون))[1] .

ثم أن الرجل نَصّ على أن الأنثى ((لا تُفضي زرعا مثل زرع الذكر ، و لا يكون الولد من خلط الزرعين ، كما قال بعض الناس . فإنه مرارا شتى تحمل الأنثى بغير أن تعرض لها لذة في وقت الجماع ، كما تحمل إذا عرضت لها لذة في وقت الجماع . و ربما أفضى المرأة و الرجل معا في وقت واحد و مساوٍ ، و لا يُولد منهما شيء إذا لم يكن في الرحم ندى معتدل من بقية الطمث . و من أجل هذه العلة لا تلد الأنثى البتة إذا لم تطمث . و إذا كثُر طمثها لا تلد أيضا ، لأنه لا يبقى في الرحم غذاء لكثرة خروج الدم ...))[2] .

و قال أيضا : ((فهو بيّن أنه بحق يكون من الطمث وِلاد ، لأن الطمث دم ليس بنقي ...)) ، فإذا خالط الغذاء النقي- هو زرع الرجل- لدم الطمث الذي ليس بنقي ، يكون ((الوِلاد من الزرع ،و يكون الغذاء من دم الطمث)) . و أكد على أن الأنثى لا تُفضي زرعا ، و زرعها يكون من دم الطمث . و الذكر يُعطي بزرعه ((الصورة و مبدأ الحركة ، و الأنثى تعطي الجسد و الهيولى)) . فمشاركة المرأة في الحمل ليست بزرع تفضيه ، و إنما هي بدم الطمث . ثم نص على أن الذكر هو الفاعل المحرك ،و الأنثى هي المتحركة المفعول بها[3] .

و زعم أيضا أن السبب في كون الجنين ذكرا أو أنثى ، هو أمر يحدث بالضرورة من اختلاف طبيعة الزرع الذكري و الأنثوي . فالذكر يتكون من أجود و أمثل مما في زرع الذكر ، مع صنف من أصناف الهيولى . و بذلك صار الذكر مفترقا من الأنثى لأنه مبتدأ الحركة ،و أجود و أقرب إلى الإله . و أما الأنثى فهي لا تتكون كذلك ، لأنها هيولى و لا تتمتع بالصفات الجيدة التي تكوّن منها الذكر[4] .

---

[1] أرسطو : في كون الحيوان ، ص: ٦٥ ، ٦٧ .
[2] نفس المصدر ، ص: ٣٨ ، ٣٩ .
[3] في كون الحيوان ، ص: ٤١ و ما بعدها .
[4] أرسطو : في كون الحيوان ، ص: ٥٠ ، ٥١ .

و أشار إلى أن الحرارة تُؤثر أيضا في جنس الجنين ، فزيادة درجتها يكون سببا في الذكورة ،و نقصانها يكون سببا في الأنوثة . و زعم أيضا أنه إذا ((كان الريح شمالا كان المولود ذكرا ،و إذا كانت جنوبا صار المولود أنثى . لأن الأجساد إذا هبت الجنوب رطبة ، و لذلك يكون الزرع أكثر ، و ما يكون من الزرع أكثر يكون غير ناضج . و لحال هذه العلة يكون زرع الذكورة أرطب ، و يكون دم طمث النساء عند خروجه أرطب أيضا)) . و زعم أيضا أنه حتى النظر إلى الشمال و الجنوب يُؤثر في جنس الجنين ؛ و احتج لزعمه بأن الرعاة قالوا : إن الذكورة و الأنوثة لا تتأثران فقط بالريحين القادمين من الشمال و الجنوب ، و إنما أيضا من ((قِبل نظر الغنم التي تُسفِد إلى ناحية الشمال ، أو إلى ناحية الجنوب)) . ثم قال : ((فهو بيّن أن التغيير اليسير ربما كان علة برودة و حرارة ، و تكون تلك الحرارة و البرودة عِلل اختلاف الوِلاد))[1] .

و ردا عليه أقول: إن تلك المزاعم باطلة جملة و تفصيلا ،و هو كلام بلا علم ،و أقرب إلى كلام الكهان و الدراويش من كلام أهل العلم . و هو لم يذكر دليلا صحيحا على مزاعمه ، فهي زعم و الزعم ليس دليلا ،و لا يعجز عنه أحد ، و هو مردود على صاحبه.

لأنه أولا إن الطمث كله مواد فاسدة ،و لا يُوجد فيه ما هو سليم و مستقيم ، و ما هو فاسد . و الحمل لا يحدث أبدا أثناء الطمث ، و إنما يحدث بعده بأيام عندما تطهر المرأة . فحدوث الطمث هو دليل على عدم حدوث الحمل ،و ليس هو الذي يُساعد على حدوثه.

كما إن تكوّن الطمث و مصدره ليس كما زعم الرحل ، فهو ليس دما غير ناضج ،و لا هو غذاء كثير امتلأت به العروق ، و لا هو يتصبب من الأرحام ،و إنما هو خليط من مواد كونت بطانة داخل الرحم مكونة من الدم و الأغشية و الخلايا ، لاستقبال الجنين إذا حدث الحمل ، فهو محضن نقي مُتقَن . فإذا لم يحدث الحمل ، فسد كل ذلك و طرحه الجسم إلى الخارج[2] .

[1] نفس المصدر ، ص: ١٤٢ ، ١٤٣ .
[2] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الحيض .

و أما زعمه بأن طمث أحداث النساء ، يظهر ابتداءً و لونه أبيض ، لأنه غير ناضج و قليل الكمية ، فهو كلام باطل و مُضحك يدل على أن الرجل يتكلم بظنونه ،و أقيسته و الفاسدة ،و لم يُكلف نفسه بأن يسأل النساء ، مع سهولة ذلك . و قد بحثتُ في الموضوع ،و سألت بعض النساء عن لون طمث أحداث النساء فأكدن لي خلاف زعم أرسطو ، و تبين لي أن أرسطو تكلم بلا علم، و لم يُكلف نفسه التأكد مما قاله ،و أنه أخطأ خطأً فاحشا لا يصح أن يقع فيه .

و يبدو أن الرجل قاس تكوّن المني عند الرجل و تكوّن الحيض عند المرأة قاس ذلك بالعكس . فمني الرجل الكامل يتكوّن من الدم الناضج ، فيخرج أبيض اللون ،و عندما لا يكون ناضجا يخرج أحمر اللون حسب زعمه . و أما زرع المرأة – الطمث – فيتكوّن من الدم الكثير غير المطبوخ ، فيخرج أحمر اللون ،و أما بالنسبة لأحداث النساء ، فطمثهن يكون قليلا ، و غير مطبوخ ،ويخرج بلون أبيض[1] . و لا شك أن الرجل أخطأ في القياس و النتيجة معا ، و جعل الرجل يُساهم بزرع كامل في حدوث الحمل و تكوّن الجنين ، و المرأة تساهم في ذلك بزرع ناقص .

و ثانيا إنه واضح من تلك الأقوال أن الرجل متناقض و متلاعب بالألفاظ ، و مُخطئ في مزاعمه ،و يتكلم بلا علم . و الصحيح أن الحمل لا يحدث إلا بتلقيح الحيوان المنوي الذكري لبويضة الأنثى ،و مساهمة الطرفين متساوية من جهة الصبغيات كما هو معروف ، و كل منهما فاعل و مفعول به ، و مُحرك و مُتحرك في وقت واحد ، و أما روح الجنين فلا أحد يمتلكها ، فلا هي من الذكر ،و لا هي من الأنثى و إنما هي هبة مباشرة من الله تعالى .

علما بأن طريقة تكوّن جنس الجنين لا تتم كما توهم أرسطو، و لا الذكر يمتاز عن الأنثى في مادة تكوّنه ،و لا هي أقل منه مادة و كرامة . و جنس الجنين في الحالتين الرجل هو المسئول عنه ، و ليست الأنثى . و هي طرف أساسي و ضروري في الحالتين ، لكنها

[1] سبق توثيق ما ذكرناه من معلومات في هذه الفقرة .

ليست مسئولة عن الذكورة ، و لا عن الأنوثة ، لأنه ثبت علميا أن الحيوان المنوي للرجل يحتوي بدخله على الصبغي : x،أو y، . لكن بويضة المرأة تحتوي على الصبغي : x فقط . فإذا اتحد عند الإخصاب : x y فالجنين ذكر ،و إذا اتحد : x x فالجنين أنثى[1] .

و أما دليله بأن الأنثى قد تحمل في جماع لا تحصل لها فيه لذة ؛ فهذا صحيح ، لكن سببه ليس هو أن المرأة لم تشارك بزرعها في الإخصاب ، لأن زرعها ليس مصدره لذة المرأة من عدمها ، و لا هو من دم الطمث كما زعم أرسطو ، و إنما هو من المبيض الذي يُفرز البويضات الأنثوية ، و لا علاقة له بشهوة المرأة الجنسية من عدمها .

و ثالثا إنه من الثابت علميا أن درجة حرارة جسم الإنسان واحدة لا تتغير ، فهي ٣٧ درجة مئوية عند الرجل و المرأة ، في كل الفصول و البقاع ،و مع ذلك فإن نوع الجنين ليس واحدا ،و إنما هو على جنسين : الذكر و الأنثى . و هذا يعني أنه لا دخل لدرجة الحرارة و اختلافها في نوع الجنين من جهة ؛ و أن زعم أرسطو غير صحيح ، و باطل بالضرورة من جهة أخرى .

و مما يُبطل زعمه أيضا الشواهد الآتية : أولها إن النساء اللائي يلدن توأمين ، أو ثلاثة توائم كثيرا ما يكون جنسهم ليس نوعا واحدا ،و إنما هو ذكر و أنثى . فلو كان عامل الحرارة له دخل في ذلك كما زعم الرجل لكان جنس الجنين واحدا بحكم أن الحمل حدث في وقت واحد ، و بما أنه ليس كذلك ، فزعمه غير صحيح . و الشاهد الثالث مفاده إنه لو كانت درجة الحرارة هي السبب في نوع الجنين ، لكان سكان المناطق الباردة غالبيتهم الساحقة إناثا ، أو كلهم . و هذا لا يصح ، لأن واقع دول المناطق الباردة تشهد على خلاف ذلك . و نفس الأمر يُقال على المناطق المرتفعة الحرارة، فحسب زعمه أن سكان المناطق الصحراوية كلهم ذكور ، أو غالبيتهم كذلك !! و هذا كلام باطل بلا شك .

[1] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الوراثة .

و الشاهد الثالث مفاده أنه- حسب زعم أرسطو — أن المناطق التي تهب منها و إليها رياح الجنوب مثلا ، يجب أن يكون سكانها كلهم ، أو غالبيتهم الساحقة إناثا . و هذا غير صحيح ، لأن المعروف و المشاهد أن دول الجنوب لا تختلف في تركيبتها السكانية — الذكورية و الأنثوية – عن باقي دول العالم بصفة عامة .

و النموذج السادس- من المجموعة الأولى — مفاده أن أرسطو زعم أن المرأة تصبح تحس بحركة الجنين الذكر في بطنها بعد ٤٠ يوما ، لكنها تشعر بحركة الجنين الأنثى بعد ٧٠ يوما[١] .

و قوله هذا غير صحيح ، فقد أخطأ في تحديده لمدة بداية إحساس المرأة بحركة الجنين في بطنها ،و في تخصيص كل جنس بمدة معينة . لأن الصحيح هو أن المرأة قد تبدأ تشعر بحركة الجنين مُطلقا- من دون تمييز في النوع- خلال الشهر الخامس[٢] . بمعنى أنها تبدأ بالشعور بذلك ما بين ١٢٠ ، ١٥٠ يوما ، فأين التحديد الزمني الذي حدده أرسطو للذكر و للأنثى ؟! . و لماذا يتكلم من بلا تثبت ؟ ! .

و النموذج السابع يتعلق ببداية تكوّن أعضاء الجنين ، و أولها ظهورا . زعم أرسطو أن الجنين الذكر قبل ٤٠ يوما يكون كتلة لحم ، فلما يبلغ ٤٠ يوما يبدأ في الانشقاق و التفصّل . و أما الجنين الأنثى فهو قبل ٧٠ يوما يكون كتلة لحم غير مُفصلة، فلما يبلغ ٧٠ يوما يبدأ في الانشقاق و التفصّل[٣] .

و زعم أيضا أن الجنين الذكر عند تمام الأربعين يوما تكون ((جميع سائر أعضائه بينة ، و الذكر و العينان تظهر كباراً جداً ، كما تظهر عينا سائر الحيوان)) . و أما الجنين الأنثى ففي ((إبان ثلاثة أشهر فهو أكثر ذلك غير مُفصل . فإذا دخل الشهر الرابع فيصبح يقبل

[١] أرسطو : طِباع الحيوان ، ص: ٤٦٨ .
[٢] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الحمل .
[٣] أرسطو : طِباع الحيوان ، ص: ٤٦٨ .

سائر التفصيل عاجلا . ثم نص على أن ((تمام و كمال جميع أعضاء الأنثى أبطأ من تمام أعضاء الذكر))[1] .

و زعم أيضا أن القلب ((يظهر في جسد الجنين عند أول خِلقته ،و يظهر مُتحركا من بين سائر الأعضاء مثل حيوان)) . لأنه أول طِباع الحيوان الدمي ، بدليل أن القلب أساس و أصل جميع الحيوان الدمي، فبالاضطرار يحتاج إلى أول الدم . كما أن تكوّن الجنين يتطلب منه أن يُدبر ذاته ،و القلب هو أول الأعضاء المطلوبة لذلك، فيظهر أولها ابتداء . فالقلب عند أرسطو هو أول جميع الجسد ،و هو مصدر الدم[2] .

و أقول: إن قوله هذا غير صحيح في معظمه ، و قد خاض فيه بلا دليل صحيح . فعجباً منه ، إنه كثيرا ما يتكلم بظنونه و رغباته ، أكثر مما يتكلم بمنطق العقل الصريح و العلم الصحيح !! . من ذلك أنه فرّق بين فترة بداية تكوّن أعضاء الجنين الذكر ،و الجنين الأنثى ،و جعل الذكر أسبق في ذلك من الأنثى . و هذا قول غير صحيح ، و زعم باطل ،و رجم بالغيب ،و قول بلا علم ،و افتراء على الحقيقة . لأن الصحيح هو أنه لا يُوجد فرق بين الجنينيّن في ذلك مُطلقا[3] ، و بداية تكوّن أعضاء الجنين تبدأ في الظهور بوضوح في اليوم الثامن و العشرين من الحمل ، فيبدأ العمود الفقري و المعدة في التشكل ، و تظهر براعم الذراع و الساق . و يتم تشكل أعضائه الرئيسة في اليوم التاسع و الخمسين من الحمل[4]. فالأمر إذن ليس كما زعم أرسطو .

و هو قد أخطأ في النتيجة و القياس معا ، فأما النتيجة ، فقد ذكرنا بعض ذلك أعلاه ، و منه أيضا أن الصحيح– فيما يتعلق بتكوّن الأعضاء– هو أن عملية تكوّن أعضاء الجنين الداخلية و الخارجية كلها تتم في وقت واحد . و ذلك أن المضغة تنقسم في وقت واحد إلى ثلاثة أنواع من الخلايا ، هي: طبقة الأديم الظاهر ، و الأديم المتوسط ، و الأديم الباطن ، و

[1] نفس المصدر ، ص: ٤٦٩ .
[2] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٧١ ، ٧٢ . و في كون الحيوان ، ص: ٧٢ .
[3] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الجنين ، و التكاثر البشري .
[4] نفس المرجع ، مادة : التكاثر البشري .

كل طبقة تكوّن أعضاءها . فالأولى مثلا تكوّن الدماغ و الأعصاب ،و الجلد و الشعر . و الثانية تُكوّن القلب و العضلات و العظام . و الثالثة تُكوّن أجهزة الهضم و التنفس . و يتم ذلك النمو و التكوّن ما بين الأسبوعين الثالث و الثامن[١] .

و من ذلك يتضح أنه ليس صحيحا أن القلب هو أول الأعضاء تكوناً كما زعم أرسطو . و يُؤيد ذلك أيضا أن الجنين لا يحتاج إلى القلب في بداية تكوّنه ، لأن المضغة هي التي تتولى عملية ضخ الدم و تبادله مع الأم قبل تكوّن القلب[٢] . ثم بعد ذلك تبدأ المضغة في الانقسام لتكوّن أجهزة الجنين كما بيناه أعلاه .

و أما قياساً فكون القلب أول طباع الحيوان الدمي، و أساسه و أصله لا يستلزم أنه هو أول الأعضاء تكوّناً ، لحاجة الجنين إليه . لأن الجنين في هذه المرحلة هو جزء من أمه ،و ليس كائنا مُنفصلا عنها ، حتى يحتاج إلى القلب ابتداءً ، ليوفر الدم لنفسه . فالجنين لم يكن في حاجة إلى ذلك ابتداءً ، لأنه يأخذ غذاءه من أمه ، و دمه من دمها . و جسمه يتعامل معها كجزء منها ، لهذا تبدأ المضغة في تبادل الدم مع الأم في اليوم الواحد و العشرين قبل أن يتكون القلب[٣]. فقياس أرسطو لا يستلزم قوله ، و هو غير صحيح أيضا .

و النموذج الثامن– من أخطاء المجموعة الأولى– مفاده أن أرسطو قال : ((فأما بعد خمسين سنة ، فلم تلد امرأة البتة))[٤] . فهذا تأكيد مُطلق من أرسطو على صحة قوله !! ، فهل قوله صحيح فعلا ؟ .

إن ذلك ليس صحيحا ، و الرجل أصدر حكما قطعيا من دون أي دليل عقلي يُثبت زعمه من جهة ، و لا يحق له قوله ، و هو لم يقم باستقراء تام لنساء العالم ، و لا كان ذلك في مقدوره القيام به من جهة أخرى . و الثابت علما و واقعا أن بعض النساء يحملن بعد

---

[١] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : التكاثر البشري .
[٢] نفس المرجع ، مادة : التكاثر البشري .
[٣] الموسوعة العربية الميسرة ، مادة : التكاثر البشري .
[٤] أرسطو : طِباع الحيوان ، ص: ٤٧٤ .

سن الخمسين ، و سبب ذلك هو أن طائفة من النساء تستمر فترة خصوبتهن إلى سن الخامسة و الخمسين ، لأن سن اليأس يتراوح ما بين سنتي الخامسة و الأربعين ، و الخامسة و الخمسين ،و ليس عند سِن الخَمسين[1] .

و النموذج التاسع مفاده أن أرسطو زعم أنه بما أن الثديين مجوفين ، فقد يقع في لبنهما شعر يُسبب ألما شديدا للأم ، و يدوم حتى بعصرة الثدي ، أو يخرج مع اللبن ، أو ينقطع و يفنى[2] .

و أقول : قوله هذا غير صحيح ، و هو قول بلا علم ، و رجم بالغيب ، يُثير الضحك و الاستغراب ، و هو من أغرب أخطاء الرجل . و تفصيل ذلك هو أن تركيب الثدي لا يسمح أبدا بوقوع الشعر فيه[3] . فمن أين يدخل إليه ؟ ، فلا يُمكن أن يدخل إليه عن طريق الدم ،و لا من الحلمتين . فحلمتا الثديين لهما مسامات دقيقة جدا جدا ، لا تمر منها إلا السوائل كالحليب مثلا ، و الشعر لا يُمكنه المرور منها ، و لا عن طريق الدم ، لأنه مادة صلبة و ليس سائلة .

كانت تلك النماذج هي عينات من أخطاء أرسطو المتعلقة بالمجموعة الأولى . و قد ذكرنا منها ثمانية نماذج تضمنت أكثر من ٢٤ خطأ ، هي من باب المثال لا الحصر . تبين منها أيضا أن الرجل كثيرا ما تكلّم بلا علم ، و لا كلّف نفسه التحقق مما كتبه ، مع إمكانية القيام بذلك . و هذا إهمال كبير لمنهج البحث التجريبي الذي يجب الالتزام به في العلوم التجريبية .

و أما المجموعة الثانية فتتعلق بالدماغ و صفاته و مكوناته ، و تتضمن أخطاء كثيرة وقع فيها أرسطو ، نذكر منها أربعة نماذج فقط . الأول مفاده أن أرسطو زعم أن الدماغ بارد جدا ، أكثر من جميع الأعضاء التي في أجساد الحيوان. و الشاهد على ذلك حسب زعمه

---

[1] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : انقطاع الحيض .
[2] أرسطو : المصدر السابق ، ص: ٤٨٢ .
[3] أنظر مخطط الثدي ، في الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الثدي .

أننا إذا لمسنا الدماغ وجدناه بارد جدا. و الدماغ البارد يُقابله القلب الحار ، فكل منهما ضد الآخر ، و الدماغ هو الذي يُبرد حرارة و غليان القلب و يجعله جيد المزاج. فهو بارد و مُبرّد لغيره[1] .

و قوله هذا غير صحيح كلية ، و فيه تكذيب للواقع و إصرار عليه ،و تشكيك للناس و تكذيبهم فيما يحسون به في الواقع . و تفصيل ذلك هو أن الحقيقة أن الدماغ ليس باردا ،و لا هو أبرد من كل أعضاء الجسم ، لأن الثابت علما و واقعا أن جسم الإنسان كله حار ،و ليس باردا . لأن الإنسان هو من الكائنات ذوات الدم الحار ،و حرارتها دائما ثابتة بغض النظر عن الوسط الذي يُحيط بها . و متوسط حرارة جسم الإنسان ٣٧ درجة مئوية[2] . و عليه ليس صحيا بأننا إذا لمسنا الدماغ وجدناه باردا جدا كما زعم أرسطو ، بدليل ما ذكرناه ،و بما نحسه عندما نلمس رأسنا ، فهو ليس بارداً ، و إذا لمسنا مثلا دماغ خروف مباشرة بعد ذبحه فسنجده حارا و ليس باردا ،و من شك في ذلك فليُجرب بنفسه . فالدماغ ليس باردا ،و لا مُبرداً للقلب و لا لغيره من أعضاء الجسم .

و النموذج الثاني مفاده أن أرسطو زعم أن الدماغ عادم دم أكثر من جميع الرُطوبات التي في الجسد ، لأنه لا يظهر فيه شيء من الدم ،و هو مع ذلك جاف . لكن الدماغ مُحاط بالدم ، و ليس فيه دم البتة، و لا فيه عرق من العروق[3] .

و قوله هذا باطل جملة و تفصيلا ، و هو قول بلا علم ،و رجم للغيب . و تكذيب مُتعمد للواقع المشهود . لأنه من الثابت علميا أن الدماغ –كغيره من أعضاء الجسم – مملوء بالعروق و الشعيرات الدموية التي تغذيه و تُطهره مما فيه من فضلات و سموم[4] . و من المشاهد في الواقع أن دماغ الخروف مثلا ، فيه دم ، و طري و ليس جافا كما زعم أرسطو ، و من أراد التأكد من ذلك بنفسه فليذهب إلى سوق اللحوم مثلا .

[1] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٣٧ ، ٣٨ ،، ٤٢ ، ٤٦ .
[2] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : درجة حرارة الجسم .
[3] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٢ .
[4] الموسوعة العربية العالمية الميسرة ، مادة : الجهاز الدوري ، الدم .

و النموذج الثالث مفاده أن أرسطو زعم أنه ليس في الدماغ حِس البتة ، ولا له اتصال بالأعضاء الحاسة –كالحواس الخمسة –كما هو ظاهر للمعاينة . و ذكر أن حاستي اللمس و الذوق متصلان بالقلب ، و أما الحواس الباقية- السمع ،و البصر ، و الشم – فهي في الرأس و آلتها ظاهرة[1] . بمعنى أنها حواس مُستقلة بذاتها مع وجودها في الرأس ، فهي ليست مُتصلة بالدماغ مباشرة .

و قوله هذا غير صحيح ، و باطل جملة و تفصيلا . لأن الثابت علميا أن الدماغ هو مركز الحواس الخمسة ، و النطق و الحركة ، و هو المتحكم فيها عن طريق الأعصاب التي تخرج منه و تتوزع في كل جهات الجسم[2] .

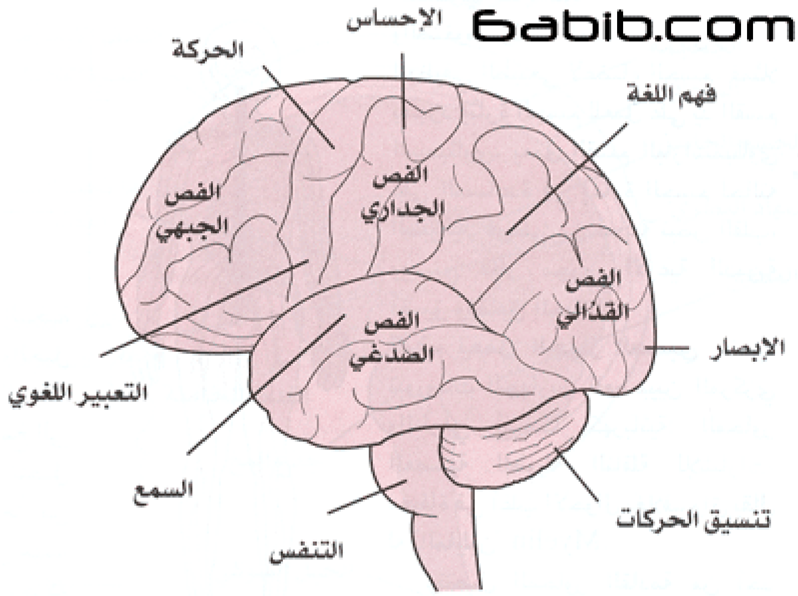
و ليس صحيحا أن حاستي اللمس و الذوق متصلتان بالقلب ، فهذا كلام بلا علم،و رجم بالغيب لم يُقم عليه دليلا صحيحا . و قد أثبتت بحوث علم الأعصاب أن الدماغ حساس جدا ، و فيه مناطق وظيفية محددة كل منها له وظيفة معينة يقوم بها ، كالسمع و البصر ، و الذوق و الشم ،و النطق و الحركة[3] ، و الصورة رقم ٠٤ توضح جانبا من ذلك .

---

[1] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٣٧ . لكنه عاد و ذكر أن الحواس موجودة في الدماغ ، لكن يبدو أنه يقصد الرأس ، لأنه أشار إلى ذلك أيضا .. و هذا صحيح بلا شك ، كوجود العينين و الأذنين . لكنه يرى أن تلك الحواس قائمة بذاتها كآلة ظاهرة نفسه ، ص: ٤٦ .

[2] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الدماغ ، الجهاز العصبي .

[3] روبرت أغروس : العلم في منظوره الجديد ، ص: ٣٥ و ما بعدها . و الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الذوق ، حاسة اللمس .



الصورة رقم :٠٤ : من وظائف الدماغ حسب موضعها منه[١] .

و النموذج الأخير- الرابع- مفاده أن أرسطو زعم أن طبيعة مادة الدماغ هي طبيعة سرمدية ،و ليست فضلة من الفضول ، و ليست هي من طباع الأعضاء المتصلة به ، كمخ الفقار ، التي يظن كثير من الناس أنها امتداد للدماغ . فأنكر ذلك أرسطو و قال : ((و الحق خلاف ظنهم ، لأن طِباع الدماغ غير طباع المخ)) ، فالدماغ بارد جدا ،و المخ حار ، بدليل ما فيه من الدسم و الشحم . و بسبب هذا الاختلاف في درجة الحرارة حدث الاتصال بين مخ الفقار و الدماغ[٢] .

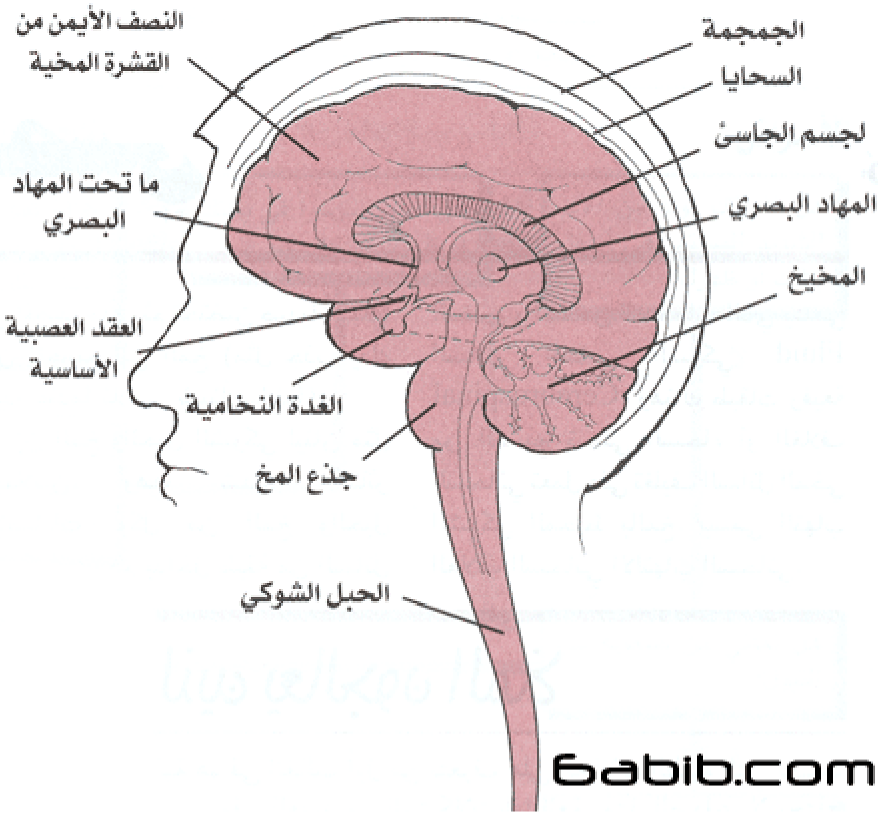
و أقول : إن كلامه هذا باطل جملة و تفصيلا ، و طبيعة مادة الدماغ لا تختلف عن مادة باقي أعضاء الجسم ، فكلها من عجينة واحدة ، و ليست سرمدية ، و لا أزلية ،و لا أبدية ، فهي لا تختلف في شيء عن الأعضاء الأخرى[٣] . و الإنسان بكامله: روحا و جسدا ، قلبا و دماغا مخلوق وليس أزليا .

و واضح من كلامه أنه مُصر على موقفه ، و مكذب للناس فيما يرونه بأعينهم ، ليس لأن دليلهم غير صحيح ، و إنما خالفهم لأنه مُتأثر بخلفياته العقدية ، التي صرّح بها عندما

[١] الصورة مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .
[٢] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٣٧ .
[٣] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : جسم الإنسان .

زعم أن الدماغ سرمدي . و هذا مرتبط باعتقاده بأن العقل الإنساني في أصله عقل إلهي أزلي مُفارق للهيولى ، حل بالجسم ،و سيغادره عندما يموت الإنسان[1] .

لكن الحقيقة خلاف زعمه تماما ، لأن كل من ينظر في المخ يجد الحبل الشوكي – سماه أرسطو مخ الفقار – جزءا لا يتجزأ من الدماغ ،و كل منهما امتداد للآخر . و أما من الناحية العلمية ، فالثابت أن الحبل الشوكي هو عضو من الدماغ ،و به يقوم بعمله ،و الصورة رقم: ٠٥ تُبين ذلك بوضوح لا لُبس فيه . و لا يختلف هذا الحبل عن الدماغ في الحرارة و لا في المادة ، لكن الرجل مُغالط و مُدلس أنكر أمرا محسوسا باللمس ، و شكك الناس فيما يحسونه بيدهم ، و زعم أن الدماغ بارد جدا ،و مخ الفقار حار ،و هذا زعم باطل ، لأن الحقيقة هي أن الدماغ ليس باردا ، و لا باردا جدا ، و إنما هو حار كالحبل الشوكي ، و باقي أعضاء الجسم ، كما سبق أن بيناه .



الصورة رقم : ٠٥ : الدماغ و الحبل الشوكي .

[1] سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الأول ،و سنعود إليه في الفصل الرابع بحول الله تعالى .

و بناء على ذلك فإنه يتبين منه أن الاتصال الموجود بين الدماغ و النخاع الشوكي – مخ الفقار – ، ليس هو كما زعم الرجل بأنه مجرد التقاء تضاد تطلّبه الطباع في الجمع بين البارد و الحار. و إنما هو اتصال حقيقي ، و امتداد طبيعي: مادة ، و وظيفة .

فواضح من تلك النماذج الأربعة أن معظم ما قاله أرسطو غير صحيح ،و أنه كان غارقا إلى الأذقان في الأخطاء و الظنون و الأوهام ، و قد زادت أخطاؤه عن ١٤ خطأً في تلك النماذج وحدها فقط من جهة . و تضمنت انحرافات منهجية كثيرة أخل فيها أرسطو بالمنهج التجريبي إخلالا كبيرا من جهة أخرى .

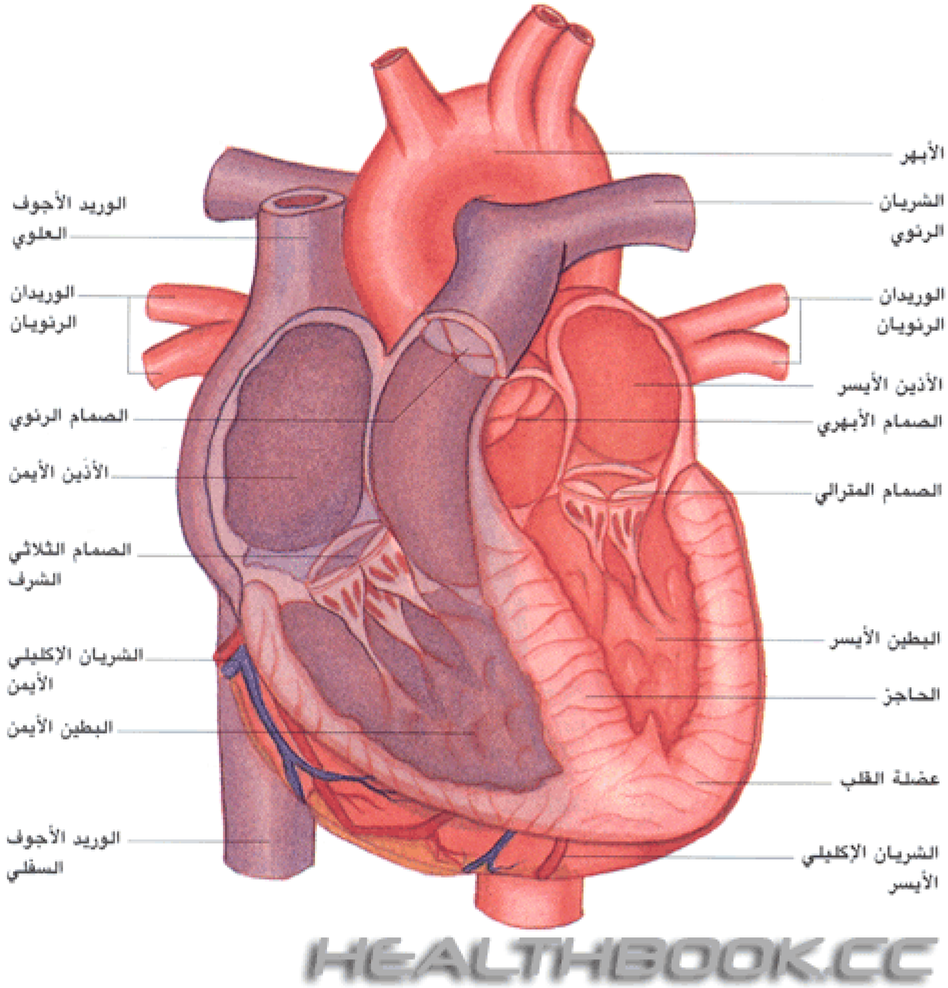
و أما المجموعة الثالثة – من أخطاء أرسطو– فتتعلق بالقلب و الدم ، و تتضمن تسعة نماذج . الأول مفاده أن أرسطو زعم أن قلوب الحيوانات الكبيرة الجثة يُوجد بداخلها عَظْم . و قال أيضا : ((ليس في شيء من خِلقة القلوب عَظْم بقدر ما عاينا ، ما خلا الخيل ،و جنس من أجناس البقر . فإن في قلوب هذا الحيوان عَظْما ، لحال كِبَر الجثة ، فالعَظْم موضوع في القلب من قِبَل الطباع مثل سند ، كما لكل الأجساد سند أيضا))[١] . لكنه ذكر أيضا أن سائر قلوب الحيوان ليست فيها عِظام ، لكن في قلب البقر عَظْم ،و في بعض الخيل عَظْم أيضا[٢] . علما بأن الرجل لم يقصد بعبارة العَظْم بمعنى الغضروف ، و إنما قصد بها العَظْم الصلب ،و هو نفسه كان يُفرّق بينهما[٣] .

و أقول: إن قوله هذا غير صحيح في معظمه ، و فيه تضارب واضح ، و لا توجد فيه دقة في التعبير ،و لا في القياس . و هو قد أخطأ في النتيجة و القياس و المعاينة المزعومة . فليس صحيحا أن قلب كل من البقر و الخيل فيه عَظْم بداخله . و قد سألتُ بعض الجزارين عن ذلك فأكدوا لي عدم وجود ذلك العَظم المزعوم في قلب البقر و لا الخيل من

[١] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٧٣ .
[٢] أرسطو : طِباع الحيوان ، ص: ٨٢ .
[٣] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٦٧ .

جهة ، كما أني عاينتُ ذلك بالنظر فلم أر في القلبين عَظْماً من جهة أخرى . فالأبقار و الخيول لا يُوجد عَظْم في قلوبها ، مع أنها كبيرة الجثة ،و ذكر أرسطو أن في قلوبها عَظْم . فأين ما زعمه أرسطو بدعوى المعاينة و كِبر الجثة ؟؟!! .

و أما قياسا ، فأرسطو أخطأ فيه أيضا عندما ظن أن ضخامة جثة الحيوان تعني أن له قلبا كبيرا أيضا ،و هذا يتطلب وجود عَظْم بداخله كسند يقوم عليه . و هذا لا يصح ، لأن تماسك القلب الكبير ليُؤدي وظيفته كاملة لا يتطلب بالضرورة وجود عَظْم بداخله كما ظن أرسطو . و إنما قد تكون له خصائص أخرى تناسبه و لا تعوقه . و هذا هو الصحيح ، فمن المعروف أن البناء الشكلي ، و الداخلي ، و العضلي للقلب هو الذي يحمل القلب ،و يُسنده ،و يُساعده على الانقباض و الانبساط ، كما هو واضح من الصورة رقم: ٠٦ . و هذا خلاف ما زعمه أرسطو ، فلو كان بداخله عَظْم لأعاقه عن الانقباض و الانبساط .



الصورة رقم : ٠٦ . مقطع تشريحي لقلب الإنسان[١]

و النموذج الثاني يتعلق بعدد بطون– تجاويف– القلب ، و مفاده أن أرسطو زعم أن قلب الإنسان يتكون من ثلاثة بطون ، و ((البطن الذي في الناحية اليسرى عظيم ، و الذي في الوسط معتدل العِظَم ،و الذي في الناحية اليمنى صغير))[٢] . و زعم أيضا أن قلب الحيوان الكبير الجثة يتكون من ثلاثة بطون ، لكن قلب الحيوان الصغير الجثة يتكون من بطنيّن[٣] .

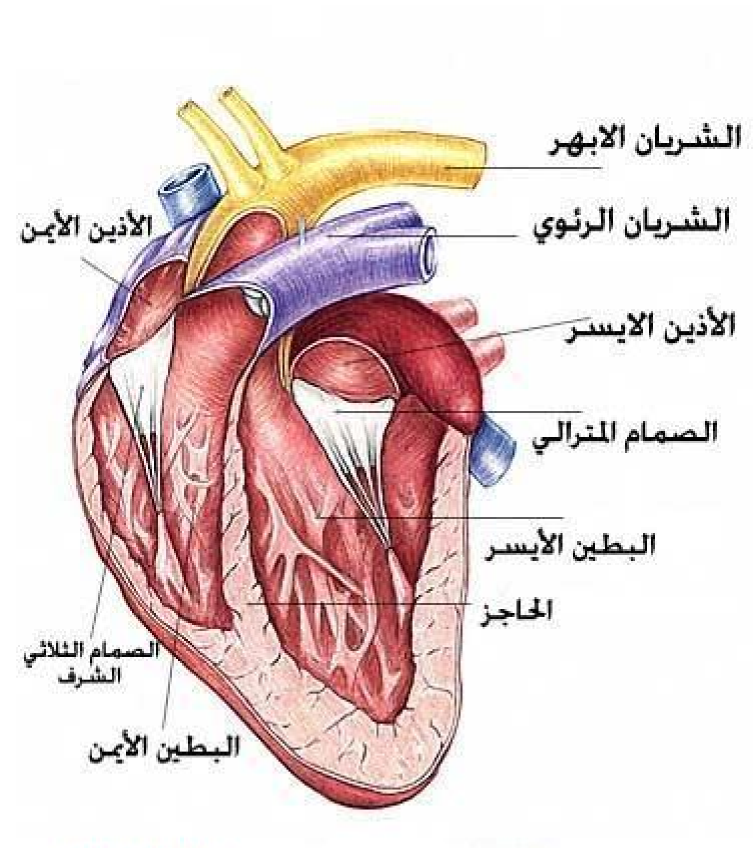
و قوله هذا باطل جملة و تفصيلا ، و مُثير للضحك و الاستغراب معا ، و هو قول بلا علم ، و رجم بالغيب . أولا إن الصحيح هو أن قلب الإنسان يتكون من أربعة بطون– تجاويف – و ليس من ثلاثة ، و الترتيب الذي ذكره لا أساس له أصلا ، و الصورة السابقة –رقم: ٠٦ – دليل قاطع دامغ على بطلان زعم أرسطو ، و لا نحتاج بعدها إلى مزيد رد . فمن أين لأرسطو هذا الزعم ؟ ، و لماذا تكلّم بجزم في ذلك بلا تثبت،و لا معاينة ؟ .

و ثانيا إنه ليس صحيحا أن كل الحيوانات الكبيرة الجثة قلوبها مُكونة من ثلاثة بطون ،و لا الصغيرة الجثة قلوبها مُكوّنة من بطنين . و الشواهد الآتية تُبين ذلك ، منها أن قلوب الثدييات الكبيرة و الصغيرة مُكونة من أربعة بطون ،كقلب الإنسان (الصورة رقم: ٠٦) ، و قلب الكلب[٤] الموضح في الصورة رقم : ٠٧ . و منها أيضا قلوب الطيور ، فهي صغيرة الجثة ، لكن قلوبها رباعية التجاويف . و منها الضفدعة –برمائية – فهي صغيرة الجثة و قلبها ثلاثي التجاويف ، يتكوّن من أُذينين و بُطين واحد [٥] .

و النموذج الثالث مفاده أن أرسطو زعم أن القلب حار جدا ، يُقابله في الأعلى الدماغ البارد جدا، فيقوم هذا الأخير بتبريد القلب ، فيُذهب عنه حرارته و غليانه و يجعله جيد المزاج[٦] .

[١] الصورة مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .
[٢] أرسطو : طِباع الحيوان ، ص: ٤٦ ، ٤٧ .
[٣] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٧٣ .
[٤] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : القلب .
[٥] نفسه ، مادة : القلب .
[٦] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٣٧ ن ٣٨ ، ٤٦ .

و قوله هذا غير صحيح ، فلا القلب حار جدا ، ولا القلب بارد جدا ، و هو من أوهام أرسطو و تحكماته . و الحقيقة هي أن حرارة القلب عادية طبيعية موافقة لعمله تماما ، و لا يحتاج إلى الدماغ ليُبرّده ،و لا إلى أي براد يُبرّده من داخل الجسم و لا من خارجه[1].



ahmed ono

الصورة رقم: ٠٧ . مقطع تشريحي لقلب الكلب[2]

و النموذج الرابع مفاده أن أرسطو زعم انه إذا حملت المرأة فإن الدم لا يتجه طبيعيا إلى الأسفل ، و إنما يتجه إلى الأعلى حيث الثديين .لكن عندما يجتمع زرع المرأة– الطمث — و يبقى في الرحم يكون الدم ((الذي في الثديين قليلا ضعيفا))[3] .

---

[1] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : القلب ، الدم .
[2] الصورة مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .
[3] أرسطو : طِباع الحيوان ، ص: ٤٦٨ .

و قوله هذا غير صحيح، و هو من أوهامه و ظنونه وتحكماته التي عودنا عليها . و الصحيح هو أن الدورة الدموية في الإنسان تتحرك طبيعيا سواء اتجه الدم إلى أسفل ، أو إلى أعلى ، و هذا بفضل عمل القلب و جهازه الدوري الذي يتولى نقل و توزيع الدم في كامل الجسم بكفاءة عالية ،و لا دخل للحمل في سير الدورة الدموية[1] .

و الدم الموجود في الطمث ليس هو من الثدي ،و لا ينقص دمه ، و إنما هو جزء من دم الدورة الدموية في الجسم من جهة ،و يُصرّفه بطريقة طبيعة و بقدر معلوم إلى الرحم من جهة أخرى .

و النموذج الخامس يتعلق بدور الدم في الجسم ، و مفاده أن أرسطو ذكر أن الدم هو غذاء الجنين و جميع أعضاء الجسم ، و منه يتكون الشحم ، الذي هو دم مطبوخ طبخا جيدا[2] .

و قوله هذا غير صحيح ، لأن الدم في أساسه وسيلة نقل و حماية و ليس غذاءً ، إنه ينقل إلى الجسم حاجته من الغذاء و الأكسجين ،و يقيه من الأمراض من جهة ،و يُخلّصه من سمومه و فضلاته ، و ثاني أُكسيد الكربون من جهة أخرى[3] .

و أما الشحم فهو ليس كما زعم الرجل ، و إنما هو في الأساس مُكوّن من الدهنيات التي يتناولها الإنسان في غذائه ، كالشحوم الحيوانية ، و الزيوت النباتية ، و الكبد و صفار البيض ، و لب مختلف أنواع الحبوب . ثم يمتصها الدم من جدار المعدة و ينقلها معه ، و تترسب في مختلف مناطق الجسم ،و بعضها قد يترسب داخل الأوعية الدموية ، مما قد يُؤدي إلى ارتفاع نسبة الكُولسترول في الدم[4] .

و النموذج السادس يتعلق بالعروق و الدم المتجه صوب الدماغ ، و مفاده أن أرسطو زعم أنه لكي لا يتضرر الدماغ البارد بحرارة القلب ، أصبحت العروق المحدقة بالدماغ ((ضعيفة

---

[1] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الدم ، القلب ، الجهاز الدموي .
[2] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص : ٣٣ ، ٣٤ .
[3] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الدم .
[4] نفسه ، مادة : الدهنيات ، الكولسترول .

رقيقة بدل العروق القليلة العظيمة ،و بدل الدم الكدر الغليظ صار الدم الذي يُحدق به نقيا لطيفاً))[1].

و قوله هذا باطل جملة و تفصيلا،و قول بلا علم ، و رجم بالغيب ، و قد بناه على مقدمتين غير صحيحتين ، فكانت النتيجة باطلة بالضرورة . فلا القلب حار جداً ،و لا القلب بارد جدا ،و لا العروق محدقة بالدماغ من دون أن تنتشر فيه ،و هذه الأمور سبق بيانها و توثيقها ،و فلا نتوسع فيها هنا.

و أما رقة العروق في أطرافها ، فهذا أمر صحيح ، لكن لا يخص الدماغ دون غيره من باقي أعضاء الجسم ، فهذه العروق تغطي كل الجسم بما فيه الدماغ ،و تُعرف بالشعيرات الدموية . و هي امتداد لشبكة الجهاز الدوري الذي من مكوناته : الشرايين ، و الأوردة ، و الشعيرات الدموية ، التي هي أوعية دموية دقيقة جدا تصل الشرايين بالأوردة [2].

و أما الدم فهو — في الحقيقة — ليس دما نقيا لطيفا مُحدقا بالدماغ ،و إنما هو دم يدخل إلى الدماغ كما يدخل إلى كل أعضاء الجسم ، فيحمل إليه ،و إلى كل الجسد الغذاء ،و الأكسجين ، ثم يرجع عائدا محملا بالفضلات ،و السموم ،و ثاني أُكسيد الكربون[3].

فأين ذلك مما زعمه أرسطو ؟! ، إنه تكلم بلا علم، و قدم ظنونه ، و تأملاته ، و تحكماته على الالتزام بأبجديات المنهج العلمي في البحث و الاستدلال . فالرجل جعل المنهج التجريبي وراء ظهره و أصبح يتكلم بظنونه و رغباته و خلفيته المذهبية أكثر مما تكلم بالعلم الصحيح .

و النموذج السابع مفاده أن أرسطو ذكر أن في خِصيات جميع الحيوانات المشاءة التي تلد حيوانا مثلها ، عرقان ، أو سبيلان من العرق العظيم المعروف بالأورطي– الأبهر– ينتهي كل منهما إلى رأس كل خصية ،و ليس فيهما دم [4] .

[1] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٣٨ .
[2] الموسوعة العربية الميسرة ، مادة : الجهاز الدوري .
[3] نفسه ، مادة : الدم ، الجهاز الدوري .
[4] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٩٨ .

و قوله هذا غير صحيح فيما يخص الدم ، قاله بلا تأكد و لا تجربة ،و إنما قاله – كعادته- بظنونه و تأملاته و تحكماته . و الصحيح هو أن الشريان الأورطي- الأبهر – هو الشريان الأعظم الذي ينقل الدم النقي من القلب إلى كل سائر الجسم كالخصيتين ،و الكليتين ، و ذلك بواسطة الشرايين و الشعيرات الدموية ،و لا يُوجد من بينها عرق ،ولا عرقان ،و لا عروق لا دم فيها ، فهي كلها مملوءة بالدم النقي[١] .

و النموذج الثامن مفاده أن أرسطو ذكر أن الدم الذي في الرئة مُتحرك و ليس بثابت ، لكن الدم الذي في القلب فهو ثابت ، لأنه ((يكون في جميع بطونه ،و الدم الذي في البطن الأوسط لطيف دقيق صافٍ جداً))[٢].

و قوله هذا غير صحيح فيما يتعلق بدم القلب ،و قاله بلا علم ،و لا تجربة ، و لا تأكدٍ . و الثابت علميا أنه لا وجود للبطن الأوسط المزعوم ، و لا دم القلب ثابت لا يتحرك ، و إنما هو مُتحرك و مُتغير دون توقف. فالقلب يستقبل الدم المحمل بثاني أُكسيد الكربون بقسمه الأيمن ، ثم يضخه إلى الرئتين ، و يتلقى الدم النقي المحمل بالأكسجين من الرئتين بقسمه الأيسر ، ثم يضخه في كل أجزاء الجسم[٣] . فعجبا من هذا الرجل ، كيف سمح لنفسه أن يتكلم بلا علم ، و يخوض في أمور لا يُمكنه الخوض فيها ؟؟!! . أليس الرجل قد تجاوز أبجديات البحث العلمي و جعلها من وراء ظهره ؟؟!! .

و النموذج الأخير- التاسع – مفاده أن أرسطو زعم أن الحمار بارد الطباع ، لذلك لا يكون- أي الحمار – ((في الأماكن الباردة جدا ، لأن طِباعه يحس بالبرد جدا))[٤] .

---

[١] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الوريد، الأبهر ، القلب ، الخصية .
[٢] أرسطو : طِباع الحيوان ، ص: ٤٨ .
[٣] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : القلب ، جسم الإنسان .
[٤] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٩٣ .

و قوله هذا غير صحيح ، لأن الحمار من الثدييات ،و هي من ذوات الدم الحار ، حرارة أجسامها تبقى دائما ثابتة تقريبا ، بغض النظر عن وسطها الذي تعيش فيه . فلها وسائل حيوية بداخلها تجعلها تُحافظ على حرارة جسمها[١] .

و بما أن الحمار من الثدييات و ذوات الدم الحار ،كالإنسان ، و الأرانب ، و الدببة ، و الثيران ، الكلاب و الذئاب ، و الثعالب ؛ و بما أن هذه الكائنات تعيش المناطق الباردة[٢] -كما تعيش في الحارة- فإن الحمار هو أيضا قد يستطيع أن يعيش في المناطق الباردة و يتأقلم معها.

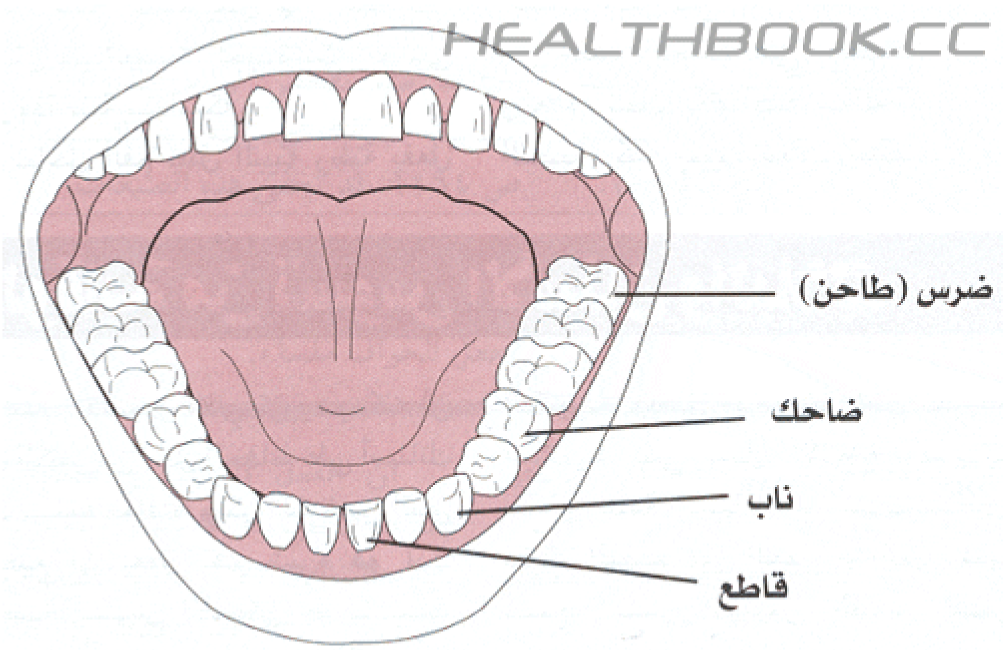
و من تلك النماذج — المجموعة الثالثة – يتبين أن أرسطو وقع في أخطاء و انحرافات منهجية كثيرة ، زاد عددها عن عشرين خطأً . كان فيها مُتبعاً لظنونه و تحكماته ،و مهملا لأبجديات المنهج العلمي في البحث و الاستدلال .

و أما المجموعة الرابعة فتتعلق بالأسنان عند الإنسان و الحيوان . و تتضمن خمسة نماذج ، الأول مفاده أن أرسطو زعم أنه ما كان من الذكور فهو أكثر ((أسنانا من الإناث ،و ذلك بيّن في الناس و المِعزى ،و الخِراف ، و الخنازير . فأما سائر الحيوان فليس يستبين ذلك[٣] .

و أقول: إن قوله فيما يخص أسنان الإنسان[٤] غير صحيح قطعا ،و هو كلام بلا علم و لا يثبت . و لا أدرى هل هذا الرجل يعي ما يقول ، أو لا يعي ذلك ؟؟!! . و هل تعمد قوله ، أو أخطأ فيه ، أو أن ذلك هو مبلغه من العلم و الفهم ؟؟!! . و الصحيح المعروف أنه لا فرق بين عدد أسنان الرجل و عدد أسنان المرأة ، فلا الرجل أكثر منها ،و لا هي أكثر منه . و للإنسان- ذكر و أنثى – أسنان مُؤقتة- في سن الطفولة- عددوها ٢٠ سنا ، ثم يفقدها كلها تدريجيا ، ثم تخلفها الأسنان الدائمة و عددها ٣٠ سناً (١٦ في كل فك أنظر الصورة رقم:٠٨) ، تشمل القواطع و الأنياب ، و الضواحك و الأضراس ،و هذا العدد هو نفسه

[١] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : حيوان الدم الحار ، الحمار ، درجة حرارة الجسم .
[٢] نفسه ، مادة : الإسكيمو .
[٣] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٦٥ .
[٤] بالنسبة للماعز و الأغنام ، فيبدو أن عدد أسنان ذكورها مساوٍ لعدد أسنان إناثها ، لأن الثابت أن مجموع عدد أسنان الماعز ٤٠ سنا ، و مجموع أسنان الأغنام ١٤ سنا ، و لم يُذكر أن ذلك خاصا بالذكر ،و لا خاصا بالأنثى مما يعني أن العدد واحد عندهما . الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الماعز ، الأغنام .

عند الذكر و الأنثى[1] . فأرسطو أخطأ خطأً فاحشا ، لا عُذر مقبول له فيه ، لأنه لا يصح الوقوع فيه ، بسبب سهولة التأكد منه .



الصورة رقم:٠٨ . الأسنان الدائمة عند الإنسان[2] .

و النموذج الثاني مفاده أن أرسطو زعم أن الإنسان يُغيرّ مقاديم أسنانه ،و أما أضراسه فلا يُغيرها[3] . و قوله هذا هو أيضا ظاهر البطلان ،و من أغرب و أفحش أخطاء الرجل . لأنه من الثابت و المعروف علماً و واقعاً أن الإنسان يُغير أسنانه المؤقتة كلها ، منها الأضراس ، ثم تخلفها الأسنان الدائمة[4] .

و النموذج الثالث موضوعه العلاقة بين عُمر الكائن و عدد أسنانه . و مفاده أن أرسطو زعم قائلا : ((و ينبغي أن تعلم أن الذين أسنانهم كثيرة تكون أعمارهم طويلة أكثر ذلك . فأما الذين أسنانهم قليلة مُفترقة فأولئك قصيرة أعمارهم أكثر ذلك))[5] .

---

[1] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الأسنان .
[2] الصورة مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .
[3] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٦٤ .
[4] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الأسنان . و الموسوعة العربية الميسرة ، دار إحياء التراث العربي ، ج ١ ص: ١٦١ .
[5] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٦٥ .

و قوله هذا غير صحيح ، لم يذكر عليه دليلا صحيحا و لا ضعيفا ، و إنما قاله – كعادته – ظنا ، و رغبة ، و تحكماً ، حتى أنه أكد على زعمه بقوله : ((و ينبغي أن تعلم)) . و الثابت من الواقع أنه لا علاقة بين طول عمر الكائن و كثرة أسنانه . من ذلك أن الكلاب مثلا عدد أسنانها الدائمة ٤٢ سنا[١] ، أكثر من عدد أسنان الإنسان ، لكنها مع ذلك فهي أقل عمرا من عمر الإنسان بكثير ، و هذا مُشاهد في الواقع . و منها الدلفين عدد أسنانه كثيرة جدا ، قد تصل إلى ٢٠٠ سنٍ عند بعض أنواعه ، لكنه لا يعيش طويلا ، فعمره يتراوح ما بين : ٢٥ – ٥٠ سنة [٢] . لكن الإنسان أقله عددا و أطوله عمرا منه. و منها القط ، عدد أسنانه – عند القط المكتمل – ٣٠ سنا ، و يعيش مابين ١٢- ١٥ سنة ، و قد يصل إلى ١٩ سنة[٣] . و هذا عمر قصير ، لأن المفروض –حسب زعم أرسطو – يعيش أكثر من ذلك ، و يكون قريبا من عمر الإنسان ، لأن الفارق بينهما سِنان فقط.

و أُشير هنا إلى أن قول أرسطو – القائل بأن أسنان الرجل أكثر من أسنان المرأة – كما هو مُخالف للحقيقة الطبيعة كما سبق أن بيناه ، فهو أيضا مُخالف للواقع الاجتماعي المتعلق بالوفيات . لأنه – بناء على زعمه- يجب أن يكون الرجال أطول عمراً من النساء ، لكن هذا غير صحيح ، لأمرين : الأول هو أن الواقع يشهد بوجود مُسنين و معمرين من الجنسين ،و ليس من الرجال فقط . و الثاني هو أن الدراسات السكانية الحديثة أظهرت أن متوسط عمر النساء أعلى من متوسط عمر الرجال في الغالب[٤] .

و النموذج الرابع يتعلق بأسنان الجمل ، و مفاده أن أرسطو ذكر أن الجمل من بين الحيوانات التي ليس لها أسنان في فكها الأعلى و لا الأسفل[٥] .

و قوله هذا غير صحيح ، و كلام بلا علم، و رجم بالغيب . و الحقيقة هي أن للجمل ٣٤ سنا قوية حادة للقطع و الدفاع عن نفسه[٦] . و أرسطو قد أخطأ في قياسه عندما ذكر أن الجمل حيوان مجتر له عدة بطون كبيرة قوية تتولى طحن الطعام و تحضيره للاستهلاك ،و

---

[١] بعض فصائل الكلاب يقل عدد أسنانها عن ذلك . الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الكلب .
[٢] نفسه ، مادة : الدلفين .
[٣] نفسه ، مادة : القط .
[٤] نفسه ، مادة : متوسط العمر المتوقع ، الشيخوخة .
[٥] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٩٤ .
[٦] الموسوعة العربية الميسرة ، مادة : الجمل .

لا يحتاج في وجودها إلى أسنان[1] . فالقياس غير صحيح ، و الصورتان رقم: ٠٩، ١٠ تُثبتان ذلك بجلاء ،و تُظهران قسما من أسنانه .



الصورة رقم : ٠٩ . جانب من أسنان فكي الجمل[2]

[1] أرسطو : المصدر السبق ، ص: ٩٤ .
[2] الصورة مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .



الصورة رقم: ١٠ . أسنان الجمل الأمامية[١]

فالرجل قد أخطأ في ذلك لأن الجمل لا بد له من أسنان لقطع المواد الطرية و الصلبة التي يأكلها ، كالأعشاب و القش ، و الجلود و الأشواك ،و اللحم و العظام [٢] . لكن يبدو أن الرجل لم ير جملا ،و لا كان يعرف ماذا يأكل ،و لا سأل من يخبره عن ذلك . لكن لماذا تكلم بلا علم ؟! .

و النموذج الأخير – الخامس من أخطاء المجموعة الرابعة — مفاده أن أرسطو زعم أن الحيوان ((الذي ليس له أسنان في الفكين جميعا يجتر)) [٣] .

[١] الصورة مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .
[٢] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الجمل .
[٣] أرسطو ك في أعضاء الحيوان ، ٩٥ .

و قوله هذا عير صحيح ، لأنه أولا إن لفظ الحيوان المجتر لا يُطلق على الحيوان الذي ليست له أسنان و إنما يُطلق على حيوانات الرعي ذوات الأظلاف المشقوق التي تبلع الطعام، ثم تُعيد مضغه لاحقا. و هي من ذوات الأسنان أيضا[1] .

و ثانيا توجد حيوانات ليست لها أسنان و ليست مُجترة ، منها ضفدع العلجوم يبلع طعامه ثم يهضمه دون تقطيع و لا اجترار[2] . و منها حشرات كثيرة ليست لها أسنان تأخذ طعامها بالمص ،و تهضمه في المعدة دون اجترار ، كالبق ، و قمل النبات، و الفراشات ،و البعوض، و الذباب ،و البراغيث[3] .

و من تلك النماذج الأربعة يتبين أن أرسطو وقع في أخطاء و انحرافات منهجية تتعلق بالأسنان عند الإنسان و الحيوان بعضها أخطاء فاحشة جدا ، غير مقبولة تماما . و قد تضمنت تلك النماذج أكثر من ٠٩ أخطاء علمية و منهجية ، كان في مقدوره تجنبها لو حرص على التثبت و المعاينة .

و أما المجموعة الخامسة فتتعلق بدلالات بعض أعضاء الإنسان الظاهرة ، و تتضمن أربعة نماذج . الأول مفاده أن أرسطو زعم أن جبين الإنسان إذا كان ((عظيما جدا دلّ على أن صاحبه ثقيل إلى البلادة ما هو . و إذا كان صغيراً يدل على جودة حركة . و إذا كان عريضا يدل على أن صاحبه قليل العقل ...))[4] .

و أقول: أولا إن قوله هذا كلام غير علمي ، و هو أقرب إلى كلام الكهان من كلام العلماء . و لم يُقدم أي دليل صحيح و لا ضعيف يُثبت به زعمه ،و اكتفى بالزعم ، و الزعم ليس دليلا ،و لا يعجز عنه أحد . و لا يُمكنه قول ذلك إلا إذا قام ببحث استقرائي واسع جدا ،و أخضعه للبحث و التمحيص ليستنتج منه مزاعمه بالشواهد القطعية . و بما أنه لم يفعل ذلك فقوله هذا غير مقبول من ناحية الاستدلال العلمي .

---

[1] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : المجتر ، الماعز ، الأغنام ، الجمل .
[2] نفس المرجع ، مادة : الأسنان ، الضفدع .
[3] نفسه ، مادة : الحشرة .
[4] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٢٩ .

و ثانيا إنه من الثابت و المعروف في علم النفس أن معرفة الذكاء و القدرات العقلية في الإنسان لا تعتمد على الملامح العضوية للإنسان العادي ،و إنما تعتمد أساسا على سلسة من التجارب و الاختبارات ، و المهام العقلية ، مرتبطة حسب تسلسل صعوبتها. و تشمل مهمات تتعلق بالذاكرة ،و التعليل ،و التعريفات ،و القدرة الحسابية ،و استدعاء الحقائق[١].

و ثالثا إن مما يُكذب زعمه أن التاريخ و الواقع يشهدان على أن هناك طائفة من الأعلام المشهورين – على اختلاف تخصصاتهم و توجهاتهم الفكرية –كانوا من كبار أذكياء العالم ، مع أن جباههم كانت عريضة. و الصور الآتية[٢] تُبين ذلك بوضوح :

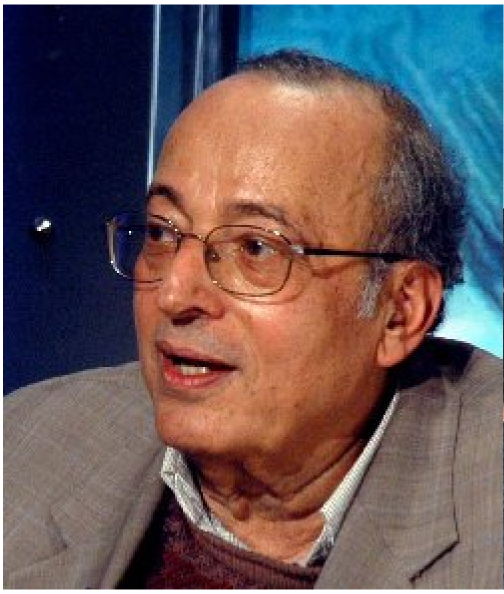
[١] أنظر : عبد الفتاح محمود ويدار: علم النفس التجريبي المعملي ، المكتب العلمي ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ ، ص: ٢٤٣ و ما بعدها . و الموسوعة العربية العالمية ، مادة : نسبة الذكاء ، نسبة الذكاء .
[٢] الصور الآتية كلها مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .



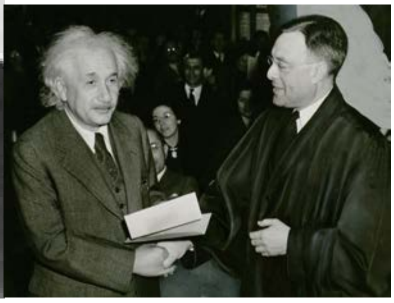
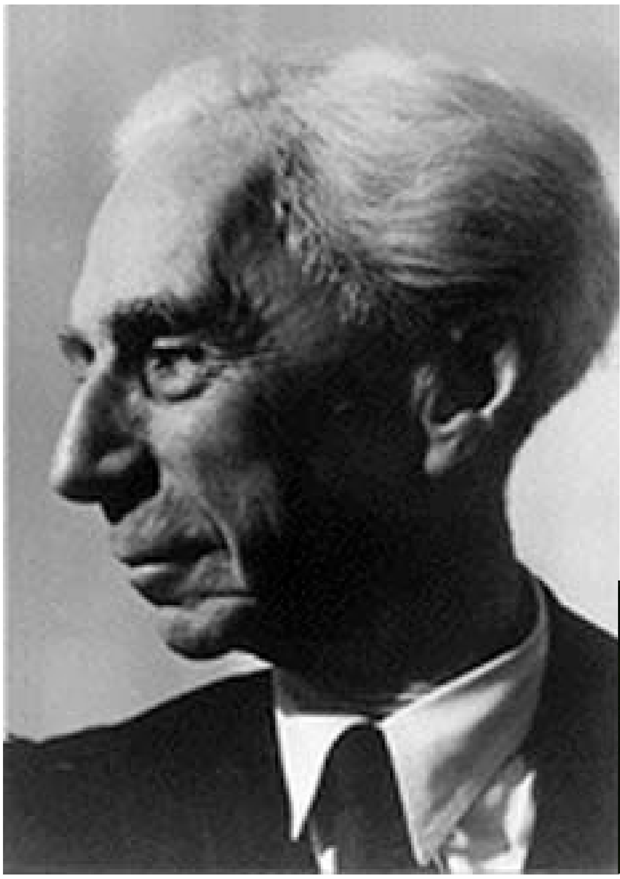
الصورة رقم : ١١ . الرئيس السوفياتي ليونيد بريجنيف




الصورة رقم: ١٢. مصطفى محمود – الصورة رقم: ١٣.هواري بومدين




الصورة رقم:١٤. طه حسين/ الصورة رقم: ١٥. عبد الوهاب المسيري

الصورة رقم: ١٦. آينشتاين/ الصورة رقم: ١٧. برتراند راسل




الصورة رقم: ١٨ جمال عبد الناصر/ الصورة رقم:١٩ عابد الجابري

و النموذج الثاني مفاده أن أرسطو زعم أنه إذا كان اعوجاج الحاجبين مائلا إلى الصدغين ، فهو دليل على أن صاحبه مُستهزئ رديء الحال حسود[1] .

و قوله هذا مثل السابق ، فهو زعم غير صحيح ، أقامه على الظن و التخمين و التحكم ،و لم يُقمه على الاستقراء العلمي الصحيح . و الثابت شرعا و واقعا و عقلا أن أخلاق الإنسان تقوم أساسا على التربية التي يتلقاها في مجتمعه من جهة ،و على ما يُريده هو لنفسه من أخلاق عندما يكبر و يختار توجهاته و غاياته من جهة أخرى . فليست هيئة حاجب الإنسان هي التي تُحدد له أخلاقه ، أو بعضها كما زعم أرسطو . و كم من إنسان ، بل و مجتمعات بأكملها تغيرت أخلاقها من النقيض إلى النقيض[2] ، فهل هذا يعني أن حواجب هؤلاء هي التي طبعتهم على أخلاقهم الأولى ، ثم لما تغيرت أشكالها و هيئاتها ، غيرت أخلاقهم ثانية و طبعتهم على أخلاق جديدة ؟؟!! .

و النموذج الثالث مفاده أن أرسطو زعم أن آذان الناس التي فيها شعر يسير هو دليل على سمع جيد[3] . و قوله مُخالف للواقع ،و ليس تفسيرا علميا ،و هو إنما هو على شاكلة أقواله السابقة التي بناها على الظن و التخمين و التحكم ، بل هو نوع من أنواع الكهانة لا العلم .

و الصحيح هو أن سلامة السمع يقوم أساسا على سلامة الأعضاء الداخلية لعضو الأذن ، و لا يقوم على الشعر الموجود عليها في الخارج . و هناك حيوانات ليس لها صوان أذن خارجي،و هي قوية السمع ، كالأسماك مثلا [4] .

و نحن نرى في الواقع أن الأطباء المختصين في حاسة السمع ، لا يهتمون بشعر الأذن أصلا ،و إنما يهتمون بفحص المكونات الداخلية للأذن ، في حالات ضعف السمع . و

[1] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٢٩ ، ٣٠ .
[2] كما حدث للصحابة و المجتمع الذي رباه النبي-عليه الصلاة و السلام- ، فقد غيّر عقائدهم و أخلاقهم و سلوكياتهم بفضل و توفيق من الله تعالى .
[3] أرسطو : المصدر السابق ، ص: ٣٣ .
[4] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الأذن .

نشاهد في الواقع أيضا أن الأطفال و الشباب و النساء ليس لهم شعر في آذانهم و معظمهم يسمعون جيداً . و في مقابل هؤلاء أيضا نجد كثيرا من لهم شعر كثيف في آذانهم و يسمعون جيداً ،و منهم من سمعه ليس قوياً .

و النموذج الأخير- الرابع – مفاده أن أرسطو زعم أن الآذان المتوسطة الحجم ، و النتوء ، و الشعر ذلك دليل على خيّر . و إذا كانت ناتئة ((كبارا جداً ، فهي دليل على حمق ،و خُرق ، و كثرة كلام صاحبها))[1] .

و أقول : إن قوله هذا غير صحيح ،و قول بلا علم ، و هو أقرب إلى الدروشة من العلم . لأنه أولا إن الخيرية لا تتوقف على حجم أذن الإنسان و لا على شكلها ، و إنما تتوقف أساسا على صحة عقائده و إخلاصه ، و أخلاقه و أعماله الصالحة من جهة ،و على مدى توفر الوسط الاجتماعي الصحي الذي يُساعد على تكوين الإنسان الصالح الخيّر من جهة أخرى .

و إذا وجدنا – فرضا – أن بعض الناس ينطبق عليهم ما ذكره أرسطو شكلا و مضمونا، فهذا لا يعني أن ذلك بسبب آذانهم ، و إنما يعني أن هذا مُجرد اتفاق ظاهري فقط ، و السبب الحقيقي يعود إلى عوامل طبيعية و اجتماعية لا علاقة لها بشكل و حجم آذانهم ،و يمكن تغيير أخلاقهم بالعلاج و التربية مع بقاء شكل و أحجام آذانهم كما هي . و أما حكاية تأثير حجم الأذن و شكلها في خيّرية الإنسان و حمقه ، فهي من بلايا أرسطو و غرائبه المضحكة !! .

و ثانيا إن الحقيقة هي أنه لا يصح – علما و واقعاً – معرفة خيّرية الإنسان و حمقه من خلال شكل أذنه و حجمها ، لأنه لا يُوجد دليل صحيح يُثبت ذلك بأدلة قطعية، بل الواقع يشهد على خلافه . و إذا نظرنا إلى شكل و حجم آذان طائفة من علماء العالم وزعمائه وجدناها متباينة في أشكالها و أحجامها تباينا واضحا جدا ؛ لكنهم مع ذلك كلهم

[1] أرسطو : طِباع الحيوان ، ص: ٣٣ .

من أذكياء العالم و شَطاره ، مما يعني أنه لا دخل لشكل و حجم آذانهم فيما تميزوا به من ذكاء و شطارة . و الصور الآتية تبين ذلك بجلاء لا لُبس فيه[١] .



الصورة رقم: ٢٠. الرئيس الأمريكي نيكسون

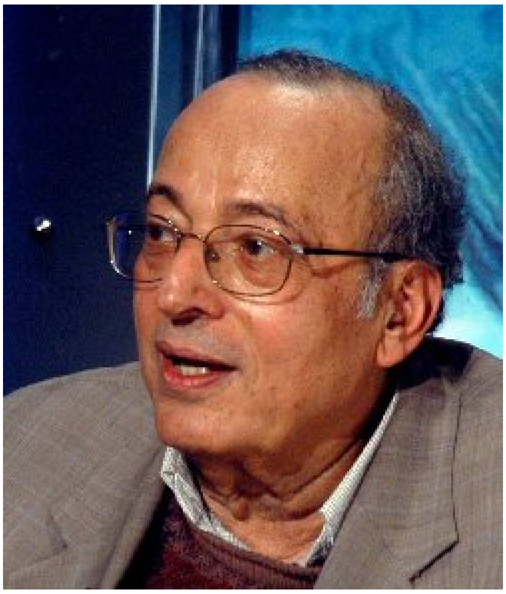
[١] كل الصور مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .



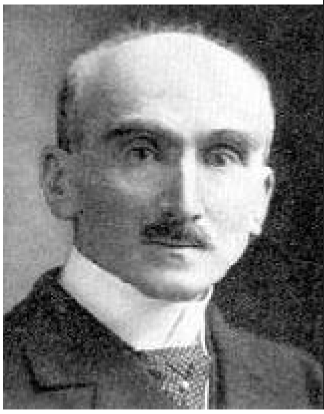

الصورة رقم:٢١ طه حسين/ الصورة رقم:٢٢ عبد الرحمن بدوي

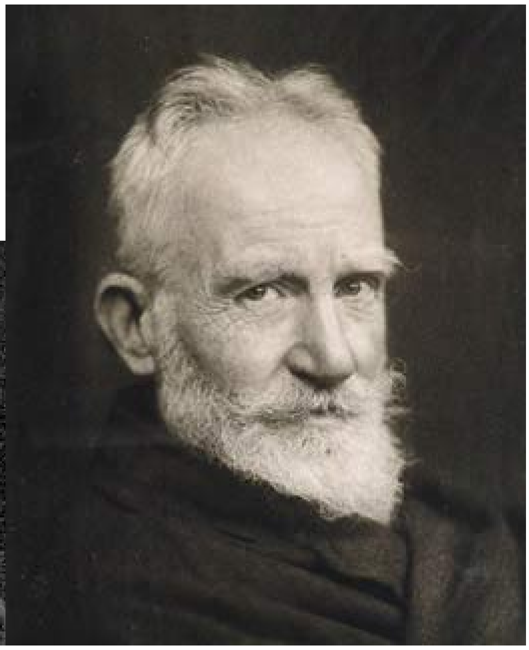


الصورة رقم: ٢٣ . مالك بن نبي



الصورة رقم: ٢٤ . عبد الوهاب المسيري

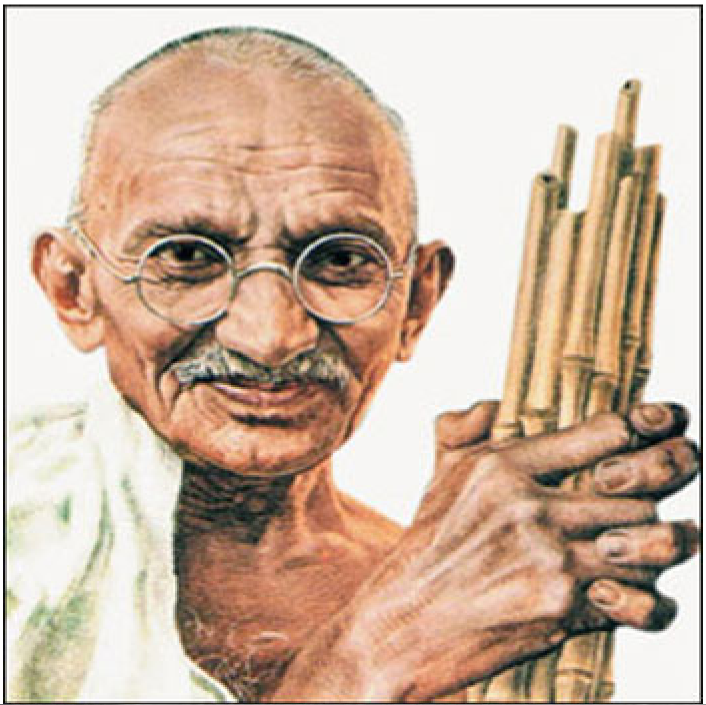


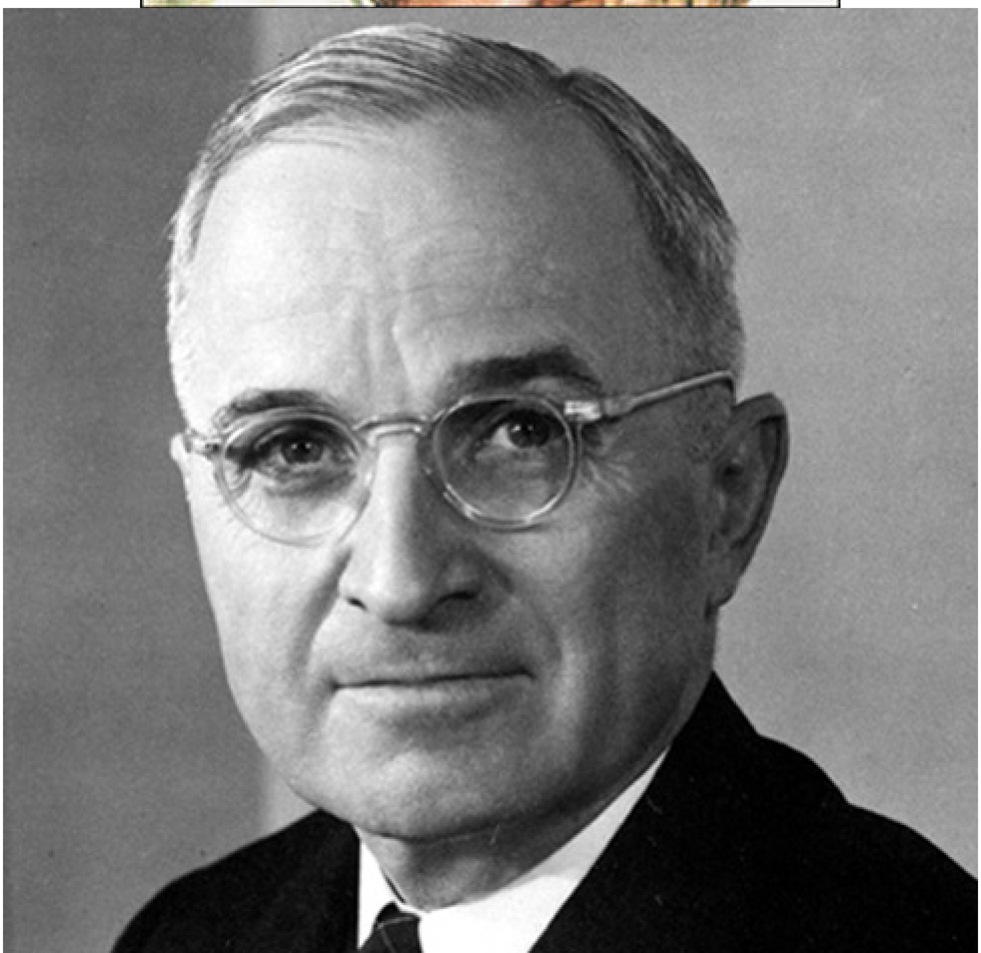


الصورة رقم:٢٥. برنارد شو/ الصورة رقم: ٢٦ هنري برغسون



الصورة رقم: ٢٧ . عباس محمود العقاد

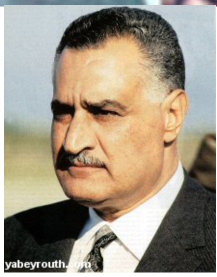




الصورة رقم:٢٨ المهتاما غاندي/الصورة ٢٩.الرئيس الأمريكي ترومان

الصورة رقم: ٣٠ . محمد عابد الجابري





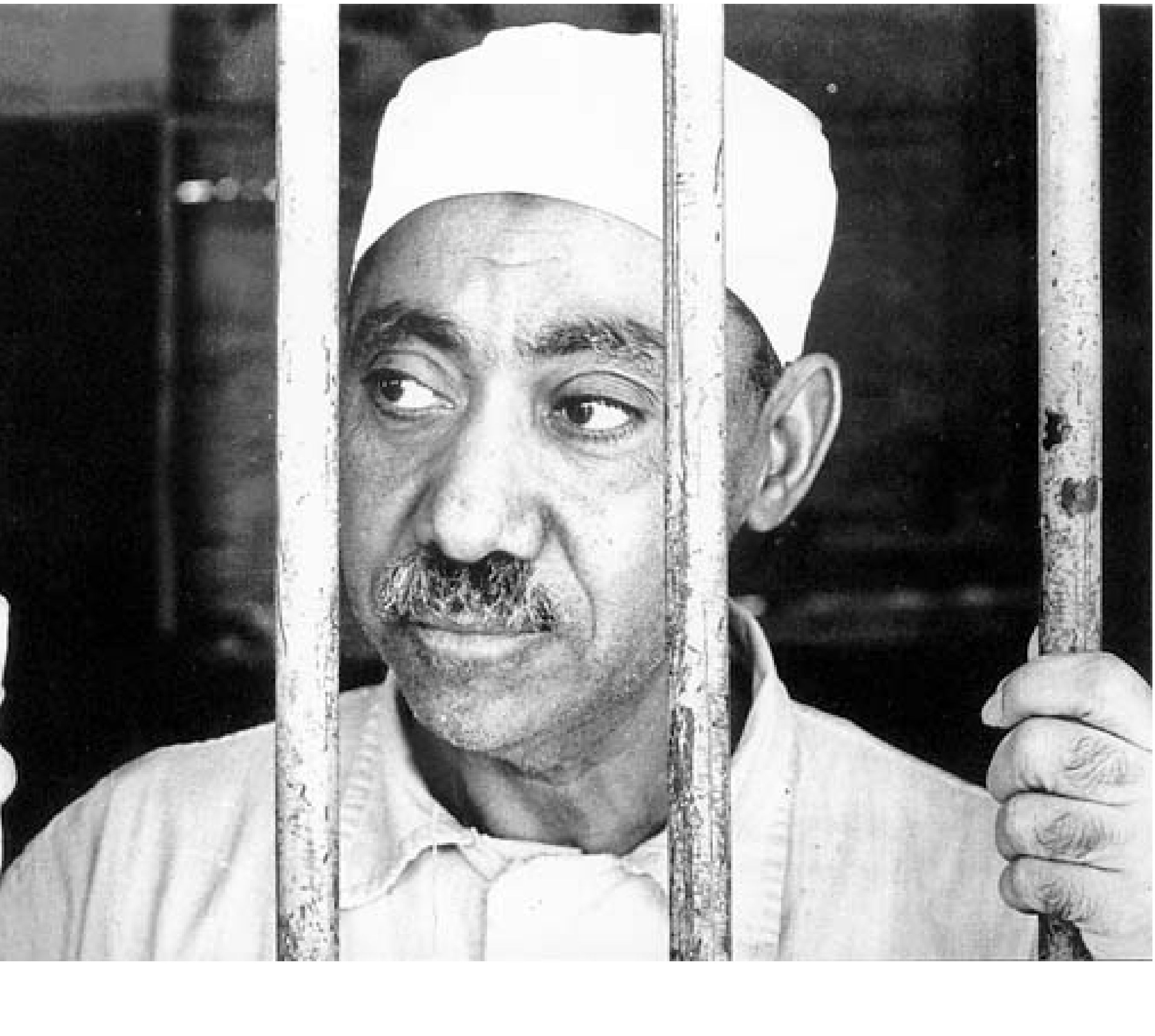
الصورة رقم: ٣١ . الرئيس جمال عبد الناصر



الصورة ٣٢ . زكي نجيب محمود



الصورة رقم: ٣٣. الشيخ حسن البنا– الصورة رقم:٣٤ الشهيد سيد قطب





الصورة رق: ٣٥ –الرئيس السوفياتي ليونيد بريجنيف





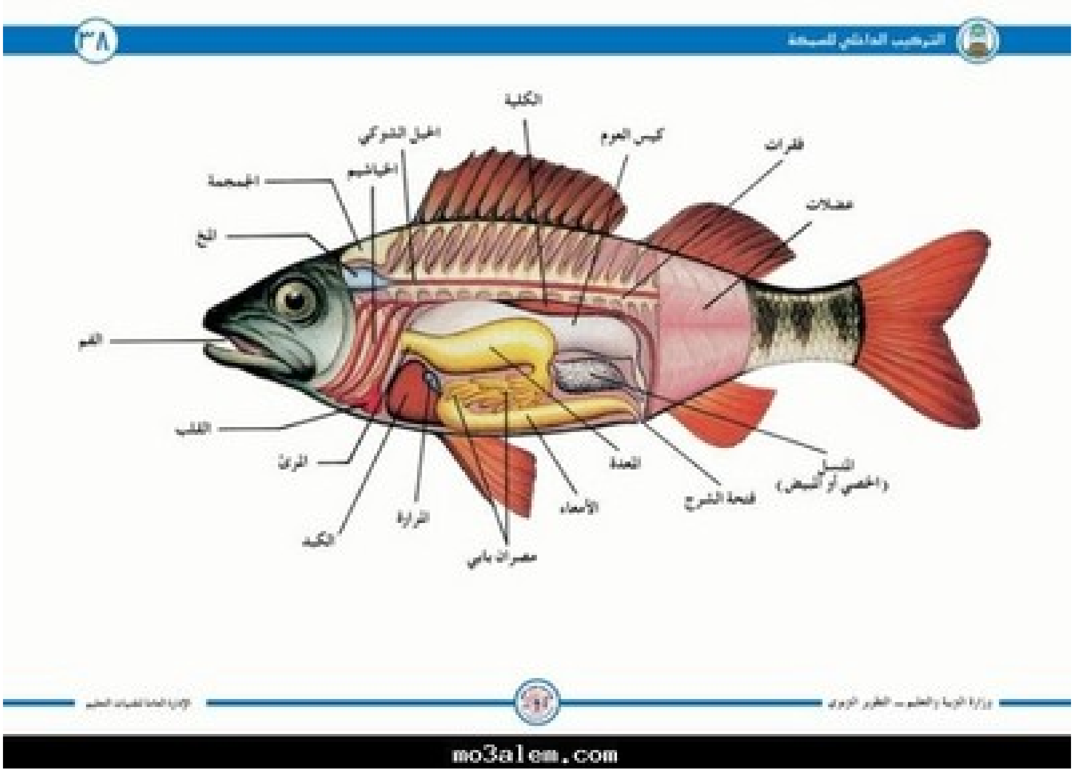
الصورة :٣٦. مصطفى محمود/ الصورة :٣٧ الرئيس هوراي بومدين

و إنهاءً للمجموعة الخامسة يتبين من نماذجها ، أن أرسطو وقع في أخطاء و انحرافات منهجية فادحة ،و مُضحكة ذكرنا منها أربعة نماذج تضمنت أكثر من ٠٧ أخطا علمية و انحرافات منهجية هي من باب التمثيل لا الحصر[١]. كان فيها أرسطو أقرب إلى الكهان و الدراويش من أهل العلم و حُذاقه!! .

و أما المجموعة السادسة فتتعلق بالأسماك ، و تتضمن ثلاثة نماذج . الأول مفاده أن أرسطو ذكر أن السمك ليست له رئة و لا عنق ، و كل حيوان ليس له عنق ليست له رئة ،و لا يحتاج إلى المريء ، الذي هو مدخل الطعام المار بالرقبة إلى الطعام[٢] .

و أقول: إن حكمه هذا غير صحيح ، لأنه لا توجد ضرورة عقلية و لا عملية تجعل عدم وجود العنق يستلزم عدم وجود الرئة و المريء . فالرجل أخطأ في حكمه ،و في تطبيقه على الأسماك ، فهي و إن كانت رقبتها غير ظاهرة ، لاتصال الرأس مباشرة بما يليه ؛ و إن كانت لها خياشيم تقوم مقام بعمل الرئة ، فإنها من جهة أخرى لها مريء واضح ، و ليست المعدة متصلة مباشرة بالفم . فالمريء موجود رغم اختفاء الرقبة ،و يظهر ذلك جليا في التشريح الداخلي للأسماك ، كما هو مُبيّن في الصورة رقم :٣٨ [٣].

[١] توجد نماذج أخرى لم نذكرها توجد في نفس مواضع النماذج المذكورة .
[٢] أرسو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٦٦ .
[٣] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الأسماك . و الصورة موجودة في الموسوعة العربية ،و في الشبكة المعلوماتية .



الصورة رقم : ٣٨ . التشريح الداخلي للسمك

و النموذج الثاني مفاده أن أرسطو قال : ((ينبغي أن يُعلم أنه ليس لشيء من أصناف و أجناس السمك خُصى))[١] .

و حكمه هذا غير صحيح ، بناه أساسا على الظن و التخمين ثم عممه بلا دليل صحيح من العقل ،و لا من الواقع ، لأن الصورة أعلاه (رقم : ٣٨) تُبين بوضوح بأن لذكر السمك خِصية هي التي تنتج النُطاف ، و لإناثه مبيض ينتج البيوض .

و النموذج الثالث- الأخير- مفاده أن أرسطو ذكر أن عدد آذان الأسماك يختلف حسب أصنافها ، فمنها من له أُذن واحدة على كل جانب ، و منها من له أذنان على كل جهة ، و منها من له أربع آذان في كل جهة ، و منها من له خمس آذان على كل جانب، و منها من له ثماني آذان في كل جهة[٢] .

---

[١] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٩٦ .
[٢] نفس المصدر ، ص: ٧٨ .

و قوله هذا غير صحيح في معظمه ، لأن الثابت علميا أن الأسماك لها أُذنان كالإنسان ، واحدة على كل جانب من جانبي الرأس . وهما داخليتان ليس لهما صوان ، أو امتداد خارجي[1] . و لا أدري من أين جاء أرسطو بتلك المعلومات التي جعلت مجموع عدد آذان بعض الأسماك يصل إلى ١٦ أذناً من الجانبين ؟؟!! . فهو إما نقلها عن غيره و صدقها ،و إما اخترعها بظنونه الوهمية ،و أقيسته الفاسدة .

و أما المجموعة السابعة فتتعلق بالنعام و القنافذ ، و التماسيح و الحيات ، فبالنسبة للنعام فإن أرسطو قال : إن للنعام ظلفين[2] كالحيوان الذي له ((أربع أرجل ، لأنه ليس له أصابع بل أظلاف ،و علة ذلك من قِبَل أن عَظْم جسده لا يُشبه عَظْم طير ، بل يُشبه عظم حيوان له أربع أرجل))[3] .

و قوله هذا غير صحيح ، لأن النعام له أصبعان في كل قدم ،و ليس له ظلفان كما ذكر أرسطو . أما نعامة أمريكا الجنوبية فلها ثلاثة أصابع في كل قدم .و هما أصبعان قويان و مناسبان للجري و حمل جسم النعامة الكبير[4] . الأمر الذي يعني أن أرسطو كان يسمع بالنعامة و لم يراها ،و لا سأل العارفين بها ، لأنه لو رآها أو سأل المختصين عن النعام ما أخطأ في ذلك . فكيف سمح لنفسه أن يتكلم عنها في كتابه طبائع الحيوان من دون أن يراها ،و لا تأكد مما قاله عنها ، مكتفيا بالظن و التخمين ، كما فعل في نماذج كثير سبق ذكرها .

[1] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الأسماك ، الأذن .

[2] الظلف هو الظُفر المشقوق للبقرة و الشاة و الظبي ،و ما شاكلها من الحيوانات المجترة . علي بن هادية : القاموس الجديد ، ص: ٦٢٧ . علما بأن أرسطو ذكر أيضا كلاما مخالفا لكلامه الأول ، فنص على أن للنعام ثلاثة أصابع . كتاب طبائع الحيوان ، ص: ١٥٠ . و كلامه هذا ليس من له ، و إنما هو زيادة من المترجم العربي ، الذي تدخل في النص و زاد فيه ذلك لإصلاحه ، فجاء كلام أرسطو متناقضا . و الدليل على هذا هو أن النص اليوناني لكتابه طبائع الحيوان : المقالة ١٤- ذكر أن للنعام ظلفين . كتاب طبائع الحيوان ، ص : ١٥٦ ، و تعليق المحققة عزة محمد سالم ، هامش ص: ١٧٤ .

[3] أرسطو : المصدر السابق ، ص: ١٩٣ .

[4] الموسوعة العربية الميسرة ، ج ٢ ص: ١٨٤٠ . الموسوعة العالمية العربية ، مادة : النعامة ، الرية .

و أما فيما يخص القنافذ ، فإن أرسطو أكد على أن ((في جميع أجناس القنافذ بيض)) ،و ((جميع أجوافها خمس بيضات ...)) . و قال أيضا : ((و في جميع أجواف القنافذ بيض فرد العدد . أعني أن في جميع أجوافها خمس بيضات)) ،و هي مستوية الاستدارة. و بيضه غير مأكول ، أسود اللون، ((ما خلا البيض الذي يطفو ، و بيض القنافذ صغير))[١] .

و قوله هذا غير صحيح ،و باطل جملة و تفصيلا،و و هو قول بلا علم،و رجم بالغيب ، لأن الصحيح هو أن القنافذ حيوانات ثديية ولودة و ليست بياضة . و تضع ما بين : ١-٦ صغار[٢]، كما هو موضح في الصورتين[٣] رقم: ٣٩ ، ٤٠ . لكن يُوجد منها نوع واحد ثديي بياض هو





الصورة رقم: ٣٩. صغار القنفذ — الصورة رقم: ٤٠ صغار القنفذ

قنفذ النمل ، يضع بيضة واحدة في السنة في كيس لاصق ببطنه ، يفقس فيه و يبقى فيه يتناول حليب أمة عدة أسابيع حتى يكتمل نموه[٤] . فأين مزاعم أرسطو الباطلة و المضحكة الذي عمم حكمه على كل القنافذ بأنها بياضة ، و عدد بيضها خمس بيضات ،و لونها أسود ؟؟ !!،و هي لا تصدق أيضا حتى على قنفذ النمل . فلماذا سمح لنفسه أن يتكلم بلا علم ؟؟!! .

و النموذج الثاني مفاده أن أرسطو ذكر أن أعضاء القنافذ الداخلية ليست لحمية ، و عبّر عنها بقوله :((و ليس في بطونها شيء لحمي البتة كما قلنا أولا))[٥] .

---

[١] أرسطو : طبائع الحيوان ، ص: ٥٤، ٥٧ . و في أعضاء الحيوان ، ص:١١١، ١١٢ .
[٢] الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ص: ٥٧٨ ، ج ٢ ص: ١٤٠٣ . و موقع فوكس لورد ، بوابات كنانة أون لاين ، على الشبكة المعلوماتية .
[٣] مأخوذتان من الشبكة المعلوماتية .
[٤] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : قنفذ النمل .
[٥] أرسطو : في أعضاء الحيوان ن ١١١ .

و قوله هذا غير صحيح مُطلقا ،و مُثير للضحك و الاستغراب ، و مُخالف لما هو معروف و ثابت من أن الحيوانات الثديية و البياضة المتوسطة و الكبيرة هي حيوانات لحمية . لكن الرجل نفى مُطلقا أن تكون بطون القنافذ لحمية ، من دون أي دليل صحيح ،و لا ضعيف . و الثابت قطعا أن القنافذ بطونها لحمية ،و لحمها يُمكن أكله ،و هي لحمية الظاهر و الباطن ، و الأشواك تنمو لها بعد ولادتها ، كما هو مُبين في الصور[1] رقم : ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ .



الصورة رقم: ٤١ . لحم القنفذ

[1] مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .



الصورة رقم: ٤٢ . بدايات تكوّن أشواك القنفذ

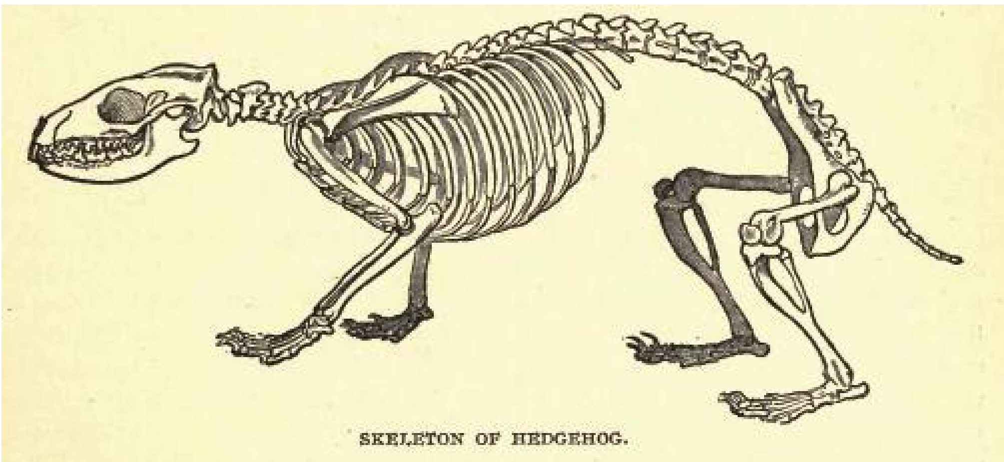
و النموذج الثالث مفاده أن أرسطو زعم أن القنفذ لا يحتمل فرط الحرارة و لا البرودة ، لذلك نجد القنافذ تخرج ليلا عند امتلاء القمر . ليس لأنه يرعى أكثر كما يضن بعض الناس ، بل لأن ليالي امتلاء القمر أسخن ، لحال ضوء القمر. و من أجل أن الحيوان غير دمي ،و لذلك يجد البرد جدا،و يحتاج إلى الدفاء))[1] .

و أقول : ليس صحيحا أن القنفذ حيوان غير دمي ، بل إنه حيوان دمي ، كما واضح من الصورة رقم ٤١ . و هو ثديي من ذوات الدم الحار ، جسمه له حرارة ثابتة تقريبا[2] ، لا يحتاج إلى الخروج ليلا في الأيام المقمرة ليُدفئ جسمه ؛ و إنما هو يخرج ليلا لأنه حيوان ليلي ، يخرج ليلا طلبا للطعام . لكنه عندما يشتد عليه البرد — في المناطق الباردة- يدخل في السبات ،و عندما تشتد عليه الحرارة- في المناطق الصحراوية- يحفر جحورا في المناطق الصحراوية لتقيه من حر النهار.[3] .

[1] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ١١٢ .
[2] الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ص: ٥٧٨ ، ج ٢ ص: ١٤٠٣ .
[3] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الحيوان البري في البلاد العربية ، القنفذ ، حيوان الدم الحار .

و النموذج الأخير –الرابع– مفاده أن أرسطو زعم أن جسم القنفذ خارجيا مستوي الاستدارة من كل ناحية ، و هذا هو الذي جعل بيضه مستوي الاستدارة مثل جسده[1].

و قوله هذا زعم باطل أيضا ، لأن جسم القنفذ مستطيل و ليس مستديرا ،و لا هو كامل الاستدارة من كل ناحية . و الصورتان[2] رقم : ٤٣، ٤٤ تُبينان ذلك بوضوح . و إنما جسمه قابل للاستدارة بنسبة كبيرة جدا ، بسبب تكوينه الهيكلي ،و هي وسيلة من وسائل الدفاع لديه. و أما حكاية بيضه المستدير فهي حكاية باطلة من أساسها ، لأن القنافذ ليست مستديرة ،و ليست بياضة كلها تقريبا كما سبق أن بيناه . فأين الاستدارة الكاملة المزعومة ؟! .



الصورة رقم:٤٣ هيكل القنفذ

[1] أرسطو : في أعضاء الحيوان ن ص: ١١٢ .
[2] مأخوذتان من الشبكة المعلوماتية .



الصورة رقم : ٤٤ . جسم القنفذ ليس مستديرا

و أما بالنسبة للتماسيح فسنذكر نموذجيّن يتعلقان بها : الأول مفاده أن أرسطو ذكر أن سائر الحيوان يُحرك فكه الأسفل ، ((ما خلا التمساح النهري فإنه يُحرك الأعلى . و علة ذلك من قِبل رجليه ليست بموافقة لأخذ و إمساك شيء من الأشياء لأنها صغار جدا . فهيأ الطباع فم هذا الحيوان موافقا لهذه الأعمال بدل الرجلين))[١].

و أقول: ليس صحيحا أن التمساح لا يُحرك فكه الأسفل و يُحرك الأعلى . و إنما الصحيح هو أن فكه الأعلى هو الذي لا يتحرك لأنه جزء من الجمجمة التي هي مرتبطة بالعمود الفقري . لكن الفك الأسفل يتحرك لأنه مُركب في الجمجمة كما في سائر الحيوانات . و من يُتابع تحركات التمساح عندما ينقض على فرائسه ،و يصارعها يتبين له جليا أن فكه السفلي

[١] أرسطو : طبائع الحيوان ، ص: ١٥٠ .

يتحـرك ، و الأشـرطة العلميـة الـتي تُبـين ذلـك كثـيرة توجـد في الأقـراص ، و تُعـرض في الفضائيات[1] .

و ليس صحيحا ما قاله أرسطو عن أرجل التمساح ، و الصحيح أنها ليست صغيرة جدا، و إنما هـي كبـيرة بـارزة– نسـبياً– قوية يسـتطيع التمسـاح أن يمسـك بهـا ، و يتشـبث بهـا، و يسبح بها ،و ترفعه عن الأرض كما هو مُبين في الصور[2] رقم : ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .



الصورة رقم: ٤٥ . أرجل التمساح

[1] كما في فضائية ناشيونال جيوغرافيك في دبي .
[2] مأخوذتان من الشبكة المعلوماتية .



الصورة رقم: ٤٦



الصورة رقم:٤٧

وذكر الباحث حسن علي أن هذا خطأ شاع بين الناس ، و أن سبب خطأ أرسطو أنه لم ير تمساحا يأكل[1] . و هذا تبرير غير مقبول ، و لا يعفي أرسطو من تحمل مسئولية خَطَئه ، لأنه كان عليه أن يتثبت ، و لا يتكلم دون تأكد مما قاله ،و هذا أمر مطلوب عقلا و علما . لأن كلا من النافي و المثبت مُطالب بالدليل .

و النموذج الثاني مفاده أن أرسطو قال: ((فأما سائر الحيوان الدمي فإنه يُوجد لسان في فيه ، ما خلا التمساح النهري. فإنه يُظن أنه ليس له لسان ،و إنما له مكان اللسان فقط . و علة ذلك من أجل أنه يُقال : حيوان بري ،و يُقال : حيوان مائي . و لأنه حيوان بري له مكان لسان ،و لأنه حيوان مائي ليس له لسان))[2] .

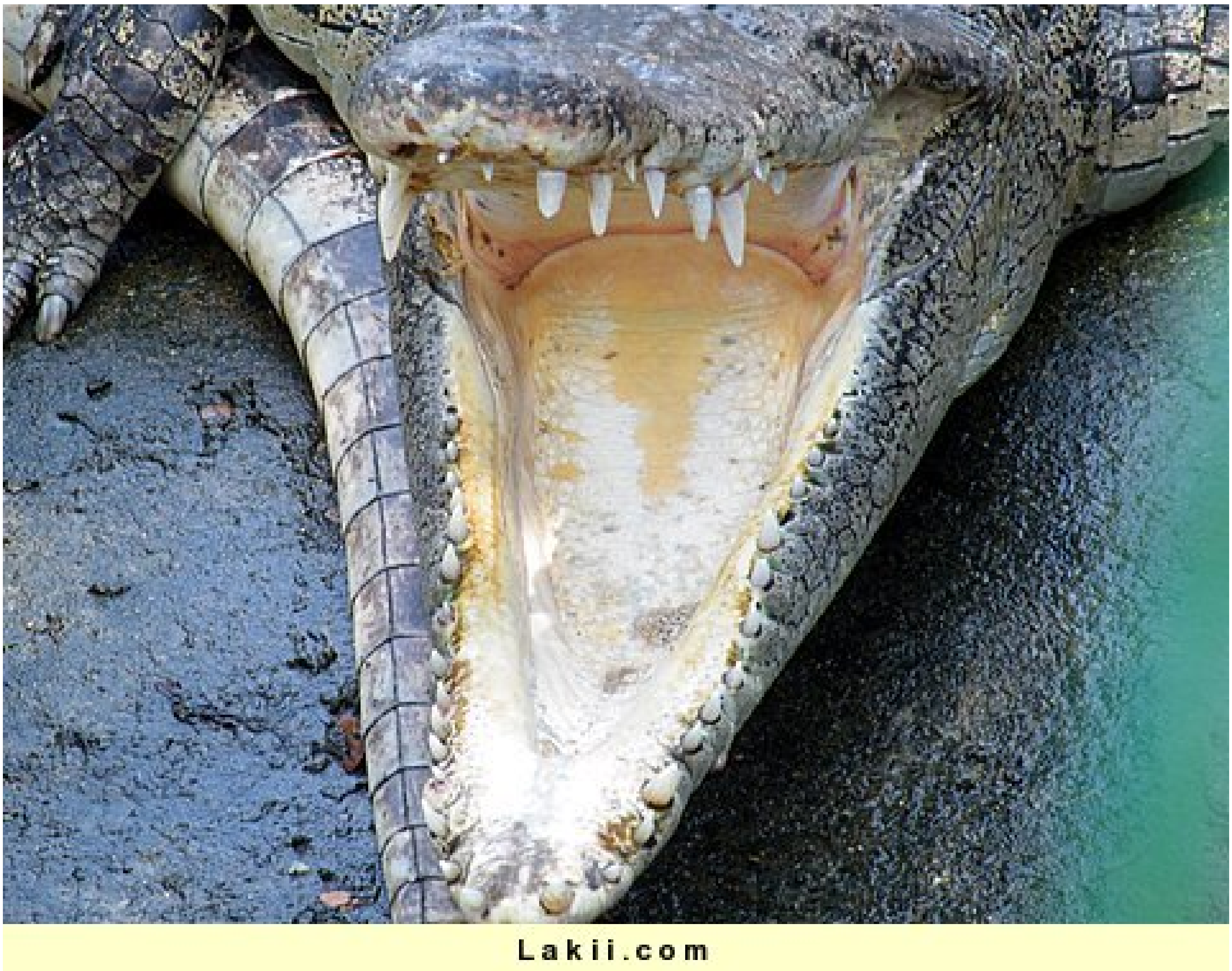
و أقول: ليس صحيحا أنه ليس للتمساح لسان ، بل له لسان كبير: عريض و طويل ، يظهر داخل تجويف الفك السفلي ، كما هو مُبين في الصور رقم: ٤٨، ٤٩ ، ٥٠. لكنه لا يستطيع إخراجه خارج فمه . لذلك ظن أرسطو و غيره أنه ليس للتمساح لسان . ثم أن أرسطو لم يكتف بأنه ظن ذلك ظنا ،و لم يتأكد منه ، و إنما صدّقه و حاول تفسير ذلك بحكاية البري و المائي ،و هي حكاية باطلة من أساسها . لأن اللسان موجود لدي الحيوان البري ،و المائي ،و لدى البرمائي أيضا ،و هذا مُشاهد في الواقع ، كالضفادع مثلا[3].

---

[1] حسين علي: علم الأحياء عند أرسطو ، دار قباء القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص: ٤٦ .
[2] أرسطو : طبائع الحيوان ، ص: ١٤٤-١٤٥ .
[3] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : اللسان .



الصورة رقم: ٤٨ . لسان التمساح



الصورة رقم: ٤٩ . لسان التمساح



الصورة رقم: ٥٠ . لسان التمساح

و أُشير هنا إلى أن أرسطو عاد و نقض كلامه السابق ، و ذكر أن للتمساح لسان قصير وصغير ، و هذا يتوافق مع عدم حركة الفك السفلي ، لأن فكه الأسفل لا يتحرك البتة ،و اللسان مُلتئم به[١] . لكن الحقيقة هي أن لسانه و إن كان لا يتحرك، فهو ليس صغيرا و لا قصيرا ، و فكه الأسفل يتحرك خلاف ما قاله أرسطو، كما سبق أن بيناه . كما أن قوله هذا يدل على أنه تناقض مع نفسه، و لم يكن مُتيقنا مما قاله سابقا و لا شاهده ، و لا صحح تناقضه هذا . فلماذا تكلم بلا علم أولا ؟ ، و لماذا لم يُصحححه ثانيا ؟ ! .

[١] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٥٥ .

و أما فيما يخص الحيات ، فسنذكر أربعة نماذج تتعلق بها . الأول مفاده أن أرسطو قال : ((فأما الحية فإنها مما يُظن أنه ليس لها عنق ، بل عضو آخر ملائم للعنق . و ذاك لأنه ليس هذا العضو محدودا بأطراف معروفة))[1] .

و أقول : واضح من كلامه أنه لم يعتمد على برهان و لا مشاهدة حقيقية ، و إنما اعتمد على الظن و النظرة السطحية العامة . و هو قد أخطأ فيما ذهب إليه ، لأن الثعابين لها عمود فقري مُكوّن من فقرات كثيرة ، ابتداء من الرأس إلى نهاية الذنب. و بعضها ظاهر العنق ، و رأسها مُتميز عن الرقبة ،و بعضها الآخر غير واضح . فمن النوع الأول : حية القرناء ، لها عنق واضح يفصل الرأس عن بنية الجسم ،و أفعى الأشجار ، و أفعى قاسبريت ، و أفعى القطط . و منها أيضا حية الكوبرا المصرية ، لها عنق واضح تبسطه عندما تتحفّز لمهاجمة فريستها .و كذلك ثُعبان الأزورد المصري ، له عنق واضح من الخارج ، يفصل الرأس عن بقية الجسم[2] .

فواضح من ذلك أن أرسطو قد قصّر كثيرا في موقفه هذا ، فاكتفى بالظن و لم يُكلف نفسه التحقق من ذلك ، فهذا ليس من العلم ، ولا من البرهان ، و لا من اليقين في شيء . و قد كان في مقدوره التأكد من ذلك بنفسه أو بسؤال المختصين .

و النموذج الثاني مفاده أن أرسطو زعم أن عظام الحيات شبيه بالشوك الذي في السمك ، لكن الحيات العظيمة جدا تحتاج إلى سند قوي كالحيوانات التي تلد[3] .

و قوله هذا غير صحيح، فيما يتعلق بالحيات ، فهي ذات هيكل عظمي حقيقي نجده في مختلف الحيات، و يظهر ذلك واضحا في الجمجمة ،و العمود الفقري ، و الأضلاع. علما بأنه حتى الأسماك الكبيرة ، هي أيضا لها عظام ، و ليس لها شوك[4] .

---

[1] أرسطو : طبائع الحيوان ، ص: ١٥٣ .

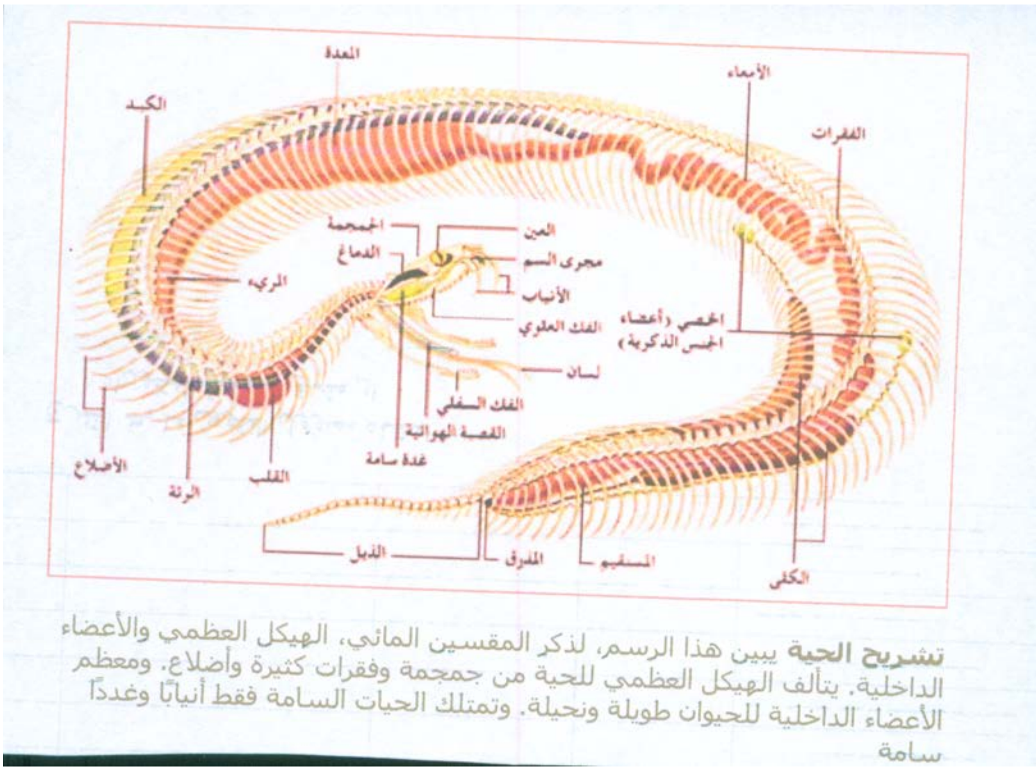
[2] محمد رشاد الطوبي: ((فمنهم من يمشي على بطنه)) ، دار المعارف، مصر ، دت ، ص: ٢٤ ، ٧٩، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ٩١ . و الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الحيوان البري في البلاد العربية .

[3] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٤٤ .

[4] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الحية ، الأسماك .

و النموذج الثالث مفاده أن أرسطو زعم أن للحيات أضلاع كثيرة قدّرها بثلاثين ضلعاً، مساوية لعدد أيام الشهر[1] .

و أقول: إن عدد أضلاع الحيات أكثر من ذلك بكثير ،و هي نفسها مُتباينة جدا في عددها حسب أنواعها و أحجامها . و لا يصح تحديدها بذلك العدد ، فالرجل عددها بذلك من دون أي دليل . لأن عمودها الفقري تتراوح فقراته ما بين: ١٥٠-٤٣٠ فقرة ، و في كل فقرة زوجان من الأضلع، كما هو مُبين في الصورة رقم: ٥١. فعدد أضلاعها كبير جدا ،و أكبر من ثلاثين ضلعا مرات عديدة[2]



الصورة رقم : ٥١ .

و النموذج – الأخير – الرابع – مفاده أن أرسطو زعم أنه يُوجد في الحيوان الذكر ما ليس له أنثيان – خصيتان– كجنس الحيات ،و إنما له سبيلان فيهما زرع[3].

[1] أرسطو: طباع الحيوان ، ص: ٩١ .
[2] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الحية .
[3] نفسه ، مادة : الحية .

و قوله هذا غير صحيح ، و هو زعم بلا دليل ،و كلام بلا تقبت . و الصحيح هو أن لذكور الحيات خُصى ، و أعضاء ذكرية ، كما هو مُبين في الصورة رقم: ٥١[1] .

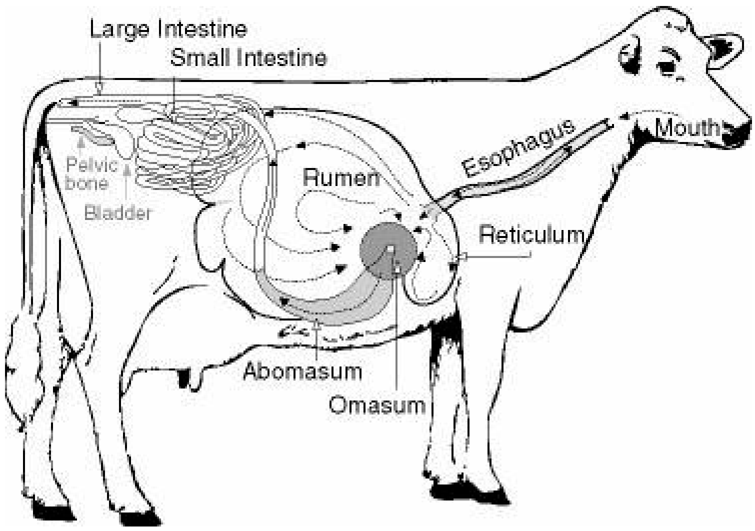
و من تلك النماذج- من المجموعة السابعة- يتبين أن أرسطو وقع في أخطاء و انحرافات منهجية كثيرة تتعلق بالنعام و القنافذ ، و الحيات و التماسيح . و قد تضمنت تلك النماذج أكثر من عشرين خطأً و انحرافاً منهجيا، كانت لها آثار سلبية على العقل و العلم معا ، يتحمل أرسطو مسؤوليتها . بسب إهماله و عدم تثبته في كثير مما كتبه .

و أما المجموع الأخيرة — الثامنة — فتتعلق بمواضيع مُتفرقات ، تتضمن خمسة نماذج . الأول مفاده أن أرسطو قال: للحيوانات المجترة معدة كبيرة تتكون من أربعة تجاويف- بطون- ، كمعدة الجمل ، فهو من الحيوانات المجترة . و سبب كبرها أن ((فم المعدة يبدأ من ناحية الفم ، ثم يتجه ناحية الرئة ،و يمر بالحجاب الحاجز حتى ينتهي إلى البطن العظيم ...))[2] .

و قوله هذا لا يصدق على الجمل ، فمع أنه حيوان مجتر ، إلا أن معدته تتكون من ثلاثة تجاويف فقط و ليس من أربعة كما قال أرسطو[3] . و قوله بأن معدة الحيوان المجتر تبدأ من ناحية الفم ، فهو كلام باطل جملة و تفصيلا ، و لا يصح استخدامه تفسيرا لسبب كِبَر معدة الحيوان المجتر . و قوله هذا هو قول بلا علم،و رجم بالغيب ، و لا يصح قوله أبدا ، لأن شق الحيوانات المجترة كان معروفا عند كل الشعوب ، بحكم أنها هي المصدر الأول للحوم التي يتناولها الإنسان . و أي إنسان يذبح خروفا ، أو جملا، أو بقرا ، ثم يشقه سيتبين له بوضوح أن فم معدة هذا الحيوان بعيد جدا عن الفم ، يفصل بينهما البلعوم ،و مريء طويل يمر بالرقبة ، ثم بالصدر ليصل إلى المعدة . و قولنا هذا لا يحتاج إلى توثيق ، لأنه معروف، و يستطيع أي إنسان التأكد منه ،بأن يذهب إلى سوق اللحوم ليسأل ، أو ليري بعينيه . فلا

[1] و أنظر : الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الحية .
[2] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٩٤ . و طباع الحيوان ، ص: ٨٨ .
[3] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الجمل ، الحيوان المجتر .

أدري هل هذا الرجل يعي ما يقول ، أو أنه لا يعي ذلك ، أو أنه يتعمد قول مثل هذه الحماقات لغايات في نفسه ، أو أن ذلك هو مبلغه من العلم ؟!! . و الصورة رقم: ٥٢ تُثبت ما ذكرناه ،و تبين خطأ قول أرسطو ،و المريء واضح في الصورة باسم : Esophagus .



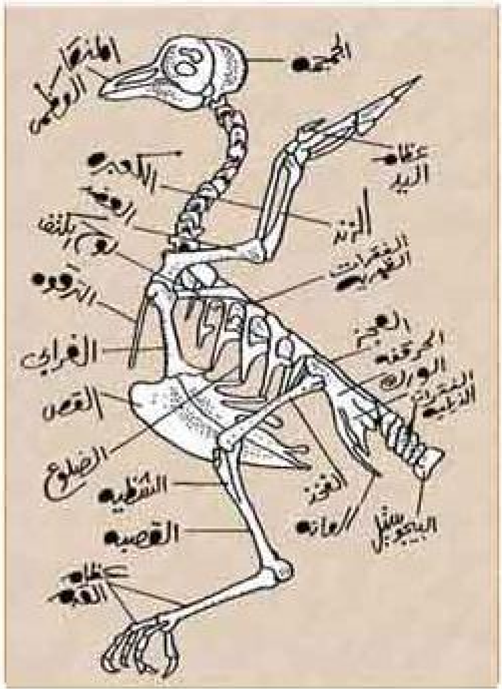
الصورة رقم: ٥٢ . معدة الحيوان المجتر: البقر نموذجا[1] .

النموذج الثاني مفاده أن أرسطو زعم أنه ((ليس بشيء من الحيوان الذي له أربع أرجل وركان ، لأن فخذي و ساقي الإنسان كثيرة اللحم فأما سائر الحيوان ففخذاه و ساقاه عادمة اللحم)) . فأما ((الحيوان الذي له أربع أرجل و سائر الأجناس فعلى خلاف ذلك . لأن كثرة اللحم و الثقل في الناحية العليا ،و ليس في الناحية السفلى من شيء إلا القليل اليسير. و من أجل هذه العلة ليس لهذا الحيوان وركان))[2] .

[1] الصورة مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .
[2] أرسطو : طبائع الحيوان ، ص: ١٣١ ، ١٣٣ .

و أقول : الورك هو عَظْم يقع بين الجذع و الفخذ ، و هو الذي يحمل مقعد الإنسان اللحمي[1] . لكنه ليس خاصا بالإنسان كما زعم أرسطو ، فهو موجود أيضا لدى الحيوان الرباعي الأرجل ، كالحصان ، و الإبل ،و القط [2] .

و قلة وجود اللحم في مؤخرة الحيوان لا تستلزم عدم وجود الورك كما زعم أرسطو . فإذا كان ورك الإنسان مملوء لحماً ، فإن ورك الحيوانات الرباعية الأرجل مثلا ، قليلة اللحم ، و كذلك الطيور ، فوركها قليل اللحم أيضاً . فوجود الورك لا يستلزم وجود اللحم الكثير، و وجود اللحم القليل في مكان الورك لا يستلزم عدم وجوده كما هو واضح في الهيكل العظمي للحمام(الصورة رقم :٥١[3]) .



الصورة رقم: ٥١. الهيكل العظمي للحمام

[1] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الردف .
[2] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الحصان ، القط . و عصام عزيز هيكل : تشريح عظام الإبل ، موقع الزراعة و الحياة ، بوابات كنانة أون لاين .
[3] الصورة مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .

و أما فيما يخص لحم الفخذ فقوله بأن ((سائر الحيوان ففخذاه و ساقاه عادمة اللحم)) ، هو قول غير صحيح تماما ، لأن أفخاذ الكباش ، و الأبقار ، و الفيلة ، و الدجاج مثلا ، مليئة باللحم و ليست معدومة اللحم !! . فهذا من أغرب و أفحش الأخطاء التي وقع فيها أرسطو ، و التي لا يصح الوقوع فيها أبدا ، إنه مُخالف للواقع تماما !! . فلعله نسي أو سها ، أو هو من أخطاء النساخ .

النموذج الثالث مفاده أن أرسطو ذكر حيوانيّن: الأول سماه الحمار الهندي ، له قرن واحد ،و حافر في كل رجل. و الثاني يُعرف باليونانية باسم: أُرقص ، له قرن واحد ،و ظلفان في كل رجل[1] .

و أقول: لقد بحثتُ عن الحيوان الأول – حسب وصف أرسطو له– فلم اعثر على ما يدل على أنه كائن له وجود حقيقي في بلاد الهند ،ولا في غيرها من بلاد العالم . فماذا يعني هذا ؟ . ربما يقول بعض الناس : إن الحمار الهندي الذي ذكره أرسطو هو نفسه حيوان الكركدن الهندي، المعروف أيضا بوحيد القرن . و هذا احتمال وارد ، لكن لا تنطبق عليه كل الأوصاف التي وصف بها أرسطو الحمار الهندي . منها أن الكركدن لا يشبه الحمار ، فهو يختلف عنه شكلا و ضخامة . و منها أن الكركدن له ثلاثة أصابع منتظمة في كل رجل[2] ، لكن الحمار الهندي له حافر في كل رجل حسب وصف أرسطو له . ؟! ألا يُرجح هذا بأن الحمار الهندي ، هو كائن مزعوم ،و لا وجود حقيقي له ؟! .

و أما الثاني فهو أيضا قد بحثتُ عنه فلم أعثر على ما يدل على أنه كائن حقيقي . فهل هو كائن خرافي ؟! . لقد أجاب عن التساؤل محقق كتاب طباع الحيوان : الباحث عبد الرحمن بدوي فقال : لقد كرر أرسطو ذكر ذلك الحيوان، و هو حيوان خُرافي ، كان الأصل في أسطورة الليكورنات ، التي ذكرها هيرودوت[3] .

---

[1] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٦٣ . و طباع الحيوان ، ص: ٥٨ ، ٥٩ .
[2] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الخرتيت . و الخرتيت هو نفسه الكركدن .
[3] أرسطو : طباع الحيوان ، من تحقيق عبد الرحمن بدوي، هامش ص: ٨٥، ٥٩ .

و ربما يقول بعض الناس: إن أرسطو قصد حيوان المارية ، لأنها تُسمي باللغة الإنجليزية : Oryx ، و هو اسم قريب من اسم: أُرقص. و هذا اعتراض وجيه ، لكنه لا يصح ، لأن وصف أرسطو لحيوان أُرقص لا يصدق على حيوان المارية . فهي من أنواع الظباء ، لها عدة قرون طويلة[١] ، و ليس عندها قرن واحد كما ذكر أرسطو .

النموذج الرابع مضمونه أن أرسطو زعم أن كليتي الإنسان شبيهتان بِكِلى البقر ، لأنهما ((مركبتان من كِلى صغار كثيرة، و ليس من لحم أملس مستوٍ مثل كِلى الغنم ،و سائر الحيوان الذي له أربعة أرجل))[٢].

و أقول: إن تشبيهه لكلية الإنسان بكلى البقر ، هو خطأ فاحش ، و كلام بلا علم، و رجم بالغيب من جهة ، و يُثير الدهشة و الاستغراب من جهة أخرى . لأن الصحيح هو عكس قول أرسطو ، لأن كلية الإنسان تُشبه كلية الغنم لا البقر . و الصور رقم: ٥٢، ٥٣، ٥٤ [٣]، تُبيّن ذلك بوضوح ،و تُغنينا عن التعليق و الشرح و الجدال . فلماذا تكلم بلا علم ؟ ! ، و لماذا لم يتثبت مما قاله ؟! .

[١] الموسوعة العربية العالمية ، مادة: المارية .
[٢] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٨٦ .
[٣] الصور مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .

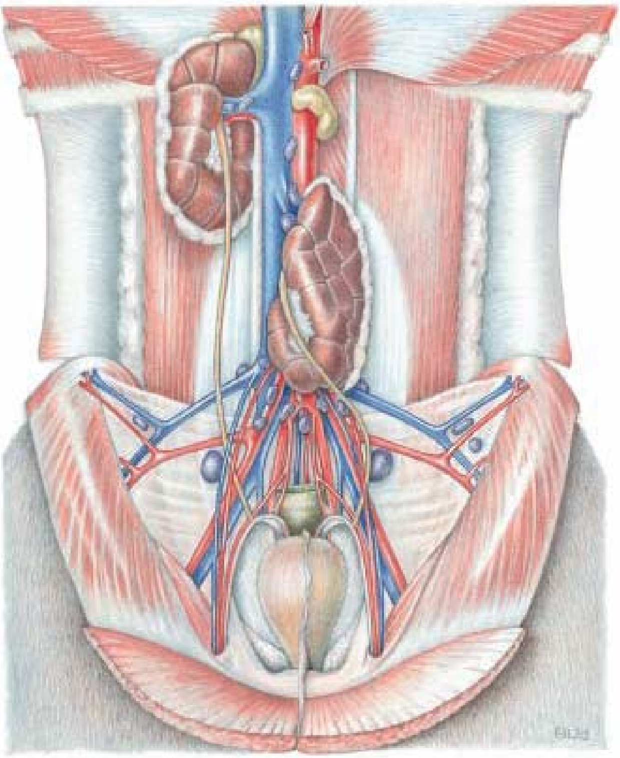


الصورة رقم: ٥٢ . كلية الإنسان



الصورة رقم: ٥٣. كلية الغنم

الصورة رقم:

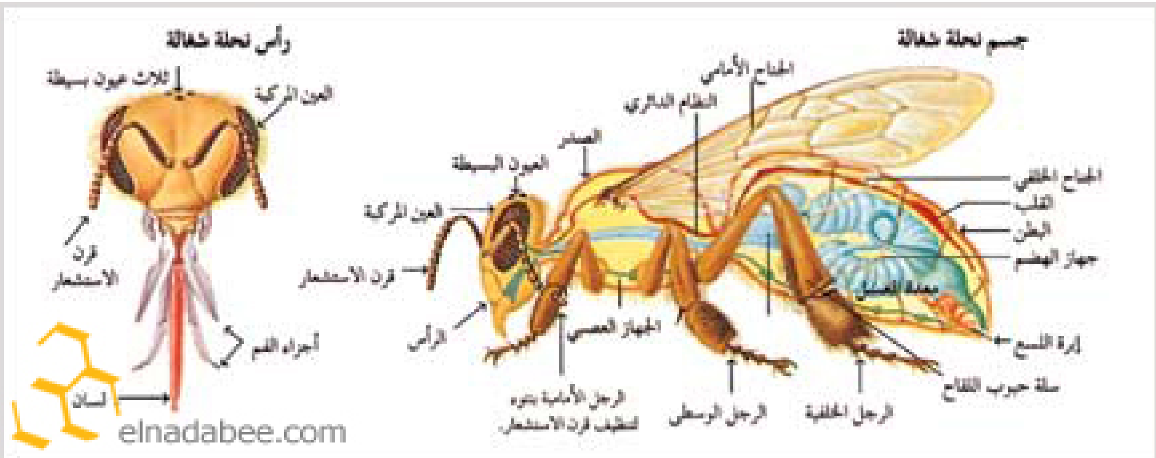




الصورة رقم: ٥٤ . كلية البقر

و النموذج الأخير– الخامس – مضمونه أن أرسطو زعم أن أعضاء الجوف كالقلب مثلا ، خاصة بالحيوان الدمي فقط ،و لا توجد في الحيوان الذي لا دم له . ثم خطّأ ديموقريطوس الذي خالفه الرأي ، و رد عليه بقوله : ((و قد أخطأ ديموقريطوس فيما قال في أعضاء الجوف ، حيث قال : إنها تكون في الحيوان الذي لا دم له ، و لكن لا تظهر لحال صِغره))[1] .

و قوله هذا غير صحيح ، و هو – أي أرسطو– لم يقدم دليلا صحيحا على زعمه ، و لا على تخطئته لموقف ديموقريطوس . و قول ديموقريطوس هو الصحيح ، لأن للحشرات أعضاء داخلية كبقية الحيوانات الدمية . فلها جهاز هضمي ، و جهاز تنفسي ، و جهاز تناسلي ، و لها جهاز دوري ، و دمها عديم اللون ، أو تعلوه زرقة ، أو صُفرة[2] . و الصورة[3] رقم: ٥٥ ، تُبين جانبا مما ذكرناه يتعلق بأعضاء نحلة شغالة .



الصورة رقم: ٥٥. أعضاء نحلة شغالة

و ختاما لهذا المبحث يتبين منه أن أرسطو وقع في أخطاء و انحرافات منهجية كثيرة جدا ، تتعلق بأعضاء الإنسان و الحيوانات و وظائفها. و قد تضمنت أكثر من ١١٣ خطأً و

[1] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٦٩ .
[2] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الحشرة .
[3] مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .

انحرافا منهجيا، هي من باب التمثيل لا الحصر . و بها أضل أرسطو نفسه و أتباعه ،و جنى بها أيضا على العقل و العلم معا . فكانت نماذج هادفة كشفت حقائق كثيرة ، فكان منها ما هو فاحش الخطأ ، و منها ما هو مثُير للضحك و الاستغراب ، و منها ما هو أوهام و تحكمات ، و خرافات و مجازفات ، و منها ما يجعلنا نشك في نية أرسطو و موضوعيته ،و نتهمه بالذاتية و الإهمال ، و منها ما يدل على موقف أرسطو من المنهج التجريبي ، فما هو حقيقة هذا الموقف ؟ ، و ما هي تفاصيله ؟ .

ثانياً : حقيقة موقف أرسطو من المنهج التجريبي:

توجد شواهد كثيرة جدا تكشف حقيقة موقف أرسطو من المنهج التجريبي و ممارسته له . و سنقتصر على ذكر طائفة منها فقط، لأنه سبق أن ذكرنا كثيرا منها في المبحث السابق ،و هي كافية لتحديد موقفه لمن تدبر فيها . لكننا مع ذلك سنتوسع في هذا الموضوع بعض الشيء ، لتحديد موقف الرجل بدقة و وضوح .

أولا توجد شواهد من أقوال أرسطو تدل على أنه خاض في أمور لم يُشاهدها ،و لا جرّبها ، و لا سأل عنها أهل الخبرة . منها أنه نصّ على أن عَظْم عنق الأسد واحد مُتصل ليس فيه شيء من الفقرات[1] . فماذا يعني هذا ؟! ، إنه زعم باطل جملة و تفصيلا ، مُثير للدهشة و الاستغراب . لأن الصحيح هو أن عنق الأسد مُكوّن من فقرات و ليس من عظم واحد ، و أنه يستطيع أن يُحرك رقبته كما يريد في كل الاتجاهات و بسرعة ، يفعل ذلك عندما يُهاجم فريسته و يُصارعها . و لو كان عنقه مُكونا من عظم واحد ما استطاع فعل ذلك . و الصور الآتية[2] (رقم: ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨) تُبين ذلك بوضوح، و تُبطل زعمه نهائيا . و هذا يعني أنه تكلم بلا علم ، و ربما أنه لم ير أسداً في حياته ، أو أنه لم يُعاين عنق الأسد ، و لا تثبّت مما قاله، و لا مارس التشريح بنفسه،و لا سأل أهل الخبرة . فلو فعل ذلك ما وقع في هذا الخطأ الفاحش ! .

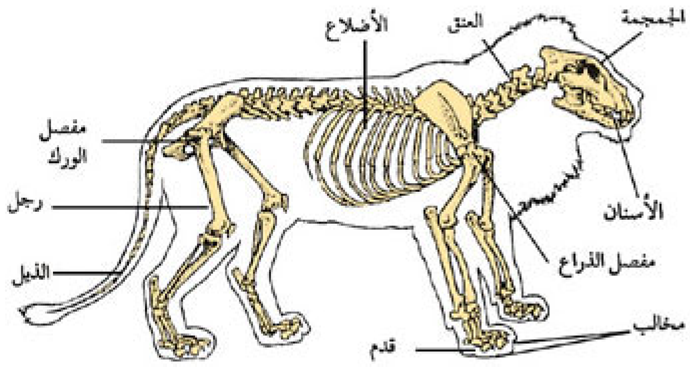
[1] أرسطو : طباع الحيوان ن ص: ٥٢ . و طبائع الحيوان ، ص: ١٤ .
[2] الصور مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .



الصورة رقم : ٥٦ .

h


الصورة رقم: ٥٧ . أسدان يتصارعان



الصورة رقم:٥٨. هيكل الأسد .

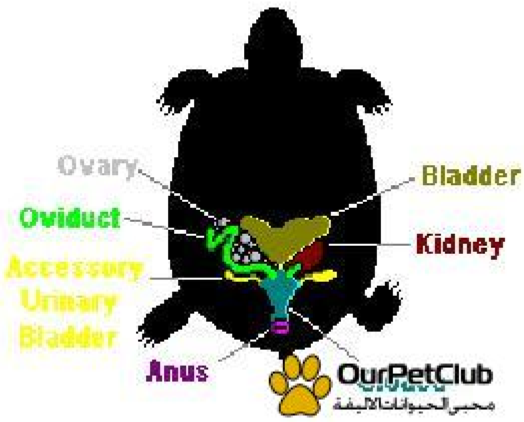
و ثانيا إنه توجد شواهد تدل على أن أرسطو كثيرا ما قرر أمورا أخطأ فيها مُعتمدا على الظن و القياس الفاسد من دون تأكد مُباشر لما قرره . و هذا دليل دامغ على أنه لم يكن يُعاين و لا يُجرب ،و لا يتثبت بالمشاهدة ، أو بسؤال أهل الخبرة ، في تلك الأمور التي تكلم فيها . و لو فعل ذلك ما أخطأ فيها أخطاءً فاحشة لا تقبل الاعتذار. و من ذلك أنه زعم أن الدماغ بارد و القلب حار ، و أن من ليس له عنق و لا رئة لا يحتاج إلى مريء ، و أن الحيوان الكبير الجثة له عَظْم في قلبه[١] .

و منها أيضا أنه هو نفسه كان يُصرح بعبارتي الظن و ربما[٢] . و بظنه و قياسه الفاسد زعم أن الجمل ليست له أسنان في الفكين السفلي و العلوي[٣] . و قال عن الحية : ((فأما الحية فإنها مما يُظن أنه ليس لها عنق ، ...))[٤] . فلماذا يعتمد على الظن و لا يُجرّب ، مع أن الأمر في متناوله و ليس صعبا ؟؟!! .

و ثالثا توجد شواهد من أقوال أرسطو توحي بأنه عاين و جرّب و تثبّت من الأمور التي تكلّم فيها ، فأصدر – من خلال ذلك – أحكاما كلية عامة على كائنات مُتباينة فيما بينها . لكن تبيّن أنه أخطأ فيها ، مما يعني أنه لم يُعاين و لا تثبت و لا جرّب شيئا . أو أنه عاين

[١] سبق توثيق ذلك ،و إظهار بطلانه . و أنظر أيضا أرسطو : في أعضاء الحيوان ن ص: ٧٣ .
[٢] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٩٥، ٩٧ .
[٣] سبق توثيق ذلك .
[٤] أرسطو : طبائع الحيوان ، ص: ١٥٣ .

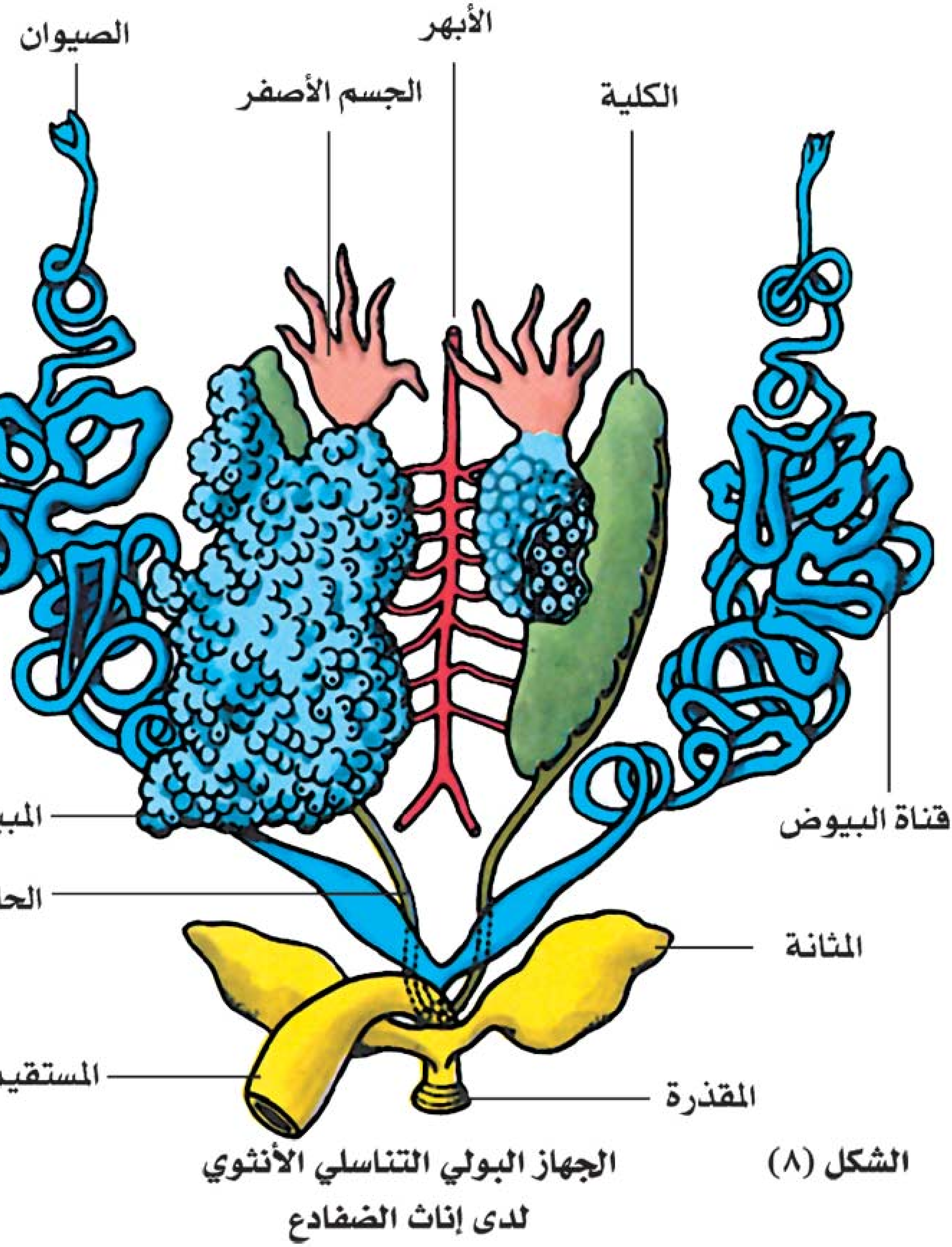
و جرّب بعض العناصر المتباينة المكونة لذلك التعميم ،و لم يشمل ذلك كل العناصر المتباينة المكونة لحكمه العام ، فجاء و هو عممه على الجميع . و هذا انحراف سافر عن منهج البحث التجريبي ،و لا يصح الوقوع فيه . و هذا الموضوع سنفصل فيه في لاحقا بحول الله تعالى . لكننا نذكر منه هنا مثالا واحدا من باب التمثيل ليكون شاهدا موضحا لما قلناه. و مفاده أن أرسطو قال : ((فأما الحيوان الذي له أربع أرجل ، و يبيض بيضا ، فليس له كليتان و لا مثانة))[١] . و هذا إن صح فلا يصدق على كل الحيوانات الرباعية الأرجل ، كالسلحفاة و الضفدعة ، فهما رباعيتا الأرجل ،و بياضتان ، و لهما كلية و مثانة[٢] ، كما هو مُبين في الصورتين[٣] رقم : ٥٩ ، ٦٠ . و هو نفسه نقض حكمه السابق ، عندما اعترف بأن السلحفاة البرية و البحرية لها كِلى و مثانة[٤] . علماً بأن الكلية توجد في جميع الفقاريات سواء كانت رباعية ، أو ثنائية الأرجل[٥] .



الصورة رقم: ٥٩، الجهاز البولي و التناسلي للسلحفاة

---

[١] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٨٥ .
[٢] عن الضفدعة أنظر: الموسوعة العربية الميسرة ، ص: الضفدع .
[٣] مأخوذتان من الشبكة المعلوماتية .
[٤] في أعضاء الحيوان ، ص: ٨٥ .
[٥] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الكلية .



الصورة رقم : ٦٠

و رابعا توجد شواهد من أقوال أرسطو و مواقفه تدل على أنه عاين و جرّب ،و تثبّت مما قاله ، لكن الحقيقة خلاف ذلك . و هذا النوع من الشواهد كثير جدا ، كان فيها أرسطو يقُرر أمورا بصيغة الإثبات و التأكيد كأنه شاهد و جرّب ، مع أنه لم يفعل ذلك ، و قد ضربنا على ذلك أمثلة كثيرة جدا في هذا الفصل . فتبين منها عدم قيامه بذلك لأنه أخطأ فيها ، أو أنه لا يُمكنه الخوض فيها . فلو كان لاحظ و عاين بنفسه ما أخطأ فيها ، أو في معظمها على الأقل .

منها وصفه لقلب الإنسان بأنه يتكون من ثلاثة بطون ، و ((البطن الذي في الناحية اليسرى عظيم ، و الذي في الوسط معتدل العِظَم ،و الذي في الناحية اليمنى صغير))[١] . من أين له ذلك ؟! ، فلو شاهده ما أخطأ هذا الخطأ الفاحش . و منها أيضا زعمه بأن أرجل التمساح صغار جداً . فلو رآه ما أخطأ في وصف أرجله.

و منها أيضا أنه زعم أن عدد أسنان الذكر أكثر من أسنان الأنثى ،و أكده بقوله : و هذا ((بيّن في الناس ...))[٢] . و بما أن قوله غير صحيح ، و هو قد زعم أن ذلك قد تبيّن له في الناس ، فهذا إما أنه أخطأ في ملاحظته ، و هذا أمر مُستبعد جدا، و لا يصح الخطأ فيه، لأنه معروف ،و يمكنه التأكد منه في أي وقت . و إما أنه تعمد قوله و مخالفة الواقع ،و تضليل الناس لالتزامات مذهبية تتعلق بموقفه من الرجل و المرأة[٣]. فضحى بالحقيقة العلمية من أجل مصلحته المذهبية ، و هذا هو الراجح عندي . و قولنا هذا ليس تبريراً لموقفه ،و إنما هو إدانة قوية له ، و كشف لجانب خطير من حقيقة الرجل في موقفه من الحقيقة العلمية و المنهج التجريبي . فباعهما وقدّم عليهما مذهبيته و تعصبه ، من أجل مكاسب مذهبية زائفة !! .

---

[١] أرسطو : طِباع الحيوان ، ص: ٤٦ ، ٤٧ .
[٢] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٥٦ .
[٣] سنفصل ذلك و نوثقه في الفصل الرابع بحول الله تعالى .

و منها أيضا أنه عندما تكلم عن القنافذ عقّب على ذلك بقوله : ((و من أراد معرفة وصفنا يقينا فليعلم ذلك من الأقاويل التي وضعنا في صفة الحيوان ، و من شق الأجساد ، فإنه سيعلم ذلك من الكلام و من المعاينة)) [1] . و قوله هذا مُبالغ فيه جدا، و لا يصح تعميمه ، فهو إن صدق على بعض أعماله فإنه لن يصدق على أعمال أخرى كثيرة جدا . و هذا يعني أن الرجل تعمد التعميم ، و التغليط و التدليس . و عبارة شق الأجساد لا تعني أنه هو الذي مارس ذلك بالضرورة ، و إنما قد يكون نقله عن السابقين ، و هذا قد صرّح به في عدة مواضع من كتبه حول الحيوان[2] . و الدليل القطعي على أنه عمم ذلك تدليسا و مبالغة و تغليطا ، أنه عندما تكلم عن القنافذ وقع في أخطاء فادحة ، لو كان عاين و جرّب تشريحها ما وقع في هذه الأخطاء الفاحشة . منها أنه زعم أن القنافذ تبيض و لا تلد، و أنها تبيض خمس بيضات ، و أن أعضاءها الجوفية ليست لحمية ... !! ، و هذه كلها مزاعم باطلة ، سبق بيانها و توثيقها .

و خامسا توجد شواهد من أقوال أرسطو و مواقفه تكلم فيها عن أمور تتعلق بحيوانات لا توجد في بلاده ، فأخطأ فيها . منها قوله بأن للنعامة أظلاف في أرجلها ، و أن للجمل أربع بطون ، و لا توجد له أسنان في فكيه العلوي و السفلي . فواضح من ذلك أنه لم ير النعامة و لا الجمل ، لكنه لو كان حريصا على التثبت و التجربة و المعاينة لرحل إلى البلاد التي تعيش فيها النعامة و الجمال لرؤيتها . أو على الأقل كان عليه أن يحرص ليسأل أهل الخبرة بتلك الحيوانات ، أو يرسل من يثق فيه ليأتيه بالخبر الصحيح . أو على الأقل أيضا كان عليه أن يتوقف و لا يخوض في ذلك و يعترف أنه لا علم له بذلك . و هذا ليس عيبا ، و إنما هو الذي يفرضه عليه العقل و العلم ، لكن الرجل داس على كل ذلك ،و تكلم بلا علم ، فأخطأ و أساء إلى نفسه و علمه !! .

[1] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ١١١ .
[2] سيأتي ذكر بعض ذلك و توثيقه قريبا .

و سادسا توجد أقوال لأرسطو تشهد على أنه تعمد القول بها مع مَخالفتها للحقيقة المعروفة لدى كل الناس . و يبدو أنه قال بها لتأثره بخلفياته المذهبية المتعلقة بإلهياته و منطقه الصوري ، أو بهما معا ، أو لأسباب أخرى . فبسبب ذلك أنكر وجود اللحم في أفخاذ سائر الحيوان ، و زعم أنها عادمة لحم . و أنكر أن يكون في الدماغ دم ، أو له أي اتصال بأعضاء الجسم. و أنكر أن يكون عدد أسنان المرأة مساويا لعدد أسنان الرجل[١] .

و منها أيضا أنه قال عن أنف الإنسان و أذنه : ((و الأنف عضو جيد الحس و الحركة ، و ليس هو مثل الأذن غير مُتحرك))[٢] !! . و قوله هذا إن قصد به الحركة الكلية و السريعة للعضو ، فغير صحيح ، لا يصدق على الأنف و لا على الأذن . و إن قصد به الحركة الجزئية و البطيئة للعضو ، فهي ليست خاصة بالأنف فقط ،و إنما تصدق على الأذن أيضا . و الواقع يشهد أن تحريكنا الجزئي لآذاننا يُصاحبه ألياً تحرك الأنف . فعجبا من هذا الرجل كيف تغافل عن ما نراه و نحسه من قدرتنا على تحريك آذاننا ، فنفاه صراحة و جعله قاصرا على الأنف فقط ؟؟!!. فالرجل لم يكتف بأن أهمل التثبت و المعاينة و التجربة في مواقف كثيرة جدا ،و إنما بلغ به الأمر إلى مُخالفة و إنكار أمور نراها و نحس بها !، و هذا من أغرب أخطاء الرجل و حماقاته !! .

و منها أيضا أنه زعم أن عين الإنسان باردة[٣] . و هذا زعم باطل لمساً و علما ، و مُكذب للواقع الملموس. فأما لمساً فكل واحد منا يمس عينه لا يجدها باردة ،و إنما يجد فيها حرارة . و أما علما فمن الثابت علميا أن حرارة جسم الإنسان ثابتة مُقدرة ب : ٣٧ درجة مئوية ، و بما أن العين جزء منه ، فهي مثله حارة بنفس الدرجة بصفة عامة .

و سابعا توجد أقوال لأرسطو تشهد على أنه أهمل التجربة و أزدرى بها من جهة ؛ و قرر خلافها و لم يسع إلى التثبت من موقفه من جهة أخرى . منها قوله بوجود عَظْم في قلوب

---

[١] سبق توثيق كل ذلك .
[٢] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٣٣ ، ٣٤ .
[٣] أرسطو : في كون الحيوان ، ص: ٨٣ ، ٨٤ .

البقر و الخيل . و زعمه بأن كِلية الإنسان تُشبه كلية البقر . و زعمه بأن جميع الأنهار العظيمة تسيل من الجبل المطل على البحر المحيط و زعمه أن هواء الجبال الشاهقة حار جدا[1] . و زعمه بأن عدد أسنان المرأة أقل من عدد أسنان الرجل . فواضح من ذلك أن هذا الرجل كان مُزدريا للتجربة ، و عاجزا عن القيام بها مع سهولة كثير منها .

و ثامنا توجد شواهد من أقوال أرسطو تدل صراحة على أنه كان يتعمد القول بلا علم في مواقف كثيرة . و الدليل على ذلك أنه تكلم فيها عن أمور لا يُمكنه رؤيتها و لا التأكد منها في الأوضاع التي وصفها فيها من جهة ؛و خطؤها فيها دليل آخر على صحة ما قلناه من جهة أخرى. منها قوله بأن الدم في الرأس مُحدِق بالدماغ ،و لا يمسه ، و لا يختلط به . و أن دم الطمث هو زرع المرأة الذي تُشارك به في تكوّن الجنين في بطن أمه . و أن القلب هو أول عضو يتكون لدي الجنين[2] . فلو كان هذا الرجل يحترم العقل و العلم ،و يلتزم بأبجديات البحث العلم كالتجربة و التثبت ما فعل ذلك ،و لا خاض فيه بتلك الطريقة . و إنما يخوض فيه من باب الاجتهاد و الظن و الترجيح ،و يتجنب القطع و التأكيد . لكنه لم يلتزم بذلك و تكلم بأسلوب الإثبات و التأكيد[3] ،و كأن تلك الأعضاء بين يديه ، يراها و يُقلبها كما يريد .

و أخيرا — تاسعا- توجد شواهد و أقوال لأرسطو تدل على أن كثيرا مما كتبه في علم الحيوان خاصة و علوم الطبيعة عامة لم يكن من عنده ،و لا جرَّبه و لا تثبت منه ،و إنما نقله عن غيره من أهل العلم السابقين له . و منه ما صرّح بأنه أخذه عن غيره ، و منه ما لم يُصرّح به . و قد أخذ عنهم كثيرا من أقوالهم و تجاربهم ، و رسوماتهم التشريحية التي دوّنوها في كتبهم .

من ذلك أنه صرّح عدة مرات أنه رجع إلى كتب السابقين فيما يتعلق بعلم الحيوان ، فقال عن الطبيب أقطسياس (ق: ٥ ق م) : ((فهو يزعم في بعض كتبه أن في أرض الهند

[1] سنعود إلى الكلام حول هذا الموضوع في الفصل القادم بحول الله تعالى .
[2] سبق توثيق كل ذلك .
[3] سبق توثيق ذلك عندما عرضنا أقواله و مواقفه في المبحث السابق .

سُبعاً يُسمى باليونانية مارطيخورس))[1] . و ذكر أنه استفاد من الطبيبين: سونيسيس القبرصي، و فولوبوس صهر أبقراط[2] .

و منها أنه عندما وصف طريقة إرضاع الدلفين لصغاره ، قال : ((و قد عاين ذلك غير واحد من الناس معاينة بينة))[3] . فهو اعترف أنه ناقل ،و ليس مُعايناً لما نقله . و عندما تطرق إلى اختلاف الناس حول طرح الكلاب لجميع أسنانها ، قرر في النهاية أنه ((قد استبان طرح أسنانها لغير واحد من الناس ،و إنما تطرح المقاديم مثل الإنسان))[4] . فالرجل نقل لِما استبان لغيره، و لم يُصرّح بأنه كان هو منهم من جهة ،و قد أخطأ أيضا فيما قرره حول أسنان الإنسان عندما زعم أنه يطرح أسنانه الأمامية دون الخلفية . و هذا من أغرب أخطائه ، فلو كلف نفسها التحقيق فيما يتعلق بأسنان الإنسان ما أخطأ في مقارنته[5] .

و منها أنه عندما أنهى كلامه عن أعضاء جوف الحيوان قال : ((و ينبغي أن تعلم أن جميع أعضاء الجوف في الذكورة و الإناث مُتفقة مُتشابهة ، ما خلا الأرحام ،و منظرها يُعرف من الرسم الموضوع في علم الشق))[6] . و هذا قول هام و خطير جدا !! ، فالرجل اعترف أنه اعتمد في وصفه لأعضاء جوف الحيوان على الأشكال البيانية الموضوعة في علم التشريح ،و لم يعتمد في ذلك على ممارسته التجريبية بنفسه لعمليات التشريح . لأنه لم يُقل أنه مارس ذلك بنفسه، و لا هو الذي وضع تلك الأشكال . و لو كان هو الذي مارس التشريح بنفسه، فلا معنى لأن يرجع هو إلى كتب غيره التي وُضعت في علم التشريح ، ليأخذ منها . كما أن أخطاءه الكثيرة المتعلقة بأعضاء جوف الحيوان ، هي شواهد دامغة على أنه ليس هو الذي مارس ذلك مُشاهدة و لا رسما.

و منها أيضا شهادة هامة جدا للطبيب جالينوس حول مصادر علم أرسطو في الطب و الحيوان و الطبيعة ، مفادها أنه قال : إن جميع الأشياء التي عند أرسطو في موضوع القوى

---

[1] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٦٤ .
[2] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ١٠٤ ، ١٠٧ .
[3] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٧٦ .
[4] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٦٥ .
[5] سبق أن توسعنا في موقف أرسطو من أسنان الإنسان .
[6] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٥٠، ٥١ .

الطبيعية في جسم الحيوان ، كان أبُقراط هو أول من وقف عليها،و أعطى مبادئها البرهانية ، فاعتمد عليها أرسطو. و قال برأيه أيضا في إثبات الطبيعة و النفس و الجوهر،و التكوّن و الفساد ، واستحالة العناصر ،و أن الطبيعة لا تفعل باطلا. ثم قال جالينوس : إن كل ما قيل في قوى الجسم ،و في تولد الأمراض ،و في وجود العلاج فإنه يُعلم ((أن أول من قاله على الصواب أبقراط ، ثم شرح ذلك كله بعده أرسطو شرحا مُحكما))[1]

و من تلك الشواهد يتبين جليا أن أرسطو – بأعماله في الحيوان و الطبيعة- كان ناقلا شارحا جامعا محررا أكثر مما كان مُكتشفا مُبدعا مُمارسا للمنهج التجريبي في بحوثه حول الطبيعيات .و لم يكن مُصيبا و لا مُحكما لكثير مما شرحه كما ظن جالينوس .

و تلخيصا لما ذكرناه و استنتاجا منه يتبين أن أرسطو أهمل المنهج التجريبي إهمالا كبيرا جدا ، فلم يكن يُمثل عنده أساسا من أساسيات تحصيل علوم الطبيعة و الإنسان ؛ و إنما كان عنده أمراً ثانويا لا يُعوّل عليه ، لكن يُستعان به في حالات كثيرة . علما بأن أرسطو قد أهمل المنهج التجريبي بمعنييه : العام و الخاص ، الأول يعنى الملاحظة العامة و البسيطة ،و المعاينة الخارجية ، و الثاني يعني الممارسة التجريبية الدقيقة من تثبت و تجريب و تشريح .

و الدليل على صحة ذلك الشاهدان الآتيان: الأول إنه لو كان المنهج التجريبي أصلا عند أرسطو في طلَبِ العلوم ما وقع في الأخطاء الكثيرة التي تُقدر بالمئات . فكثرة الأخطاء تستلزم الانحراف عن المنهج ،و العكس صحيح.

و الشاهد الثاني مفاده أنه لو كان ذلك المنهج – أي التجريبي- أصلا عند أرسطو ، ما وقع في الانحرافات المتعلقة بمنطق الاستدلال الجزئي عامة و الاستقرائي خاصة . فقد تجاوز ذلك في حالات كثير جدا، و وجدناه يُقدم عليه ظنونه و أوهامه ،و تحكماته و خرافاته . علماً بأن انحرافه هذا هو نتيجة طبيعية لموقفه من منطق الاستدلال في معناه العام . فبما أنه

[1] ابن رشد : رسائل ابن رشد الطبية ، ص: ١٦٧، ١٨٥، ٢٢٠ .

فضّل القياس الصوري الشمولي على أنواع القياس الجزئي عامة ،و الاستقرائي خاصة[1] ، فمن الضروري و المنطقي جداً أن يُهمل المنهج التجريبي في علوم الطبيعة و الإنسان .

لكن ذلك لا يعني أن الرجل لم يُمارس المنهج التجريبي كليةً ، فهذا غير صحيح . فالذي لا شك فيه أنه كانت لأرسطو ملاحظات و معاينات كثيرة أصاب في بعضها ،و أخطأ في أخرى . لكن ممارسته للمنهج التجريبي كأصل ،و بطريقة هادفة صحيحة مُنظمة دقيقة ، هو أمر قليل جدا ، لأنه لم يكن أصلا أساسيا عنده ، و لا التزم به عندما كتب في الطبيعيات. حتى أنه كثيرا ما كان يُخضعها لمنهجه الصوري التأملي ،و لا يُخضعها لمنهجها التجريبي . و هذا من غرائبه و انحرافاته .

لكن قد يعترض علينا بعض الناس ، كأن يقول أحدهم : يجب إنصاف أرسطو و عدم التحامل عليه ، و هو قد وصف منهجه التجريبي في كتابه طباع الحيوان بوضوح ،و أكد على أنه سيلتزم به . فقال : ((و إنما وصفنا جميع هذه الأوصاف و مواقفه، و اختلاف أجناس الحيوان بقول حزم . و من أراد أن يتفقد ذلك كله سيعرف تحقيق قولنا . و نحن سنصف كل جنس من هذه الأجناس على حدة ،و نُلطّف النظر بقدر مبلغ رأينا و علمنا))[2] .

و أقول: أولا إن أرسطو رسم منهجا عاما غير مُفصل يحتمل أكثر من قراءة . لأنه لم يذكر بأنه سيُمارس التشريح بنفسه، و لا أنه سيقوم بخراجات ميدانية للمعاينة و التثبت . و لهذا فإن كلامه يحتمل أنه يعتمد على علمه الذي توصل إليه برأيه المجرد و المجرب من جهة ،و على الذي ينقله عن غيره مُشافهة ، أو كتابة من جهة أخرى . فكلامه السابق ليس حجة قطعية تنفي ما قررناه .

و ثانيا إن الرجل لم يلتزم بمنهجه الذي شرحه . فهو لم يكن حازما في كثير ، أو أكثر مما كتبه في أعضاء الحيوان ، و قد ذكرنا على ذلك نماذج كثيرة جدا دلت قطعا على إهماله و عدم التزامه بالحزم و التثبت فيما كتبه عن الإنسان و الحيوان . و قد أقمنا الأدلة القطعية على أنه لم يكن مُحققا في كثير أو أكثر مما كتبه عن الحيوان . و تبيّن أنه وقع في أخطاء و

[1] سنتوسع في ذلك و نوثقه في الفصل الرابع بحول الله تعالى .
[2] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٢٧ .

انحرافات كثيرة جدا ، كان فيها مُهملا مُزدريا للمنهج التجريبي: التزاماً و اهتماماً ، تثبتا و مُمارسةً .

و قد يعترض علينا آخر بقوله : إن أرسطو ذكر صراحة أنه عاين التشريح مرارا ، فعندما كان يُناقش سبب كون الجنين ذكرا ، أو أنثى ، و رد على من جعل ذلك بسبب الحرارة و البرودة فقط ، كان مما قاله : ((و أيضا يكون في الرحم توأمان أحدهما ذكر و الآخر أنثى في العضو الواحد ، أعني في الرحم مرارا شتى . و قد رأينا ذلك بمعاينة الشق مرارا شتى في جميع الحيوان الذي يلد حيوانا ،و في الحيوان المشاء و في السمك))[1] .

و أقول: أولا أنا لم أقل أن الرجل لم يُمارس شيئا من التجربة كالتشريح مثلا ، و إنما نفيتُ أن يكون المنهج التجريبي أصلا عنده من أصول البحث في الطبيعيات . و أكدتُ على أن هذا المنهج كان عنده استثناء ، و قد تجاوزه و أهمله ، و ازدراه و قرر خلاف ما يُقرره في مواقف كثيرة جدا . و هذا أمر سبق أن بيناه بعشرات النماذج .

و ثانيا إن قوله هذا ليس صريحا بأن أرسطو هو الذي مارس التشريح بنفسه . فهو يحتمل أنه مارسه بنفسه ، كما يحتمل أن غيره هو الذي مارسه في حضور أرسطو ، و يحتمل أيضا أن غيره –كتلامذته – هو الذي مارسه في غيبة أرسطو نفسه ، فَنَسب ذلك إلى الجميع . فهو لم يقل : ((و قد رأيتُ ، أو مارستُ ذلك بمعاينة الشق مرارا شتى ...)) ، و إنما قال : ((و قد رأينا ذلك بمعاينة الشق مرارا شتى ...)) .

و ثالثا إنه واضح من قوله أنه عمّمه و بالغ فيه ليرد به على مخالفيه في سبب كون الجنين ذكراً أو أنثى ، ليُبين لهم أن رأيه يشهد على صحته عمليات التشريح التي عاينها هو و أصحابه. و الدليل على ذلك أن قوله تضمن ما هو غير صحيح . من ذلك أنه قال: ((و قد رأينا ذلك بمعاينة الشق مرارا شتى في جميع الحيوان الذي يلد حيوانا ،و في الحيوان المشاء و

[1] أرسطو : في كون الحيوان ، ص: ١٣٥ .

في السمك)) . و هذا لا يُمكنه القيام به أبدا ، فهل يُعقل أن يُمارس أرسطو و أصحابه ذلك التشريح في جميع أنواع الحيوان الذي يلد حيوانا ، و ... ؟؟!! .

و الشاهد الثاني هو أنه ذكر من بيّن تلك الحيوانات التي عاين شقها و رأى فيها الذكر و الأنثى في رحمها ، من بينها السمك . و هذا غير ثابت و لا يصح ، لأن الثابت أن معظم الأسماك بياضة ،و ليست ثديية ولادة [1]. فكيف أستطاع أن يرى ذلك في جميع أنواع السمك ،و معظمها لا تحمل أجنتها في بطونها ؟؟ !! .

و الشاهد الثالث مفاده أن أرسطو كان قد جعل الإنسان من الحيوان ، و تكلم عن أعضائه ضمن كلامه عن الحيوانات . و هذا يعني أن تعميمه السابق بأنه رأى التشريح مرارا في جميع الحيوان يشمل أيضا الإنسان . و هذا يعني أيضا رأى رحم المرأة . لكن هذا غير صحيح ، لأنه لو كان رآه ما أخطأ في وصفه عندما زعم أن رحمها مُكوّن من أكثر من بطن . و لو كان رأى أرحام جميع الحيوانات كما زعم ما أخطأ عندما قال: إن أرحام جميع الحيوانات مُجزأة إلى قسمين مثل ((تجزّئ أنثى الذكورة بجزأين)) [2] .

فقوله مُبالغ فيه جدا ،و لا يُعبر عن الحقيقة ، فهو إما أن يكون غير صحيح كليةً ، و إن صح فليس على إطلاقه و عمومه . مما يعني أن أرسطو لم يكن موضوعيا و لا علميا و لا دقيقا في ذلك القول ، فحوّل الحبة الصغيرة إلى قبة كبيرة ، و حوّل الاستثناء إلى أصل. و هذا غير مقبول منهجيا و لا موضوعيا .

و أُشير هنا إلى أمر هام جدا ، مفاده أن أرسطو كان قد انتقد طائفة من أهل العلم في بعض أخطائهم ، فانتقدهم انتقادا لاذعا ،و نسي نفسه بأنه هو شخصيا وقع في أخطاء و انحرافات علمية فادحة فاحشة . فذكر أن الفيلسوف أنكساغوراس كان من بين الذين قالوا : إن بعض الطيور كالغربان مثلا ، تُسفد – تتزاوج – بعضها بعضا بأفواهها . فخطّأه أرسطو في ذلك – و هو مُصيب– و قال : ((و إنما يقول هذا القول بنوع انبساط و خفة عقل ،

[1] الموسوعة العربية العالمية ، ص: الأسماك .
[2] سبق بيان ذلك و توثيقه .

و قلة نظر في الأشياء))[1] . و انتقاده هذا صحيح ، لكنه نسي أو تناسى بأنه قال مثله و أكثر منه ، و تكلم بظنونه و أوهامه ، و تحكماته و أقيسته الفاسدة ، على حساب المنهج العلمي الصحيح في البحث و الاستدلال . فأوقعه ذلك في أخطاء و خُرافات ، و انحرافات منهجية كثيرة ، ذكرنا منها نماذج كثيرة جدا في الفصلين الأول و الثاني. منها قوله بالعقول الإلهية المسيرة للعالم العلوي . و زعمه بأن طمث البنات الأحداث يكون دمهن أبيض اللون . و أن عدد أسنان المرأة أقل من عدد أسنان الرجل ، و أن قلوب الخيول بداخلها عَظْم ، و غيرها كثير جدا .

و أما إذا اعترض علينا أحدهم بقوله: إنه يُوجد شاهد آخر على أن أرسطو مارس التجربة بشكل واسع في بحوثه حول الحيوان ، مفاده أنه رُوي أن الإمبراطور الأسكندر المقدوني – تلميذ أرسطو – قدم مساعدات مادية و معنوية كبيرة لأستاذه أرسطو من أجل البحث العلمي ، منها أنه أمر الصيادين في البر و الجو و البحر بأن يُقدموا لأرسطو نماذج مما يصطادون ، أو على الأقل أن يصفوا له ما لا يتيسر لهم تقديمه من أصناف الحيوانات[2] . و من جهة أخرى رُوي أيضا أن تلاميذ أرسطو كانوا يُساعدونه في البحث و التنقيب[3] .

و أقول: أولا لكي نصدق هذا الخبر لا بد من تحقيقه أولا ، لأن الخبر التاريخي – الآحاد – ظني بطبيعته يحتمل الصدق و الكذب معا . و لابد أن يُحقق إسنادا و متنا ، لأنه لا خبر دون إسناد، و لا إسناد دون خبر. و بما أن المتن يتأثر كثيرا برواته – رجال الإسناد – فلابد من توفر الإسناد لكي نتمكن من تحقيقه . و بما أن ذلك الخبر رُوي بلا إسناد ، فهو بالضرورة ضعيف من جهة إسناده .

و ثانيا إن متنه إما هو ضعيف لضعف إسناده ، و إما أنه لا يصح لأنه سبق أن أثبتنا بالأدلة الدامغة أن أرسطو أخذ قسما كبيرا مما كتبه في علم الحيوان عن السابقين له . و لأنه

---

[1] أرسطو : في كون الحيوان ، ص: ١١٦ .
[2] ديوجين لايرتيوس : مختصر ترجمة مشاهير الفلاسفة ، ص: ١٢٠ . و عبد العزيز الأهواني : المدارس الفلسفية ، ص: ٥٣ ، ٦٢ .
[3] ماجد فخري: أرسطو : المعلم الأول ، ص: ١٢ .

لم يكن يُجرّب إلا قيلا ، و إنما كان يكتب بالظن و القياس النظري ، مع أنه كان في مقدوره أن يُجرّب أمورا كثيرة !! . و لأنه لو كان يُجرب فيما كتبه عن الحيوان ما وقع في مئات الأخطاء ، كثير منها فاحش الخطأ لا يصح الوقوع فيه .

و إما أن ذلك الخبر لا يصح منه إلا القليل ، بمعنى أن ذلك حدث في حالات استثنائية محدودة ، فجاء أتباعه و عمموا ذلك على أعماله في الحيوان ، تعظيما لأرسطو ، و تفسيراً لما كتبه شيخهم حول الحيوان . و من يقول بخلاف هذا، فهو مُخطئ ، و نحن لا نترك الشواهد و الأدلة المادية و العقلية التي تثبت ما قلناه ، و نأخذ برواية ظنية لا متن صحيح لها و لا سند من جهة ، و هي مُخالفة لما أثبتناه من جهة أخرى .

و بناءً على ذلك فإن تلك الرواية ليست صحيحة بالطريقة التي وردت بها ،و هل يُعقل أن يتجند الصيادون و التلاميذ لجمع الحيوانات لأرسطو ، ثم يُخطئ في وصف رقبة الأسد . و يُخطئ في تحديد أضلاع الحيات . و يُخطئ في وصف أرجل التمساح ، و يُخطئ في زعمه بأن في قلوب الخيل و البقر عظام ،و غير ذلك كثير جدا ؟؟!! . فهل يصح أن يُقال ذلك ؟ ! .

و ختاما لذلك أقول: بما أنه تبين أن أرسطو أهمل المنهج التجريبي ،و لم يكن عنده أصلا أساسيا في بحوثه حول الطبيعة ،و إنما كان ثانويا استثنائيا ، فما هي أسباب ذلك ؟ . إنه تبين لي أن سبب ذلك يعود إلى أربع أسباب ، منها سببان أساسيان ،و الثالث نتيجة للسببين الأساسيين ،و الرابع يتعلق بالعلوم التي طلبها الرجل .

فأما الأساسيان ، فالأول يتمثل في أن التكوين العلمي لأرسطو كان في أساسه تكوينا تأمليا نظريا أكثر مما كان تكوينا عمليا تجريبيا بفارق كبير جداً . و لهذا وجدنا هذه النزعة

تطغى على إلهيات أرسطو ، بل و حتى على طبيعياته ، فقد غطت منها مساحات واسعة ذكرنا منها نماذج كثيرة [1] .

و الثاني يتمثل في تفضيل أرسطو للقياس الصوري الشمولي على كل أنواع القياس الجزئي و غلوّه فيه . و بمعنى آخر أنه فضّل المنطق الصوري- التأملي- على المنطق التجريبي . فمن الطبيعي إذن أن يُهمل أرسطو المنهج التجريبي ،و لا يعطيه ما يستحق من اهتمام .

و السبب الثالث يتمثل في أن السببين السابقين جعلا أرسطو مُغرما بالفكر التأملي مُغاليا فيه من جهة، و ولّدا فيه ازدراءً للتجربة ،و عجزاً عن القيام بالأعباء التي يتطلبها منه المنهج التجريبي من جهة أخرى . حتى وجدناه – في بعض المواقف – لا يُكلف نفسه بأن يقوم بأبسط التثبتات و المعاينات للتأكد من صحة رأيه . فلو قام بها لجنب نفسه أخطاء كثيرة فاحشة ، أساءت إليه و إلى علمه معا ،و هو هنا غير معذور ، لأنه تعمد الوقوع في ذلك .

و السبب الأخير – الرابع – يتمثل في اختيار أرسطو للشمولية في العلوم على حساب التخصص في بعضها . فوجدناه يخوض و يكتب في كل علوم عصره تقريبا. و هذا انعكس عليه سلبا ، فأذهب وقته في طلبها ،و حال ذلك دونه من التخصص الدقيق المبدع في علم من علومها من جهة ؛ و منعه من التفرغ للرحلات العلمية ، وإجراء التجارب على الحيوانات و الظواهر الطبيعة التي كتب حولها من جهة أخرى.

و إنهاءً لهذا الفصل يتضح جليا أن أرسطو وقع في أخطاء علمية و انحرافات منهجية كثيرة جدا تتعلق بأعضاء الإنسان و الحيوان . و قد ذكرنا منها نماذج متنوعة هادفة تضمنت أكثر من ١١٣ خطأ علميا و انحرافا منهجيا أوردناها كعينات من باب التمثيل لا الحصر . و إلا فإن أخطاء أرسطو في علم وظائف الأعضاء كثيرة جدا جدا ، من يتتبعها و يجمعها و ينقدها سيُحصي منها المئات ، و ربما أكثر .

---

[1] سنفصل في جانب منها عندما نتكلم عن المنطق الصوري فيما يأتي بحول الله تعالى .

و تبين أيضا أن أرسطو أهمل المنهج التجريبي إهمالا كبيرا جدا ، فلم يكن يُمثل عنده أساسا من أساسيات تحصيل علوم الطبيعة و الإنسان ؛ و إنما كان عنده أمراً ثانويا لا يُعوّل عليه ، لكن يُستعان به في حالات تتطلب ذلك . و في استخدامه له في الطبيعيات كثيرا ما قدم عليه إلهياته الزائفة ،و أقيسته الفاسدة ، فكان ينتصر لها على حساب ما يُقرره المنهج التجريبي . فأوقعه ذلك في أخطاء و انحرافات فاحشة ،و ارتكب بها حماقات مُضحكة . فأضل بها نفسه و أتباعه ،و جنى بها على العقل و العلم معا .

الفصل الثالث

مظاهر جناية أرسطو على العقل و العلم في الفلك و الجغرافيا و مواضيع إنسانية متفرقة

أولا: من أخطاء أرسطو في علم الفلك

ثانيا : من أخطاء أرسطو في علم الجغرافيا

ثالثا : من أخطاء أرسطو في موقفه من العقل و الأجناس و الناس

رابعا : من أخطاء أرسطو في موقفه من المرأة

مظاهر جناية أرسطو على العقل و العلم في الفلك
و الجغرافيا و مواضيع إنسانية متفرقة

وقع أرسطو في أخطاء و انحرافات منهجية كثيرة ، منها طائفة تتعلق بعلمي الفلك و الجغرافيا ، و أخرى تتعلق بمواضيع إنسانية مُتفرقة. و هي عينات تطبيقية من باب التمثيل لا الحصر . لكنها تكفي لإثبات جنايات الرجل على العقل و العلم على المستويين التطبيقي و المنهجي . فما تفاصيل ذلك ؟ ، و هل التزم فيها أرسطو بالمنهج العلمي الصحيح في البحث و الاستدلال ؟ و ما هي أسباب كثرة أخطائه و انحرافاته المنهجية في تلك المجالات ؟ .

أولا: من أخطاء أرسطو في علم الفلك :

سنورد في هذا المبحث طائفة متنوعة من أخطاء أرسطو المتعلقة بعلم الفلك ، منها أن أرسطو كان يعتقد أن الكون مُقسم فلكيا إلى قسمين أساسيين ، هما : فلك ما تحت فلك القمر، و فلك ما فوق فلك القمر ،و الأرض تتوسطهما ،و الكل يُحيط بها و هي ثابتة . الأول هو عالم التكوّن و الفساد ، توجد فيه الأرض و العناصر الأربعة، حسب الترتيب الآتي: الأرض، ثم التراب ، ثم الماء، ثم الهواء، ثم النار تقع في الطبقة العليا . و أما القسم الثاني–ما فوق فلك القمر– فهو عالم الأجرام الأزلية و الموجودات الإلهية ، و مادته أزلية هي مادة الأثير –العنصر الخامس– . و هذا القسم يتكون من طبقتين ، هما : طبقة الأجرام السماوية، و محركاتها ،و هذه المحركات هي العقول الإلهية المفارقة . و الطبقة الثانية يوجد فيها الفلك المحيط ،و هو المحرك الأول الذي يتحرك . و بعدها يُوجد الإله ، خارج الكون ،و هو المحرك الذي لا يتحرك[1] .

[1] ماجد فخري : أرسطو ، ص: ٥٦ ، ٥٧ . و تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١١٩، ١٢٨ . و يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١٩٠ و ما بعدها . و علي حسن موسى و آخرون : تاريخ علم الفلك ، ط١ ، دار دمشق ، دمشق ، ١٩٨٤ ، ص: ٥٠ .

و أما بالنسبة لمصدر حركة الكون ، فمصدرها حسب أرسطو هو المحرك الذي لا يتحرك– الإله– الذي حرّك الفلك المحيط حركة مباشرة أزلية، فحرك هو بدوره سائر الأجرام الأخرى ، هذا يتعلق بحركة الكون عامة . و أما حركته الفردية الخاصة بالشمس و القمر ،و الكواكب الأخرى ، فتتحرك بفعل العقول الإلهية المفارقة[1] .

و أقول: أولا هذا التصوّر لنظام الفلك الذي قال به أرسطو، هو تصوّر غير صحيح في معظمه ، و قائم أساسا على نظرة ظنية وهمية خرافية من جهة ، و مملوء بالأخطاء العلمية من جهة أخرى . و مع أن هذا النظام ليس من ابتكار أرسطو ، و إنما قال به الفلكي اليوناني إيدوكسوس (ق: ٤ ق م) ،و عنه أخذه أرسطو[2] ، فإنه — أي أرسطو– يبقى مسئولا عن الأخطاء الواردة في نظامه . فبما أنه تبناه ،و بنى عليه أفكاره ، فهو إذن يتحمل مسؤولية ما ورد في هذا النظام من أخطاء ، سواء أخذ به عن فهم و اقتناع ، أو أخذه تقليدا من دون فهم و لا تمحيص .

و ثانيا إنه ثَبُت علميا أن ذلك النظام الذي قال به أرسطو، غير صحيح كلية ؛ فالأرض ليست هي مركز العالم ،و لا هي ثابتة ،و لا الكون مُقسم بذلك التقسيم الظني الوهمي الخرافي . فالأرض كوكب متحرك من بين كواكب المجموعة الشمسية التي تدور حول الشمس . و الشمس هي نجم من بين ملايين النجوم من مجرتنا ، التي هي بدورها أيضا مجرة من بين آلاف المجرات التي تسبح في الفضاء الكوني العظيم[3] .

و أما قوله بأزلية العالم ،و العقول المفارقة المحركة للأجرام السماوية ، و زعمه بأن العالم العلوي مُكون من مادة الأثير الأزلية المغايرة لمادة العناصر الأرضية ، فكل ذلك هو من أوهام و خرافات أرسطو، و قد سبق أن بينا زيفها و بطلانها في الفصل الأول فلا نعيد ذلك هنا .

---

[1] نفس المصادر .

[2] ابن رشد : تفسير ما وراء الطبيعة ، ج ٣ ص: ٣٤٣ و ما بعدها . ماجد فخري: أرسطو ، ص: ٥٦ . و تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١١٩ ، ١٢٠ .

[3] أنظر مثلا: عبد الحميد سماحة، في أعماق الفضاء ، ص: ١١، ٢٥ ، ٢٧ . و آن هوايت : النجوم ، ترجمة إسماعيل حقي ، ط ٧ ، دار المعارف ، ١٩٩٢ ، ص: ٩ ، ١٩ ، ٧٨ و ما بعدها .

و النموذج الثاني – من أخطاء أرسطو– مفاده أنه أشار إلى أن من أهل العلم من قال بأن السماء بأجرامها العلوية هي ذات ثقل ، و مُحتاجة بالضرورة إلى ما يحملها و يحفظها و يُحركها . لكنه خَطّأهم ، و وصف قولهم بأنه ليس بقياس صحيح مُقنع ، و أنه قول جزافي . ثم قرر أن السماء ليست بذات ثقل، فلا هي خفيفة و لا ثقيلة ،و هي من طبيعة ثالثة ،و ليست من طبيعة أرضية ،و لا تحتاج إلى من يحملها[1] .

و أقول : أولا إن أرسطو أخطأ في القياس و النتيجة، و تكلم بالظن و التخمين من دون دليل صحيح . و مخالفوه أصابوا في قولهم بثقل الأجرام و حاجتها إلى من يحملها، لكنهم لم يعرفوا كيفية و سبب حملها . لكن أرسطو وضع مقدمة ظنية وهمية خاطئة أوصلته إلى القول بأن السماء بأجرامها ليست ثقيلة و لا خفيفة لا تحتاج إلى من يحملها . و الحقيقة أنه هو الذي استخدم قياسا جزافيا غير مقنع و لا صحيح . و تفصيل ذلك هو أن الذين قالوا بأن الأجرام العلوية ثقيلة يُمكنهم أن يستخدموا قياسا مقبولا صحيحا ، مفاده هو أن ما يتساقط من السماء من أتربة و صخور ، تشهد بذاتها أنها تُشبه ما نراه على الأرض من أتربة و أحجار ، فلماذا لا تكون تلك الأجرام تُشبه أرضنا في مكوناتها و ثقلها و صلابتها ؟ ،و هذا هو الصحيح .

لكن أرسطو لم يفعل ذلك، فاستخدم التأمل النظري و فضّله على القياس التجريبي، و لكي يجد تعليلا مقبولا نظريا ، افترض أن مادة الأجرام السماوية تختلف عن مادة الأرض، و أن الجرم السماوي كله لا خفيف و لا ثقيل ، و من ثم فلا يحتاج إلى من يحمله و يحفظه . و بذلك وصل حسب زعمه إلى إيجاد حل صحيح فيما يخص ثقل الجرم السماوي من عدمه ، و خطّأ مخالفيه في قياسهم و نتيجتهم !! . لكن الحقيقة هي أنه هو المخطئ: استدلالا و تطبيقا و نتيجة . لأنه ترك المعطيات المادية الملموسة التي يُمكن أن ننطلق منها لمعرفة ثقل الجرم السماوي من عدمه ،و التجأ إلى التخمين و افترض مقدمات ظنية وهمية بنى عليها قياسه ، فأخطأ في المقدمة و النتيجة . و هذا انحراف كبير عن منهج الاستدلال العلمي

[1] ابن رشد : السماء و العالم ، ج ٢ ص: ١٦ ، ١٧ .

الصحيح ، فلا يصح البحث عن الحلول العلمية للظواهر الطبيعية خارج مجالها و منهجها التجريبي من جهة ،و لا يصح ربطها برغباتنا و تأملاتنا الذاتية بعيدا عن المعطيات الموضوعية من جهة أخرى . و عليه فمن هو المخالف للقياس ،و المجازف في قوله ، أرسطو أم مخالفوه ؟ .

و ثانيا إن قول أرسطو كما أنه لم يصح منهجيا ، فإنه لم يصح أيضا علميا ، لأنه من الثابت في العلم الحديث أن العالم كله – بأرضه و أجرامه السماوية– مخلوق من مادة واحدة ، و لا تختلف مادة الأرض عن مادة الأجرام العلوية ، بل هي نفسها من الأجرام العلوية [1] . و ليس صحيحا أن الأجرام السماوية ليست ثقيلة و لا خفيفة كما زعم أرسطو ، و إنما هي ثقيلة جدا، و متباينة فيما بينها ثقلا و حجما . فمن ذلك أن أرضنا هذه لا شك أنها ثقيلة جدا، و قُدر وزنها بنحو: ٦،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ طن (٦ بعدها ٢١ صفرا) ، لكن الشمس مثلا يفوق وزنها وزن الأرض بنحو ٣٣٠ ألف مرة .و توجد نجوم عملاقة بعضها يزيد حجمها و وزنها على الشمس بنحو مليون مرة[2] .

كما أن قوله بأن الأجرام السماوية لا تحتاج إلى من يحملها غير صحيح أيضا ، لأنه من الثابت علميا أن الكون بأكمله يحكمه قانون الجاذبية العام ، الذي يشد الكون و يحمله ، و يربط أجزاءه ربطا مُحكما ، لا يُمكنها الانفلات منه[3] .

و بناء على ذلك فواضح منه أن أرسطو تكلم بلا علم ، و لم يسلك المنهج الصحيح في الاستدلال العلمي ، فأخطأ في المنهج و التطبيق و النتيجة .

و النموذج الثالث مفاده أن أرسطو قسّم الأجرام السماوية إلى نوعين : مُتحرك، و ثابت . و ذكر أن الفلك المحيط بنجومه من الثوابت تتحرك معه ،و يُكمل دورته كل ٢٤ ساعة . و حركته –أي الفلك المحيط– واحدة مستوية لا تتغير بين الشدة و الضعف ،و لا يُمكن أن تكون مختلفة ، فلو كانت مختلفة لوجدنا لها أثرا في بدايتها ، أو وسطها، أو في آخرها . و

[1] سبق توثيق ذلك في موضوع العناصر المكونة للعالم في الفصل الأول .
[2] عبد الحميد سماحة : في أعماق الفضاء ، ص: ٥١ ، ٥٧ و ما بعدها ، ٣٩ . و الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الشمس . و آن هوايت : النجوم ، ٨٥ و ما بعدها .
[3] عبد الحميد سماحة: نفس المرجع، ص: ٣٦ و ما بعدها .

أنكر على من يقول باختلاف حركة السماء، و نص على أن ذلك ((مُحال لا يمكن أن يكون البتة ، لأنه شبيه بالخرافة)) ،و لو كان كذلك ((لما خفي عنا وقوعه تحت العيان ...)) [1] .

و أقول: أولا إن قول أرسطو هذا ، هو زعم باطل جملة و تفصيلا ، و لم يقله معتمدا على النظر العقلي الصريح، و لا العلم الصحيح، و إنما قاله بناء على قوله بأزلية العالم ، و منه أزلية الحركة [2] . و بما أنه سبق بيان بطلان زعمه هذا ، فإن ما بناه عليه يسقط بالضرورة ، و هذا نموذج واضح على مدى تأثر طبيعيات أرسطو بإلهياته ، فهي الأساس الأول التي بنى عليه نظرته إلى الكون و الإنسان و الحياة . و لذلك أصدر أحكاما أكد على صحتها دون دليل صحيح من العقل الصريح و لا العلم الصحيح، و إنما أصدرها مُحتكما فيها إلى إلهياته الدهرية الشركية الظنية الخرافية . و هذا هو الذي أوقعه في الأخطاء التي تضمنها قوله السابق.

و ثانيا إن قوله السابق تضمن أفكارا ثبُت بطلانها علميا ، فليس صحيحا أن الأجرام السماوية منها الثابت ،و منها المتحرك ،و إنما الصحيح أن كل الأجرام مُتحركة . و ليس صحيحا أن الفلك المحيط بنجومه يُكمل دورته في ٢٤ ساعة ، فهذا الفلك المزعوم نفسه غير موجود ، و حركات الأجرام السماوية مختلفة فيما بينها اختلافا كبيرا ، من حيث سرعتها وزمانها الذي تقضيه لإكمال دورتها . فالأرض هي التي تُكمل دورتها على نفسها يوميا في ظرف ٢٤ ساعة ، لكن أخواتها من المجموعة الشمسية مثلا تختلف عنها في سرعتها و زمانها الذي تستغرقه لإكمال دورتها ؛ فعطارد يستغرق ٨٨ يوما ليُكمل دورته حول نفسه،و كوكب الزهرة يدور حول نفسه في نحو ثلاثة أسابيع . و الشمس– في دورانها حول محورها–

[1] ابن رشد : شرح السماء و العالم، ج ١ ص: ٦٥، ٩٥ ، ج ٢ ص: ١٨٨ ، ٢٠٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ . و ماجد فخري: أرسطو ، ص: ٥٥ ، ٥٦ . و يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١٩٣ .
[2] أنظر : ابن رشد ، نفس المصدر ، ج ٢ ص: ٢٣٠ .

ليست لها سرعة واحدة، فهي سريعة عند خط استوائها فتُكمل دورتها في نحو ٢٥ يوما ،و بطيئة عند قطبيها ، فتُكمل دورتها في أكثر من شهر[١] .

و بناء على ذلك فليس صحيحا ما أكد عليه أرسطو من أن السماء لها سرعة مستوية واحدة لا يمكن أن تتغير بالشدة و لا النقصان . فالرجل خطّأ مخالفيه و شبه قولهم بتغير سرعة الأجرام السماوية بأنه شبيه بالخرافة . لكن العكس هو الصحيح ، فقوله ليس بصحيح ،و هو الأقرب إلى الخرافة، و ليس قولهم .

و النموذج الرابع يتعلق بحرارة و ضوء الأجسام السماوية ، فزعم أرسطو أن سبب حرارة و ضوء الأجسام السماوية كالشمس مثلا، ليس هو كامناً في طبيعة تلك الأجسام من داخلها ، بمعنى أنها ليست حارة و مضيئة من ذاتها ، و إنما يتولد ذلك من احتكاكها بالأثير أثناء دورانها . مثال ذلك أن الحركة تُسخن الخشب و الحديد و الحجارة ، فإذا كان الأمر كذلك كان الأقرب و الأولى و الأحرى أن تُسخّن الحركة سائر الأشياء ،و أقربها إلى النار هو الهواء ، فالحركة إذاً هي التي ((تُسخن الهواء لا محالة)) . فحركة الكواكب السريعة هي التي تُسخن الهواء ، لأنه عندما يضطرب من حركتها يصير نارا ، فيُسخّنها و تصبح حارة مُضيئة [٢] . و قد ساير ابن سينا أرسطو فيما قاله ،و انتصر لرأيه[٣].

و أقول: إن قوله هذا باطل جملة و تفصيلا ،و لا يصح من الناحية الاستدلالية ،ولا الشرعية ، و لا العلمية . فقد بناه على قياس ظني ، و نظرة محدودة للأشياء ، أوصلته إلى نفي ما يُشاهده الناس بأعينهم ،و تقرير ما يخالف الواقع و العلم معا . فليس صحيحا أن الحركة تُولّد حرارة تُسخن بالضرورة ما يُلامسها و تجعله مُضيئا . فهذا قد يحدث و قد لا يحدث، و إذا حدث فلا يُولد بالضرورة ضوءا و لا حرارة عالية . فالحركة لا تولد حرارة إلا حسب قوتها و طبيعة الجسم المحتكة به ، من حيث مادته و مقاومته . فقد تكون الحركة

---

[١] عبد الحميد سماحة : في أعماق الفضاء ، ص: ٢٥ و ما بعدها ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٦ و ما بعدها ٥٢ و ما بعدها . و آن هوايت : النجوم ، ٢٤ ، ٣٩ و ما بعدها .

[٢] ابن رشد : شرح السماء و العالم ، ج ٢ ص: ٢٣٩ و ما بعدها . و الآثار العلوية ، ص: ١٦ . و علي حسن موسى و آخرون : تاريخ علم الفلك ، ص: ٥١ . و يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١٩٢ .

[٣] عبد الكريم اليافي: حوار البيروني و ابن سينا ، ص: ٥٦ .

قوية جدا ،و لا تولد ضوءا و لا حرارة شديدة تتحول إلى نار ، و هذا أمر نشاهده في محركات المراكب و مختلف الآليات التي تعمل في البر و البحر ، و الجو و باطن الأرض . و قد تكون الحركة متوسطة و تولد حرارة شديدة ، و ضوءا و نارا إذا كانت الوسط حارا ،و يُساعد على الاشتعال .

بل إنه توجد حركة لا تولد حرارة ساخنة ،و لا ضوءا و لا ناراً ، و إنما تحمل برودة ، كما هو حال الرياح الباردة . فهي تتحرك بدرجات مُختلفة قوة و حرارة ،و بعضها يكون شديد البرودة كالتي تهب في فصل الشتاء،و في البلاد الباردة ، كالمناطق القطبية . و هذه الرياح تتحرك من منطقة الضغط المرتفع-الباردة- إلى منطقة الضغط المنخفض-الحارة[١]- ، فالبرودة تولد حركة الرياح ، التي ستكتسب خاصيتها الحرارية حسب الفصول و المناطق التي تخرج منها و تمر عليها . و عليه فإن الحركة ليس بالضرورة أنها تولد ضوءا ،و ناراً ،و حرارة ساخنة ، كما زعم أرسطو .

و بما أن الأمر كذلك فلا يصح لأرسطو –عقلا و لا علما- أن يُعمم حكمه على كل الأجسام الأرضية و لا السماوية ، لأن قوله قد يصدق و قد لا يصدق ، و لا يُمكنه التأكد منه إلا بالمشاهدة أو التجربة . و بما أن هذا مُستحيل فيما يتعلق بالأجرام السماوية زمن أرسطو ، فلا يحق له أن يُقرر قوله السابق و يُؤكد على صحته . لأنه في هذه الحالة يتكلم بالظن و التخمين ،و لا يُمكنه القطع بذلك . و بما أنه أكد على صحة رأيه ، فهو قد أخطأ خطأ منهجيا فادحا لم يحترم فيه شروط منطق البحث و الاستدلال .

و الغريب من أمر أرسطو ، أنه استخدم قياسا ظنيا لا يُمكن التأكد من صحة نتيجته ، و استبعد احتمالا آخر يُمكن أن نفسر به مصدر و حرارة الأجسام السماوية بطريقة موضوعية مقبولة عقلا و علما . فنقول مثلا : ألا يُمكن أن يكون مصدر حرارة و ضوء الأجرام السماوية من ذاتها ؟ ، نعم إن هذا مُمكن جدا ، و ليس مستحيلا ،و الشاهد على ذلك ما

---

[١] سنوثق ذلك لاحقا .

تدلنا عليه النظرة العادية المتدبرة في الأجرام السماوية . إنها تُبين لنا أنه ليس كل الأجسام السماوية حارة،و لا كلها مُضيئة ، و إنما هي متنوعة من حيث ذلك، فمنها الحار المضيء كالشمس و منها المضيء فقط ، كسائر النجوم التي نراها ليلا، و منها ما يجمع بين الضوء و العتمة كالقمر مثلا ، مع أنه مُعتم في الأصل ،و منها المعتم كالأرض ، فهي مُظلمة في الأصل، بدليل الظلام الذي يُخيم عليها ليلا . و هذا الذي انتهينا إليه هو الصحيح ، لكن أرسطو ترك المنهج الصحيح ،و استخدم قياسا ظنيا وهميا ، فأخطأ في القياس و النتيجة .

و أما شرعا ، فهو أيضا يُبطل زعم أرسطو ، لأن الله تعالى ميّز في القرآن الكريم بين النجوم و الكواكب من خلال بعض صفاتها من جهة ؛ و ذكر صراحة بأن الشمس — و هي من النجوم — مُتوهجة و هي مصدر الحرارة و الضوء ، و النور و التوهّج من جهة ثانية . كما أنه فرّق أيضا بين ضوء الشمس الصادر منها ،و بين نور القمر غير الصادر منه. و الشاهد على قولنا هذا قوله سبحانه و تعالى : {فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ }-سورة المرسلات:٨- ، فطمسها شاهد على أنها لم تكن مُعتمة . و{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }- سورة الأنعام:٩٧- ،و {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ }- سورة الصافات:٦- ، و {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً }-سورة الإسراء:١٢- ،و {النَّجْمُ الثَّاقِبُ }- سورة الطارق:٣- ، و{وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً }- سورة نوح:١٦- ، و {وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً }- سورة النبأ:١٣- .

و أما علما فقد أثبتت البحوث العلمية الحديثة بطلان زعم أرسطو ،و بينت بأدلة دامغة بأن النجوم مُلتهبة من داخلها،و أن الكواكب مُعتمة، لا تشع الضوء و لا الحرارة . فالشمس مثلا شديدة الحرارة في سطحها و باطنها . فسطحها هائج يغلي يتفجر ، و جوفها مركز لتوليد الطاقة الهائلة ، بسبب ما يحدث بداخله من تفاعلات نووية ،و هي التي تجعلها ساخنة إلى حد كبير جدا ، فيندفع ذلك إلى السطح و خارجه .و قُدرت درجة حرارتها

السطحية ب : ٦ آلاف درجة مئوية ،و أما باطنها فقُدرت درجة حرارته ب : ١٥ مليون درجة مئوية[١] .

و النموذج الخامس– من أخطاء أرسطو الفلكية– مفاده أنه زعم أن الهالة التي تظهر لنا حول الشمس و القمر ،و كواكب أخرى ، هي ليست دوائر حقيقية توجد حول هذه الأجرام، و إنما هي تظهر لنا كذلك بسبب انعكاس ضوئها على البخار المكون للسحاب ، فينعكس الضوء مُنكسرا مستويا من جميع الجهات إلى أبصارنا، فيظهر الضوء مستديرا في ذلك السحاب[٢] .

و أقول : أخطأ أرسطو من جهتين : الاستدلال ،و النتيجة . فمن حيث الاستدلال فإن الرجل استبعد كون الهالات أشكالا حقيقية حول الأجرام السماوية، من دون أي دليل صحيح ، و لا يُوجد أي مانع عقلي و لا علمي يمنع ذلك ، فلماذا استبعده ؟ ! .

و من جهة أخرى فإن الرأي الذي قال به ، هو مجرد ظن فسّر به ظاهرة الهالات ، من دون أن يُقدم دليلا ملموسا على صحة رأيه . و كل ما قاله هو مجرد احتمال ظني تأملي ، لا يمكن التأكد من صحته إلا بالمشاهدة ، أو بالآثار الصحيحة التي تُثبت ذلك ، و هذا لم يفعله أرسطو.

و أما من حيث النتيجة ، فقد ثبت بطلانها علميا ،و تفصيل ذلك هو أن الهالة–أو الإكليل– التي حول الشمس و القمر ، و كواكب أخرى ، لها وجود حقيقي يحيط بهذه الأجرام . و هي غلاف خارجي مُكوّن من الغازات ،و هي في الشمس مُتوهجة تمتد إلى ملايين الكيلومترات، و سمكها أكبر من قطر الشمس نفسه ،و عليها ينعكس ضوء الشمس ، إلى جانب إشعاعها الذاتي. و هي مُكونة أساسا من الإلكترونات ،و أيونات الهيدروجين ،

[١] عبد الحميد سماحة : في أعماق الفضاء ، ص:٢٩، ٤٧ ، ٤٨ . و الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الشمس . و آن هوايت : النجوم ، ص: ٢٠ و ما بعدها .
[٢] ابن رشد : تلخيص الآثار العلوية ، ص: ١٤٠، ١٤١ .

و عناصر أخرى أكثر ثقلا ، و لها أيضا كثافة معلومة . و يُمكن رؤيتها بالعين المجردة خلال الكسوف الكلي للشمس[1] .

و النموذج السادس مفاده أن أرسطو كان ينكر وجود أقمار لكوكب المشتري . و هذا غير صحيح ، فقد تم إثبات وجود أقمار للمشتري منذ القرن السادس عشر الميلادي باستخدام المِقرّب .و من طريف ما يُذكر في هذا الشأن هو أن الفلكي غاليليو لما نظر في السماء بالمِقَرّب و رأى أقمارا للمشتري ،و تبين له خطأ أرسطو في تقسيمه للعالم إلى عالم ما فوق القمر الأزلي ،و عالم ما تحت فلك القمر الفاسد ،و دعا بعض الأرسطيين لمشاهدة ذلك امتنعوا من الذهاب لمشاهدة ذلك ، غيرة على مذهب أرسطو[2] .

و يتمثل خطأ أرسطو في أمرين : أولهما إنه نفى وجود أقمار للمشتري ،و هذا مُخالف للحقيقة لأن للمشتري أقمارا . و الثاني هو أنه-أي أرسطو- خاض في أمر غيبي لا يُمكنه التأكد منه بالبرهان اليقيني القاطع ، لأن النظرة المجردة لا يُمكنها أن تفصل في الموضوع ، لمحدوديتها و بعد كوكب المشتري. فكان عليه أن لا يجزم في الأمر أبدا . لأن الوسيلة الوحيدة التي كانت لديه آنذاك هي الظن و التخمين ،و الترجيح و الاحتمال. و هذه لا تكفي أبدا لإصدار حكم قطعي في هذا الموضوع ، فأخطأ لأنه لم يلتزم بمنهج الاستدلال الصحيح .

و النموذج الأخير- السابع— مفاده أن أرسطو زعم أن الفلك المحيط — السماء الأولى — هو سبب دوران الشمس حول الأرض ، و تعاقب الليل و النهار، و الفصول الأربع[3].

و أقول: أولا إن قوله هذا مملوء بالأخطاء ، و باطل جملة و تفصيلا ، أوقعته في ذلك إلهياته الدهرية الخرافية . فهو قد زعم بأن المحرك الذي لا يتحرك هو الذي حرك المحرك الذي يتحرك، و هو الفلك المحيط ، الذي بدوره حرّك العالم بمكوناته ، منها الشمس[4] . فهذا هو

---

[1] دافيد برجماني : الكون ، دار الترجمة ، بيروت ، ص: ٩١ . و شوقي أبو خليل : الإنسان بين العلم و الدين ، دار الفكر ، دمشق ، ص: ٦٥ . و الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ص: ١٩٠ . و الموسوعة العربية العالمية ، مادة : هالة الشمس .
[2] يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار القلم ، بيروت ، ص: ١٦ ، ٢٠ .
[3] يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١٩٣ .
[4] سبق توثيق ذلك .

الذي أوقع الرجل في تلك الأخطاء،و هو هنا يدفع ثمن انحرافه و أخطائه في الإلهيات التي سبق أن بينا زيفها و تهافتها و بطلانها من جهة ،و هي تُثبت أن الرجل بنى قسما كبيرا من طبيعياته على إلهياته ، فهي تُلاحقه أينما اتجه من جهة أخرى. و هذا ليس خاصا به فقط ، بل إنه يصدق على كل أهل العلم، بل على كل إنسان ، لأن نظرة الإنسان إلى الله ،و الكون ،و الحياة ، هي التي تتحكم في تصوراته ، و تفسيراته ، و سلوكياته .

و ثانيا إن قوله السابق غير صحيح علميا ، و الفلك المحيط الذي أسند إليه أرسطو تلك الظواهر، هو من أوهامه و ظنونه ،و لا وجود له من الناحية الحقيقية و العلمية[1] . و الشمس تدور حول نفسها ،و تتحرك في مسارها،و لا تدور حول الأرض كما زعم أرسطو[2] . و الأرض ليست ثابتة ،و هي تدور حول نفسها و حول الشمس ، فيترتب عن دورانها الأول تعاقب الليل و النهار،و عن الثاني تعاقب الفصول الأربعة ،و هذه المعلومات هي من حقائق العلم الحديث الثابتة [3] .

و في ختامنا لهذا المبحث أذكر هنا أربع فوائد هامة هادفة : أولها يتضمن رأيا للفيلسوف برتراند راسل يتعلق بفلك أرسطو ، مفاده أنه تعجب من أرسطو كيف جعل العالم يتكون من قسمين : عالم ما فوق فلك القمر ،و عالم ما تحت فلك القمر، و جعل لكل منهما مبادئ خاصة به تحكمه . و مثل هذا ((التأمل المسرف في الخيال يبدو لنا جنونا محضا ...))[4] .

و الثانية مفادها أن النماذج السابقة المتعلقة بأخطاء أرسطو الفلكية ، تضمنت أخطاء كثيرة زادت عن ٢٢ خطأً من جهة ،و تضمنت أيضا انحرافا كبيرا في منهج البحث و الاستدلال لدى أرسطو من جهة أخرى. و تلك الأخطاء العلمية و الانحرافات المنهجية التي وقع فيها الرجل هي عينات نموذجية فقط ، من باب التمثيل لا الحصر .

---

[1] لم أعثر له على ذكر في كتب الفلك الحديثة التي رجعتُ إليها ، و قد أشرتُ إليها في الهوامش السابقة .
[2] عبد الحميد سماحة : في أعماق الفضاء، ص: ٤٧ و ما بعدها .
[3] أنظر مثلا : نفس المرجع، ص: ١١ و ما بعدها . و آن هوايت : النجوم ، ص: ١٤ و ما بعدها .
[4] برتراند راسل : حكمة الغرب ، ج ١ ص: ١٣٦ .

و الفائدة الثالثة مضمونها أن أرسطو جمع بين الانحراف الكبير في منهج الاستدلال ،و بين كثرة الأخطاء في النتائج . و هما أمران مُتلازمات غالبا . لأن الانحراف في المنهج يُؤدي إلى كثرة الأخطاء،و قلة الصواب ،و يحدث العكس عندما يكون منهج الاستدلال صوابا ، فيكثر الصواب و تقل الأخطاء. و قد تم التأكد من صحة ملاحظتنا هذا بشكل أعمق و أوسع ، من خلال ما ذكرناه من كثرة أخطاء و انحرافات أرسطو المتعلقة بالإلهيات و علم وظائف الأعضاء ، و ستزيدها تأكيدا ما سيأتي من أخطاء الرجل و انحرافاته .

و الأخيرة- الفائدة الرابعة — مفادها أنه تبين من النماذج الفلكية السابقة ، أن كثرة أخطاء أرسطو الفلكية ، تعود أساسا إلى أمرين رئيسيين : الأول نظرته إلى علم الفلك نظرة وهمية ظنية خرافية لانطلاقه من إلهياته الدهرية الشركية الخرافية .

و الأمر الثاني عدم التزامه بمنهج الاستدلال العلمي الصحيح، فكان يُقدم ظنياته و رغباته و تحكماته على المنهج التجريبي القائم على المعطيات العقلية و التجريبية الصحيحة . كل ذلك هو الذي جعل نظرته إلى علم الفلك نظرة وهمية ظنية خُرافية في أصوله و كثير من فروعه . و هذا الانحراف هو الذي يجعلنا لا نعتذر له ، لأنه لو التزم المنهج العلمي الصحيح في الاستدلالين العقلي و العلمي ، ما وقع في تلك الأخطاء و الانحرافات الجسيمة ، و لَمَا أصدر أحكامه القطعية بصحة مواقفه، مع أنها ليست كذلك . فالرجل- بسبب انحرافه - جنى على نفسه و على أتباعه ،و ساهم في إفساد العقل و العلم معا .

ثانيا : من أخطاء أرسطو في علم الجغرافيا :

تكلم أرسطو في الجغرافيا الطبيعة بتوسع في كتابه الآثار العلوية ، فوقع في أخطاء كثيرة جدا ، نذكر منها النماذج الآتية : الأول مفاده أن أرسطو ذكر أن البحر المحيط ليس بعده أرض ،و أنه يُوجد جبل عظيم يطل على هذا المحيط ، فإذا صعدناه ظهر لنا منه البحر المحيط . و ذكر أيضا أن ((جميع الأنهار العظيمة تسيل من هذا الجبل ، كما أن سائر البحار تمر من هذا البحر المحيط))[1] .

[1] ابن رشد : تلخيص الآثار العلوية ، ص: ٧٦ .

و أقول: إن قوله هذا مملوء بالأخطاء الجغرافية و المنهجية . فمن الناحية المنهجية فنفس منهج الاستدلال الذي مارسه في علم الفلك طبقه على الظواهر الجغرافية ، فهو هنا تكلم بلا دليل صحيح، و خاض في أمور لم يرها ،و اتخذ منها مواقف أكد صحتها ، مع أنها في الحقيقة غير صحيحة . و من المفروض أنه كان عليه أن يتحفظ و لا يُعمم ، و لا يقطع بصحة مواقفه . فهذه من أبجديات البحث العلمي التي لا يصح أن يتجاوزها أهل العلم في بحوثهم . لكن أرسطو ضرب بذلك عرض الحائط ، و جعله وراء ظهره ، و أطلق العنان لظنونه و رغباته ، و تحكماته و اجتهاداته بأن تعمل بلا ضوابط علمية في كثير من المواقف التي تبناها .

و أما من الناحية العلمية فإن قوله بأن البحر المحيط ليس من بعده أرض ، هو قول باطل أصلا، لأن هذا البحر المحيط الذي وصفه لا وجود له على الأرض مُطلقا ، و يبدو أنه كان يقصد المحيط الأطلسي الذي هو قريب من بلاد اليونان بالمقارنة إلى المحيطات الأخرى . و الحقيقة هي أنه توجد عدة محيطات– كالأطلسي و الهادي– مُتصلة فيما بينها ،و متداخلة مع اليابس في شكل كروي ، فمن وراء كل محيط يابس،و من وراء كل يابس مُحيط ، و كل تلك المحيطات تطل عليها جبال كثيرة و عالية كما تشهد به خريطة العالم الطبيعية[1] ؛ و لا يُوجد مُحيط ليس من بعده أرض كما زعم أرسطو .

و أما قوله بأن جميع الأنهار العظيمة تخرج من ذلك الجبل العظيم المطل على البحر المحيط المزعوم ، فهو زعم ظاهر البطلان بما ذكرناه عن المحيطات و جبالها . و إذا فرضنا جدلا أنه يقصد المحيط الأطلسي ،و تصدق عليه الأوصاف التي وصفه بها أرسطو ، فإن قوله لا يصح أيضا . لأن الأنهار العظيمة التي تجري في الهند ،و الصين، و اليابان، و في غرب كندا و الولايات المتحدة ، لا يُمكنها أبدا أن تخرج من ذلك الجبل الذي يطل على المحيط الأطلسي ، لأنها بعيدة عنه ،و لها مصادرها و محيطاتها التي تصب فيها . و كل ذلك يشهد بأن أرسطو لم يكن على علم بما قاله . فكيف سمح لنفسه بأن يصدر ذلك الحكم العام المخالف للحقيقة ؟ ! و لماذا تكلم بلا علم ؟ ! .

[1] أنظر : الأطلس العالمي ، المعهد التربوي الوطني، الجزائر ، ص: ٦٤ -٦٥ .

و نفس الأمر ينطبق على زعمه بأن سائر البحار تمر بالبحر المحيط الذي وصفه . فهذا زعم ظاهر البطلان ، لأنه من الثابت قطعاً أن هذا البحر المحيط المزعوم غير موجود أصلا ، و بذلك يسقط زعمه كلية . و هو و إن كان قد فسّر قوله السابق بأن البحر المحيط ((يتحرك من وسطه إلى جميع البحار ،و تتحرك جميع البحار إليه))[1] . فهذا تفسير لا يصح ، لأن المحيط نفسه غير موجود فكيف يحدث ما ذكره ؟ ! .

علماً بأن الواقع يشهد بأنه توجد بحار كثيرة لها اتجاهات مختلفة ،و لا تصب في محيط واحد، و لا في المحيط الأطلسي فقط . فمنها ما يصب المحيط الهادي، منها ما يصب المحيط الهندي،و منها ما يصب المحيط المتجمد الشمالي ،و الخريطة الطبيعية للعالم تشهد بذلك بجلاء . لكن أخطاء أرسطو الفادحة جعلتنا نبحث عن الأدلة و الشواهد لإثبات ما هو ثابت و معروف لدى الخاص و العام ، و لا يحتاج إلى شواهد لإثباته أصلا .

و النموذج الثاني — من أخطاء أرسطو- أنه زعم أن الماء العذب خفيف ،و هو الذي يتبخر، و أما الماء المالح فهو ماء ثقيل بسيط أزلي ، و يترسب لثقله ،و لا يتبخر كالأول . و موضعه الطبيعي في البحر عامة،و البحر المحيط أساسا ، فهو مصدر جميع البحار و الأنهار. و البحار حسب زعمه أزلية و ليست مُكونة [2] .

و أقول : أولا إن قوله هذا باطل جملة و تفصيلا ، و فيه انحراف كبير عن منهج الاستدلال العلمي . فهو قد بنى زعمه انطلاقا من إلهياته الدهرية الخرافية القائلة بأزلية العالم و مكوناته ،كأزلية البحر المحيط حسب زعمه . و بما أن قوله بأزلية العالم باطل ، فإن قوله السابق باطل بالضرورة أيضا . فهو لم يقم بمشاهدات و تجارب ليُثبت زعمه ،و إنما قاله انطلاقا من إلهياته ،و هذا لا يصح لأنه احتج بدليل باطل .

علماً بأنه كان في مقدور أرسطو إجراء تجارب على مياه البحار عامة،و البحر المحيط خاصة ، فيُغليها ليتأكد هل تتبخر أم لا ؟ ، أو أن يذهب إلى البحر المحيط نفسه ، ليرى

---

[1] ابن رشد : المصدر السابق ، ص: ٨٩ .
[2] ابن رشد : تلخيص الآثار العلوية ، ص: ٨٦ و ما بعدها .

هل مياهه تتبخر بفعل الحرارة أم لا ؟ . فهو إما أنه يعرف ذلك و جربه ،و أخفاه و لم يُقر به بسبب التزامه بإلهياته ،و هذا موقف مرفوض و لا يصح . و إما أنه لم يقم برحلات و لا أجرى تجارب ،و إنما قال بذلك الزعم انطلاقا من إلهياته . و هذا أيضا لا يصح ،و غير مقبول عقلا و لا علما . فالرجل في الحالتين قد انحرف عن منهج الاستدلال العلمي الصحيح .

و ثانيا إن قوله يتضمن خطأين واضحين ، الأول قوله بأزلية البحار و المحيطات ،و هذا غير صحيح ،و قد سبق أن أثبتنا بطلان زعم أرسطو بأزلية العالم في الفصل الأول . و الثاني هو زعمه بأن ماء البحر المحيط ثقيل لا يتبخر بسيط التركيب . و هذا زعم باطل مردود عليه، لأن المشاهدة العيانية تُثبت أن مياه المحيطات تتبخر،و هي المصدر الأساسي للأمطار على وجه الأرض . كما أن التجربة العملية تُثبت قطعا أن مياه المحيطات تتبخر كما تتبخر المياه العذبة ،و إن كانت أثقل منها كثافة بسبب ما تحمله من أملاح . و ماء البحار مركبة أساسا من عنصري الأكسجين و الهيدروجين ، كالمياه العذبة ، و ليست أزلية بسيطة التكوين لا تقبل التحلل كما زعم أرسطو . و مثال ذلك أيضا أن البحر الميت أكبر ملوحة و كثافة من المحيط ،و مع ذلك فهو يتبخر[1] .

و ثالثا إن قوله المزعوم يتضمن تناقضا صارخا مع الحقيقة الجغرافية للمحيطات و الأنهار . و مفاده أنه زعم أن جميع الأنهار مصدرها البحر المحيط ، فكيف يحدث ذلك ،و لا توجد وسيلة لحدوثه ؟ ، لأن الثابت أن الأنهار تصب في المحيطات و البحار و لا تخرج منها . و بما أن مياه البحر المحيط لا تتبخر حسب زعم أرسطو ، فكيف تصل مياهه إلى الأنهار ؟ ! ،و بما أن الكون أزلي حسب زعمه ، فهذا يعني أن الأنهار أزلية بطبعها و لا يمكن أن يكون البحر المحيط مصدرها !! . و بما أن مصادر مياه الأنهار التي هي من الثلوج و الأمطار و الينابيع ، أصلها في الأساس من تبخر مياه المحيطات . فكيف يكون البحر المحيط المزعوم هو مصدر جميع الأنهار ، مع أن مياهه لا تتبخر حسب زعمه ، و الأنهار تصب فيه و لا تخرج منه ؟؟!! .

[1] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : البحر الميت .

و إن قيل : إن أرسطو ذكر سبب كون البحر المحيط هو ابتداء جميع الأنهار ، ذكره عندما قال : ((و أما الأنهار فلموضع الرطوبة الصاعدة منها إلى الهواء ، ثم يعود مطرا))[١] . فنقول : هذا لا يصح تعليلا لما انتقدناه فيه، لأن كلامه هذا ليس فيه تصريح واضح بأن ذلك التبخر يحدث للبحر المحيط، لأن الضمير الوارد فيه جاء بصيغة الجمع المؤنث ،و لم يأت بصيغة المذكر المفرد من جهة . و لأن الرجل كان قد نصّ صراحة على أن مياه البحر المحيط ثقيلة أزلية لا تتبخر ، فإن قصده فهذا تناقض من جهة أخرى .

و إذا قيل أن أرسطو قال بذلك لأنه كان يعتقد بأن البحر المحيط ((يتحرك من وسطه إلى جميع البحار ،و تتحرك جميع البحار إليه))[٢] . فنقول: هذا تفسير صحيح لو كان هذا البحر المحيط المزعوم موجودا، و بما أنه غير موجود أصلا ، فلا يصح . و نحن أشرنا إلى أن كلامه هذا يتناقض مع الحقيقة الواقعية ،و ليس مع كلامه الذي توهّمه .

و النموذج الثالث يتعلق بمصدر تولد ملوحة مياه البحار ، فيرى أرسطو أن مصدر ملوحتها لا يعود إلى تبخير الشمس لمياه البحار و ترسب الملح فيها ، كما يقول بعض الناس . و لا كما قال آخرون بأن مصدرها مياه مالحة خارجية خالطت مياه البحار ،و هذا عنده غير صحيح لأن هذه المياه هي مياه الأنهار ،و هي مياه عذبة و ليست مالحة، فمن أين لها الملوحة ؟ !. و الصحيح عنده أن أصل الملوحة أنها تتولد من جسم أرضي مُحترق[٣] .

و أقول : إن قوله هذا غير صحيح في معظمه، و ليس فيه إلا قليل من الصواب ، و قد خَطّأ رأيين صحيحين من دون دليل صحيح كعادته . و الصحيح في مصدر ملوحة مياه البحار ، أنه ليس لها مصدر واحد ، كما قال أرسطو، و ليس تفسيره هو المصدر الأساسي لمصدر ملوحتها ، فهو إن صح فقد يصدق كعامل من العوامل الأخرى المساهمة في ملوحتها.

---

[١] ابن رشد : تلخيص الآثار العلوية ، ص: ٨٩ .
[٢] نفسه ، ص: ٨٩ .
[٣] نفس المصدر ، ص: ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٥ .

و أهم مصادر ملوحتها خمسة : أولها يتمثل فيما تجلبه الأنهار من أملاح و معادن و مواد عضوية إلى البحار . و الثاني هو عملية التبخر التي تحدث لمياه البحار بسبب حرارة الشمس ، فيصعد البخار إلى أعلى ،و يبقى الملح في البحار. و ثالثها هو تحلل الكائنات العضوية النباتية و الحيوانية الميتة التي تعيش في البحار[١] .

و الرابع يتمثل في ما تُخرجه و تُلقيه البراكين الثائرة داخل البحار ، من حمم و صهارات مليئة بالأملاح المعدنية . و آخرها –المصدر الخامس– فيتمثل في أملاح النشأة الأولى عندما تكوّنت البحار . و ذلك أن القشرة الأرضية عندما كانت مُنصهرة ،و تفاعلت مع الأمطار المتهاطلة –عبر عصور الأرض الأولى– كانت الحياة –مع ارتفاع درجة الحرارة– أكثر قابلية لإذابة الأملاح ،و تنشيط التفاعلات الكيميائية ، فكانت مياه البحار مُشبعة بالأملاح عند النشأة الأولى[٢] .

و النموذج الرابع يتعلق بمصدر نهر النيل ، ذكرنا سابقا أن أرسطو نص صراحة على أن البحر المحيط هو مصدر جميع الأنهار ، و أن الجبل العظيم المطل عليه تصدر منه جميع الأنهار العظيمة . لكنه أشار أيضا إلى أنه توجد جبال أخرى تصدر منها أنهار معروفة ، مثل الجبل الذي يصدر منه نهر النيل[٣] .

و أقول: أولا إن كلام الرجل فيه تناقضان ، الأول قوله بأن البحر المحيط هو مصدر جميع الأنهار من حيث مصدرها المائي[٤] . و الثاني قوله بأن الجبل العظيم المطل على البحر المحيط تصدر منه جميع الأنهار العظيمة . ثم ناقض ذلك بما قاله عن مصدر نهر النيل . فكان عليه أن يستثني الأنهار العظيمة التي لا يصدق عليها الحُكمان السابقان.

---

[١] حسن أبو العينين : جغرافية البحار و المحيطات ، ط٦ ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، مصر ، ١٩٨٢ ، ص: ١٦٥ ، ١٦٨ . و جمال الدين أفندي : طبيعيات البحر و ظواهره ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص: ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ . و الموسوعة العربية العالمية ، مادة : المحيط .

[٢] نفس المراجع .

[٣] ابن رشد : تلخيص الآثار العلوية ، ص: ٧٦ .

[٤] سبق أن ناقشنا أرسطو في مقصوده من ذلك .

فإن قيل : إن أرسطو أشار إلى أن نهر النيل مصدره جبل آخر . فنقول : إن هذه الإشارة ليست من الاستثناء ،و إنما هي نقض للموقفين السابقين . لأن الأسلوب العلمي الصحيح يُحتم عليه أن لا يُعمم حكمه ، ثم يستثني منه مالا يندرج تحته ، في نفس الموضع ،و أو موضع آخر عند الضرورة مع الربط بينهما. كأن يقول: الغالب كذا ، أو معظمهم قالوا كذا ، أو الغالبية الساحقة ، أو الغالبية العظمى ، أو لا يكاد يُخالفه شيء ، أو لا نكاد نعثر على خلافه ، و هكذا . و إذا تراجع عن موقف قاله سابقا ، عليه إن يُشير إلى ذلك ، كأن يقول: كنا ذكرنا كذا ،و الآن نرى خلافه ، أو كنا قلنا كذا ،و الآن نستثني منه هذا الأمر ، و هكذا . و إذا لم يفعل ذلك يكون قد تناقض مع نفسه، سواء عن قصد ، أو عن غير قصد .

و ثانيا ليس صحيحا أن النيل بنبع من جبل ، و إنما الصحيح هو أن مصادره كثيرة بسبب كثرة روافده التي تصب فيه مُكونة نهر النيل . و هي تنبع من المنطقة الاستوائية الكثيرة الأمطار ، كما في الهضبة الحبشية و بحيرة فيكتوريا . لكن مع تعدد مصادره فإن له مصدرين أساسيين : الأول بحيرة فيكتوريا ،و الثاني نهر روفيرونزا الواقع في بورندي[1] . فليس مصدر نهر النيل جبل ، و لا له مصدر واحد ينبع منه، كما زعم أرسطو .

و النموذج الخامس يتعلق بالرياح : مصدرها ،و أنواعها . يرى أرسطو أن مصدر الرياح هو البخار الحار اليابس ، و بمعنى آخر هو الدخان الذي يتولد بسبب حرارة الشمس . و هي – أي الشمس– تُولّد بخارين حارين ، هما : الحار الرطب المكون للأمطار ، و الحار اليابس– الدخان– المكون للرياح . و أنكر على من قال بأن طبيعة الرياح و المطر واحدة ، و نصّ على أن طبيعة الماء تختلف عن طبيعة الهواء . و قال أيضاً : ((إن الريح ليست هي هواء متحركا ،و أن طبيعته غير طبيعة الهواء . فبيّن أنه لو كان الأمر كذلك لما كان للريح مبدأ و طبيعة بها تتحرك من ذاتها . و معلوم أنه ليس في الهواء بما هو هواء مبدأ لحركة الرياح ، فإن الريح بيّن من أمرها أنها مُتحركة، من تلقائها ، و لذلك كانت أحد الموجودات

[1] أنظر : الأطلس العالمي ، ص: ٣٦ . و الموسوعة العربية العالمية ، مادة : النيل .

الطبيعية المركبة ، لا البسيطة . و أيضا فإن الرياح مختلفة الأنواع بالمزاج ،و الموضع الذي منه تهب ، و لو كانت الريح هو الهواء المحرك لما اختلف باختلاف المواضع و الجهات))[1] .

و أما من جهة أنواع الرياح فمجموع عددها على وجه الأرض يبلغ ١١ أو ١٢ نوعا من الرياح ، لأن النقل عن أرسطو أُختلف فيه ، فقيل ١١ ، و قيل ١٢ [2] .

و أقول : إن قوله هذا مملوء بالأخطاء ، و ربما كان معذورا في بعضها ، لكنه غير معذور في معظمها لأنه أكد على صحتها من دون دليل يقيني ، و رد بعض الأقوال الصحيحة برد غير مقنع من جهة ؛ و هو في كل الحالات يتحمل تبعات كلامه كله ، و مسئول عنه من جهة أخرى .

و ليس صحيحا قوله بأن طبيعة الرياح تختلف عن طبيعة الهواء ، فهذا كلام بلا علم . لأن كلا منهما هواء ، و الهواء هو خليط من الغازات المكونة للغلاف الغازي المحيط بالأرض ،و الرياح هي هواء يتحرك أفقيا على الأرض لا غير. و ليست الشمس هي المكونة للرياح و لا للهواء ، لأن الغلاف الغازي المحيط بالأرض ليس من تكوين حرارة الشمس[3] .

و حركة الرياح ليس مصدرها الرياح ذاتها، و لا هذه الخاصية تجعلها من طبيعة مغايرة للهواء كما زعم أرسطو . و سبب تحركها هو الحرارة ، بناء على قاعدتي الضغط المرتفع و المنخفض . فتتحرك من المرتفع البارد إلى المنخفض الساخن ،و تكون قوتها حسب الفارق بين المنطقتين[4] .

و فيما يخص عدد أنواعها ، فالأمر ليس كما ذكره أرسطو ، لأن عددها أكثر من ذلك بكثير ، فقد أحصيتُ منها أكثر من ٢٨ نوعا من الرياح ، منها الدائمة ، و الموسمية ، و

---

[1] ابن رشد : تلخيص الآثار العلوية ، ص: ٩٨ .
[2] ابن رشد : الآثار العلوية ، ص: ٣٣ .
[3] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الرياح ، الهواء ، الغلاف الحراري ، الغلاف الأوسط .
[4] حسن سيد أبو العينين : أصول الجغرافيا المناخية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الأسكندرية ، ص: ١٧٦ . و عبد الحليم خضر : المنهج الإيماني ، ص: ١٥ .

المحلية . و من تلك الرياح : التجارية ، و العكسية ، و القطبية ، و الخماسين ، و السموم ، و السيروكو ، و الهرمتان ، و البورا[1] .

و خلاصة ذلك هو أن تحرك الرياح، و اختلاف درجات حرارتها ،و تنوّعها عددا و اتجاهاً ، كل ذلك لا دخل له في أن يُكوّن طبيعة خاصة للرياح ، و لا يجعلها مُخالفة لطبيعة الهواء ،و إنما هي هواء مُتحرك على وجه الأرض ، و هذا خلاف ما قاله أرسطو .

و النموذج السادس يتعلق بالفرق بين المطر و الندي ، يرى أرسطو أن كلا منهما يتكون من بخار الماء في السماء ، ثم ينزلان إلى الأسفل حيث الأرض . فإذا كانت كمية البخار المتحولة قليلة و بطيئة الهبوط تكوّن منها الندى ،و هذا يحدث ليلا في حالة الصحو ؛ و إذا كانت الكمية الهابطة كبيرة و سريعة تكوّن منها المطر . فالندى مطر قليل ، و المطر ندى كثير . و علل سبب ظهور الندى صحوا لا في وقت الغيوم، علله بأن ((البخار الذي يكون منه إنما يعلو عند الصحو ، لبرد هذا الوقت و موافقته لصعود هذا البخار و تولّده ، و ذلك من قِبل قلة حرارته))[2] .

و قوله المتعلق بالندى غير صحيح ، لأنه أولا إن الندى لا يتكون في الطبقات العليا،و لا يسقط منها كالمطر ،و لا أحد منا سمعه يسقط ، و لا أحس بسقوطه . و إنما هو يتشكل في سطح الأرض ، فعندما يبرد الهواء القريب منها ، يتكاثف بخار الماء الذي يحمله ، و يتحول إلى سائل يظهر على الأجسام القريبة من الأرض[3] .

و ثانيا إن أرسطو أخطأ في طريقة الاستدلال ، لأنه قال بأن الندى يتكون في السماء كالمطر ، من دون أي دليل صحيح يُثبته ، أو يُرجحه، و ليس في إمكانه رؤيته ،و لا بيده

[1] أنظر : حسن سيد أبو العينين : نفس المرجع ، ص: ١٩٢، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٤، ٢٠٥ ، ٢١٣، ٢١٤ و ما بعدها ، و ٢٢١ و ما بعدها ، و ٢٣٠ و ما بعدها .

[2] ابن رشد : تلخيص الآثار العلوية ، ص: ٦٤ ، ٦٦ .

[3] حسن أبو العينيين : أصول الجغرافية المناخية ، ص: ٣٢٥ و ما بعدها . و الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الندى .

آثار و شواهد صحيحة تُؤيده . و إنما الشواهد المتوفرة تدل على خلاف زعمه ، منها أن الندى لا نحس بسقوطه باللمس و لا بالسمع . و أنه يظهر من دون سحاب ، في أيام الصحو . و هذا يعني أنه لا يسقط من السماء، لأنه لا سقوط للمطر القليل و لا الكثير من دون سحاب . و من كل ذلك يتبين أن الشواهد تدل على أن الندى لا يسقط من السماء،و إنما يتكون على سطح الأرض ،و من دون سحاب . و هذا خلاف ما قاله أرسطو ، فأخطأ في النتيجة و منهج الاستدلال .

و النموذج السابع — من أخطاء أرسطو– مفاده أن الرجل زعم أن هواء الجبال الشاهقة حار جدا ، لأنه ((مُتحرك و قريب من حركة النجوم))[1] .

و قوله هذا باطل جملة و تفصيلا ، و فيه انحراف كبير عن منهج الاستدلال العلمي الصحيح . و تفصيل ذلك أولا إنه ليس صحيحا أن هواء الجبال الشاهقة حار جدا ، لأن الثابت علما و مشاهدة أن قمم الجبال العالية أكثر برودة من سفوحها ، لأنه كلما ارتفعنا إلى أعلى قلت درجة الحرارة ، بمعدل درجة مئوية واحدة لكل ١٠٠٠ متر نقُصت الحرارة بنحو ٦،٥ درجة مئوية . و الشاهد على ذلك أيضا أن قمم الجبال العالية مكسوة بالثلوج كما في جبال الألب في أوربا ، التي تصل أعلى قمة فيها نحو ٥٠٠٠ متر ،و جبال الهيملايا على حدود النيبال و التبت ، تصل أعلى قمة فيها إلى نحو ٩٠٠٠ متر(٩ كم)[2] .

و ثانيا ليس صحيحا أن الجبال العالية جدا هي قريبة من حركة النجوم ، لذلك هي حارة جدا ، فهذا ظن و تخمين ،و قول بلا علم ،و رجم بالغيب . لأن الحقيقة أن النجوم بعيدة جدا جدا عن جبال الأرض ، التي هي نفسها تقع ضمن الطبقة الأولى من الغلاف الجوي الملاصقة لسطح الأرض . و قد قَدر العلماء سمك الغلاف الغازي– بطبقاته الأربع– من سطح الأرض إلى نهايته بنحو : ٢٥٠ ميلا [3] . فماذا تُمثل أعلى قمة جبل في الأرض المقدرة بنحو ٩ كم ، بالنسبة إلى سمك الغلاف الغازي المقدر بنحو ٢٥٠ ميلا ؟؟!! . فهل

[1] ابن رشد : تلخيص الآثار العلوية ، ص: ٦٦ .
[2] حسن أبو العينين : أصول الجغرافيا المناخية ، ص: ٦٥ . و الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الهواء، الجبل ، الألب ، إيفرست .
[3] حسن أبو العينين : نفس المرجع ، ص: ٦٩ .

بعد هذا يصح قول أرسطو بأن الجبال الشاهقة قريبة من حركة النجوم ؟؟؟!!! . وأما إذا قسنا المسافة التي تفصل بين الأرض و بين أقرب نجم إلينا و هو الشمس فلا مجال للكلام في ذلك أبدأ ،و لا يصح الخوض فيه أصلا . و قد قدّرها العلماء بنحو ٩٣ مليون ميل في المتوسط[1] .

و أما قوله بأن حركة هواء الجبال الشاهقة ساهمت أيضا في شدة حرارته . فهذا لا يصح أيضا لأمرين أساسيين : الأول هو أنه سبق أن بينا أن قمم الجبال العالية باردة و ليست شديدة الحرارة . و الثاني هو أنه ليس صحيحا أن الحركة تولد بالضرورة الحرارة الشديدة ، فهي قد تولد برودة شديد . و هذا سبق أن بينا بطلانه في أخطاء أرسطو الفلكية من جهة ،و نحن نعلم كلنا أن الجسم قد يكون متحركا و هو بارد ، كما هو حال الرياح الباردة من جهة أخرى .

و أخيرا- ثالثا — إن سبب خطأ أرسطو ذلك الخطأ الفاحش ، يعود إلى أمرين أساسيين : الأول تأثره بإلهياته الزائفة في قوله بأن هواء الجبال الشاهقة شديدة الحرارة ، فهو قد زعم فيها أن عنصر النار يُوجد في آخر طبقات العالم الأرضي ،و بما أنه قال بأن تلك الجبال قريبة من حركة النجوم، فهذا يعنى أنها من باب أولى أنها قريبة جدا من طبقة النار ، و هذا هو الذي جعلها شديدة الحرارة على حد زعم أرسطو[2] .

و الأمر الثاني هو إهماله لمنهج البحث و الاستدلال العلميين ، فقد أهمل السعي للمعاينة و التجربة و سؤال أهل الخبرة ، و اكتفى بالتأمل النظري ،و القول بالظن و التخمين ،و الاعتماد على إلهياته الزائفة . فلماذا لم يذهب مثلا إلى قمم جبال الألب العالية — و هي قريبة من بلاد اليونان- ليتأكد مما قاله ؟! ، و لماذا لم يسأل أهل الخبرة من الرحالين و غيرهم من العارفين بالظروف السائدة في قمم الجبال ؟ ! . إنه لم يفعل ذلك ، و بمثل هذه الانحرافات القاتلة هي التي جنى بها أرسطو على نفسه و أتباعه ،و على العقل و العلم معا.

[1] عبد الحميد سماحة : في أعماق الفضاء ، ص: ٤٧ .
[2] سبق الرد على قول أرسطو بعنصر النار و العناصر الأخرى ، فلا نعيده هنا .

و النموذج الأخير- الثامن من أخطاء أرسطو الجغرافية- يتعلق بالمذنبات و الشهب ، و مفاده أن الرجل يرى أن ظاهرة الكواكب المذنبات ليست جزءا من الجرم السماوي، و إنما هي هواء ملتهب بسبب حرارة الشمس و الكواكب الأخرى . و زعم أيضا أنه إذا ظهرت تلك المذنبات فذلك يدل على ((الرياح الكثيرة ، و الاحتراق ، و اليبس في ذلك الوقت . لأنها تعرض إذا كان مزاج الهواء حارا يابسا ، إذ كان ليس يُمكن أن يعرض الالتهاب في الهواء الرطب)) . و في أي سنة ظهرت فيها الكواكب المذنبات كان ذلك دليلا على أنها ستكون يابسة كثيرة الرياح[١] .

و أيد ذلك بحوادث حكاها عن غيره ، منها أنه قال : ذُكر أن الكواكب المذنبات ظهرت يوما ، فرمى ((رامٍ في ذلك الوقت بحجر في نهر يُسمى أجريس ، فلم تزل الريح تدفعه النهار كله إلى الغد)) . و منها أيضا أنه ذُكر أن كوكبا مُذنبا ظهر في زمن الملك نيقوماخوس في موضع استواء الليل و النهار الكروي ، فهاجت ((بعد ظهوره ريح عاصف على الفور))[٢] .

و تلك الظاهرة — حسب أرسطو - قليلة الظهور بسبب ((ما يعرض في الأكثر من قلة حرارة الشمس و الكواكب . أعني أنه ليس في طبيعتها ، و ذلك في الأكثر أن تلهب الهواء إلهابا يكون منه هذا النوع من الكواكب إلا في الفرط من السنين))[٣] .

و أما الشُهب ، فهي- حسب أرسطو- تتكون من النار التي تُولدها حركة الجسم المستدير الدائري الحركة . و تفصيل ذلك هو أنه عندما يتحرك يُولد لهب يلهب به الأجسام ،و منها تتكون النار التي هي بدورها تتكون منها الشُهب . و هذه الشُهب توجد تحت فلك القمر لا في النجوم حسب رأي أرسطو[٤] .

---

[١] ابن رشد تلخيص الآثار العلوية ، ص: ٥٠ .
[٢] نفسه ، ص: ٥٠ .
[٣] نفسه ، ص: ٥٠ ، ٥١ .
[٤] نفس المصدر ، ٢٤، ٣٧ ، ٤٠ .

و قوله هذا غير صحيح ، و مملوء بالأخطاء ، و فيه انحراف كبير عن منهج البحث العلمي الصحيح . و تفصيل ذلك: أولا إنه ليس صحيحا أن المذنبات ليست من الجرم السماوي،و أنها هواء مُلتهب . و إنما الصحيح هو أنها-أي المذنبات – أجسام صلبة من طبيعة الأجرام السماوية نفسها ،و هي ذات أحجام و أشكال و أنواع ، تسبح في أعماق الفضاء ،و قد تقترب من الشمس و الأرض . و عندما تقترب من الشمس أو من أي كوكب كبير فإنها تتمزق إلى أسراب من أجسام صغيرة[1] .

و ليس صحيحا أيضا ما قاله أرسطو عن الشُهب ، فهي لم تتكون كما ذكر ، من أنها تولّدت من النار التي كونتها حركة الجسم المستدير ،و إنما الصحيح هو أن أصلها من المذنبات السابق ذكرها . و ذلك أنها عندما تتمزق إلى أجسام صغيرة و تقترب من الأرض و تدخل الغلاف الغازي تنصهر و تلتهب فتُكوّن الشُهب[2] . فهي ليست من عالم الكون و الفساد كما زعم أرسطو ، و إنما مادتها من الأجرام السماوية،و مصدرها من خارج كوكب الأرض .

و ثانيا ليس صحيحا قوله بأن المذنبات قليلة الحدوث و الظهور بسبب قلة حرارة الشمس و الكواكب التي تُلهب الهواء المكوّن لها . فهذا زعم باطل، و الصحيح هو أن درجة حرارة الشمس لا تقل، و لا دخل لها في تكوين المذنبات . و هي – أي المذنبات – ليست قليلة الحدوث، و إنما هي كثيرة الحدوث ، و تحدث بآلاف المرات في السنة الواحدة ، و ليس أنها لا تحدث إلا نادرا في عدة سنيين كما زعم أرسطو . لكن لا نرى معظمها إلا بالمنظار الفلكي لبعدها الشاسع عنا [3].

و رابعا إن قوله بأن السنة التي تظهر فيها المذنبات تكون إشارة على أنها ستكون سنة كثيرة الرياح ،و الاحتراق و اليُبس . فهو زعم باطل ، لأمرين أساسيين : الأول أن كثرة الرياح من قلتها لا تتحكم فيها ظاهرة المذنبات،و إنما هي تخضع لنظام خاص بها داخل

[1] عبد الحميد سماحة : في أعماق الفضاء ، ص: ٣٣ ، ٤٣ . و آن هوايت : النجوم ، ص: ٧٤ ، ٧٥ .
[2] نفسه ، ص: ٣٣ ، ٣٤ . و نفسه ، ٧٤ و ما بعدها .
[3] آن هوايت : نفس المرجع ، ص: ٧٣ . و الموسوعة العربية العالمية ، مادة : المذنب .

كوكب الأرض أساسا[1]. و الثاني أن المذنبات تحدث بآلاف المرات في السنة الواحدة ، على امتداد فصولها ، و لا يحدث ما أشار إليه أرسطو ، من كثرة الرياح ، و الاحتراق ، و اليبوسة !! . فلا نرى لذلك أثراً ، إلا ما هو عادي معروف .

و أما الخبران اللذان حكاهما أرسطو كشاهدين على صحة قوله بأن ظهور المذنبات يتسبب في كثرة الحرارة و الإحراق و اليبوسة . فهما غير صحيحين بالضرورة ، لأنهما نتيجتان لمقدمة غير صحيحة . و بمعنى آخر أنه بما أن المذنبات لا تُسبب الرياح القوية التي أشار إليها أرسطو، فإن الخبرين اللذين ذكرهما كشاهدين على صحة رأيه ، غير صحيحين بالضرورة .

و أخيرا – خامسا – إن السبب الأساسي في خطأ أرسطو يتمثل في انحرافه عن المنهج العلمي الصحيح في البحث و الاستدلال ، و قد تمثل ذلك في أمرين : الأول هو تأثره بإلهياته الزائفة في موقفه من المذنبات و الشهب ، فبسببها استبعد أن تكون المذنبات و الشُهب أجزاءً منفصلة عن الأجرام السماوي ، لأنه كان يعتقد أن الأجرام السماوية هي أجسام أزلية إلهية مقدسة . و بسببها زعم أن الشهب تتكون من النار ما تحت فلك القمر ، لأنه كان يعتقد أن تلك الطبقة هي طبقة نارية حسب وتوزيعه للعناصر الأربعة، و من ثم فهي تتكون هناك[2] . فواضح من ذلك أن تأثره بإلهياته الزائفة أوقعه في الخطأ من جهة ،و أن تأثيراتها فيه ما تزال تُلاحقه حتى في مواقفه الجزئية في كثير من الظواهر الطبيعية من جهة أخرى .

و أما الأمر الثاني ، فهو عدم التزام أرسطو بالمنهج العلمي الصحيح في مجال علوم الطبيعة ، فهو قد تكلم بالظن و التخمين ، و الرغبات و التحكّمات في أمور لا يصح فيها ذلك ، و أكد على صحة أمور من دون دليل قطعي . و أخذ ببعض أخبار الآحاد و استعان بها لتأييد ما ذهب إليه ، من دون نقد و لا تمحيص ، مع أن الخبر الأول ظاهر عليه أنه مكذوب مُختلق ، لأنه لا يتفق مع ما نراه من آثار الرياح على الطبيعة.

---

[1] أنظر : حسن أبو العينين : أصول الجغرافيا المناخية ، ص: ١٥٨، ١٥٩ .
[2] سبق توثيق ذلك في الفصل الأول .

و من تلك النماذج تبيّن جليا أن أرسطو وقع في أخطاء و انحرافات منهجية كثيرة تتعلق بعلم الجغرافيا ، زاد عددها عن ٣٠ خطأ و انحرافا منهجيا من جهة .و أظهرت مدى إهماله و إخلاله بالمنهج العلمي في البحث و الاستدلال من جهة أخرى .

ثالثا : من أخطاء أرسطو في موقفه من العقل و الأجناس و الناس:

اتخذ أرسطو مواقف خاطئة من قضايا أساسية تتعلق بالعقل و الأجناس البشرية ،و الفئات الاجتماعية في زمانه ، فأثرت عليه سلباً في فكره و سلوكه من جهة ، و أظهرت انحرافا منهجيا كبيرا في تفكيره من جهة أخرى .

ففيما يخص العقل فسنذكر نموذجين من كلام أرسطو حوله . الأول مفاده أن العقل عنده- أي أرسطو- هو عنصر إلهي أزلي مُفارق للمادة ، يحل بالجسم في الحياة الدنيوية ثم يُفارقه بعد الموت ، و يكون له خلود نوعي لا فردي[1] .

و أقول : هذا الرجل يتكلم بلا علم كعادته ، فقد جعل تخميناته و رغباته و تحكماته أدلة ينطلق منها و يحتج بها ، و هذا انحراف منهجي خطير ، و استدلال باطل مرفوض ، و هذا وحده كافٍ لإبطال زعمه . فهو في موقفه من العقل يُسقط عليه إلهياته الزائفة التي سبق أن بينا بطلانها في الفصل الأول . و لن يستطيع أرسطو إثبات زعمه هذا ، مهما استخدم من سفسطة ، فهو باطل بلا شك ، بحكم أن العالم كله مخلوق ، منه الإنسان بعقله و نفسه و لحمه . و هذا أمر سبق أن شرحناه و أثبتناه و وثقناه فلا نعيده هنا .

و أما قوله بحكاية أزلية العقل كنوع لا كفرد ، فهي من أوهام أرسطو و خرافاته و مغالطاته التي سبق أن بينا بطلانها أيضا في الفصل الأول . و هو هنا مُتأثر بشيخه أفلاطون

[1] أرسطو : كتاب النفس ، ص: ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٣ . و دعوة إلى الفلسفة ، ص: ٦٨ . و ماجد فخري : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١٢٦ . و أرسطو : المعلم الأول ، ص: ٧٢ . و يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٢١٤ ، ٢١٦ .

فهو صاحب الكليات الأزلية المشهورة ، منها زعمه بوجود نفس كلية إلهية ، و منها تظهر النفوس الجزئية التي ستحل بالجسد ثم تُفارقه بعد الموت ...[1] .

و النموذج الثاني مفاده أنه واضح من كلام أرسطو أن العقل عنده موجود في القلب ، لأنه وصف القلب بأنه عضو إلهي عظيم الشأن ،و عمله العقل و الحِس[2] . و بما أنه سبق أن ذكرنا– في الفصل السابق– أن أرسطو قد نصّ على أن دور الدماغ هو تبريد القلب ، فهذا يعني أن العقل لا يُوجد في الدماغ،و لا عملياته تتم فيه .

و قوله هذا غير صحيح ، و الثابت هو أن العقل ليس عضوا إلهياً ، و لا أزليا ،و لا عضوا مُستقلا بذاته، و لا جوهرا خالدا ، فهذه كلها مزاعم باطلة هي من خرافات أرسطو و أوهامه . و الصحيح هو أنه–أي العقل– قوة مخلوقة من قِوى النفس ،و غريزة من غرائزها ؛ و عملياته لا تتم في القلب ،و إنما تتم في الدماغ . و نفس الأمر ينطبق على الإحساس ، فعملياته تتم في الدماغ أيضا ، و لا تتم في القلب كما زعم أرسطو .

و الدليل على صحة قولي هذا هو أن كل إنسان يحس من نفسه أنه لا توجد بداخله ذاتان : نفس و عقل ، و إنما يحس بأن له ذاتا واحدة هي نفسه الموجودة في صدره من جهة ؛ و أن عملياته العقلية كلها تتم في دماغه الموجود في رأسه من جهة أخرى .

و الشاهد الثاني هو أن البحوث الحديثة المتعلقة بالأعصاب أثبتت بالأدلة الدامغة ، أن عمليات التعقل و الإحساس كلها تتم في الدماغ ،و لا يُوجد في الدماغ جوهر أو عضو يُسمى عقلا[3] . و معنى ذلك أن كل ذلك تابع للنفس، و أن ما نسميه عقلا هو غريزة من غرائزها ، أو قوة من قِواها .

---

[1] ماجد فخري : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٨٧ ، ٨٩ . و مصطفى النشار : تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، ج ٢ ص: ٢٣١ و ما بعدها .
[2] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ١٢٨ .
[3] روبرت أغروس : العلم في منظوره الجديد ، ص: ٣٥ و ما بعدها .

و أما بالنسبة لموقف أرسطو من الأجناس و الفئات الاجتماعية ، فقد جمع فيه بين العنصرية و التعصب ، و التكبر و الاحتقار ،و التغليط و التحريف ، و الدفاع عن الظلمة و الحط على المظلومين .

ففيما يتعلق بالأجناس البشرية فأرسطو يرى أن ((أجناس الشمال مليئة بشعلة الحياة ،و أجناس الجنوب مُتحضرة ، و اليونانيون وحدهم هم الذين يجمعون الطرفين . فشعلة الحياة تملؤهم ،و هم في الوقت نفسه مُتحضرون)) [1] .

و أقول : هذا كلام باطل جملة و تفصيلا ، و مُثير للضحك و السخرية ، و مملوء بالعنصرية و الاحتقار لغير اليونانيين . و الرجل أشبع غروره و كبرياءه من دون أي دليل صحيح من العقل و لا من العلم . أولا إنه لا يُوجد أي دليل عقلي يقول بذلك الزعم ، و إنما خلافه هو الذي يقوله العقل الصريح ، لا العقل المتعصب المريض . و مفاده أنه بما أن البشر كلهم من أب واحد ، فلا يُوجد أي امتياز لجنس دون آخر من الناحية الخَلْقية ، فكلهم يتمتعون بالقدرات العقلية و النفسية و البدنية على بقدر متساوٍ على العموم ،و إنما يختلفون و يتفاضلون أساساً بأعمالهم الصالحة ،و أفكارهم الصحيحة ، و إبداعاتهم النافعة . و هذه الأعمال ليست خاصة بجنس دون آخر ، فبمقدور أي جنس أن يحقق ذلك إذا توحّد و جدّ و اجتهد ؛ فيصبح شعبا قويا مَتحضرا مملوءا نشاطاً و حيوية ، أملا و طموحاً .

و ثانيا إن أرسطو يتعمد التغليط و التدليس عندما زعم أن اليونانيين جمعوا بين خاصيتي أجناس الجنوب و أجناس الشمال . لأن هذه الخاصية ليست صفة خاصة باليونانيين و لا بغيرهم من الأجناس ،و لا يجب أن تظهر فيهم و لا في غيرهم فقط . و إنما هي صفة مُكتسبة من اجتهد في طلبها قد يكتسبها و قد لا يكتسبها إذا لم تتوفر فيه شروط تحقيقها . و عليه فإن أرسطو تناسى أن الشعب اليوناني قبل أن يُحقق نهضته العلمية و السياسية و العسكرية كان شعبا ضعيفا مهزوما مُفككا مُستعمرا مدة طويلة من الزمن ،و لم تنفعه تلك

---

[1] محمد علي محمد : الأصول الشرقية للعلم اليوناني ، ط ١، عين للدراسات و البحوث ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص: ١٦٢ .

الخاصية المزعومة . و نحن نعلم يقينا أن الشعب اليوناني فقد- كغيره من الشعوب — قوته و تحضره و إمبراطوريته ، و زال من مسرح قيادة العالم ، فجاءت الحضارة الرومانية ، ثم الإسلامية ، ثم الغربية الحديثة ، و هو الآن في مؤخرة الشعوب الغربية في مختلف مجالات الحياة ، و قد مرت اليونان في زماننا هذا بأزمات خانقة تطلبت تدخل الدول الغربية لإنقاذها مما هي فيه(سنة ٢٠١٠م، و ٢٠١١م) . و نحن نعلم اليوم أن دول الشمال- في أوروبا و أمريكا و آسيا- هي أكثر دول العالم قوة و تحضرا ، و استقرارا و تنظيما ، من اليونان و من باقي دول العالم. فأين ما زعمه أرسطو العنصري المتعصب للباطل ؟؟ .

و النموذج الثاني مفاده أن أرسطو زعم أن الطبع- الطبيعة- لم يجعل من المتوحشين من هو كائن للإمارة ، فليس ((فيهم حقا إلا من عبد و من أمة ، و لم ينخدع الشعراء إذ يقولون : أجل للإغريق على المتوحش حق الإمرة)) . فهذا عند أرسطو صحيح ، ما دام ((الطبع قد أراد أن يكون المتوحش و العبد سيين))[١] .

و أقول : إن الرجل لا ينسى مُغالطاته و تدليساته ، و زعمه هذا باطل مردود عليه ، و كلامه هذا ليس كلام علماء نزهاء عقلاء ينظرون إلى الموضوع بعقل صريح و علم صحيح ، و بتجرد و إنسانية ، و إنما هو كلام إنسان عنصري مغرور مُتعصب للباطل . لأنه أولا لا يصح الاحتجاج بحكاية الطبع و الطبيعة ، فهذا كلام بلا علم، و محاولة من الرجل للاختفاء بحكاية الطبع ، للتهرب من المطالبة بالدليل ، و هو نوع من أنواع الاحتجاج بالقدر على الطريقة الأرسطية في قوله بحتمية الطبيعة التي تناولنا جانبا منها في الفصل الأول . و الحقيقة أن الطبيعة تشهد ضده ، لأن الثابت قطعا شرعا و تاريخا و عقلا أنه لا يُوجد جنس وُلد قويا مُتحضرا ، و غيره لم يكن كذلك ، و إنما الأصل هو أن أبانا آدم —عليه السلام- و أولاده كانوا كلهم في مستوى واحد من القوة و التحضر ، ثم اختلفوا في ذلك حسب أعمالهم و ظروفهم الاجتماعية و الطبيعية . و هذا الأمر يشهد به التاريخ قديما و حديثا، فكم من شعب كان مُتخلفا ثم أصبح قويا مُتحضرا ، و كم من شعب حدث له العكس .

---

[١] أرسطو : السياسة ، ترجمة لطفي السيد ، منشورات الفاخرية ، د ت ، ص: ١٠٠ .

و ألم يكن الشعب اليوناني متوحشا مُتخلفا قبل نهضته ، ثم بعدها فقد قوته و حضارته ،و عاد إلى تخلفه و ضعفه و استمر على ذلك قرونا عديدة ، و دولته اليوم هي في مؤخرة دول الغرب تطلب منها المساعدات الاقتصادية[1] .

و ثانيا إن الإمرة ليست خاصة بالشعب اليوناني دون آخر ، و لا بطبقة معينة دون غيرها ، ،و لا بشخص مُعين دون غيره من بني آدم . و إنما هي في متناول كل الشعوب و الطبقات و الأفراد من حيث الإمكان ،و لا توجد أية حتمية تُخصص ذلك بطرف معين كما زعم أرسطو . ثم بعد ذلك قد ينالها من سعى في طلبها بالقوة ،و قد لا ينالها ، و قد ينالها من لم يسع في طلبها ، كأن يختاره الناس عن كره منه ، أو يرثها عن غيره من غير طلب منه . و كم من إنسان عادي أصبح أميرا ، أو سلطانا ، و في تاريخنا الإسلامي كثير من العبيد أصبحوا سلاطين و أمراء ، كما حدث في الدولتين الإخشيدية و المملوكية . و عليه فإن الطبيعة التي احتج بها أرسطو هي حتمية زائفة استخدمها لخدمة مصلحته و طبقته و شعبه.

و النموذج الثالث –المتعلق بعنصرية أرسطو– مفاده أنه عندما شرع تلميذه الأسكندر المقدوني في توسعاته الاستعمارية أرسل إليه شيخه أرسطو رسالة حثه فيها على أن يُعامل اليونانيين معاملة الأحرار ،و يُعامل البرابرة معاملة العبيد ، فيكون ((قائدا لليونانيين ،و سيدا للأجانب ، و أن يدعي اليونانيين كأصدقاء و أقرب ، و أن يُعامل الأجانب كحيوانات أو نبات))[2] .

و أقول : إن قوله هذا هو سعي منه لتطبيق نظرته العنصرية في موقفه من الأجناس ، فأظهر ما في نفسه من عنصرية و حقد و تعصب و تكبر . و بما أن أرسطو فيلسوف مشهور بين الناس بمنطقه الصوري ، فلماذا لم يحثه على حسن معاملة الجميع و عدم ظلمهم ؟، و لماذا لم يحثه على أن يحترم الكرامة الإنسانية ؟ ، و لماذا لم يحثه على الحفاظ على أموال الناس و ممتلكاتهم ؟ ، و لماذا لم يسكت و يجنب نفسه مما وقع فيه ... ؟ . هل

---

[1] في هذا الوقت الآن الذي أكتب فيه كلامي هذا (جوان ٢٠١١م) تعيش اليونان مواجهات دامية بين الشعب و قوات الأمن ، بسبب رفض الشعب للسياسة التقشفية التي اتبعتها الحكومة اليونانية ، حسب الشروط التي فرضها الاتحاد الأروبي .

[2] ول ديورانت : قصة الحضارة ، ص: ٢٦١٠ . و مها أحمد السيد : محاورات أرسطو و أصولها ، ط١ ، دار الوفاء ، الأسكندرية ، ٢٠٠٨ ، ص: ٤٠١ .

المنطق يأمر بما فعله أرسطو ؟ ، هل العدالة تأمر بذلك ؟ . إن أرسطو بذلك الفعل يكون قد شجع تلميذه على القتل و الظلم و النهب ، و هو مساهم معه في هذه الجرائم و يتحمل معه جانبا منها ، فهو طرف في الجريمة ، و أحد المجرمين .

لكن الغريب أن الباحثة مها أحمد السيد حاولت تبرير جريمة أرسطو و التخفيف منها ، فقالت: ((و ليس هناك غرابة في موقف أرسطو لأنه كان وضعا اجتماعيا سائدا ، و أيده أستاذه أفلاطون))[1] .

و تبريريها هذا لا يصح و مرفوض ، لأنه أولا ليس صحيحا أن أفلاطون أيد أرسطو فيما فعله ، لأن أفلاطون كان قد مات سنة ٣٤٧ قبل الميلاد ، و أرسطو تولى تعليم الأسكندر – قبل توسعاته طبعاً – في سنة ٣٤٣ أو ٣٤٢ قبل الميلاد[2] . فكيف يكون قد وافقه على ذلك الفعل ؟؟!! . و حتى و لو كان أفلاطون قد وافقه عليه ، فأفلاطون ليس حجة ، و كلامه يُخضع للنقد ككلام غيره من أهل العلم ، إن كان صحيحا قبلناه ،و إن كان خطأً رفضناه .

و ثانيا أن الباحثة نفسها نقضت تبريريها عندما قالت أيضا : ((و لا شك أن موقف أرسطو هذا لم يُشاركه فيه كل الناس ،و بالتأكيد لم يُشاركه فيه معظم الفلاسفة))[3]. فلماذا لم يُشاركه هؤلاء في موقفه ؟! ، فأين حكاية التأثر بالوضع الاجتماعي ؟ ، فلماذا تأثر به أرسطو دون هؤلاء ؟! ،و لماذا خالفوه في موقفه ؟!. فالتبرير الذي ذكرته الباحثة لا يصح و مرفوض، و يبقى أرسطو مسئولا عما فعله ، و مساهما في الجريمة .

و ثالثا إنه لا يصح الاعتذار لأرسطو ، لأن المفروض عليه كعالم و فيلسوف أن يكون عادلا نزيها في مواقفه و تصرفاته، فيحتكم إلى العقل الصريح ، و العلم الصحيح ، و العدالة

[1] مها أحمد السيد ، نفس المصدر ، ص: ٤٠٢
[2] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : أرسطو ، أفلاطون .
[3] مها أحمد السيد : المرجع السابق ، ص: ٤٠٨ .

الإنسانية ،و لا يحتكم إلى عنصريته و عصبيته و مصالحه الدنيوية . لكن الرجل اختار لنفسه بإرادته أن يقف بجانب الظلم و الظالمين و لا يقف بجانب الحق و العدل و المساواة ،و باع منطقه و جعله من وراء ظهره انتصارا لعنصريته و عصبيته و مصالحه .

و الشاهد على ذلك أيضا ، أن أرسطو وقف بجانب بعض الظلمة طلبا لمصالحه الدنيوية . فقد رُوي أنه لاذ بالملك الظالم هرمنياس ،و هو الذي زوجه بتلك الزوجة التي قدّسها أرسطو و تقرّب إليها بالقرابين ، و نظم قصيدة مدح فيها الملك و أثنى عليه. و إذا كان قد أُختلف في سبب التحاقه به ، فقد قيل أنه التحق به طلبا لشهوات شيطانية فاسدة[1] . فهذا الرجل من أخلاقه التقرّب من الظلمة و الدفاع عن الأسياد و الملوك ، و تبرير مواقفهم ، من خلال مواقفه السياسية و الاجتماعية المتعلقة بهم ، كموقفه من العبيد و الأسياد[2] .

و أما بالنسبة لموقفه من فئات المجتمع ، فإن أرسطو زعم أن الطبيعة هي التي خلقت بعض الكائنات للإمارة ،و بعضها للطاعة ، فهي التي جعلت ((الكائن الموصوف بالعقل و التبصر يأمر بوصفه سيداً ... و أن الطبيعة هي أيضا التي أرادت أن الكائن الكُفء بخصائصه الجثمانية لتنفيذ الأوامر يُطيع بوصفه عبدا ، و بهذا تمتزج منفعة السيد ،و منفعة العبد)) . و العبد عند أرسطو مُجرد من الإرادة مُطلقا .و زعم أن الطبع هو الذي عيّن المركز الخاص للمرأة و العبد ، و هو الذي أراد أن يكون المتوحش و العبد في درجة واحدة . و بعض الكائنات منذ ولادتها ((مُخصصة للطاعة ،و الآخر للإمرة ،و لو على درجات و فروق شديدة التخالف بالقياس إلى هؤلاء و هؤلاء))[3] .

و زعم أيضا أنه بفعل الطبع وُجد عبيد و أحرار . و يُمكن أن يبقى هذا التمييز ((قائما كلما كان نافعا لأحدهما أن يخدم باعتباره عبدا للآخر أن يحكم باعتباره سيدا . بل يمكن أن

---

[1] ديوجين لايرتيوس: مختصر ترجمة مشاهير الفلاسفة ، ص: ١٢١ .
[2] سنبين ذلك مباشرة بعد كلامنا هذا .
[3] أرسطو : السياسة ، ص: ١٠٠ ، ١٠٤، ١٠٧ ، ١٢٩ .

يُؤيد آخر الأمر أنه عادل . و أن كلا يجب عليه تبعا لمشيئة الطبيعة أن يقوم بالسلطة أو يحتملها . و على هذا فسلطة السيد على العبد هي كذلك عادلة نافعة . و هذا لا يمنع أن سوء استعمال السلطة شؤم على الطرفين . إن منفعة الجزء هي منفعة الكل ، و منفعة الجسم هي منفعة الروح . و العبد لهو جزء السيد ، و أنه كجزء حي من جسمه ، و إن لم يكن مُنفصلا عنه . كذلك بين السيد و العبد ما دامت الطبيعة هي التي صنعتهما كليهما ، توجد منفعة مُشتركة ، و رعاية مُتبادلة))[1] .

و أقول: واضح من كلامه أنه يقول بحتمية التقسيم الطبقي للمجتمع المتكون من السادة و العبيد ؛ فهو حسب زعمه تقسيم طبيعي كالتقسيم الذي يُفرق بين الرجل و المرأة ، و هذا زعم باطل . لأنه أولا إن القول بحتمية ذلك التقسيم الطبيعي إلى سادة و عبيد بدعوى أنه طبع و طبيعي ، هو زعم باطل مردود على صاحبه ، لأن الثابت عقلا و واقعا أن البشر في أصلهم هم أحرار منذ أبيهم آدم –عليه السلام – و أن ظاهرة الرق هي أمر طارئ عليهم بسبب ظلم الإنسان لأخيه الإنسان . فأوجد هذا الظلم الوضع غير الطبيعي في حياتهم ، مما يعني أن عكس ما قاله أرسطو هو الطبيعي . بمعنى أن وجود الرق هو المخالف للطبيعة و ليس العكس ،و هذا ثابت بدليل العقل و الواقع . فأرسطو لم يرجع إلى العقل الصريح، و لا إلى العلم الصحيح . لكن المؤسف أن أرسطو استخدم عقله و منطقه لتقرير ما يُخالف العقل و الطبيعة معا .

و ثانياً إن قوله بأن السيد يتصف طبيعيا بالعقل و التبصر ، و أن العبد يتصف طبيعيا بخصائصه الجسمانية ليعمل بها كعبد ، فهو زعم باطل ، مُخالف للعقل و الواقع و العلم ، بل إنه خرافة من خرافات أرسطو . و لا يقول هذا الكلام إلا جاهل لا يعي ما يقول ، أو صاحب أهواء و مصالح يُدافع عنها بالتحريف و التخريف ، و التدليس و السفسطة . و نحن لا نطيل في الرد عليه ، لأن الرد عليه ليس صعبا ، يعرفه عامة الناس في زماننا ، لأنهم يعرفون من حياتهم أن هذا الرق الحتمي المزعوم لا وجود له في حياتنا . و لو كان حتميا ما

---

[1] نفس المصدر ، ص: ١١٢ .

حث الإسلام على التخلّص منه ، و ما يسر الطرق للتخلّص منه[1] . و لو كان كما زعم أرسطو ما أستطاع الإنسان أن يتخلص منه في زماننا هذا .

و أقول أيضا : إن عقل الإنسان و جسمه لا علاقة لهما بالعبودية و الحرية ، فقد يُولد السيد غبيا كبير الجثة ، و قد يُولد العبد عاقلا ذكيا عبقريا نحيل الجسم . و يُولد السيد جاهلا و قد يبقى جاهلا ، و يُولد العبد جاهلا و قد يصبح عالما كبيرا مُتبحرا مُتمهرا في العلوم . إنه من الجهل و السفسطة القول بما قاله أرسطو ، و قد بلغ به تعصبه و عنصريته و دفاعه عن طبقته مبلغا كبيرا من اللاعقل ، و اللاعلم .

و ثالثا إن زعمه بأن المنفعة تجمع بين السيد و العبد ، على أساس أن رباط الرق في مصلحة الطرفين . فهو تغليط و تحريف ،و افتراء على الحقيقة ،و تلاعب بالألفاظ . لأن الحقيقة هي أن العبودية قائمة أساسا لخدمة السيد ، لأن هذا العبد لم يأت لوحده إلى العبودية ليكون خادما للسيد ، و إنما جيء به ،و فُرض عليه الأمر فرضا . فهذه المصلحة المزعومة بأنها في صالح العبد هي كذب و تغليط و ، إنما هي في صالح السيد أولا و أخيرا . و ما يناله العبد من ذلك هو من ضروريات بقائه في الحياة . و قول أرسطو هذا هو تعبير عن مواقف السادة ، و هو منهم ، و ليس تعبيرا عن موقف العبيد . و عليه لا يصح له أن يُنصب نفسه ليُعبر لنا عن مصلحة العبيد من خلال مصلحته هو ، و إنما الذي يُعبر لنا عن حقيقة موقف العبد و مصلحته العبيد أنفسهم ، فهذا هو الذي يقوله العقل الصريح،و يشهد به العلم الصحيح . و هم قد عبروا عن ذلك في مواقف كثيرة سجلها التاريخ عندما اشترى كثير منهم حريته ، أو هربوا تخلصا من عبودية أسيادهم ، أو قاموا بثورات و تمردات طلبا لحريتهم و حقوقهم ، و قد سجل التاريخ كثيراً منها ، كثورات العبيد في مناجم اللوريون في بلاد اليونان[2] . فهل يُعقل أن يقوم العبيد بكل ذلك ، ثم يُزعم أن الرق حتمي في حقهم ، ولا إرادة حرة عندهم ؟!! .

[1] كالمكاتبة ،و تخصيص قسم من الزكاة لتحرير العبيد .
[2] حسين حرب : الفكر اليوناني قبل أفلاطون ، ص: ٢٩ .

و أما الزعم بأن سلطة السيد عادلة بالنسبة للعبد ، فهو زعم باطل و حكم غير صحيح ، لأن السيد ليس مَلاكاً ، و إنما هو إنسان و الإنسان قد يكون عادلا و قد يكون ظالما ، أو يجمع بينهما . و عليه لا يصح حكم أرسطو بأن سلطة السيد عادلة ، و إلا لِما ثار العبيد على أسيادهم . و المعروف عبر التاريخ أن الغالب على حياة العبيد أنهم كانوا يعيشون في ظروف صعبة جدا منذ القديم إلى العصر الحديث ، و هذا أمر لا يحتاج إلى توثيق . فأين العقل و العلم يا أرسطو ؟؟!! . بل إن أرسطو نفسه نقض زعمه هذا بما سجله في كتابه نظام الأثينيين ، فقد أشار فيه إلى أن الفقراء كانوا مُستعبدين للأثرياء هم و بنوهم و نساؤهم[1] . و ذكر أيضا أن العبيد ثاروا ضد الأسياد التساليين الإغريق[2] .

و لا تصح المقارنة بين العبد و السيد من جهة ، و بين الجزء و الكل من جهة أخرى ، فهذه مقارنة تغليطية باطلة . لأن الصحيح الثابت أمام عقولنا و أعيننا هو أن العبد ليس جزءا من السيد، و لا السيد جزءا من العبد في أي حال من الأحوال ، و لا يمكن أن يكونا كذلك، و إنما نحن أمام نفسين بشريتين حرتين مُريدتين ،و هذا الأمر غير متوفر في المثالين اللذين ذكرهما أرسطو . فلكل منهما كيانه الخاص به ، من جهة و لا يصح مقارنتهما بالجزء و الكل ، فهما جزآن لشيء واحد مادة و طبيعة ، و إن اختلفا حجمهما،و هذا لا يصدق على السيد و العبد من جهة أخرى . و إنما الحقيقة هي أننا أمام مخلوقين بشريين كاملين متساويين في الإنسانية ،و مختلفين في جوانب أخرى ،و لا واحد هو نسخة عن الآخر ، و لكل منهما حريته و إرادته و تطلعاته . و النتيجة هي أن المقارنة التي ذكرها أرسطو لا تصح ، و ما عليه إلا أن يحتفظ بمغالطاته و تدليساته عنده ، فهي لا تنطلي على العقل الصريح . و نحن لسنا أغبياء حتى نترك حقائق الواقع و نصدق أرسطو في تحريفاته و تخريفاته . و من يُحاول الاعتذار له فيما زعمه ، فاعتذاره مرفوض و باطل ، لأن الرجل تجاوز حدود العقل و العلم ، و تكلم بمذهبيته و مصلحته .

---

[1] أرسطو : نظام الأثينيين ، ترجمة طه حسين ، دار المعارف ، مصر ، د ت ، ص: ٤٤ .

[2] أرسطو : السياسة ، ص: ١٦٧ .

و رابعا إن أرسطو نفسه نقض قوله بحتمية الرق ، نقضه عندما فرّق بين الرق الطبيعي و الرق الطارئ بسبب الحروب ، أو القوانين مثلا [1] . و هذا نقض صريح لذلك الزعم ، لأنه لا يُوجد رق طبيعي أبدا ، فكل أسبابه تعود إلى أمور بشرية طارئة . فإن قيل مثلا : بل قد يوجد الرق الطبيعي كما في حالة تزوّج العبد بأمة مثله ، فهنا يكون هو زوجته و أولادهما كلهم أرقاء لسيده . فإننا نقول: هذا ليس رقا طبيعيا ، و إنما هذا الرق سببه الوضع الاجتماعي للأبوين ، و كان من الممكن أن لا يُولد أولادهما أرقاء ، كما يُمكنهم أن يتخلصوا منه بعد ولادتهم على العبودية . و عليه فإن قول أرسطو بوجود رق غير طبيعي هو نقض لزعمه السابق بحتمية الرق ، سواء اعترف به ، أو لم يعترف به .

و خامسا إنه مما يدل على أن أرسطو دافع عن الرق لمصلحته و مصلحة طبقته ، و أن كل ما قاله عن حتمية الرق ما هو إلا تدليسات و مُغالطات لخدمة مذهبيته و مصالحه ؛ هو أن أرسطو نفسه طلب في وصيته أن يُعتق عبيده بعد وفاته[2] !! . فلماذا اعتقهم ؟ ، أليس عتقهم هو نقض لكل دفاعه عنه الرق و زعمه بأنه طبيعي حتمي ؟ ، و إذا كان الرق في مصلحة العبيد ، فلماذا أمر بعتقهم من بعده، فهل هو يعمل ضدهم ؟ ، و لماذا خالف قانون الطبيعة المزعوم ؟ ، و كيف استطاع مخالفته ؟ ، و لماذا ...، ؟؟ . إنه واضح مما أقدم عليه أرسطو ، انه كان يعلم أن دفاعه عن الرق هو دفاع مصلحي دنيوي ،و ليس دفاعا علميا ، و لا عقلانيا ، و لا عادلا . و لهذا يبدو أنه لما أحس بدنو أجله أوصي بعتق عبيده بعد وفاته كدليل منه على صحة ما أوصى به من جهة ، و خطأ ما كان يقول به و يدعو إليه من جهة أخرى .

و استنتاجا مما ذكرناه يتبين من مواقف أرسطو المتعلقة بالأجناس و الفئات الاجتماعية أنه فَكّر بمذهبيته و مصلحته و طبقيته، أكثر مما فكر بالعقل الصريح ، و العلم الصريح . فنتج عن ذلك أن معظم ما قاله كان باطلا قطعا، و متناقضا مع الطبيعة التي احتج بها و جعلها

---

[1] أرسطو : السياسة ، ص: ١١٠، ١١١ .
[2] ديف روبنسون ، و جودي غروفر : أقدم لك الفلسفة ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠١، ص: ٣١ .

سيفا مُسلطا على رقاب مُخالفيه . فعل ذلك لفرض آرائه و رد آراء خُصومه بطريقة سُفسطائية زائفة .

واتضح أيضا أن أرسطو كان محافظا داعيا إلى تكريس الطبقية في مجتمعه إلى الأبد ، و لم يكن داعية إلى المساواة بين الأجناس ،و لا بين فئات مجتمعه ، و لا إلى إعطاء الحرية للعبيد ،و تخليصهم مما هم فيه . حتى أنه استنكر سعي الرقيق لتحقيق المساواة مع أسيادهم، فقال : إن عامل السيد الرقيق بالرفق ((صاروا وقحاء ، لا يلبثون أن يحسبوا أنفسهم مساويين لساداتهم)) . و إذا عاملوهم بالقسوة تآمروا عليهم و أبغضوهم [1] .

و ربما يقول بعض الناس : إن أرسطو تكلم عن العدل ، و دعا إليه ، و قال بأنه ضرورة اجتماعية ، لأن ((الحق هو قاعدة الاجتماع السياسي ،و تقرير العدل هو الذي يرتب الحق)) [2] .

و أقول : هذا كلام صحيح نظريا، لكن موقفه مبني على قناعات الرجل و مصالحه الدنيوية من جهة ،و ليس مبنياً أساسا على العدل المجرد القائم على ما يقوله العقل الصريح، و العلم الصحيح من جهة أخرى . فالعدل الذي يدعو إليه أرسطو هو العدل الذي يضمن مصالح الأسياد ، على حساب الفقراء و الرقيق و الضعفاء ، و ليس العدل الذي يضمن للعبيد حقوقهم و كرامتهم و المساواة مع غيرهم . و العدل الذي يدعو إليه الرجل ليس العدل الذي يُسوي بين الأجناس ، و إنما هو العدل الذي يجعل الإغريق أسيادا متحضرين بطبعهم ،و غيرهم من الشعوب متوحشين متخلفين بطبعهم . فبئس هذا العدل الذي يدعو إليه أرسطو ، إنه ظلم و عنصرية ، و تسلط و تكبر ، و تدليس و سفسطة !!.

و ربما يقول آخر: إن أرسطو كان معذورا في موقفه من الرق ، بدعوى أن الرق كان سائدا في المجتمع ، و أصبح من مكوناته الضرورية ، و لم يكن في مقدور أرسطو أن يخرج عن ذلك .

---

[1] أرسطو : السياسة ، ص: ١٦٧ .
[2] نفس المصدر ، ص: ١٠٣ .

و أقول : هذا تبرير باطل من جانبين : الأول هو أن أرسطو لم يُحاول التخفيف من الرق و لا التخلص منه ، و إنما كان من دعاته و حماته ، حتى أنه صخّر عقله للدفاع عن الرق و الزعم بأنه نظام طبيعي حتمي ، مع أنه يعلم أن زعمه هذا باطل عقلا و واقعا ، كما سبق أن بيناه .

و الجانب الثاني مفاده أن أرسطو لم يتناول موضوع الرق بطريقة علمية موضوعية على أساس من العقل الصريح و العلم الصحيح ، و إنما تناوله بطريقة ذاتية مصلحية طبقية مثّل بها نفسه و طبقته . فدافع عن الرق بالباطل مع علمه ببطلان حججه التي احتج بها . و كان في مقدوره أن يخرج من هذا النطاق المصلحي الذي تناول به موضوع الرق ، فيخوض فيه بطريقة علمية موضوعية ينتهي منه إلى تقرير عكس ما قال به سابقا ، فلا توجد أية حتمية تمنعه من فعل ذلك . و لو كان حتميا طبيعيا و في مصلحة العبد و السيد كما زعم أرسطو ، فلماذا كان العبيد في بلاد اليونان يهربون من الشقاء الذي كانوا فيه ، و كثيرا ما ثاروا على أوضاعهم السيئة في مناجم اللوريون[1] .

و لماذا لم يفعل أرسطو ما فعله بعض السفاسطة المتأخرين الذين أنكروا على الأسياد قولهم : إن الرق و نبالة المولد أمران طبيعيان . و قد رد عليهم أحد السفاسطة بقوله : إن الله خلق جميع الناس أحرارا ،و لم تجعل الطبيعة أي واحد منهم عبداً[2] .

لكن أرسطو رفض هذا النهج ، لأنه كان لا يتفق مع مصالحه الطبقية الدنيوية التي كان يُدافع عنها . لكنه عندما أراد أن يفعل ذلك في أخريات حياته ، تجاوز كل مبرراته التي دافع بها عن الرق ، و أوصى بعتق عبيده بعد وفاته !! . و عليه فإن أية محاولة لتبرير موقف أرسطو من الرق ، الاعتذار له من موقفه منه ، فهي محاولة مرفوضة و باطلة مُسبقا ، و لا بد من إدانة الرجل لأنه سخرّ قلمه للدفاع عن الرق بالباطل . فساهم بذلك في إفساد العقل و العلم معا .

---

[1] حسين حرب : الفكر اليوناني قبل أفلاطون ، ص: ٢٩ .
[2] نفس المرجع ، ص: ٣٠ .

و إنهاءً لهذا المبحث يتبين منه أن أرسطو وقع في أخطاء و انحرافات منهجية كثيرة فادحة فاحشة تتعلق بموقفه من العقل، و الأجناس البشرية ،و الطبقات الاجتماعية ، و قد زادت عن ٢٥ خطأ و انحرافا منهجيا ، هي عينات أساسية و هادفة من باب التمثيل لا الحصر ، ترتبت عنها أيضا أخطاء و انحرافات أخرى كثيرة . فأفسدت جانبا من فكره و سلوكه ،و ساهم بها في الدفاع عن الرق ،و الترويج له ، و جنى بها على العقل و العلم معا .

رابعا : من أخطاء أرسطو في موقفه من المرأة :

اتخذ أرسطو مواقف كثيرة خاطئة من المرأة ، خالف بها العقل الصريح و العلم الصحيح ، نذكر منها النماذج الآتية : الأول مفاده أن أرسطو زعم أن الرجل ((ماعدا استثناءات مُضادة للطبع ، هو الذي يأمر دون المرأة . كما أن الكائن الأكبر و الأكمل هو الذي يتأمر على الأصغر و الأنقص)) . و الطبع هو الذي خلق أُناسا ليأمروا ،و آخرين ليُطيعوا . و كما أن للرجل الحر تسلط على العبد، فكذلك للزوج تسلط على الزوجة ، كما للوالد تسلط على ولده . و العبد لا إرادة له مُطلقا ، و الولد له إرادة ناقصة ، و المرأة لها إرادة لكنها في درجة أدنى[1] .

و أقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه ،و فيه تغليط و تدليس ،و إنكار لما هو ثابت في الواقع . لأنه أولا إن الواقع يُثبت أن الرجل و المرأة كائنان حُران مُريدان ، يأمران و ينهيان ، يسمعان و يُطيعان ، يرفضان و يستجيبان . و بما أن الأمر كذلك فلا يصح تخصيص أحدهما بالأمر ،و الآخر بالطاعة ،و لا أحدهما بالكمال ،و الآخر بالنقص ،و لا أحدهما بالتسلط و القهر ،و الآخر بالضعف و الخنوع .

و لماذا لا تأمر المرأة الرجل كما يأمرها هو ؟ ! ، فما المانع ؟ ، و هل أمرها له عيب ؟ ، و هل المرأة لا تستطيع أن تأمر ؟ . و الحقيقة هي أن المرأة بما أنها شريكة الرجل في حياته ،و هي طرف أساسي معه في إدارة البيت و المجتمع كله فلا بد أن تكون معه شريكة أيضا في الأمر و النهي بما يتفق مع الحق و مصالح الجميع .

---

[1] أرسطو : السياسة ، ص: ١٢٧، و ما بعدها .

و أليس من حق المرأة و من الواجب عليها أن تنصح و تأمر الذين تهاونوا في القيام بوجباتهم كزوجها و أولادها ،و الذين هم تحت مسؤوليتاها إذا كانت مسئولة؟ ، نعم إن ذلك من حقها ، و هو أمر عادي و طبيعي تماما . و هذه الحالات ليست استثناءات مُضادة للطبع كما زعم أرسطو ، بل هي كثيرة و عادية جدا ، يشهد بها الواقع في مختلف جهات العالم .

و ثانيا إن احتجاجه بحكاية الأكبر و الأكمل على أساس أن الرجل هو الأكبر و الأكمل مقابل المرأة التي هي الأصغر و الأنقص ، غير صحيح من وجهين : الأول ليس صحيحا أن الرجل هو أكمل و أكبر من المرأة ، و لا العكس ، و إنما الصحيح هو أن كلا منهما ناقص في جوانب ، و كامل في أخرى ،و بهذا فكل منهما يُكمل الآخر ،و لا يستطيع أحدهما الاستغناء على الآخر . فهما يتكاملان في جوانب لا يتساويان فيها ،و يتساويان في أخرى لا يتكاملان فيها . و الأصل هو التساوي ،و الاستثناء يتمثل في الاختلاف الوظيفي الذي يتكاملان فيه . فهذا التباين الوظيفي بين الرجل المرأة لا يُلغي الأصل ، و إنما هو قائم عليه من جهة ،و هو الذي يتمسك به من يقول بأفضلية الرجل على المرأة من جهة أخرى . و الصحيح أن هذا التباين الوظيفي لا يجعل الرجل أفضل من المرأة مُطلقا ،و لا المرأة أفضل منه مُطلقا ، و لا يُلغي حرية و إرادة و إنسانية أيٍ منهما ،و إنما الأمر نسبي و مُتبادل بينهما . و لهذا قال الله سبحانه و تعالى : {وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً }- سورة النساء:٣٢-. فكل منهما يفضل الآخر في أمور ، و ليس الفضل خاصا بالرجل دون المرأة ،و لا العكس .

و الوجه الثاني هو أن الأمر و النهي لا يتعلقان بالأكبر و الأكمل ،و لا بالأنقص و الأصغر ؛ و إنما هما يتعلقان بأمور أخرى ، قد تجعل الناقص يأمر الأكمل منه ، و الأصغر يأمر الأكبر ،و الضعيف يأمر القوي ،و الصغير يأمر الكبير ،و الجاهل يأمر العالم . و تفسير

ذلك هو أن الذي يحكم حياة الناس العملية ، ليس هو الأصغر و الأكبر ، و لا ... ، و إنما هو التخصص، و الاجتهاد ، و التفوّق . فكم من سيدات أعمال لهن مؤسسات اقتصادية في مختلف جهات العالم ،و هن اللواتي يُشرفن عليها بحزم و أمر و اهتمام . و كم من شاب مجتهد يُدير مؤسسات يعمل فيها من هو أكبر منه علما و سنا و فضلا . فالأمر ليس كما طرحه أرسطو أصلا ، فالرجل أخطأ منهجاً و نتيجة .

و النموذج الثاني مفاده أن أرسطو يرى أن الرجل صاحب الأمر يجب أن ((تكون له الفضيلة الخُلقية في كل كمالها)) ، و أما العبد و الزوجة و الولد فينبغي ((ألا يكون لهم من الفضائل إلا بحسب الوظائف التي يشغلونها)) . و مع أن لكل من هؤلاء نصيب من الفضائل الخُلقية لكن حكمة ((الرجل ليست هي حكمة المرأة ،و أن شجاعته و عدالته ليستا كمثل مالها منهما ، كما كان يظن سُقراط ،و أن قوة أحدهما سلطة محضة ،و قوة الآخر طاعة محضة))[1] .

و أقول : إن قوله هذا غير صحيح في معظمه ،و هو امتداد لقوله السابق ، قاله بمذهبيته و مصلحته ، أكثر مما قاله بعقل صريح و لا بعلم صحيح . لأنه أولا إن النفس البشرية في أصلها واحدة ، و تحتاج إلى أخلاق وعقائد أساسية واحدة يحتاجها الرجل و المرأة ، كما يحتاجها الملك و العبد . كالإيمان بالله تعالى ، و القيام بالأعمال الصالحة ، و العدل في القول و العمل ، و التحلي بالأخلاق الحسنة و التخلي عن الأخلاق السيئة .

علماً بأن الأخلاق الحسنة لا يرثها الإنسان عن طبقته ،و لا عن والديه ، و إنما يكتسبها بالتربية الصحيحة ،و الاستقامة و المجاهدة ، و أساس كل ذلك الإخلاص و النية الحسنة ، و كل إنسان مُطالب بالسعي إلى تحقيق الكمال الخلقي ،و ليس هذا خاصا بالرجل كما زعم أرسطو . و بناء على هذا قد تكون المرأة أحسن و أكمل أخلاقا من زوجها ، و من أولادها و كثير من الرجال . و قد يكون العبد أحسن و أكمل و أشجع من سيده . و قد يكون السادة أحط أخلاقا من عبيدهم ، بشراستهم و غلظتهم ، و تكبرهم و ظلمهم .

[1] أرسطو : السياسة ، ص: ١٢٩ ، ١٣٠ .

فالأخلاق الحسنة ليست طبقية و لا عرقية ، و إنما هي أخلاق يستطيع أن يكتسبها أي إنسان سواء كان رجلا ، أو امرأة ، أو عبدا . فعجبا من هذا الرجل الذي جرنا إلى مناقشة بديهيات لا تحتاج هذا النقاش !! .

و ثانيا إن الذي يتحكم في نوع الحكمة التي يتلقاها الإنسان ليس عاملا واحدا ،و إنما هو مجموعة عوامل تتدخل في تحديد نوع تلك الحكمة ، من بينها الذكورة و الأنوثة ، و التخصص و الوظيفة . علما بأنه توجد حكمة يحتاج إليها الرجل و المرأة و السيد و العبد، و ليست خاصة بواحد منهم فقط ، بحكم أنهم بشر. و هناك حكمة يحتاج إليها الرجال دون النساء ،و أخرى يحتاج إليها النساء دون الرجال ،و أخرى يحتاج إليها بعض من الرجال و النساء فقط . من ذلك أن الرجل و المرأة الطبيبان التاجران المتزوجان ، كل منهما يحتاج إلى حكمة الطب و التجارة و الزواج . و الرجل و المرأة الخياطان الطباخان المتزوجان عليهما أن يطلبا حكمة الخياطة و الطبخ و الزواج ، و هكذا .

و النموذج الثالث مفاده أن أرسطو لم يكتف بتحقير المرأة و الازدراء بها في الحياة الدنيوية ، و إنما فعل بها ذلك قبل أن تخرج من بطن أمها . فزعم أن الجنين الذكر عند تمام الأربعين يوما تكون ((جميع سائر أعضائه بينة ، و الذكر و العينان تظهر كباراً جداً ، كما تظهر عينا سائر الحيوان)) . و أما الجنين الأنثى ففي ((إبان ثلاثة أشهر فهو أكثر ذلك غير مُفصل . فإذا دخل الشهر الرابع فيصبح يقبل سائر التفصيل عاجلا . ثم نص على أن ((تمام و كمال جميع أعضاء الأنثى أبطأ من تمام أعضاء الذكر))[1]. و من ذلك أيضا زعمه بأنه ليس للمرأة مُشاركة إيجابية في تكوين الجنين في بطن أمه ، فليس لها زرع تُفضي به كالزرع الذي يُفضي به الرجل في تكوين الجنين . فالرجل يُفضي زرعا يتضمن كائناً إلهياً ، لكن المرأة تُشارك بزرع غير نقي هو جزء من دم الطمث[2]- الحيض- . فالأنثى تأتي بعد الذكر ، فلا تسبقه و لا تساويه حتى و هي جنين في بطن أمها ، فهذا الذي زعمه أرسطو !!!! .

[1] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٤٦٩ .
[2] أرسطو : في كون الحيوان ، ص: ٤٦ ، ٦٥ ، ٧١ .

و قوله هذا باطل علميا ، و قد سبق بيان بطلانه في الفصل الثالث . لكن الذي يهمنا منه هو نظرة الازدراء التي كان يحملها أرسطو في موقفه من المرأة ، تبناها بلا دليل صحيح من العقل الصريح، و لا من العلم الصحيح . فالرجل حريص على تقزيم المرأة و الازدراء بها ، و الحط من قيمتها خَلقيا و خُلقيا ، مقابل تعظيمه و غلوّه في الرجل السيد لا العبد . و لا شك أنه مُخطئ في ذلك ، بسبب تأثره بخلفياته المذهبية و المصلحية ، التي أوقعته في العنصرية و التعصب للباطل . و لو كان هذا الرجل يتمتع بالأخلاق الإنسانية الرفيعة السامية ،و النظرة العلمية المتزنة الموضوعية الصحيحة ما قال بهذه المهازل و الأباطيل ، التي هي تعصبات و عنصريات ، و رعونات نفس و سفسطات .

و النموذج الرابع مفاده أن أرسطو زعم أن المرأة معدومة الذكاء ، ليس في استطاعتها أن تعرف شيئا عن طبيعتها ، لأن عقلها ((لا يستوعب هذه الدراسة ، و ليس لها قدرة على تحمل المسائل النظرية أو فهمها)) ، لذا استبعدها أرسطو من ميدان الثقافة و السياسة ،و الحياة الفكرية عامة[1].

و أقول: زعمه غير صحيح ، و هو امتداد لنظرته التقزيمية للمرأة ،و مُخالف لشواهد التاريخ و الواقع ، أقامه على خلفياته المذهبية و مصالحه الاجتماعية التي كان يُدافع عنها من جهة . و لم يُقمه على أساس من البحث العلمي الصحيح القائم على العقل الصريح ،و العلم الصحيح من جهة أخرى . و نحن لا ندخل معه في نقاش نظري،و إنما نكتفي بذكر أربعة شواهد دامغة تُبطل زعمه من أساسه .

أولها إنه لا يُوجد أي دليل عقلي يُثبت زعم أرسطو ، فبما أن المرأة كالرجل ، لها عقل و إرادة حرة ، و تستطيع أن تطلب العلم و تضحي من أجله بوقتها و جهدها و مالها ، فلا يُوجد أي مانع عقلي يمنعها من تحصيل مختلف العلوم و التمهّر فيها .

---

[1] إمام عبد الفتاح إمام : أرسطو و المرأة ، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ١٩٩٦، ص: ٥٩، ٦٣ . و أحمد فؤاد كامل: ما بعد الطبيعة عند ابن رشد ، ضمن كتاب أعمال ندوة ابن رشد ، ص: ٢٣٤، ٢٣٥ .

و الثاني مضمونه أن أرسطو قال بذلك الرأي و أغمض عينيه عن حقائق التاريخ التي تخالف زعمه . و هذا ليس من سلوك العلماء النُزهاء الموضوعيين ،و إنما هو من سلوك المتعصبين المغالطين . و تفصيل ذلك هو أن التاريخ اليوناني نفسه يشهد بوجود نساء عالمات و سياسيات مشهورات كانت لهن قُدرات عقلية عالية مكنتهن من تحقيق نجاحات كثيرة في العلم و السياسة . منها الملكة أوليمبياس زوجة الملك فليب المقدوني ،و هي التي ربت ابنها الأسكندر المقدوني في حين كان زوجها مُهملا للدولة ، غارقا في الشهوات . حتى أنه عندما جيء بأرسطو ليُربي ابنها لم يُعجبها ، و قالت فيه : ((ليس عنده ما يقوله من أفكار خلاقة ، و هو نحيل ألثغ))[١] .

و منهن أيضا : الشاعرة اليونانية سابو ، كانت ذكية بارعة ،و قد سماها بعض الشعراء : هيرا ، بمعنى الإلهة الملكة . و كانت لها مجالس أدبية مشهورة ، حضرها فلاسفة كبار ، كسقراط ، و أفلاطون ، و أنكساغوراس [٢] . و الفيلسوفة أفلوبين بنت الفيلسوف اليوناني كليوبول ،و قد تعلمت الفلسفة على يديه و برعت فيها حتى ((أفحمت عظماء الفلاسفة في ذلك الوقت ، خُصوصا في الألغاز ،و كانت أديبة مُحسنة جداً)) [٣].

و الشاهد الثالث مفاده أن القرآن الكريم ذكر لنا نماذج من نساء مؤمنات على درجة عالية من الإيمان و الحزم و النضج الفكري ، كمريم و بلقيس، و امرأة فرعون . و قد كانت عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها– عالمة متضلعة في علوم الشريعة و اللغة ، حتى أنها فاقت بعلمها و رجاحة عقلها كثيرا من الرجال ،و هذا أمر ثابت عنها لا يحتاج إلى توثيق .

و الشاهد الأخير – الرابع – مفاده أنه لما أُتيحت للمرأة فرص التعليم و التكوين بشكل كبير جدا في عصرنا الحالي أظهرت قدرات عالية في التحصيل العلمي من جهة ،و حققت انتصارات و ابتكارات كثيرة في مختلف مجالات العلوم من جهة أخرى . و قولنا هذا لا يحتاج

[١] إمام عبد الفتاح إمام : أرسطو و المرأة ، ص: ١١٠ .
[٢] نفسه ، ص: ١١٠ .
[٣] ديوجين لايرتيوس : مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ، ص: ٤٩ .

إلى توثيق ، لأن من ينظر إلى الجامعات و مراكز البحث في العالم يجدها مملوءة بالنساء المتفوقات على اختلاف تخصصاتهن العلمية . و قد رأينا منهن ممن تفوقنا حتى على كثير من الرجال .

تلك هي بعض مواقف أرسطو من المرأة ، فكانت مواقف حط و ازدراء و تقزيم ، تضمنت أخطاء و انحرافات منهجية فادحة زادت عن ١١ خطأ و انحرافا منهجيا ؛ أقامها أساسا على خلفياته المذهبية و المصلحية ،و لم يُقمها على عقل صريح و لا على علم صحيح ، و هذا من أخطاء الرجل و غرائبه في موقفه من المرأة . لكن الأغرب من ذلك أيضا أنه روُي أن أرسطو لما فرّ إلى الملك هرمنياس و زوّجه بأخته ، أو بإحدى نساء قصره ، أحبها كثيرا حتى ((صار يُقرّب لها القربان كما يفعله الأثينيون للسنبلة . و نظم قصيدة في مدح هرمنياس و الثناء عليه بإنعامه عليه بهذا الزواج))[1] . فهذا هو أرسطو فبعدما حطّ من قيمة المرأة خَلقا و خُلقا ، عقلا و سلوكا ، ها هو يسقط صريعا في شراك امرأة ، فينهزم أمامها ،و يُبالغ في تعظيمها إلى حد التقديس و التأليه !! ، إنه رجل مريض مُتبع لهواه !! .

و إنهاءً لهذا الفصل يتبين منه أن أرسطو وقع في أخطاء و انحرافات منهجية كثيرة جدا تتعلق بالفلك و الجغرافيا و مواضيع إنسانية متفرقة ، ذكرنا منها طائفة من النماذج المتنوعة الهادفة ، تضمنت في مجموعها أكثر ٨٨ خطأ علمياً و انحرافا منهجيا . ذكرناها كعينات نموذجية من باب التمثيل لا الحصر ، و إلا فإن أخطاء أرسطو في ذلك كثيرة جدا . لكنها كافية لوحدها للحكم على الرجل و علمه ، و منهجه في علمي الفلك و الجغرافيا ،و الإنسانيات .

و اتضح جليا أن أرسطو لم يكن مُصلحا اجتماعيا حقيقيا، و لا كان داعية للإنسانية و لا للعدالة ،و لا للمساواة . و إنما كان مُحافظا طبقيا نفعيا عنصريا مُتعصبا للباطل داعيا إلى تكريس العبودية و القهر من جهة ؛ و مُشجعا للظلم و قهر الشعوب ليكونوا عبيدا لأسيادهم اليونان حسب زعمه من جهة أخرى . فداس بذلك على عقله و منطقه و علمه ، و باع كل ذلك من أجل رغباته و منافعه و مصالح طبقته .

---

[1] ديوجين لايرتيوس : مختصر ترجمة مشاهير الفلاسفة ، ص: ١٢١ .

و تبين أيضا أن السبب الأساسي في كثرة أخطاء أرسطو المعرفية و المنهجية هو انحرافه عن المنهج العلمي الصحيح في البحث و الاستدلال من جهة ،و تأثره بخلفياته المذهبية وإلهياته الزائفة في مواقفه من كثير من الظواهر و القضايا من جهة أخرى . فأوقعه كل ذلك في أخطاء و انحرافات منهجية كثيرة أضل بها نفسه و أتباعه ،و ساهم بها في إفساد العقل و العلم معا .

الفصل الرابع

مظاهر جنايات أرسطو على العقل و العلم في علم المنطق

أ: من أخطاء أرسطو المتعلقة بالجانب النظري من المنطق

أولا : الاستقراء .

ثانيا : الجدل .

ثالثا : القياس الصوري :

رابعا: آراء و ردود حول عمل أرسطو في المنطق و أهميته

ب : من أخطاء أرسطو المتعلقة بالجانب التطبيقي من المنطق

أولا : كليات تطبيقية خاطئة .

ثانيا: انحرافات و خصائص منطق البحث و الاستدلال.

مظاهر جناية أرسطو على العقل و العلم في علم المنطق

نُفرد هذا الفصل بكامله لأخطاء أرسطو و انحرافاته المنهجية المتعلقة بعلم المنطق ، و لا نخصصه للتعريف بالمنطق و الخوض في مباحثه و قضاياه ، فهذا الأمر له كتبه المتخصصة فيه ، و إنما نتناوله هنا بالطريقة التي تناولنا بها جنايات أرسطو السابقة المتعلقة بالإلهيات و الطبيعيات ، و جوانب من الإنسانيات . نتناوله من الجانبين : التنظيري أولا ، ثم التطبيقي ثانيا ، نعرض من خلالهما نماذج كثيرة من مواقف أرسطو المتعلقة بالمنطق عامة ، و القياس

الصوري خاصة . و منها ستتجلى لنا أخطاء الرجل و انحرافاته ، و جناياته على العقل و العلم معا.

أ: من أخطاء أرسطو المُتعلقة بالجانب النظري من المنطق :

يستخدم العقل الإنساني أنواعا كثيرة من الأقيسة في مجالات البحث و الاستدلال ، يستخدمها فطريا أليا ، من دون أن ينتبه إليها ، و بلا تكلّف منه . و كل الأقيسة أساسها جزئي تتم بطريق مباشر ،و بعضها يتم بطريق غير مباشر . و من أشهر الأقيسة التي نمارسها في حياتنا العلمية و العادية : قياس التمثيل ، و قياس التعليل ، و قياس الأولى ، و قياس الاستقراء ،و قياس الشمول . و قد أشار أرسطو إلى بعضها كالقياس الجدلي ، و الخطابي ، و الاستقرائي ، لكنه اهتم أكثر بالقياس الكلي- الشمولي أو الصوري - ، فتوسع فيه و سماه القياس البرهاني[1] .

أولا: الاستقراء :

يبدأ الاستقراء من الجزء إلى الكل ، فيجمع جزئيات الظاهرة الواحدة ، ثم يدرسها : تحليلا و تمحيصا ، مقارنة و استنتاجا ، و ... ليصل إلى نتيجة عامة ، أو قانون كلي . هذا القياس ذكره أرسطو في بعض كتبه المنطقية ،و كانت له منه مواقف ، نذكر بعضها من خلال النموذجين الآتيين:

الأول مفاده أن أرسطو عندما أشار إلى القياس الاستقرائي أهمله و لم يهتم به و لا تفرّغ له ، و فضل عليه المنطق الصوري و أولاه اهتماما كبيرا . و يرى أن أنه علينا أن نُمارس الاستدلال الاستقرائي مع الصغار ،و نستعمله في أكثر الأحوال مع العوام، و نُمارس الاستدلال الاستنباطي- الصوري- مع المختصين[2] .

---

[1] ماجد فخري: أرسطو ، ص: ٢٩ .

[2] أرسطو : منطق أرسطو ، ص:٣٨٥، ٥٠٧ ، ٧٣٤ ، ٧٦٧ . و ماهر عبد القادر محمد علي: المنطق و مناهج البحث ، ص: ١٩٨٥ ، ص: ١٧ ، ١٨ ، ١٤٤ ، ١٤٥ .

و أقول: أولا يجب أن نعلم أن القياس الاستقرائي ليس أرسطو أول من تكلم فيه،و لا هو أول من مارسه ، فهو منهج قديم مارسه أهل العلم منذ نشأة العلوم. و يُعد الطبيب أبقراط و تلامذته أول اليونانيين الذين طبقوا النزعة الاستقرائية التجريبية بشكل واسع و صحيح في مجال الطب. فاهتموا بالتجربة كثيرا ، و ركّزوا على السبب الفيزيقي أكثر من تركيزهم على السبب الميتافيزيقي[1] .

و اهتم به أيضا سقراط ، و قد ذكر أرسطو أن سقراط استحدث الاستقراء[2] . و أهم ما جاء به سقراط في المنطق هو الحجج الاستقرائية ،و التعريف بالكلي[3] ، الذي هو نتيجة للقياس الاستقرائي . علما بأنه لا يصح القول بأن فلان استحدث قياسا من الأقيسة الطبيعية كالاستقراء مثلا ، فهذا كلام غير علمي . لأن كل أنواع الأقيسة هي فطرية فينا نُمارسها بطريقة طبيعية من دون تكلّف . لذا فإن من اهتم به من العلماء لا يصح أن يُنسب إليه بأنه هو الذي استحدثه ، أو مُخترعه ، أو مُكتشفه.

و اهتم به أيضا أفلاطون كجزء من علم الجدل ، و سماه الجدل الصاعد ، فهو المنهج الذي يرتفع بالعقل من المحسوس إلى المعقول، إلى أن يصل إلى العلم بالكلي . فهذا هو الاستقراء-الجدل الصاعد- عند أفلاطون الذي يبدأ من الجزء إلى الكل ، لأن مبادئ العلوم مرتبة من ((الأخص إلى الأعم))[4] .

و ثانيا إن موقف أرسطو هذا غير صحيح ، لأنه لا يصح إهمال أي قياس من أقيسة الاستدلال ، لأن كلا منها ضروري و مطلوب في مجاله ،و لا أحد ينوب عن الآخر . فهي أقيسة استدلالية متنوعة مُتكاملة و ليست أقيسة مُقصية لبعضها ،و لا مُتناقضة فيما بينها ،و لا هي مُتساوية حتى تغني عن بعضها . و عليه فإنه لا يصح تفضيل القياس الصوري

---

[1] مصطفى النشار : نظرية العلم الأرسطية ، ص : ١٤٨ .
[2] ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٧١، ٧٢ .
[3] محمد فتحي عبد الله : الجدل بين أرسطو و كانط ، ط١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ص: ١٤ .
[4] يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٩٤ .

على الاستقراء لأمرين هامين : الأول يتمثل فيما ذكرناه من أن كل أقيسة الاستدلال مطلوبة في مجالها . و الثاني مفاده هو أن العلاقة بين القياس الصوري و الاستقرائي هي علاقة فرع بأصل ، و نتيجة بمقدمة . و معناها أن الصوري هو فرع لأصله الاستقرائي ،و نتيجة لمقدمته الاستقرائية. لذا فإن التفضيل لا يصح بينهما: أصلا و لا فرعا ، مقدمة و لا نتيجة .

و ثالثا إنه بما أن الأمر كما ذكرناه فإن كل أهل العلم- من طلاب و علماء- يجب عليهم أن يستخدموا كل أنواع أقيسة الاستدلال حسب موضوعها الذي يُناسبها ،و ليس حسب مكانتهم و قدراتهم العلمية كما زعم أرسطو . و ماذا يحدث لو أن فيلسوفا كبيرا خاض في العلوم التجريبية بالقياس الصوري ؟! ، إنه بلا شك لن يستطيع فعل ذلك إذا احترم موضوع العلم و منهجه . لكنه إذا أصر على موقفه الأول فإنه سيقع في أخطاء علمية و انحرافات منهجية كثيرة جدا لا حد لها ،و سيُضحك الناس على نفسه ،و يأتي بالغرائب و العجائب ، و المضحكات و المبكيات . و هذا الذي وقع فيه أرسطو ، فقد خاض في العلوم التجريبية مُهملا لمنهجها الاستقرائي في مواقف كثيرة جدا ، و مُقدما عليها قياسه الصوري التأملي في مواقف كثيرة أيضا . فكانت النتيجة كارثية فادحة على المستويين التطبيقي و المنهجي ، و قد ذكرنا منها عشرات النماذج فيما تقدم من كتابنا هذا .

و النموذج الثاني مفاده أن أرسطو ذكر أن لا استقراء دون حِس و حواس ، و إذا ((كنا نتعلم إما بالاستقراء ، و إما بالبرهان- القياس الصوري- ؛ فالبرهان هو من المقدمات الكلية ، و الاستقراء هو من الجزئية ،و لا يُمكننا أن نعلم الكلي إلا بالاستقراء)) . و قال أيضا : و لا يُمكننا أن ((نستقري إذا لم يكن ثمتَ حِس ، لأن الحِس هو للأشياء الجزئية . فإنه لا يُمكن أن نتناول العلم بالجزئي ، لأنه لا يُستخلص من الكليات بدون الاستقراء ، و لا يُستخلص بالاستقراء دون الإحساس . فالعلم هو بالكلي)). و ذكر أن الاستقراء هو((أكثر إقناعا و أبيّن و أعرف في الحِس ،و هو مُشترك للجمهور. فأما القياس- أي الصوري- فهو أشد إلزاما للحجة ،و أبلغ عند المناقضين)) [1] . ثم أنه فضّل العلم الكلي على العلم

[1] أرسطو : منطق أرسطو ، ص: ٣٨٥ ، ٥٠٧ .

الجزئي بدعوى أن العلم الجزئي يطلب خصائص الأشياء ، و هذا لا يفي بالغرض لمعرفة ماهيتها و مصدرها . لكن العلم الكلي هو أشرف من الأول لأنه يفحص جواهر الموجود و ماهيته ، فموضوعه العام هو الجوهر بأقسامه[1] .

و أقول : قوله هذا غير صحيح في معظمه ،و فيه سوء فهم واضح للقياسين الاستقرائي و الصوري . لأنه أولا إننا لا نتعلم فقط بالقياسين الاستقرائي و الصوري- سماه أرسطو البرهان- ، و إنما نتعلم بكل أنواع القياس ، و بكل طرق الاحتجاج و البحث و الاستدلال التي يستخدمها العقل الإنساني . و لا يصح- من جهة أخرى- التسوية بين القياسين الاستقرائي و الصوري ، لأن الأول هو من الأقيسة الجزئية التي تقوم عليها كل العلوم ، و الثاني ليس أصلا أوليا ، و إنما هو من نتائج القياس الجزئي ، فهو فرع من أصل ، لذا لا يصح تسويته بالجزئي ، و لا تقديمه عليه .

و ليس صحيحا أن قياس الشمول- الصوري- هو من المقدمات الكلية ، لأن موقفه هذا يقوم على نظرة جزئية لا يصح الانطلاق منها و إغفال الأصل و إهماله . و المتمثل في أن هذه الكلية هي نتيجة للقياس الجزئي ،و الطعن فيه ،و تقزيمه هو طعن و تقزيم للقياس الكلي أيضا . لذا فإن يقينية هذا الكلي هي بسبب الجزئي ، فلا يصح الطعن فيه و تقزيمه من جهة ، و تعظيم نتيجته و الغلو فيها من جهة أخرى . فلا بد من إرجاع الفضل إلى الأصل أولا ، ثم إلى الفرع ثانيا . و لا يصح أن نتمسك بالفرع و ننسى أصله الذي أوجده ،و يتحكم فيه و يُوجهه من جهة ،و هو الذي يتولى أيضا استخراج منه نتائج من داخله من جهة أخرى .

و ثانيا إن العلم – في الحقيقة الثابتة عقلا و واقعا- ليس هو العلم بالكلي كما زعم أرسطو مسايرا لشيخه أفلاطون [2]، و إنما هو العلم بالجزئي ، فهذا العلم هو الذي نكتشفه بحواسنا من داخلنا و خارجنا ،و هو الذي نجمع به الحقائق الجزئية و الكلية المتعلقة بكل العلوم . و عليه فإن الصواب هو أن العلم هو بالجزئي و الكلي معا ، و لا كلي دون جزئي ،و لا يصح العكس . لأن العلم الجزئي هو الذي أوجد الكلي ، و هو الذي يبقى يُوظفه و

[1] ماجد فخري : أرسطو : المعلم الأول ، ص: ٧٧ .
[2] هو صاحب مقولة : لا علم إلا بالكلي)) . مصطفى النشار ، نظرية المعرفة عند أرسطو ، ص: ٣٣ .

يُسيره ، و يُطوره و يُنميه و ليس العكس . و عليه فلا تصح مقولة : لا علم إلا بالكليات . لأنها مقولة جزئية مقطوعة عن أصلها ،و لكي تصح لا بد من إرجاعها لأصلها ، و عدم المبالغة فيها: توسيعا و تجعيدا . و يصبح الصواب هو : لا علم إلا بالجزئيات أولا ، لأنه لا كليات دون جزئيات ،و لا علوم بلا أقيسة جزئية . فالعلم هو بالجزئي أولا ، ثم بالجزئي و الكلي ثانيا . لأن الجزئي هو أصل كل علم كلي : وجودا و عدما ، تفعيلا و نتيجة .

و ثالثا إن الاستقراء- و القياس الجزئي كله - ليس فقط أكثر إقناعا و أبيّن و أعرف في الحس، و إنما هو أيضا قد يكون أكثر قوة و يقينا و أهمية من القياس الصوري حِسيا و معنويا إذا تم بطريقة صحيحة . بدليل أن المقدمة الكبرى في القياس الصوري هي من إنتاجه ، و بدونه لا نحصل عليها. و المقدمة الثانية و النتيجة هما أيضا نموذجان للقياس الجزئي الذي ينتمي إليه الاستقراء . فكيف — و الحال هكذا- يكون القياس الصوري أفضل و أقوى من الاستقراء؟؟!! . فالطعن في الاستقراء هو طعن بالضرورة في القياس الصوري ، و تعظيم القياس الصوري يستلزم تعظيم الاستقراء أولا .

و لا يُمكن أن يكون أي قياس -كالقياس الصوري- أشد قوة و إلزاما للحجة لمجرد شكله -جزئيا كان أو شموليا- ، و إنما هذا يتوقف على صحة مادة القياس و طريقته . فأي قياس توفر فيه ذلك فهو يقيني ،و أي قياس لم يتوفر فيه ذلك فهو ظني حتى و إن كان قياسا صوريا .

و رابعا ليس صحيحا أن العلم الجزئي يطلب خصائص الأشياء ،و أن الكلي يفحص جواهر الموجودات و ماهيتها . فهذا زعم باطل جملة و تفصيلا ، لأن الحقيقة الثابتة الملموسة من العلم هي أن كل ما نعرفه من خصائص الأشياء في عناصرها الجزئية هي نفسها نعممها و نجعلها كلية تنطبق على جنس من الأجناس ، أو نوع من الأنواع . و هذا يعني أن الكلية بذاتها و صفاتها هي ثمرة للعلم بالجزئي من جهة ،و العلم الكلي لا يزيد شيئا عما وصلنا إليه من العلم بالجزئي من جهة أخرى .

و ليس صحيحا أيضا أن العلم الكلي يطلب الجواهر و الماهيات ، فهذا ليس موضوعه ،و لا يستطيع تحقيقه حتى و إن سعى إليه . و إنما الصحيح هو أن العلم الكلي هو جزء من العلم الأصلي –الجزئي– و تابع له ،و لا يستطيع العمل وحده من جهة . و ما لديه من علم هو علم جزئي نسبي لا يُمكّنه أبدا من معرفة جواهر الموجودات و ماهيتها من جهة أخرى . و هذا يعني أن أرسطو كانت له نظرة سطحية للعلم ، جعلته يتصوّر إمكانية معرفة ماهية الموجود و جوهره بعلم سماه كليا هو في حقيقته علم جزئي نسبي . و الشاهد على ذلك أيضا أننا إذا نظرنا إلى محصلة فكر أرسطو من الحقائق و العلوم وجدناها ضعيفة جدا ، فقد سبق و أن بينا أن معظم أساسيات فكره غير صحيحة نظريا ، و تطبيقا ، و منهجا في الإلهيات و الطبيعيات و الإنسانيات . فلماذا لم تُمكنه كلياته من معرفة جواهر الموجودات و ماهياتها ،و لماذا كانت حصيلة فكره انه أنتج كلاما كثيرا و علما قليلا ؟؟!!.

فواضح من النموذجين أن أرسطو – أخطأ أخطاءً جسيمة في موقفه من الاستقراء و تقزيمه له ، ترتبت عنها أخطاء و انحرافات منهجية كثيرة من جهة ، و أفسدت عليه جانبا كبيرا من تفكيره المنطقي من جهة أخرى . و قد تضمن ذانك النموذجان أخطاء و انحرافات كثيرة أحصتُ منها ١١ خطأً و انحرافا منهجيا .

ثانيا : الجدل :

لم يتخذ أرسطو موقفا صحيحا من الجدل –كعلم و وسيلة– ، فقد تصرّف في معناه المعروف به عند اليونان ،و اشتد في انتقاده دون حق ، فأوقعه تصرفه هذا في أخطاء و انحرافات منهجية ، نذكر بعضها من خلال النماذج الثلاثة الآتية :

الأول مفاده أن أرسطو يرى أن القياس الجدلي يقوم على مقدمات مشهورة ليست يقينية[١] . و هو منطق الاحتمال ، لأن موضوعه الاستدلالات التي تقوم على مقدمات مُحتملة ، لذا فهو لا يكفي لتحصيل المعرفة الصحيحة[٢]. و الجدل عنده هو قياس ظني

[١] ماجد فخري: أرسطو : المعلم الأول ، ص : ٢٩ . و مصطفى النشار : نظرية العلم الأرسطية ، ص: ٥١ .
[٢] محمد وادفل : خُصوصيات الجدل الرواقي ، ص: ٨٠ .

مشهور أو ذائع ، لا يرقى إلى اليقين الذي يُوصلنا إليه القياس البرهاني حسب رأيه . ثم أشار إلى أن للجدل فوائد ، منها أنه ينفع في الرياضة الذهنية ، و المناظرة ،و علوم الفلسفة[١] .

و أقول : أولا إن قوله هذا غير صحيح في معظمه ،و فيه تصرّف في معنى الجدل بطريقة غير علمية ، فعرّفه حسب رغبته هو ، و لم يُعرّفه كما كان يُعرّفه أصحابه و معظم اليونانيين . و الدليل على ذلك الشواهد الآتية: الأول مضمونه أن معنى الجدل عند اليونانيين لم يكن يُقصد به بأنه فن الحوار ، أو أنه وسيلة من وسائله ،و إنما كان معناه أوسع من ذلك ، فهو عندهم منطق بحث و استدلال ، و طريق إلى العلم و اليقين ، بل كان عند الرواقيين هو المنطق نفسه[٢] . حتى أن المؤرخ ديوجين لايرتيوس ذكر أن المنطق — قبل أرسطو- كان يُتعلم كغيره من العلوم العقلية و الطبيعية و الأدبية ، و سماه علم المنطق ، و أن الفيلسوف ديموقريطس تعلمه في بلاد اليونان مع الفلك و الطبيعة ، ثم رحل إلى مصر و الهند لطلب المزيد من العلم[٣] . و معنى ذلك أن علم المنطق أو الجدل — بمعنى المنطق —كان معروفا كعلم يطلبه أهل العلم ، و له أساتذته و طلابه كغيره من العلوم . و قد جعل أفلاطون تعلم الجدل — بمعناه الواسع- حجر الزاوية في نظامه التعليمي، و جعله ضروريا لتربية الحكام و الفلاسفة[٤] .

و الشاهد الثاني مفاده أن الفيلسوف السُفسطائي زينون الإيلي (ق : ٥ ق م) : يُعد هو مخترع-أي مُنشيء- الجدل العقلي عند اليونان ، و قد جعل الجدل علما أو شبيها به[٥]. و أرسطو نفسه اعترف بأن زينون هو مخترع الجدل[٦]. لكن ليس الجدل بالمعنى الضيق الذي انتقده أرسطو ،و إنما هو الجدل بالمعنى الواسع الذي هو علم منهج البحث و الاستدلال ،و ليس هو قياس الشمول الظني . علما بأن أرسطو سمى قياسه الصوري التحليلات ، أو صناعة التحليل ،و إما اسم المنطق فهو تسمية متأخرة عن عصر أرسطو[٧] .

---

[١] أرسطو : منطق أرسطو ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، ص: ٤٩٢ .
[٢] محمد وادفل : : خُصوصيات الجدل الرواقي ، مجلة دراسات ، ٢٠١٠ ، ص: ٧٨ .
[٣] مختصر ترجمة مشاهير الفلاسفة ، ص: ٧٩ ، ١١٥ .
[٤] مصطفى النشار : نظرية العلم الأرسطية ، ص: ٤٩ .
[٥] مصطفى النشار : تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، ج ١ ص: ٢٠٢، ٢٠٦ ، ٢١١ . و مصطفى غالب : فيثاغورس ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص: ٨٢ .
[٦] محمد فتحي عبد الله : الجدل بين أرسطو و كانت ، ص: ١١ .
[٧] فؤاد الأهواني : المدارس الفلسفية ، ص: ٦١ .

و الشاهد الثالث مضمونه أن الجدل عند الرواقيين[1] كان ((المعيار الذي يُفرّق به بين الحق و الباطل)) . و عند بعضهم أن الجدل ((يُعلّم الكلام و الاستدلال ،و مناقشة القضايا المقترحة ، و الرد على الأسئلة الخاصة بالأشياء ، و هي من نصيب الإنسان الخبير))[2] . فهذا المعنى نفسه موجود عند أرسطو باسم القياس الصوري ،و هو نفسه سماه هؤلاء بالجدل .

و الشاهد الرابع مفاده أن الجدل زمن الفيلسوف سقراط كان قد تطور كثيرا ، فزاد هو في تطويره ،و أدخل عليه مفاهيم كالتحديد ، و الاستقراء ، و الفرضية،و عنه أخذه تلميذه أفلاطون[3] . و أهم ما ادخله سقراط في الجدل هو الحجج الاستقرائية ،و التعريف بالكلي[4] . بالكلي[4] .

و الشاهد الأخير – الخامس– يتعلق بالجدل عند أفلاطون –شيخ أرسطو– و مفاده أن الجدل عنده هو المنهج الذي يرتفع العقل به من المحسوس إلى المعقول،و هو العلم الكلي بالمبادئ الأولى .وهو منهج دقيق يسمح لنا بالصعود إلى فكرة الواحد بالأسئلة و الأجوبة من خلال الصورة التي يُعطينا أياها العالم الحسي. و الجدل عنده على نوعين : صاعد ، و نازل . الصاعد يبدأ من الإحساس إلى الظن ، إلى العلم الاستدلالي ، إلى المعقول إلى أن يصل إلى العلم بالكلي. و النازل ينزل من أرفع المِثِل – و هي كليات– إلى أدناها بتحليلها و ترتيبها في أجناس و أنواع . و هذا هو المعروف بالقسمة الثنائية الأفلاطونية ، الذي يُعرف في مجال القياس بالحد الأكبر و الحد الأصغر ،و هما من إنتاج أفلاطون[5] . و بمعنى آخر أن

[1] ينتمي هؤلاء إلى زينون الرُّواقي 335) ؟ - ٢٦٥ ؟ ق.م). مؤسِّس الفلسفة الرواقية في أثينا. ولد زينون في مدينة سيشيوم بجزيرة قبرص. ويُذكر أنه كان في الأصل تاجراً، لكن تجارته تدهورت كما أنه فقد كل ممتلكاته ورحل إلى أثينا في عام ٣١٤ ق.م. ومكث زينون هناك حيث درس الفلسفة وكان يلتقي بتلامـذته فـي رواق، وهو الاسم الذي اشتُق منه اسم المذهب الرواقي .انظر :الفلسفة الرواقية. الموسوعة العربية العالمية ، مادة : زينون الرواقي .

[2] محمد وادفل : نفس المرجع ، ص: ٧٩ .

[3] س ، بريو شنكين : أسرار الفيزياء الفلكية و الميثولوجيات القديمة ، ترجمة حسان ميخائيل إسحاق ، ط ١ ، دار دار علاء الدين ، دمشق ،٢٠٠٦ ، ص: ٢١٢ ،٢١٥ .

[4] محمد فتحي عبد الله : الجدل بين أرسطو و كانط ، ط١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ص: ١٤ .

[5] نفس المرجع ، ص: ٨٠ . و يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٨٤ ، ٩٤ .

قياسه الصاعد يبدأ من الجزئي المحسوس إلى الكلي في عالم المثل ،و هذا استقراء. ،و النازل يبدأ من الكلي إلي الجزئي المحسوس ، و هذا قياس شمول– الصوري عند أرسطو– .

و الجدل عنده أيضا هو منهج و علم يجتاز جميع مراتب الوجود من الأسفل إلى الأعلى و بالعكس . فهو علم يُقابل ما نسميه اليوم بنظرية المعرفة بالمعنى الواسع ،و يشمل المنطق و الميتافيزيقا جميعا[1]. و قد عدّ أفلاطون الجدل قمة العلوم و تاجها ، و لا يُوجد علم آخر يستحق مكانة أرفع منه . و من يستخدمه يظل ((ظافرا إلى النهاية دون زلة واحدة))، و هو ضروري للوصول إلى الحقيقة[2] . و كان أفلاطون يُدرس الجدل كعلم من العلوم ضمن العلوم العقلية كالفلك و الهندسة . و كانت مرحلة التكوين في العلوم العقلية تدوم عشر سنوات ، تنتهي بدراسة الجدل لمدة خمس سنوات[3] . ثم دعا في أواخر حياته إلى أيجاد قانون منطقي يُدير حركة الأفكار العقلية كالقوانين التي تدير حركة الأفلاك ،و هي تحترمها باستمرار ، لكن نحن البشر ننتهك باستمرار القوانين التي تتحكم بمسار أفكارنا. فعقّب عليه الباحث مصطفى النشار بقوله : إن ذلك أمر هام أشار إليه أفلاطون لكنه لم يستثمره [4]. لكن الحقيقة هي أن ما دعا إليه أفلاطون في أُخريات حياته هو توسيع أكثر لمعنى الجدل ،و كان قد استثمر جانبا منه في تدريسه للجدل كمنطق بحث و منهج استدلال .

فواضح من تلك الشواهد أن الجدل عند السفاسطة ، و سقراط ، و أفلاطون هو منطق بحث و استدلال ،و ليس كما هو عند أرسطو و أراد أن يُوهمنا به . فقد كان علماً جاهزا قائما بذاته يُسمى الجدل ، و لو لم يكن كذلك ما دُرّس كعلم منفصل بذاته ، و ما استغرقت دراسته مدة طويلة ، و ما كان يُدرّس في نهاية مرحلة التكوين . و أرسطو نفسه قد درَسه بحكم أنه أحد خريجي مدرسة أفلاطون ،و معروف أنه قد بقي فيها عشرين سنة تلميذا لشيخه أفلاطون . لكن أرسطو تناسى كل ذلك ، و أقدم على ما نقلناه عنه أعلاه لغاية في نفسه ، سنعود إليها قريبا .

---

[1] يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٨٤ .
[2] مصطفى النشار : تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، ج ٢ ص: ١٩٥ . و نظرية العلم الأرسطية ، ص: ٤٩ .
[3] ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٧٧ ، ٩٤ .
[4] روبير بلانشي : المنطق و تاريخه ، ترجمة خليل أحمد خليل ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص: ٢٩ .

و ثانيا إن تصرّفه في مفهوم الجدل بتلك الطريقة هو تصرّف غير مقبول علميا . و لا يصح له أيضا أن يُخصصه و يحكم عليه بأنه يقوم على مقدمات مشهورة ،و لا يقوم على مقدمات يقينية . و أما لماذا لا يصح له ذلك ؟ ، فهو لا يصح لثلاثة أمور : الأول إنه كان عند أصحابه طريقا إلى العلم و اليقين ، فلا يحق له أن يتصرف في معناه و يُوجهه و يُخصصه كما يُريد هو منه أن يكون .

و الأمر الثاني مفاده أن أرسطو لم يُقدم دليلا صحيحا على زعمه ، و إنما اعتمد أساسا على رغبته الشخصية في تعريفه له . و الأمر الثالث مضمونه أنه إذا نظرنا إلى حقيقة الجدل في ذاته نجد أن من أهم صفاته أنه وسيلة من وسائل الحوار و النقاش و المناظرة ،و بما أنه هكذا فيُستخدم في مادته كل أنواع الأقيسة و الحجج ، و البراهين و المبررات ،و الاعتراضات و المناقضات ،و التدليسات و المغالطات ،و اليقينيات و الظنيات . و هذا هو الذي يشهد به الواقع ، فنجد المجادلين يستخدمون كل ذلك في جدالهم . و هذا خطأ منهجي فادح وقع فيه أرسطو ، فلا يُوجد أي دليل صحيح ،و لا مُبرر مقبول يجعل الجدل – بما أنه وسيلة حوار– ظنيا مشهورا ذائعا كما وصفه أرسطو . و إنما هو كما ذكرنا مجرد وسيلة يستخدم كل أنواع الحجج و الاستدلالات . فموقفه هذا هو موقف ذاتي غير صحيح مُخالف لما يشهد به الواقع ، و لا يحق له اتخاذه . و نحن لم نتوسع في مناقشته في قوله بأن الجدل ظني النتائج ، لأنه زَعْم بناه على غير أساس صحيح ، فلما قوضناه سقط زعمه بالضرورة ، و أصبح من العبث الرد عليه في ذلك .

و قد أصاب الباحث بريو شينكين عندما ذكر أن أرسطو لم يقدر منهج الجدل عند سقراط و أفلاطون حق التقدير ، فعّده منهجا مُتخلفا عن منهج البرهان العلمي ، مع أنهما طوّراه ،و أدخل فيه سقراط مفاهيم كالتحديد ،و الاستقراء ،و الفرضية[1] .

---

[1] س ، بريو شنكين : أسرار الفيزياء الفلكية و الميثولوجيات القديمة ، ترجمة حسان ميخائيل إسحاق ، ط ١ ، دار علاء الدين ، دمشق ،٢٠٠٦ ، ص: ٢١٢ ،٢١٥ .

و الراجح عندي أن أرسطو فعل ذلك مُتعمدا ، فاستفاد من جدلهما استفادة كبيرة ، ثم طعن في جدلهما . و هذا الموقف نفسه اتخذه مع جدل السفاسطة عندما وصفه بأنه ظني تبكيتي مناقض للنتيجة ، مع أن قياسه مأخوذ من قياسهم و قريب منه جدا ، بل هو جزء منه[1] . فأرسطو – في موقفه من جدل هؤلاء– تصرّف في معنى الجدل عندهم و ازدرى منطقهم ، و نقدهم فيه من خلال مفهومه هو له ،و ليس على أساس مفهومهم هم له . ثم ضيق معناه و جعله كما يريده هو . و هذا عمل غير علمي يتضمن تحريفا و تدليسا ،و نية مُبيتة سلفا لتحقيق أهداف مذهبية يُريد تحقيقها . و إلا لماذا فعل ذلك ،؟ و لماذا انتقدهم بمفهومه هو للجدل ، مع أنهم يقصدون به معنى آخر ؟؟ و هو قد اخذ مفهومه للمنطق الصوري من مفهومهم الشامل للجدل ، ثم انقلب عليهم بمفهومه هو له . و يبدو أنه أقدم على فعل ذلك لتحقيق غايات في نفسه . منها الطعن في المنطق الجدلي الذي قال به معظم اليونانيين ليرفع من قيمة قياسه الصوري المأخوذ أصلا من جدل هؤلاء . فوصف قياسه باليقين تعظيما له ،و قياس غيره بالظن تقزيما له من جهة أخرى. كما أنه–أي أرسطو– أخذ من شيخه أفلاطون غلوه في منطقه الجدلي ، ثم أطلقه على منطقه الصوري .

و النموذج الثاني مفاده أن أرسطو سوى بين استعمال الصنائع و استعمال الجدل ، فنص على أن جميع الصنائع تستعمل الأمور العامية ،و لهذه العلة يستعمل من لا علم له صناعة الجدل[2] .

و أقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه، و لا أدري هل هذا الرجل يعي ما يقول أم لا ، أو أنه قال ذلك لغاية في نفسه . لأنه أولا ليس صحيحا أن الصنائع و الجدل من الأمور العامية يُمارسها من الناس من لا علم له . لأن كلا من العقل و العلم لا يقولان ذلك ، و يشهدان بخلافه . فنحن نشاهد في الواقع أن الصنائع يُمارسها أناس من مختلف فئات المجتمع ، و معظمهم أصحاب مستويات علمية تطبيقية ،و إن اختلفت درجاتهم العلمية في ذلك . بل إن تلك الصنائع أصبحت في زماننا تمثل علوما دقيقة تجمع بين الجانبين النظري و التطبيقي ، و قد تخصص فيها علماء كبار لهم شهادات عليا في الفيزياء و الكيمياء و

[1] سبق توثيق ذلك ،و ذكرنا الشواهد على الترجيح الذي أخذنا به .
[2] أرسطو : منطق أرسطو ، ص: ٨٨٨ .

الميكانيك . و قد أُنشئت لها مؤسسات و معاهد علمية للتكوين و الابتكار . و ربما يُقال: إن أرسطو كان معذورا في هذا لأنه نظر إلى صنائع عصره . و هذا اعتذار مقبول من جهة ، لكنه غير مقبول من جهة أخرى ، لأنه كفيلسوف كان عليه أن ينتبه إلى أن الصنائع في أساسها تقوم على قوانين رياضية و فيزيائية من جهة ، و كان عليه أن يحتاط و لا يُعمم حكمه على جميع الصنائع و ممارسيها من جهة أخرى . فهذا انحراف منهجي في النظر إلى الأمور و الحكم عليها ، كان عليه أن يحتاط له و لا يقع فيه. فهذا هو المطلوب من الباحث الموضوعي المدقق الممحص لكي يجنب نفسه كثيرا من الأخطاء و الانتقادات .

و أما صناعة الجدل فقوله فيها أكثر خطأً لأنها صناعة تختلف عن الصنائع من جهة ، و هي صناعة نظرية أصلا و ممارسة ، و طبيعة في كل بني آدم من جهة أخرى . و لهذا وصف الله تعالى الإنسان بقوله سبحانه : { وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً }-سورة الكهف:٥٤- . فالجدل صفة هي من خصائص بني آدم يُمارسونها كلهم ،و الواقع يشهد على أن الجدل موجود بين عوام الناس و خاصتهم ، و بين جُهالهم و علمائهم . فالجدل ليس خاصا بالناس الذين لا علم لهم كما زعم أرسطو .

و ثانيا إن أرسطو قال ذلك الزعم للحط على أصحاب الجدل و تقزيمهم من جهة ، و للرفع من قياسه و مكانته هو من جهة أخرى . قال ذلك و هو يعلم يقينا أن حكمه السابق في حق الجدل و أصحابه غير صحيح ، لكنه فعل ذلك أملا في تحقيق مكاسب مذهبية يسعى للظفر بها . و الدليل الدامغ على صحة قولي هذا ، الشواهد الآتية :

الأول مفاده هو أن أرسطو نفسه نقض زعمه هذا عندما قال: للجدل فوائد ، منها أنه ينفع في الرياضة الذهنية ، و المناظرة ،و علوم الفلسفة[1] . أليس من يطلب الرياضة الذهنية بالجدل هم في الغالب من أهل العلم و ليسوا من عوام الناس ؟؟!! . و أليس أن من يطلب الجدل للمناظرة هم في الغالب الأعم من العلماء ؟؟!! . و أليس من يستخدم الجدل في علوم الفلسفة هم من أهل العلم من طلاب الفلسفة و العلوم الأخرى ؟؟!! . و هذه

[1] أرسطو : منطق أرسطو ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، ص: ٤٩٢ .

التساؤلات لا تحتاج إلى إجابات لأنها واضحة بنفسها ، و تكفي وحدها للرد على أرسطو و إظهار بطلان زعمه ،و انه تعمد قوله .

و الشاهد الثاني مفاده أن أرسطو قال ذلك الزعم و هو يعلم أن الجدل كان علماً عند اليونان ، يتعلمه أهل العلم منهم كما يتعلمون العلوم الطبيعية و الأدبية من جهة . و قد برع فيه كبار علماء اليونان و عظموه ،و اهتموا به كزعماء السفاسطة ، و سُقراط ، و أفلاطون من جهة أخرى . فلماذا تناسى أرسطو كل ذلك ؟! ، و لماذا ألحق هؤلاء بالناس الذين لا علم لهم ؟! . و لماذا أساء إلى شيخه و أستاذه أفلاطون ؟! . و ماذا يُريد هذا الرجل مما قاله في الجدل و أهله ؟؟!! .

و الشاهد الأخير- الثالث- مفاده أن أرسطو أصدر حكما عاما على السفاسطة بأنهم ((أبدا يقولون خلاف ما يظهر من ضميرهم و ما خفي))[1] . و قوله هذا باطل و لا يصح أن يقوله ،و لا يصدق على أي إنسان في العالم مهما كان كذابا . لأن حياة الإنسان في أصلها تقوم على الصدق و ليس على الكذب ، و هنا يضطر الكذاب و المنافق و المحتال و السفسطائي إلى أن يكون صادقا فيتفق باطنه مع ظاهره رغم أنفه . لكن تعصب أرسطو على هؤلاء هو الذي أوصله إلى قول هذا الكلام الباطل المضحك . فهل دخل في قلوبهم كلهم و عرف نواياهم ؟؟!! ، و هل هو يعلم الغيب حتى يصدر هذا الحكم العام المطلق بأن السفاسطة كلهم أبدا يقولون ذلك ؟؟!! . و ألم يكن يعلم أن في كبار السفاسطة من كان موضوعيا يعترف بالحقيقة، و أن أوائلهم كانوا معلمين مربين للناس بصدق و إخلاص[2] ؟؟!! . و أليس كثيرا ما يكون من مصلحة الإنسان الكذاب أن يقول الصدق فيقوله ، و هنا سيضطر السفاسطة إلى أن يكونوا صادقين فيتفق ظاهرهم مع باطنهم ؟؟!! . و لماذا هذا الإصرار و التأكيد على تجريم هؤلاء ،و الحكم عليهم بالتأبيد ؟؟! . أليس هذا كله تدليس و سفسطة عن سبق إصرار و ترصد ؟؟! ، أليس هذا دليل دامغ على أن أرسطو هو نفسه

---

[1] أرسطو : منطق أرسطو ، ص: ٩٠٢ .

[2] أنظر: ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ . عبد الرحمن بدوي: ربيع الفكر اليوناني ، ص: ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨ ، ١٧٩ .

مُسفسط ، و أنه أشبع أنانيته في الحط على السفاسطة و تقزيمهم و ذمهم ، حتى أنه تفوّق علهم في السفسطة بطريقته الخاصة ؟؟!!.

و النموذج الأخير- الثالث- يتعلق بالجدال لا الجدل ، و مضمونه أن أرسطو نظر هنا إلى الجدل كوسيلة رد ، فهو جدال ،و لم ينظر إليه بنظرته السابقة بأنه قياس جدلي ظني . فذكر أنه في مجال الجدال تُستخدم الأقاويل الاستقرائية مع ذوي السلامة من الناس . و تُستعمل الأقاويل القياسية مع المتدربين على ذلك . و قد ((ينبغي أن تُلتمس أخذ المقدمات من أصحاب القياس ،و أخذ الأمثال من أصحاب الاستقراء ، إذا كان كل واحد منهما مُرتاضا- مُتدربا- فيما يُناسب مذهبه))[1] .

و أقول: إن قوله هذا غير صحيح في معظمه ، لأن الحقيقة- الثابتة عقلا و واقعا- هي أن الناس -على اختلاف فئاتهم- عندما يتجادلون يستخدمون كل أنواع الأقيسة الجزئية و الشمولية ، من دون تمييز بينها ، لأمرين أساسيين : الأول هو أن عقل الإنسان يعمل بطريقة فطرية سريعة لا تتطلب منه معرفة أنواع القياس ،و لا عمله يتوقف على العلم بها . و الثاني هو أن الإنسان — أثناء الجدال — يكون همه الأول هو الرد على خصمه ، و من ثم لا يختار بين أنواع القياس ،و إنما يستخدم كل ما تيسر له من أقيسة و حجج . و هذا أمر ثابت و مشهود بين عوام الناس و علمائهم .

كما أن تمييز أرسطو بين مقدمات أصحاب القياس الصوري ، و أمثال أصحاب الاستقراء ، هو تمييز غير علمي و لا يصح . لأن كل الأقيسة — منها الاستقراء- تقوم على مقدمات ، و هذه المقدمات كلها تنطوي على أمثال من جهة ، و على عِلل من جهة أخرى . و عليه فعملية استخدام أي مثال ، فهي تنطوي بالضرورة على قياس و تعليل و مماثلة . فالأمثال أقيسة ، نجدها في كل أنواع الأقيسة بشكل أو بآخر. و مثال ذلك القياس الصوري الآتي: كل إنسان فانٍ ، و أرسطو إنسان ، فهو فانٍ . هذا القياس صحيح ، لكنه

[1] أرسطو : منطق أرسطو ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، ص: ٧٦٧ .

ما كان يصح لولا وجود التمثيل و المماثلة و ضرب المثال . فمن أين لنا أن كل إنسان فانٍ ؟؟ ، هل رأينا كل البشر الذين سيأتون بعدنا ؟ ، و هل تأكدنا بأنهم سيموتون ؟ . لم نتأكد من كل ذلك لكننا عممنا حكمنا على أساس التمثيل و المماثلة و ضرب المثال ، بناء على القاعدة العقلية الفطرية التي تقول : الجمع بين المتماثلين ،و التفريق بين المختلفين .

و عندما قلنا: و أرسطو إنسان . نكون قد أتينا بمثال جزئي يُشبه و يُماثل الأجزاء الكلية التي شملها الحكم الكلي . ثم عندما قلنا: فهو فانٍ ، نكون قد استخرجنا النتيجة الجزئية من الحكم العام الذي يشمل عناصره المتشابهة و المتماثلة ،و طبقناها على مثال جزئي يُشبه عناصر ذلك الحكم الكلي . فواضح من ذلك أن الأمثال أقيسة ،و الأقيسة أمثال ، و كلها مقدمات تنطوي على عِلل متنوعة الخصائص .

و من تلك النماذج يتبين أن أرسطو وقع في أخطاء و انحرافات منهجية جسيمة تتعلق بالجدل كعلم و وسيلة ،و كقياس حسب فهمه هو. ضربنا على ذلك ثلاثة نماذج تضمنت طائفة من أرائه و مواقفه المتعلقة بالجدل ، احتوت على أكثر من ١٢ خطأً و انحرافا منهجيا من جهة. و دلت على أن أرسطو استخدم التدليس و التغليط و السفسطة في موقفه من الجدل لغاية في نفسه من جهة أخرى .

ثالثا: القياس الصوري الأرسطي :

اهتم أرسطو بالقياس الصوري اهتماما كبيرا ، حتى عُرف به ، و سماه القياس البرهاني . و هو قياس كلي شمولي و ليس قياسا جزئيا ، يتكون من مقدمتين و نتيجة . و مثاله : كل إنسان فان ، و أرسطو إنسان ، فهو فانٍ . فمن أين لأرسطو بهذا القياس ؟، و ما هي مواقفه التفصيلية منه ؟ ، و ما هي أخطاؤه المتعلقة بهذا القياس ؟. هذه التساؤلات و غيرها ستجد أجوبتها من خلال النماذج الأرسطية الآتية :

الأول مفاده أن أرسطو أطلق على القياس الصوري اسم البرهان ، فهو يقوم عنده على مقدمات يقينية ثابتة قطعاً ، فهو ((الضرب الوحيد من القياس الذي يُعتمد في المباحث العلمية و الفلسفية الحقة)) ،و هذا لا يتوفر في الأقيسة الأخرى كالجدلي و الخطابي[1] .

و أقول: أولا قبل مناقشته لابد من التذكير و التدليل بأن أرسطو ليس هو أول من تكلم عن القياس الصوري ، و لا هو أول من اهتم به و نظّر له . و هذا أمر ضروري لمعرفة مصادر أرسطو في المنطق عامة و القياس الصوري خاصة . و هذا القياس هو في الحقيقة من القياسات الفطرية في الإنسان يستخدمها أليا من دون تكلف منه ، يستخدمه مع القياسات الأخرى في مكانه المناسب ، مع أنه ليس قياسا جزئيا أوليا ، لكنه قياس فطري شمولي يقوم على الجزئي و يتفاعل معه بانسجام و تناغم . فهذا قياس طبيعي فينا بلا شك ، لكن أشهر الذين سبقوا أرسطو في الاهتمام به من اليونانيين : السفاسطة ،و سقراط ، و أفلاطون ، و الشواهد الآتية تُبين ذلك و توثّقه:

الأول يتعلق بالقياس الصوري عند السفاسطة ، إنهم اهتموا به كثيرا ، و تخصصوا فيه لأنه يتفق مع طريقتهم في ممارسة الخطابة و تعليم الناس القدرة على الكلام و التلاعب بالألفاظ ، و استخدام المغالطات لتحقيق أغراضهم. و لهذا كانت أكثر أقاويلهم أقيسة صورية الشكل ، لا تختلف عن صور قياس أرسطو[2] ، من ناحيتي السلب و الإيجاب . فهم قد سبقوا أرسطو في الاهتمام بالقياس الصوري ، لكن قياس أرسطو يُمثل جانبا من قياسهم ، بمعنى أن قياسه مُتضمن في قياسهم و ليس العكس ، و هذا ما سيتضح جليا فيما يأتي من عرضنا لمواقف أرسطو و ردنا عليه .

و الشاهد الثاني يخص القياس الصوري عند سقراط ، إنه اهتم بالمنهج الموصل إلى الحصول على الكليات التي تمثل المقدمات الكبرى في القياس الصوري ،و بدونها لا يُوجد

---

[1] ماجد فخري : أرسطو : المعلم الأول ، ص: ٢٩ .
[2] مصطفى النشار : نظرية العلم الأرسطية ، ص: ٥١ . و محمد فتحي عبد الله : الجدل بين أرسطو و كانط ، ص: ١٢٩ .

قياس صوري . فاهتم سقراط بتحديد الألفاظ ،و و تعريف المعاني ، و ممارسة الاستقراء ، للوصول إلى الكليات . و قد كان – في مناقشاته مع خصومه- يهدف ((دائما إلى التوصل للتعريف بالحد التام ، أي إلى التعريف الجامع المانع الذي يُمكن أن يُقام عليه العلم بالأشياء))[1] . فكان يجتهد ليصل إلى الحد الجامع المانع بالاستقراء ،و يركب القياس بالحد، و يُقسم الأشياء إلى أجناس و أنواع لكي لا يحدث خلط بينها[2] .

و الشاهد الثالث يتعلق بالقياس الصوري عند أفلاطون ، إنه اهتم كثيرا بالقياس الصوري ، و درّسه في مدرسته لأنه جزء من جدله . و كان يهتم بتحديد الألفاظ ،و تعريف المعاني ،و يُمارس الاستقراء طلبا للكلي[3] . و كان يقول: ((لا علم إلا بالكلي ، الذي يظل دائما في ذاته باقيا على ذاتيته))[4] . و بمعنى آخر فإن القياس الصوري عند أفلاطون يتمثل في الجدل النازل ، فهو نزول من كلي إلى جزئي ، و الذي يستكشف العلاقات بين الكلي و الجزئي ليُؤلفها في أحكام . بمعنى أنه يُرتبها في أجناس و أنواع ، يتم ذلك بقسمة الجنس بخاصيات نوعية تنضاف إليه ، و ذكر لها شروطا و قواعد ،و يجب أن تكون-أي القسمة- تامة ، فيُستخرج من ((الجنس نوعين ، أو ثلاثة ، و من كل منها ضعفين أو ثلاثة ، حتى ننتهي إلى البسائط)). و هذا القياس عنده مُكمل ((للجدل الصاعد- الاستقرائي- ،و هو آمن و أكفل باستيعاب الأقسام جميعا))[5] .

واضح من ذلك أن وصف أفلاطون للقياس الصوري بأنه آمن و أكفل يعني أنه كان يتكلم عن القياس الصوري اليقيني -لا الظني - الذي تكون مقدمتاه الكبرى و الصغرى صحيحتين . لأننا سنرى فيما بعد أن أرسطو يدعي أن قياسه الصوري يقيني ،و قياس غيره ظني ، بما فيه قياس أفلاطون .

---

[1] ماهر عبد القادر محمد علي : المنطق و مناهج البحث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص: ٣١ .
[2] يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٦٦ ، ٦٧ .
[3] فؤاد الأهواني : المدارس الفلسفية ، ص: ٣٩ . و مصطفى النشار : تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، ص: ١٣٢ .
[4] مصطفى النشار: نظرية المعرفة عند أرسطو ، ص: ٣٣ .
[5] يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٩٦ .

و أُشير هنا إلى أن أرسطو استخلص قياسه الصوري من القسمة الثنائية الأفلاطونية ، بإضافة الحد الأوسط ، بدعوى أن قياس أفلاطون قياس ضعيف ،و بناه على أساس فهمه هو للجدل[1]. فقياس أرسطو يُشبه جدل أفلاطون النازل ، لكن الاختلاف بينهم حسب الباحث محمد ثابت الفندي يتمثل في ((نقطة جوهرية هي التي جعلت أرسطو يعتبر الجدل الأفلاطوني الثنائي القسمة قياسا ضعيفا لخلوه من الحد الأوسط . ذلك الحد الذي يسمح في القياس الأرسطي بتداخل حلقة في حلقة أخرى ،و بذلك يُعطي علة ، أو سببا لإنتاج نتيجة القياس))[2] .

و أقول : لا أوافق المؤلف على ذلك ، لأن الحد الأوسط ليس حدا منفصلا ، و إنما هو يتمثل في العلاقة بين المقدمتين التي تكشف عنها نتيجة القياس ، و هي موجودة بالضرورة نفيا أو إثباتا في كل قياس. فلا يُمكن أن يوجد قياس دون حد أوسط . فإذا كانت المقدمة الثانية تندرج في الأولى -مع صحة الاثنين- فالحد صحيح ،و إلا ليس صحيحا . فهذا الحد هو موجود بالضرورة في كل قياس صوري سواء السفسطائي منه أو الأفلاطوني ، أو الأرسطي . فالحد الأوسط موجود في كل قياس صوري ،و لا يصح ما زعمه أرسطو كأساس للتميز به . فالأمر الذي ركز عليه أرسطو ليس جديدا ، و لا خاصا بقياسه ، بل قياسه كله مأخوذ من الجدل اليوناني الذي هو منطقهم قبل أن يتميز أرسطو بقياسه الصوري الذي ركز فيه على جانب واحد منه فقط ، عندما يكون فيه الحد الأوسط صحيحا. بمعنى آخر يكون القياس صحيحا باندراج المقدمة الثانية في الأولى. علماً بأن أفلاطون قد تكلم عن العلاقات بين المقدمتين ،و أشار إلى الجانب اليقيني من قياسه الصوري الكلي ،و هذا ذكرناه في الفقرة السابقة و لفتنا الانتباه إليه ردا على أرسطو . و لا ننسى أيضا بأن أي قياس إلا و يُنتظر منه النتيجة ، و هي الحد الثاني في القياس الأحادي المقدمة ، و الحد الأوسط في الثنائي المقدمة ، و هكذا .

---

[1] محمد وادفل : خُصوصيات الجدل الرواقي ، ص: ٨٠ . و إميل برهيية : تاريخ الفلسفة : الفلسفة اليونانية ، ترجمة جورج طرابيشي ، ط٢ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ج ١ ص: ٢٢١ .
[2] محمد ثابت الفندي: أصول المنطق الرياضي ، ط١ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص: ٧٠ .

و أما بالنسب إلى الضعف الذي أشار إليه أرسطو ، فهو ليس خاصا بقياس أفلاطون ،و إنما هو أحد الاحتمالين اللذين يحتملهما أي قياس حسب صدق القياس من عدمه . و هذا يشمل قياس أرسطو أيضا، و لا يصح القول بأن قياسه الصوري يختلف عن أقيسة غيره في هذه النقطة.

و الشاهد الأخير – الرابع- يتضمن نصوصا من أقوال أرسطو تشهد بذاتها على أن القياس الكلي كان معروفا و محل نقاش بين أهل العلم قبل أرسطو و في زمانه ، و ليس هو أمرا جديدا جاء به أرسطو ،و لا هو خاصا به . من ذلك قوله : ((إلا أنه متى دعت الحاجة إلى تناول الكلي ، قالوا : و كذلك يجري الأمر في جميع ما هذه سبيله)) . و ((فأما الذين يُعاندون الأمر الكلي ،و لا يجعلون عنادهم في الحجة بعينها ، بل فيما هو مُشارك لها في الاسم ...)) . و ((ذاك أنهم يحتجون أن الصحة لما كانت في الجودة أقل كثيرا من جودة الهيئة))[1] .

و ثانيا إن ذلك الحكم- من النموذج الأول- هو حكم مبالغ فيه جدا ،و لا يصح تخصيصه بالقياس الصوري فقط دون غيره من أنواع الأقيسة . كما أنه لا ينطبق دائما على القياس الصوري من جهة ،و يتضمن جهلا كبيرا بحقيقة منهج البحث و الاستدلال العلمي من جهة أخرى . لأنه يُمكن الوصول إلى اليقين العلمي من دون استخدام القياس الصوري ، فيمكن تحقيقه بقياس جزئي على جزئي كقولنا: سقوط المطر يستلزم وجود السحاب . أو بقياس الأولى كقولنا : الإنسان الآلي آلة عظيمة ، فمن الأولى أن يكون صانعه أعظم منه ، أو بقياس استقرائي كقولنا :بما أنه ثبت بالاختبار أن هؤلاء الطلاب يُتقنون الفيزياء ، فهم إذن يعرفون الرياضيات جيدا .

و لا يصح القول بأن قياسه الصوري يقيني المقدمات و النتائج على خلاف الأقيسة الأخرى . فهذا قول لا يصح تعميمه ، لأن صحة أي قياس لا تقوم على شكله الصوري

[1] أرسطو : منطق أرسطو ، حققه عبد الرحمن بدوي ، ص: ٧٣٤ و ما بعدها .

الذي يتم به ،و إنما تقوم على صحة مادته المكونة له ،و سلامة تطبيقه . فإذا تم ذلك فكل قياس تكون مقدماته و نتائجه يقينية ،و العكس صحيح . و مثال ذلك –على عدم صحة قياس الشمول مع سلامة شكله الظاهري– قولنا: كل الطيور لها ريش في أجنحتها ،و الخفاش طائر ، فهو إذن له ريش في جناحيه . فهذا قياس غير صحيح ، لأن الخفاش طائر له جلد في جناحيه و ليس له ريش ، لكن القياس كان صحيحا من الناحية الصورية : مقدمتان : كبرى و صغرى ، و نتيجة ، و ثلاثة حدود : أكبر ، و أصغر ، و أوسط .

و ثالثا إن أرسطو إما أنه لا يعي ما يقول ، أو أنه يتعمد ذكر ذلك لغاية في نفسه ، مع علمه بعدم صحته بالطريقة التي ذكره بها. و تفصيل ذلك هو أن هذا الرجل أهمل أصل العلم و ركله بعيدا ، و تمسك بنتيجته و جعلها أصلا ضروريا لا علم بدونها . فهو يتكلم عن النتيجة اليقينية التي يستخرجها من القياس الصوري – المقدمتان الكبرى و الصغرى– و ينسى أو يتناسى أنه لا مقدمة كبرى ،و لا مقدمة صغرى ، و لا بحث علمي دون قياس جزئي . فالبحث الجزئي– بتعدد أنواعه– هو الذي تقوم عليه كل العلوم ، فبه نبحث و نكتشف ، و به نصل إلى الحقائق و القوانين و الكليات ،و به نستثمر و نوظف ما وصلنا إليه من علوم لصالح الإنسان . و به نطوّر العلوم و نثريها ، و نستخرج منها علوما أخرى . فهذا الرجل أمره غريب جدا ، فلو أخذنا برأيه لتوقفت العلوم تقريبا ، و ما تقدمت إلا قيلا . فالرجل تمسك بحكاية الكلي و نتيجته اليقينية ،و زعم أن هذا هو الذي يُقوم عليه العلم و به يتطوّر !!. و هذا زعم باطل مردود عليه.

فهب أننا أخذنا برأيه ، فمن أين نحصل على الكلي و هو لا يُوجد في الطبيعة بشكله الكلي ، و إنما هو كذلك في الأذهان لا في الأعيان ؟؟ ، فلابد إذن أن نبحث عنه بالأقيسة الجزئية . و بما أن العلوم لا تقوم على كلي واحد ،و إنما تقوم على كليات كثيرة حسب كل علم ،و بما أن هذه الكليات ليس لها وجود كلي في الواقع ، و إنما لها وجود جزئي ، و بما أننا لا نستطيع الوصول إليها إلا البحث الجزئي لا الكلي ، فهذا كله يستلزم ضرورة أن يكون القياس الجزئي أصلا أصيلا واحدا لكل العلوم دون منازع ، و لا يمكن أن يُساويه القياس الصوري– الشمولي– بأي حال من الأحوال ، لأن وجوده في العلم هو جزء منه و

ثمرة له ، فليس للقياس الصوري استقلالية ذاتية ، فهو تابع للجزئي وجودا و عدما و تفعيلا .

و فرضاً أننا حصلنا على كلي من الكليات ، فماذا نفعل به وحده ؟؟!! . إنه لا يكفي وحده ، و لا يقدر على أن يُعطينا كليات جديدة . و لا يستطيع أن يقدم لنا كل ما نحتاجه عن عناصره التي يتضمنها ،و لا عن العناصر الأخرى التي لا يتضمنها . و لا يستطيع أن يأتينا بنتيجة جديدة لا يتضمنها و لا نعرفها ، فهو عقيم و ليس ولاداً ، و إنما يقوم بعملية تصديق للعنصر الذي يتضمنه لا غير . فماذا نفعل ؟ ، و ما هو الحل ؟؟!!. و هل العلوم تقوم على القياس الصوري كما زعم أرسطو ، أو أنها تقوم على الأقيسة الجزئية ؟؟ . الجواب واضح مما قدمناه ، فلا علم ،و لا كليات دون البحث العلمي القائم على القياس الجزئي بكل أنواعه ، فهو المحرك و المبدع ، و المطوّر و المكتشف لحقائق العلوم و كلياتها .

و رابعا إن المتدبر في القياس الصوري بحدوده الثلاثة ،و بمثاله المشهور : كل إنسان فانٍ ،و أرسطو إنسان ، فهو فانٍ . يتبين له أن المقدمة الأولى– الكبرى – وصلنا إليها بالقياس الجزئي الاستقرائي ، فبه تبين لنا في الواقع أن كل إنسان فان ، فلم نر إنسانا خالدا ، و بذلك أصدرنا حكمنا الذي تضمنته المقدمة الكبرى ، و بدونه لن نصل إليها ، فهو الذي أوجدها ،و هي تابعة له و ليس العكس.

و المقدمة الصغرى– الثانية– هي مقدمة جزئية ، بها فعّلنا المقدمة الكبرى ، فحصلنا على النتيجة التي هي بدورها نتيجة جزئية . و عليه فإن القياس الجزئي أوجد المقدمة الكبرى ،و هو الذي مثل المقدمة الصغرى ،و هو الذي فعّل العلاقة بين المقدمتين ،و أوجد النتيجة . فالقياس الجزئي هو أصل القياس الصوري وجودا و عدما و تفعيلا .

و نحن لا ننكر بأن الكليات تُستخدم في العلوم كقوانين و كليات من جهة ، و قد نستخرج منها نتائج يقينية من جهة أخرى . لكن هذا قائم أساسا على البحث الجزئي كما سبق أن بيناه ، و ليس منفصلا عنه ،و لا هو الذي أوجده . و حتى عندما نستخدمها فهي البحث العلمي فهي تُستخدم كجزئية ضمن البحث العلمي القائم على الأقيسة الجزئية للوصول إلى نتائج علمية أخرى الجزئية منها و الكلية . فهذه الكليات هي من نتائج البحث

الجزئي ،و تبقى تُستخدم ككليات جزئية من جهة ،و ضمن البحث العلمي الجزئي من جهة أخرى ، فلا بحث علمي دون الأقيسة الجزئية . و هذا الذي نسيه أرسطو أو تناساه .

و النموذج الثاني يتعلق بتفضيل أرسطو للقياس الكلي على الجزئي ، إنه فاضل بين البرهانين الجزئي و الكلي فانتهى إلى تفضيل الكلي على الجزئي . بدعوى أن الكلي يبحث عن العلة ((لِمَ هو ؟)) ، لكن الجزئي يبحث عن الحالة و الكيفية ، و من يبحث عن العلة فهو أفضل برهنة . ثم قال : ((فالأشياء الكلية إذاً هي في باب ما هي مُبرهنة أكثر. و الأشياء التي هي مُبرهنة أكثر برهانا أكثر . و إذا كانت المضافات معا تكون أكثر . فالكلية إذاً أكثر من قِبل أنها برهان هو أكثر)) . و قال أيضا : إن الكلي ((هو معقول ،و أما الجزئي فيؤول أمره على الحِس)) . ثم قال : إننا نحس بالجزئي إحساسا ، أما الكلي فهو يتعلق بمعانٍ لا تتجزأ توجد في أذهاننا ،و هي الكلية . و مثال ذلك انتقالنا من هذا الحيوان إلى الحيوان))[1] .

و أقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه، و فيه تغليط و تدليس . لأنه أولا لا تصح المقارنة بين القياسين الجزئي و الكلي من حيث الأصل ، لأن ، الأول- الجزئي- هو أصل كل علم و برهان ،و كل موجود ، فلا يُوجد شيء حقيقي في الواقع اسمه كلي ،و إنما كل موجود هو جزئي بذاته . و عليه فإن القياس الجزئي- بأنواعه- هو مصدر كل البراهين يُقدمها لنا جزئية أولا ، ثم نحن الذين نحولها بعد ذلك إلى كليات نظرية في الأذهان لا في الأعيان . و بهذا تكون الكليات هي من نتائج الأقيسة الجزئية ، و ليس العكس ، و من ثم لا تصح المقارنة بينهما تفضيلا و لا تقديما ، و يجب إرجاع الفرع إلى أصله ، و لا يُقطع عنه ،و لا يُفضل عليه .

علماً بأن أي تفضيل للكلي ، أو أي انتقاد له يعود أصلا إلى القياس الجزئي . و بما انه قياس نسبي يحتمل الصدق و الكذب، و الخطأ و الصواب ، حسب مادته و طريقة تطبيقه ، فإن هذا نفسه ينطبق على فرعه الذي هو القياس الكلي. بمعنى أنه هو أيضا نسبي تحتمل

[1] أرسطو : منطق أرسطو ، ص: ٤٠٤، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩ ، ١١٠ ، ٤٨٤ .

نتائجه الخطأ و الصواب ، و الصدق و الكذب ،و لا يصح تخصيصه باليقين دون غيره من أنواع القياس الجزئي .

و لا ننسى بأنه كما أن قولنا بوجود قياس أو برهان كلي هو أمر اعتباري في أذهاننا لا وجود حقيقي له في الواقع من جهة ، فهو أيضا في ذاته ليس كليا ، و إنما هو جزئي بذاته و بالنسبة لغيره من جهة أخرى . فالكليات التي حصلنا عليها ، توصلنا إليه بالجزئي ،و هي بذاتها جزئي ، و تعطينا نتائج جزئية ، و هي في مجموعها ذوات جزئية كل منها يُمثل جزءا بذاته .

و ثانيا إنه ليس صحيحا أن البرهان الكلي أكثر قوة و برهانا لقوة عِليته ، خلاف البرهان الجزئي الضعيف الذي يهتم بالأحوال و الكيفيات. فهذا تدليس و تغليط ، لأن كل حوادث الطبيعة مبنية على العلية ، بغض النظر عن طبيعتها و شكلها . فهذه حقيقة عقلية واقعية علمية ، تشمل كل مظاهر الكون ،و عِللها كثيرة متنوعة ،و لا يصح التفضيل بينها ، فهي كلها عِلل ، فلماذا نفاضل بينها ،و على أي أساس ؟؟!! .

و بناء على ذلك فأن كل أنواع القياس تقوم على العِلل بغض النظر عن موضوعها ، فقد تكون هذه العلية تتعلق بالحالات ، و أخرى بالكميات ،و أخرى بالكيفيات ، و أخرى بالصفات و غيرها من أنواع العلل . و هذا التنوع ينطبق أيضا على القياس الكلي أيضا ، فقد نجد كلية تتعلق بالشكل ، و أخرى تتعلق بصفة من الصفات . و العِلة التي تكوّن منها الكلي هي في أصلها علة جزئية كوّنها البرهان الجزئي ، ثم نحن نفعّلها و نوظّفها بعلة جزئية ، لنصل إلى نتيجة جزئية بنفس العلة . و مثال ذلك قولنا : كل المعادن تتمدد بالحرارة ،و النحاس معدن ، فهو يتمدد بالحرارة. فهذا القياس الكلي تضمنت مقدمته الكبرى صفة المعدن ،و التمدد ، و الحرارة ،و هي صفات جزئية توصلنا إليها بالتجربة الجزئية للمعادن التي جربناها . و تضمنت مقدمته الصغرى صفة المعدن و نوع منه ، و هي قياس

تمثيل جزئي ، و على أساس هذا التمثيل – الذي هو علة أيضا- توصلنا إلى نتيجة جزئية هي أن النحاس يتمدد بالحرارة .

فواضح من هذا أننا انطلقنا من صفة جزئية هي العلة ، فتوصلنا إلى كلية هي و صفاتها جزئية ، ثم أعطتنا نتيجة جزئية من ذاتها ، ثم عممناها على معدن جزئي آخر على أساس قياس التمثيل بصفة المعدن و التمدد و الحرارة ، فكانت هذه الصفات الجزئية هي علة القياس الجزئي.

و ثالثا إنه لا يصح القول بأن البرهان الكلي- قياس الشمول- أقوى من البرهان الجزئي ، فالقول به هو خطأ منهجي فادحٍ فاحشٍ . لأن كل أنواع القياس- منها الكلي- نتائجها نسبية ، فيمكن أن تكون يقينية ،و يُمكن أن تكون ظنية من جهة . و قوة البرهان تُستمد أساسا من مادته و صحة استخدام قياسه ، و لا تُستمد من مجرد نوعه و شكله من جهة أخرى . و لتوضيح ذلك أكثر أذكر ثلاثة أمثلة : الأول مفاده أنه إذا كنتُ أنا في بيت مُغلق النوافذ و أردتُ أن أعرف أَطلع النهار أم لا ؟ ، سأفتح النافذة و أرى بعيني ، فإذا كان قد طلع أكون قد رأيت النهار رؤية مباشرة يقينية ، و أكون قد عرفت ذلك بإدراك مباشر لا شك فيه دون مقدمة وسيطة .

و المثال الثاني مفاده أنه إذا كنتُ أنا في بيت مُحكم الغلق ببابه و نوافذه ،و أردت أن أتأكد هل أنا في الليل ، أو في النهار ؟ ، فلا بد لي من واسطة غير مباشرة لمعرفة ذلك معرفة يقينية . منها عليَّ أن أسعى لأعرف الوقت ، فإذا عرفته بالساعة مثلا و تأكدتُ أنها تُشير إلى الساعة ٢٤ ، فهذا يعني بالضرورة أننا في منتصف الليل و إذا وجدتها تشير إلى الساعة ١٢ ، فهذا يعني بالضرورة أننا في منتصف النهار . فهنا قد وصلت إلى نتيجتين يقينيتين كل نتيجة بمقدمة واحدة فقط .

و المثال الأخير – الثالث – يتضمن قياسا شموليا ، مفاده : كل المعادن تتمدد بالحرارة ،و مادة الزنك معدن ، فهو يتمدد بالحرارة . هذه نتيجة صحيحة ، لكن فيها ضعف بالمقارنة

إلى النموذجين السابقين من جهتين : الأولى أن النموذج الثالث احتجنا فيه إلى مقدمتين لكي وصلنا إلى نتيجته ، لأن الأول عرفنا نتيجته بإدراك مباشر دون أية واسطة . و الثاني وصلنا إلى نتيجته بمقدمة واحدة بسيطة غير مركبة . و هذا يعني أن النموذج الثالث فيه تطويل وضعف من جهة قوته . و الجهة الثانية مفادها أن النموذج الثالث مقدمته الأولى غير تامة اليقين ، لأنها لا تقوم على استقراء تام لكل المعادن ، لأننا غير مُتأكدين بأننا تعرّفنا على كل معادن العالم ، من المحتمل أنه توجد معادن لا نعرفها من جهة ، و قد توجد معادن لا تتمدد بالحرارة من جهة أخرى . كما أن مقدمة الكلي الكبرى هي مقدمة مركبة و ليست بسيطة كمقدمة النموذج الثاني ،و هذا يُضعفها و يجعلها عرضة للخطأ ،و يُضعف صحتها و يقينيتها من حيث إمكانية أن لا تكون صحيحة بسبب تركيبها . كما أن إلحاق المقدمة الثانية بها ، و استنتاج النتيجة منهما تتطلب جهدا و تدقيقا لضمان صحة العملية . و بما أن هذه العملية غير مضمونة الصواب و عرضة للخطأ ، فهذا يعني أن القياس الصوري فيه نقص و ضعف من جهة مقدمته الثانية و النتيجة . و بما أن هذا الأمر هو نفسه وجدناه في المقدمة الكبرى ، فهذا يعني أن القياس الصوري كله فيه ضعف ذاتي ، يحول دون أن تكون نتائجه صحيحة و يقينية دائما من جهة ،و لا تجعله أقوى و لا أدق و لا أهم و لا أولى من الأقيسة الأخرى من جهة ثانية . و لهذا توسع فيه السفاسطة لأنه- بتركيبه و ضعفه الداخلي- ساعدهم كثيرا في مغالطاتهم و تدليساتهم ، كأن يقول أحدهم : كل عين تُبصر ،و للماء عين ، فالماء يُبصر . فهذا قياس صوري صحيح شكلا و باطل مضمونا .

و بذلك يتبن أن القياس الصوري- الشمولي — حسب النموذج الثالث- أقل قوة و برهانا من النموذجين الأول و الثاني ،و هذا خلاف ما زعمه أرسطو ، الذي عظّم القياس الصوري ، و قزّم القياس الجزئي . لكن الذي نريد أن نؤكد عليه هنا هو أن يقينية النتائج لا ترتبط بالضرورة بنوع قياسها و إنما ترتبط أساسا بمادتها و صحة استخدام قياسها . و هذا الذي نسيه أرسطو أو تناساها لغاية في نفسه .

و رابعا إن قوله بأن البرهان الكلي هو معقول ،و أن الجزئي فيؤول أمره إلى الحِس ، فهو غير صحيح ، و فيه تغليط و تدليس على القراء . لأن كل ما يتوصل إليه الإنسان من نتائج

من داخله و من محيطه و العالم كله ، و سواء كانت نتائج جزئية أو كليه ، فكل ذلك يصبح أمرا نظريا مجردا معقولا من جهة ،و ينتهي بالضرورة إلى الحِس من جهة أخرى . و هذه حقيقة ثابتة عقلا و واقعا و علما ، رغم انف أرسطو الذي ثبُت لدينا أنه كثير التدليس و السفسطة عندما يُقرر أمورا مُخالفة للواقع الملموس ،و قد ذكرنا على ذلك أمثلة كثيرة جدا فيما مضى من فصول هذا الكتاب.

و نسي أرسطو أو تناسى أن البرهان الكلي أصله من الواقع المادي وصلنا إليه بالقياس الجزئي ، كما وصلنا إلى النتائج الجزئية الأخرى . فلماذا تصبح الكلية معقولة لا تؤول إلى الحِس ،و تصبح الجزئية معقولة لكنها تؤول إلى الجزئي ؟؟!! . هذا الرجل يفرض علينا رغباته و خلفياته المذهبية ، كما فرضها علينا في الإلهيات و الطبيعيات ، من دون أي دليل صحيح . فهو مُتمسك بمنهجه الذاتي التسلطي يستخدمه عندما يحتاج إليه ، حتى و إن خالف العقل الصريح، و العلم الصحيح . و هذا منهج باطل مرفوض مردود عليه ، ليس من البحث العلمي الموضوعي في شيء . و نحن لا نترك حقائق العقل و العلم و نتابع أرسطو في أوهامه و رغباته و تحكماته ، فهي فوقه و فوق جميع الناس .

و خامسا إن الكلي الذي في أذهاننا ليس له في الواقع وجود كلي ،و إنما له وجود جزئي تُقابله فكرة كلية في الذهن متضمنة للجزئي من جهة. كما أن الجزئي في الواقع تقابله أيضا فكرة معنوية في الذهن تُعبر عنه من جهة أخرى . فالأصل الصحيح هنا هو للجزئي الذي هو جزئي في الأعيان و الأذهان ، لكن الكلي ليس له أصل كلي صحيح يُقابله في الواقع ، و هذا يعني بالضرورة أنه-أي الكلي- تابع للجزئي لا أنه هو المتبوع .

و ليس صحيحا أن الكلي لا يتجزأ في أذهاننا ، فهذا كلام فيه تغليط ، لأننا عندما نتصور فكرة الحيوان بمعناها الواسع ، فإننا نُجزئها أيضا ، فنميز بين الكائنات المائية و نتصور أهم خصائصها ،و الكائنات البرمائية و نستحضر أهم مميزاتها . و نفرّق بين البرية الزاحفة و غير الزاحفة و نتصور أهم خصائصها ، و بين الطيور الطائرة و غير الطائرة و نستحضر أهم

صفاتها ، و بين الحيوانات المجترة و غير المجترة ، و هكذا . و هذا الأمر ينطبق حتى على الحيوان الواحد عندما نُفرّق بين ذكوره و إناثه ، لكنه يتوقف عند الحيوان الواحد كذكر أو أنثى كالنعجة مثلا . و هذا أمر لا تتميز به الفكرة الكلية ، فهي يُمكن تفكيكها لإرجاعها إلى أصلها ، و من ثم تفقد كليتها . فكل نتيجة جزئية في دماغنا هي أمر معقول مُستنتج من الواقع ، هي بذاتها تمثل فكرة كلية خاصة بحيوان واحد ،و هي أيضا فكرة كلية تمثل جنسا من أجناس الحيوان . فكل ما في دماغنا هو معقول جزئي من جهة ،و كلي من جهة ثانية ،و الوجهان يُمثلان جزئية واحدة من جهة ثالثة .

و النموذج الثالث مفاده أن القياس الصوري عند أرسطو هو قياس تام ليس ناقصا ، و يرى أن ((كل برهان ،و كل قياس يتقدم ابتداء من ثلاثة حدود فقط . و هذا بّين بذاته ، فمن الواضح أن النتيجة القياسية تنتج من مقدمتين ،و ليس أكثر من ذلك . لأن الحدود الثلاثة تُؤلف مقدمتين إذا لم نفترض مقدمة جديدة)) . و هذه الحدود هي : حد أكبر يتمثل في المقدمة الكبرى . و حد أصغر يتمثل في المقدمة الصغرى . و حد أوسط يتمثل في العلاقة بين المقدمتين و ما ينتج عنهما[1] .

و أقول : ليس صحيحا أن النتيجة البرهانية أو القياسية لا تنتج إلا بمقدمتين ،و ليس أكثر من ذلك . فهذا حكم كلي غير صحيح ، و الصواب هو أننا قد نحصل على نتيجة برهانية صحيحة بمقدمة واحدة ، أو اثنين ، أو ثلاث ، أو أكثر من ذلك ، و نفس الأمر ينطبق على عدد الحدود ، لأنها تابعة لعدد المقدمات . و يمكن ذكر أمثلة لإثبات ذلك ، منها أمثلة تُعطينا نتائج يقينية- و ليس نتيجة فقط- من مقدمة واحدة ، كقولنا : إن غروب الشمس نهائيا يستلزم دخول صلاة المغرب ، و ذهاب ضوء النهار ، و مجيء الليل . و قولنا : ظهور الشمس صباحا يستلزم انتهاء وقت صلاة الفجر ،و ذهاب الليل ،و مجيء النهار . و قولنا : سقوط المطر الكثيف نهارا يستلزم وجود السحاب في السماء و رؤيته ، و اختفاء ضوء الشمس ، و تبليل الأرض .

[1] ماهر عبد القادر علي : المنطق و مناهج البحث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص: ١٧ ، ١٨ .

و منها أيضا مثال يتطلب أكثر من مقدمتين ، يتعلق بعملية بيع قطعة أرض بطريقة صحيحة يمتلكها خمسة أشخاص . هذه العملية لن تتم إلا بتوفر ست مقدمات تتمثل في : رضا المالك الأول ، و المالك الثاني ، و المالك الثالث ، و المالك الرابع ، و المالك الخامس ،و رضا المشتري الذي يمثل المقدمة السادسة .

و مثال آخر أيضا ، يتعلق بنتيجة فوز أحد المرشحين في انتخابات رئاسية تمت بطريقة صحيحة نزيهة . فهي نتيجة واحدة صحيحة ، لكنها تتطلب آلاف أو ملايين المقدمات لتحقيقها واقعيا على مستوى التنظيم ،و الأمن ، و التصويت .

و مثل هذه النماذج من النتائج الصحيحة المتعددة المقدمات و الحدود –أكثر من اثنين– توجد بكثرة في مجال قوانين القضاء و العمل و الترقية، لأنها مبنية على عدة قوانين و تشريعات مُعدلة و مُتممة ، يستخدمها المختصون في الوصول إلى النتائج الصحيحة . فتجد أحدهم لا يصل إلى نتيجة نهائية إلا بعد أن يذكر عدة مقدمات بقوله مثلا : و بمقتضى الأمر رقم كذا ، و بمقتضى المرسوم الرئاسي رقم كذا ، و بمقتضى المرسوم التنفيذي رقم ، و بمقتضى المرسوم المعدل رقم ، و بناء على المقرر رقم ، و بناء على المستخرج رقم ، و بناء على القرار رقم ، ثم يقول : يُقرر أن فلان ... .

علماً بأن هناك قضايا و حوادث كثيرة معقدة لا يمكن الوصول فيها إلى نتائج صحيحة يقينية إلا بتوفر عشرات من المقدمات الشائكة و المتداخلة . كما أنه توجد نتائج كثيرة لا تتحقق في الواقع يقينا إلا بتوفر أكثر من مقدمتين ، فإذا تحققت استلزم هذا تحقق مقدماتها كلها . من ذلك إذا وصل محصول زراعي ما إلى سوق الجملة مثلا ، فهذا يستلزم توفر مقدمات ضرورية ، منها وجود الفلاح ، و توفر البذور ، و تهيئة الأرض ، و القيام بعملة البذر ، و العناية بالمحصول ،و قطف الثمار ، ثم نقل المحصول إلى السوق.

و من ذلك أيضا أنه إذا قام إنسان ما بالصلاة الإسلامية بصدق و إخلاص ، فهذا يستلزم توفر أربع مقدمات ضرورية ، هي: الإيمان بدين الإسلام ، الطهارة من الحدث الأكبر ، و صبغ الوضوء ، و القيام بأركان الصلاة . فهذه النتيجة الصحيحة لا تتم إلا إذا توفرت مقدماتها الأربع من جهة ، و إذا توفرت مقدماتها تحققت النتيجة في الواقع من جهة أخرى.

و النموذج الرابع يتعلق بغلو أرسطو في قياسه الصوري ، و ذلك أنه عندما أشار إلى اختلاف أهل العلم حول كيفية حصول العلم بالبرهان ، و ذكر رأيا يقول : إن العلم بالبرهان فقط . عقّب على ذلك بقوله : ((و أما نحن فنقول : إن ليس كل علم فهو برهانا ، لكن العلم من غير توسط هو غير مُبرهن)) . و نص أيضا على أن ((العلم يكون على طريق الكلي ،و بأشياء ضرورية))[1] .

و أقول: أولا إن قوله هذا فيه حق و باطل من جهة ،و فيه غلو و خطأ فاحش من جهة أخرى . و تفصيل ذلك هو أنه لا علم دون برهان صحيح ، و لا برهان صحيح دون علم . لكن طريق البرهان ليس واحدا ، فطرقه الصحيحة الموصلة إليه ليست محصورة في القياس الصوري ،و لا في غيره من الأقيسة ،و إنما هي متعددة شريطة أن تكون طرقا صحيحة . منها البرهان القائم على البديهة العقلية و الوجدانية التي يحسها الإنسان من داخله ، فالإنسان يحصل على معلومات و حقائق من ذاته تحمل بنفسها برهان صدقها ؛ و كل إنسان يحس بها ،و ليست خاصة بإنسان دون آخر . منها معرفتنا باستحالة اجتماع النقيضين في نفس الزمان و المكان ،و أن لكل مخلوق خالق ، و منها إحساسنا بالجوع و الشبع ، و العطش و الارتواء .

و منها البرهان القائم على المعرفة المباشرة لمظاهر الطبيعة بواسطة الحواس ، كإدراكنا للشمس و الليل ،و التراب ،و القمر . فرؤيتنا المباشرة لمظاهر الطبيعة هي برهان قطعي لا شك فيه.

---

[1] أرسطو : منطق أرسطو ، ص: ٣٣٨ ، ٣٥١، ٤٢٢ .

و منها البرهان الذي يحتاج إلى وسيط فأكثر لنصل إليه و نتأكد منه ، فقد نحتاج إلى مقدمة واحدة كوسيط يوصلنا إلى البرهان الصحيح ، و قد نحتاج إلى مقدمتين أو إلى أربع ، أو إلى أكثر من ذلك[1] . و إذا كانت هذه المقدمات الوسيطة- مهما تعددت- صحيحة و تمت بطريقة سليمة فإنها توصل إلى العلم ،و تُعد برهانا .

و ثانيا لا يصح قوله : ((إن ليس كل علم فهو برهانا)) ، لأنه إذا ثبت أمر ما أنه علم صحيح – بغض النظر عن طريقة تحصيله- فهو برهان قطعا ،و ليس فيه ما هو برهان و غير برهان . لأنه لو لم يكن برهانا ما كان علما ،و بما أنه علم فهو برهان قطعا. و سبب ذلك هو أن العلم يعني الحقيقة ، و الحقيقة برهان بذاتها . لأنها لم تصبح كذلك إلا بعدما قام الدليل على صدقها ، فأصبت بذلك برهانا بنفسها .

و أما قوله : ((لكن العلم من غير توسط هو غير مُبرهن)) ، فواضح منه أنه حصر العلم المبرهن في الذي نحصل عليه من طريق القياس الصوري الأرسطي الذي يتم بالحد الأكبر و الأصغر و الأوسط الذي يتوسطهما ،و نفى عن العلم الذي لا يتم بذلك أن يكون علما مُبرهنا. و هذا زعم باطل بلا شك ، لأن بما أنه لا علم دون برهان كما سبق أن بيناه ، فإن كل علم هو مُبرهن بالضرورة ، و إن اختلفت طرق و درجة برهنته . و القياس الصوري الذي فضله أرسطو ، سبق أن بينا أنه كغيره من الأقيسة يحتمل الخطأ و الصواب ،و الصدق و الكذب . فهو نسبي كغيره من الأقيسة الأخرى ، و هناك أقيسة قد تكون أقوى منه بكثير ، كما في حالات الأقيسة الجزئية المباشرة ،و التامة[2] .

و ثالثا إنه ليس صحيحا أن العلم يكون بطرق الكلي ،و إنما الصحيح أن العلم اليقيني يمكن أن يحصل بكل أنواع القياس و الإدراكات المتنوعة ، منها القياس الكلي إذا تم بطريقة صحيحة ،و إلا لا نحصل على أي علم منه . لكن يجب أن لا يغيب عنا أن القياس الكلي ليس هو الأصل في العلم ، لأن أصل العلم هو القياس الجزئي ، و لولاه ما تحصلنا على

[1] ذكرنا في هذا المبحث أمثلة على ذلك فلا نعيدها هنا .
[2] سبق أن توسعنا في ذلك ، فلا نعيده هنا .

القياس الكلي. و بما أننا تحصلنا على العلم الكلي بالعلم الجزئي ، فهذا يعني أن العلم حصل بالجزئي أولا ، و هو الذي أوجد الكلي ثانيا ، و أن العلم الجزئي لا يتوقف الحصول عليه على معرفة الكلي ، لكن معرفة الكلي تتطلب أولا وجود و معرفة العلم الجزئي .

و النموذج الخامس يتعلق بالفرق بين القياس الصوري الأرسطي و القياس الصوري السفسطائي ، و مفاده أن أرسطو فرّق بين قياسه الصوري- الشمولي- الذي هو عنده برهاني يقيني، و بين القياس الصوري السفسطائي فوصفه بأنه قياس تبكيتي تضليلي يتضمن مناقضة النتيجة ، يستخدمه السفاسطة لأسباب كثيرة ، كالمفاخرة ، لذلك كان مذهبهم ((حكمة مُخايلة ببرهان مُخايل)) ،و حكمة مظنونة قياسها فاسد . و هو خلاف القياس الحقيقي-الصوري- الذي يتولد من مقدمات بالضرورة . ثم وصف أقيسة السفاسطة بأنها ((مُضلات و ليست تبكيتات))[1] .

و أقول : إن قوله هذا فيه تغليط و تحامل كبير على قياس السفاسطة ، و تجاهل لجانبه الصحيح . لأنه أولا لا فرق بين القياس الصوري الأرسطي و الصوري الُسفسطائي من الناحية الشكلية ، فكلاهما يتكون من مقدمتين و نتيجة ، و يحتمل الخطأ و الصواب حسب مادته و طريقة تطبيقه . و عليه فلا يصح إبعاد قياس السفاسطة من القياس الصوري . و بما أنهم-أي السفاسطة –كانوا يعدون الجدل منطقا شاملا لمنهج البحث و الاستدلال ، و قد تخصصوا فيه و مارسوه بكثرة[2] ، فهم بالضرورة قد برعوا في كل أنواع الأقيسة ، منها القياس الصوري الذي ذكره أرسطو باسم قياس التبكيت. و التبكيت لغة يعني الغلبة بالحجة[3] ، فهي غلبة دامغة داحضة مُسكتة للخصم .

و ثانيا إن أرسطو وجه انتقاده للقياس الصوري السفسطائي من جهتين : الأولى تخص القياس نفسه بأنه مناقض للنتيجة ، فهو قياس غير حقيقي كقياسه الأرسطي المتولد من

---

[1] أرسطو : منطق أرسطو ، ص: ٧٧٨ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ .
[2] عن ذلك أنظر ما كتبناه عن الجدل من هذا المبحث .
[3] علي بن هادية : القاموس الجديد للطلاب ، ط ٧ ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٩١ ، ص: ١٥٥ .

مقدمات بالضرورة . و هذا انتقاد غير صحيح على إطلاقه ،و ليس لازما ، و هو انتقاد ذاتي أكثر مما هو موضوعي . لأن قياسهم مثل قياسه إذا صحت المقدمتان و الاستنتاج كانت النتيجة يقينية بالضرورة في القياسين ، و إلا ليست كذلك . و لا يُوجد أي مانع يمنعهم من أن يجعلوا لقياسهم الصوري مقدمتين صحيحتين ، فتكون له نتيجة صحيحة يقينية . و لماذا يكون قياسهم فاسدا مناقضا للنتيجة و لا يكون قياسه مثل قياسهم ؟ و لماذا قياسهم ظني دائما ،و قياسه قطعي دوما ؟؟!! . و بناء على ذلك فلا يصح نقد أرسطو الموجه لقياسهم ، فهو نقد ذاتي احتكر اليقين لنفسه و سلبه عن مخالفيه من دون أي دليل صحيح من العقل و لا من العلم .

و الجهة الثانية تتعلق بنية السفاسطة في استخدامهم لقياسهم الصوري ، فواضح من كلام أرسطو أنه اتهمهم في نواياهم ، بدعوى أنهم يُريدون من قياسهم تحقيق مصالحهم الدنيوية باستخدام الأقيسة الفاسدة و المتناقضة حتى أنه سماها مُضلات و حكمة مظنونة مُخايلة. و هذا أيضا انتقاد لا يصح أن يكون دليلا على عدم صحة قياسهم من جهة ، و يُمكن توجيه نفس النقد لأرسطو و اتهامه في نيته كما اتهمهم هو من جهة أخرى . و أليس في السفاسطة من كان صادقا طالبا للحق ، ألا يُوجد فيهم من كان طالبا لذلك ؟ ، و هل أرسطو فقط هو الطالب للحقيقة ؟؟!! . و ألم نُقم الأدلة الدامغة على أن أرسطو كان يتعمد الكلام بلا علم ، و أنه اتخذ مواقف خاطئة حِفاظا على مصالحه الدنيوية على حساب حقائق العقل و العلم[1] ؟؟!!.

و تفصيل ذلك هو أن النية لا تجعل بالضرورة قياسهم خاطئا ،و قياسه صحيحا . لأن الأمر يتعلق أساسا بالمادة التي يحملها القياس و طريقة تطبيقه . فقد تكون نية السفسطائي سيئة لكن قياسه الصوري صحيح ، لأن مصلحته تطلبت منه أن يستخدمه بطريقة صحيحة . و قد تكون نيته حسنة لكن قياسه الصوري غير صحيح ، لأنه أخطأ في تطبيقه . و قد يُوجد في السفاسطة من كان يطلب الحق لسبب أو لآخر ، فهل هذا يعني أن قياسه الصوري غير صحيح أيضا ؟؟!! . لذا لا يصح أبدا الحكم على مذهب السفاسطة بأنه حكمة

[1] سبق أن ذكرنا من ذلك أمثلة كثير في مواقفه المتعلقة بالطبيعيات ،و في موقفه من الرق و الأسكندر المقدوني .

مظنونة ببرهان مُخايل . فهذا كلام غير علمي و لا يصح قوله . لأن كلام هؤلاء ككلام غيرهم يحتمل الخطأ و الصواب ، صوابه صحيح ،و خطؤه غير صحيح . و الذي أُريد قوله هنا : هو أن أرسطو أخطأ عندما أصدر حكما عاما على قياس السفاسطة بأنه فاسد و مناقض للنتيجة خلاف قياسه الصوري الذي زعم أنه يقيني دوما . فهذا لا يصح قوله حتى مع اتهام السفاسطة في نواياهم ، فما بالك بالنسبة للموضوعيين الصادقين منهم ، فهل قياسهم كقياس المتهمين منهم ؟؟ !! .

و ثالثا إن الراجح عندي أن أرسطو– في انتقاده للقياس الصوري السفسطائي– كان يسعى إلى تحقيق مكسب ذاتي مذهبي ، يتمثل في الاستحواذ على هذا القياس ليصبح تابعا له معروفا به ، و كأنه هو مكتشفه و مُنظره . و هذا قد تحقق له فعلا ، فأصبح المنطق الصوري تابعا له ،و يُسمى أيضا بالأرسطي . و الدليل على صحة موقفي هذا يتمثل في الشواهد الآتية : أولها إن أرسطو أصدر حكما عاما على قياس السفاسطة الصوري بأنه فاسد مناقض للنتيجة ،و هذا مع أنه حكم غير صحيح ، أراد منه أرسطو إقصاء قياسهم كلية و إدانته و إعدامه .

و الشاهد الثاني مفاده أن السفاسطة كانوا يسمون قياسهم تبكيتا ، بمعنى أنه قياس يقيني قطعي دامغ ، و هذه صفة مدح لا ذم من جهة ،و أنهم كانوا يطلبون منه الحقيقة من جهة أخرى . فجاء أرسطو و اتهمهم في نواياهم كلهم ، و طعن قي قياساتهم التبكيتية و قزّمها ، حتى أنه وصفها بأنها((مُضلات و ليست تبكيتات)) . فهذا يعني أنه كان يحس بأن عبارة : التبكيت هي مدح لقياسهم من جهة و تُشير إلى أنهم يطلبون به أيضا اليقين و الحقيقة من جهة أخرى . و هذا لم يُعجبه ، لأن اليقين — حسب زعمه– خاص بقياسه الصوري فقط ، فأدى به هذا إلى الطعن فيهم و في قياسهم !! .

و الشاهد الأخير– الثالث– مفاده أن أرسطو طَبّق مع السفاسطة — لاستحواذه على القياس الصوري– نفس الطريقة التي طبقها مع القياس الصوري الأفلاطوني . فمن الثابت أن

أفلاطون ركز كثيرا على القياس الصوري ضمن ما يُعرف بالقسمة الأفلاطونية[1] ، فجاء أرسطو و أخذه منه و تظاهر بأنه أضاف إليه أمرا هاما ميز قياسه عن قياس شيخه ، هو الحد الأوسط ، مع أن هذا الحد ليس كشفا جديدا ، و إنما كان معروفا مُتمثلا في نتيجة المقدمتين . و حتى إذا جعلناه كذلك فهو لا يُقدم و لا يُؤخر في عملية القياس ، فهي تتم سواء أضفناه من الناحية اللفظية أم لم نضفه ، فإذا كانت العلاقة صحيحة تحصلنا على نتيجة صحيحة ،و يحدث العكس إذا لم تكن العلاقة صحيحة ، فالحد الأوسط موجود في الحالتين بالضرورة سواء أشرنا إليه أم لم نشر إليه ، و سواء أهتمينا أم لم نهتم به . لكن أرسطو جعل فعله كشفا و مبررا ليستحوذ على القياس الصوري ،و سماه القياس البرهاني ، تمييزا له عن القياس الصوري السفسطائي و الأفلاطوني .

و من تلك النماذج يتبين أن أرسطو أخطأ أخطاء و انحرافات منهجية فاحشة تتعلق بموقفه من القياس الصوري الأرسطي و غلّوه فيه من جهة ، و تتعلق أيضا بموقفه من القياس الصوري عند السفاسطة و سقراط و أفلاطون من جهة أحرى . بيّنت الشواهد و القرائن على أنه اتخذ تلك المواقف لتحقيق مكسب مذهبي يُمكنه من الاستحواذ على القياس الصوري ،و إبعاد من سبقه إليه و نافسه فيه . و تبين منها أيضا أن أرسطو لم يكن موفقا في معظمها ، و قد تضمنت أكثر من ١٦ خطأً و انحرافا منهجيا .

رابعا : آراء و ردود حول عمل أرسطو في المنطق و أهميته:

نبدأ هذا المبحث أولا بذكر طائفة من آراء أهل العلم حول عمل أرسطو في المنطق و أهميته ، ثم نثني بطرح تساؤلات هادفة تتعلق بنفس الموضوع ، نجيب عليها بتركيز مختصر.

فبالنسبة للآراء فأولها لأرسطو ، إنه يرى أن منطقه الصوري هو آله ينبغي على الناظر أن يستخدمها في أي صنف من أصناف الوجود ليدرك الحق فيه . فهو ((الأداة الضرورية لكل بحث نظري، فواجب أن يتقدم البحث فيه سائر العلوم ، لأنه يبحث في شروط القياس

[1] أشرنا إليها في هذا المبحث .

الصحيح ،و في المعارف البرهانية التي يطلبها صاحب كل علم أصيل)) [1] . و جعل منطقه مدخلا للعلوم ، و أوجب تعلمه قبل الاقتراب من دراسة أي علم نظري [2] .

و أقول: أولا قوله هذا كلام غير علمي ،و هو من مجازفاته ، فالرجل لا ينسى مبالغاته و مجازفاته و التعمد في الغلو و إغفال حقائق التاريخ و الواقع و بديهيات العقول . و الحقيقة هي أن منطقه هذا لا نحتاج إليه في بداية طلب العلم ،و لا في وسطه ، و لا في نهايته . و تفصيل ذلك هو أنه لا يُوجد أي مبرر عقلي يجعل الأخذ بمنطقه أمرا ضروريا لازما ،و إنما قوله هذا هو زعم ،و الزعم ليس دليلا ،و لا يعجز عنه أحد . فأي إنسان يريد طلب أي علم لا يجد أي أمر يُلزمه بطلب منطق أرسطو أولا و لا آخرا ،و هذا مُجرب و مُشاهد لا يحتاج إلى دليل لإثباته .

و ثانيا إن ظهور العلوم لا يتوقف أبدا على معرفة منطق اليونان و لا على الأخذ بالمنطق الصوري . لأن الجانب النظري من منهج البحث و الاستدلال ليس ضروريا لظهور العلوم و تطوّرها ،و إنما يكفي فيها أولا الالتزام فيها بمناهجها العملية التي تتفق معها في الجانب التطبيقي.و التاريخ يشهد على ذلك ، فالعلوم ظهرت و تطورت في بلاد مصر و العراق ،و الهند و الصين و غيرها ، قبل أن تظهر الحضارة اليونانية ، ثم عندما ظهرت تطوّرت فيها العلوم قبل أن يظهر أرسطو و قبل أن يضع منطقه الصوري . فلا أهل العلم احتاجوا إلى منطقه ،و لا العلوم كانت مضطرة للرجوع إليه . و كلامنا هذا ثابت متواتر صحيح ،و يشهد به أيضا واقعنا المعاصر ، فالعلوم كلها مَزدهرة بمناهجها و تطبيقاتها و لا احتاجت أبدا إلى تعود إلى المنطق الصوري لكي تتعلم منه مناهج التفكير و البحث العلمي.

و ثالثا إن الجانب النظري الأساسي الضروري في البحث العلمي لا يتوقف على معرفة منطق اليونان ، و لا منطق أرسطو ، لأنه يعمل فينا فطريا طبيعيا . فعقلنا يُمارس كل أنواع القياس و التحليل و الاستنباط ، من دون أية حاجة منا بأن نتعلم المنطق الصوري المزعوم .

[1] ماجد فخري : أرسطو : المعلم الأول ، ص: ٢٣ .
[2] محمد فتحي عبد الله : الجدل بين أرسطو و كانط ، ص: ٨٣ .

بل إن الاشتغال به يضرنا كثيرا ، فيضيع أوقاتنا ،و يُكسر رؤوسنا ، و يُعيق تفكيرنا ، و يُذهب جهودنا سدى ، من أجل شيء لا طائل منه ،و إذا حصل لنا منه شيء قليل فيمكن الاستغناء عنه كلية ، لأنه يعمل فينا بطريقة فطرية .

و رابعا إن الرجل مُغالط في تعظيم قياسه و معارفه البرهانية المزعومة ،و قد سبق أن بينا أن الرجل أهمل الأقيسة الصحيحة ، و اهتم بقياس عقيم أخّر العلم أكثر مما قدمه ، و تلك المعارف البرهانية ليست من إنتاج قياسه الصوري ،و إنما هي من إنتاج الأقيسة الجزئية أساسا . بل هو نفسه ثمرة لها . فالرجل ترك الأصل و تمسك بالفرع ، ثم قلب الوضع بالمعكوس .

و خامسا لا أدري هل هذا الرجل يعي ما يقول أم لا ، أو أنه يتعمد قول ذلك لغاية في نفسه ؟؟!! . لأنه لا يصح القول بذلك الزعم لمخالفته للعقل و العلم معا . فلو تدبر في نفسه لعلم بطلان زعمه بالضرورة ، فهو قد تعلم علوما كثيرة قبل أن يتكلم في منطقه الصوري،و قبل أن يجعله ضروريا لكل العلوم . فكيف استطاع تحقيق ذلك قبل أن يظهر منطقه و يُدوّنه ، بل إن منطقه هذا جاء ثمرة لعلمه ،و ليس العكس في الأساس .

و سادسا إن قوله – بما فيه من غلو و تعميم و حتمية- يستلزم أنه لا علم دون منطقه الصوري . و هذه كلية باطلة ينقضها العقل و العلم و حال أرسطو نفسه ، و قد سبق بيان ذلك . كما أنه يستلزم أن الله تعالى خلق الإنسان و زوّده بكل القدرات ليعيش في هذه الأرض ، لكنه خلقه ناقص العقل لا يعرف مناهج التفكير و البحث و الاستدلال ، و تركه يتخبط في جهله قرونا من الزمن . فلما جاء أرسطو إلى الوجود اكتشف ذلك المنطق بجهله الذي خلقه الله عليه ، فعلّم به نفسه -مع أنه كان قد تعلم قبل اكتشافه – و دعا الناس إلى تعلّمه . فهو المعلم الذي خصه الله بذلك الكشف لينقذ البشرية من جهلها !! . و هذه النتائج كلها أباطيل و أوهام جرنا إليها زعمه السابق ، الذي هو جهل و غرور ،و تغليط و تدليس .

و الرأي الثاني مفاده أنه ربما يقول بعض أهل العلم: بما أن العلم بمنطق الاستدلال الجزئي و الكلي ضروري في العلم و عليه تقوم العلوم ؛ فإن هذا يتطلب منا معرفة المنطقيّن الصوري و التجريبي .

و أقول : يجب التفريق بين أمرين مهمين : الأول يتعلق بالجانب التنظيري ،و الثاني يتعلق بالجانب التطبيقي . و الثاني هو الضروري في العلم ، لأنه يتطلب استخدام المنهج المناسب لكل علم ، و هو يفرض منهجه بالقوة ،و من يُخالفه ينحرف بالضرورة عنه . و أما الأول فوجود العلوم لا يتوقف على العلم بذلك الجانب التنظيري . و لهذا ظهرت العلوم و تطورت و أنتجت تطبيقاتها في الواقع قبل أن يظهر منطق الاستدلال كعلم نظري ، مع أنه كان مُمارسا في الواقع بالضرورة . و إلى يومنا هذا كثير من العلماء التجريبيين يُمارسون مناهجهم التجريبية دون معرفة نظرية بمنطق استدلالها من جهة . و أن كثيرا من أهل العلم المهتمين بالمنطق و مناهج البحث و الاستدلال ، يُتقنون ذلك نظريا ، لكنهم يجهلونه عملياً من جهة أخرى . فالعلوم يجب أن تقوم على مناهجها مُمارسة ، لكن لا يتطلب قيامها المعرفة النظرية بمناهجها .

و الرأي الثالث مضمونه أنه ربما يقول بعض أهل العلم : إن حاجتنا إلى المنطق الصوري مثل حاجتنا إلى تعلم قواعد اللغة من نحو و صرف و إملاء ، فهو إذن ضروري لنا كضرورة تعلّمنا لقواعد اللغة . لذا يجب علينا تعلمه ،و لا يصح ذمه و هجره .

و أقول: هذا اعتراض لا يصح ، لأنه يجب أن نُناقش هذا الأمر على مستوين : الفطري ، و التعليمي . فبالنسبة للمستوى الفطري فإن الإنسان يتعلم ممارسة التفكير المنطقي الفطري و اكتساب اللغة منذ صغره بطريقة فطرية عفوية تفاعلية بين قدراته الطبيعة و وسطه الأسري و الاجتماعي . و هذا يشهد به الواقع فالطفل يصبح قادرا على ممارسة جانبا كبيرا من التفكير المنطقي الفطري ، و استخدام اللغة في الوقت الذي يلتحق فيه بالتعليم الرسمي . و هذا يعني أن الطفل يتعلم التفكير المنطقي الفطري و اللغة بالممارسة و ليس بالتعليم التلقيني المعروف . فهو إذن ليس في حاجة إلى تعلّم المنطق الصوري ،و لا إلى تعلّم قواعد أية لغة بالتعليم التلقيني .

و أما بالنسبة للمستوى التعليمي ، فيتعلق بتعليم الإنسان الكتابة و القراءة ليتمكن من تلقي مختلف العلوم . و في هذه المرحلة يدخل الطفل إلى المدرسة و هو قادر على التفكير و الكلام ، و ممارس لهما طبعا ، فماذا يحتاج إذاً ؟ ، إنه يحتاج إلى تعلّم الحروف و الأرقام و قواعد اللغة الأساسية لكي يستطيع أن يقرأ و يكتب ، لكنه ليس في حاجة أبدا إلى تعلم المنطق الصوري . لأن المنطق في هذه الحالة لا يحتاج إليه الطفل لكي يتعلم التفكير ، لأنه قد تعلّمه فطريا ،و لا لكي يتعلم الكلام ، لأنه قد تعلّمه سابقا ،و لا يحتاجه لتعلم القراءة و الكتابة ، لأنه لا يُعلّم القراءة و لا الكتابة . و إنما يكون في حاجة إلى تعلّم الحروف و قواعد اللغة ليستطيع قراءة المنطق الصوري و غيره من الفنون و العلوم .

و من ذلك يتبين أن المنطق الصوري لا يحتاج إليه الإنسان في أي مرحلة من مراحل حياته من جهة . في الوقت الذي يصبح في حاجة ماسة إلى تعلم قواعد اللغة لكي يستطيع أن يقرأ و يكتب ،و قد تبقى معه هذه الحاجة إلى آخر عمره بنسبة أخف ، لأنه يضطر أحيانا إلى أن يرجع إلى قواعد اللغة عندما ينساها ، أو تصادفه أمور لا يعرفها . لكنه لا يحتاج أبدا إلى أن يعود إلى المنطق الصوري لكي يتعلم التفكير ، فهو لم يرجع إليه في طفولته ، و لا يرجع إليه في باقي مراحل حياته . و لا يرجع إليه إلا من أراد الرجوع إليه من بعض الطلاب و أهل العلم للبحث و الاطلاع ، و ليس لتعلم التفكير الصحيح . و عليه فلا تصح المقارنة بينه و بين حاجتنا إلى تعلم قواعد اللغة . و من يقول بخلاف هذا فهو إما أنه لا يعي ما يقول ، و إما أنه يتعمد قول ذلك لغاية في نفسه .

و الرأي الرابع مفاده أن الباحث الأرسطي مصطفى النشار ذكر أن أرسطو استعان كثيرا بالمبادئ المنطقية الأفلاطونية في تأسيسه للمنطق كعلم دقيق[1] .

و أقول : وهذا لا يصح ، لأن أرسطو لم يُؤسس المنطق بالمعنى العام و لا الخاص، و إنما هو باعتراف الرجل استفاد بمن سبقه ، فجمع و كتب و ركز على جوانب من المنطق و لم

[1] مصطفى النشار : تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، دار قباء ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ج ٢ ص: ١٦٧ .

يُؤسسه أبدا . و قد سبق أن بينا أن المنطق الفطري واسع و معقد، و له طرق أستدلال كثيرة أهملها أرسطو و قزّمها ، كقياس التمثيل ،و قياس الاستقراء ، بل و أخطأ فيها أخطاء فاحشة من جهة . و ذكرنا أنه اهتم بالقياس الصوري و توسع فيه بعدما أخذه عن السفاسطة و سقراط و أفلاطون ،و أخطأ فيه أيضا أخطاء فادحة من جهة ثانية . و بينا أيضا أن المنطق اليوناني كان معروفا يُدرّس في المدارس قبل أرسطو و في زمانه من جهة ثالثة . و بما أن الأمر هكذا فلا يُمكن أن يكون أرسطو أسس المنطق كله كعلم دقيق كما زعم الباحث ،و لا هو الذي أسس المنطق الصوري .

كما أن قوله بالتأسيس لا ينسجم مع اعترافات أقر هو بها هو شخصيا، منها الشواهد الآتية : أولها إنه ذكر أن أرسطو اعترف بأن سقراط هو صاحب اكتشاف أهمية التعريف و فلسفة تحديد المفاهيم التي قام عليها الاستدلال الاستقرائي و التعريف الكلي . و الثاني مفاده أنه — أي الباحث مصطفى النشار– ذكر أن كلا من أفلاطون و أرسطو استكملا ذلك الاتجاه السقراطي و دعماه كل بطريقته الخاصة ، فأفلاطون دعمه بنظريته عن الوجود الحقيقي المفارق للمثال ، ،و أرسطو وضع في إطاره نظريته المنطقية التي تبدأ بالتعريف . و تكلم أفلاطون أيضا عن بعض المقولات العشر ، كالجوهر، و الكم ،و الكيف ، و الإضافة ،و الفعل و الانفعال[1] .

و الشاهد الثالث مفاده أن الباحث ذكر أن السفسطائي بروتاغوراس مهر في الخطابة و الجدل ،و الألفاظ و الأفعال ،و بذلك أسهم ((بنصيب كبير في وضع فن المنطق))[2] . و الشاهد الرابع مفاده أن النشار أشار إلى أن أفلاطون هو الذي ألهب حماسة أرسطو المنطقية ،و ألهمه كثيرا من المبادئ المنطقية التي ساعدته في تأسيس المنطق كعلم دقيق[3] .

---

[1] نفسه ، ج ٢ ص: ١٣٦ . و نظرية العلم الأرسطية ، ص: ٨٥ . و يُسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١٥٤ .

[2] مصطفى النشار : تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، دار قباء ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ج ٢ ص: ٤٣ .

[3] نفس المرجع ، ج ٢ ص: ١٦٧ .

و الشاهد الأخير – الخامس – مفاده أنه ذكر أن أعمال غورغياس و أفلاطون في الفكر و الوجود و اللغة تُمثل ((الأساس الذي استند عليه أرسطو في تأسيس منطق القضايا))[١].

فيتضح من تلك الشواهد أن الباحث مصطفى النشار نقض بأقواله هذه قوله السابق ، لأنه لا يُمكن أن يكون أرسطو مؤسسا للمنطق بما أنه اعتمد أساسا على الذين سبقوه جمعا و إتباعا ،و إلا ما فعل هؤلاء ؟؟! ،و أين أعمالهم و مساهماتهم؟؟ !! ، و أين النصيب الكبير الذي ساهم به بروتاغوراس في وضع فن المنطق ؟؟!! .

و الحقيقة هي أن أرسطو ساهم في تأسيس فن المنطق عامة و الصوري خاصة ، فعمله في خارج قياس الشمول– الصوري – تجميعي عادي لا يرقى إلى مستوى التأسيس بأي حال من الأحوال ،و لا يصح أن يُنسب إليه علم المنطق بالمعنى العام و لا بالمعنى الخاص . لكن من غرائب الأرسطيين – بسبب غلوهم في شيخهم – أنهم ينسون أن الفضل الأكبر في الغالب يرجع إلى البادئ و المكتشف الأول و ليس إلى المكمل و المطوّر ، فيتناسون هذه الحقائق و يقفزون عليها و يجعلون شيخهم أرسطو مؤسسا للمنطق الصوري ، بل للمنطق كله . و هذا نوع من التحريف المتعمد ، لا يصح القول به، و هو عمل مرفوض عقلا و علماً.

و الرأي الخامس يتعلق بمبدأ عدم التناقض ، و مفاده أن الباحث مصطفى النشار يرى إنه لا يُوجد منطق غير أرسطي ، فكل منطق هو أرسطي ، لأنه يقوم أساسا على مبدأ عدم التناقض ،و الثالث المرفوع [٢] .

و أقول: إن قوله هذا باطل جملة و تفصيلا ، و هو امتداد لما قام به أرسطو في سعيه للاستحواذ على المنطق اليوناني ،و نسبته إلى نفسه بغير حق . فسار تلامذته و المتأثرون به

---

[١] نفس المرجع ، ج ٢ ص: ٦٢ ، ٦٣ .
[٢] مصطفى النشار : نظرية العلم الأرسطية ، ص: ٧٨ .

على طريقته في القيام بنفس العمل ، و هو عمل لا يصح مخالف للعقل و العلم ،و يقوم على التحريف و التغليط و التدليس . و هم بذلك يرتكبون جريمة كبرى في حق العقل و العلم . لأنه أولا إن مبدأ عدم التناقض[1] ليس مبدأ أرسطيا ، و لا أفلاطونيا ،و لا سُفسطائيا ، و لا يونانيا ،و لا مصريا ،و صينيا ، و لا .. . و إنما هو مبدأ فطري في الإنسان من المبادئ الأساسية المكونة للعقل البشري . فهو طبيعي فطري يظهر فينا تدريجيا بتفاعل مكوناتنا العقلية الفطرية مع وسطنا الأسري و الاجتماعي ، فهو غريزة و قوة من غرائزنا و قوانا الفطرية التي تظهر فينا طبيعيا اجتماعيا ،و هو من بدائه عقولنا . و كل بني آدم يعرفون بان لهم عقلا من خصائصه القول بعدم اجتماع النقيضين في نفس الزمان و المكان ، فهو من بدائه عقولهم : إدراكا و ممارسة .

و لو سألنا إنسانا بدائيا يعيش في أدغال إفريقيا أو في غابات الأمازون و اختبرناه لوجدناه يُدرك مبدأ عدم اجتماع النقيضين . و لو سألنا عجوزا لم تسمع بمبدأ عدم التناقض و لا بأرسطو و لا بفلاسفة اليونان و اختبرناها لوجدناها تعرف معنى مبدأ عدم التناقض ،و لو قلنا لها: أنتِ معنا هنا، و غير موجودة معنا في نفس الوقت . لأنكرت ذلك بشدة و لربما نهرتنا و اتهمتنا بقلة العقل . و لو سألنا تلميذا قبل أن يقرأ عن أرسطو و مبدأ عدم التناقض لوجدناه يُدرك معنى عدم التناقض .

و لو لم يكن أهل العلم في الحضارات القديمة– قبل أرسطو و حضارة اليونان — يُدركون مبدأ عدم اجتماع النقيضين ، ما تمكنوا من إنشاء علوم كثيرة، كالحساب و الهندسة ،و الفلك و الطب . بل لو لم تكن البشرية– قبل حضارة اليونان — تدرك مبدأ عدم اجتماع النقيضين وعيا و ممارسة لما قامت للبشرية قائمة . لأنه لا يُمكن للإنسان أن يعيش على هذا الأرض دون إدراك لبدائه العقول و التزام بها ، منها مبدأ عدم التناقض. فالحياة الإنسانية لا تقوم على الخبز فقط ، و إنما تقوم أيضا على إدراك بدائه العقول و ممارسها .

---

[1] لا يهمنا هنا مبدأ الثالث المرفوع لأنه تابع لمبدأ عدم التناقض ، و كذلك مبدأ الهوية ، فالأصل هو مبدأ عدم التناقض .

و ثانيا ربما يعترض علينا بعض أهل العلم فيقول: لو كان الإنسان الأول يُدرك مبدأ عدم التناقض ما كان يُؤمن بالخرافات و الأوهام و المستحيلات .

و أقول: هذا اعتراض لا يصح ، لأن كل إنسان منا يُدرك ذلك ضمن إدراكه لبدائه العقول و تفاعله معها ، فهذا أمر ثابت لا يصح الشك فيه . لكن سبب إيمان الإنسان قديما و حديثا بكثير من الأساطير و المستحيلات ، هو ليس سببه عدم إدراكه لبدائع العقول و معرفته بها ، كمبدأ عدم التناقض ، و إنما هو يُدرك ذلك جيدا ، لكنه قد لا يلتزم به لأنه لا يريد الالتزام به إتباعا لأهوائه و مصالحه . و من المعروف أن الهوى يعمي صاحبه و يصمه . أو أنه قد يُخالفه بسبب أفكار و عقائد آمن بها ، توصله إلى القول بالمتناقضات ، فنجده يقول بها في مجال و ينكرها في مجال آخر . و مثال ذلك أن أرسطو نفسه كان يؤمن بالمتناقضات و الخرافات ، و قد ذكرنا على ذلك أمثلة في الإلهيات . و من ذلك أيضا ما كان يفعله سفاسطة اليونان قبل أرسطو ، فقد كان أكثرهم يتلاعبون بالمتناقضات العقلية ،و ينكرون مبدأ عدم التناقض طلبا لمصالحهم الدنيوية ، و سيأتي ذكر ذلك قريبا .

و منها أيضا أننا نجد النصراني عندما ينطلق من عقيدته التثليثية يعتقد أن الأب ، و الابن ، و روح القدس ، هم ثلاثة آلهة يمثلون إلهاً واحدا من جهة ، و هو إله واحد يمثل ثلاثة آلهة من جهة أخرى . فعنده واحد يُساوي ثلاثة ، و ثلاثة يُساوي واحد !!! . لكنه لو درّس التلاميذ الحساب في المدرسة ما قال لهم ذلك ، لأنه يُدرك أنه من المستحيل أن يكون ٠١ =٠٣ ، و لا ٠٣ = ٠١ .

و ثالثا إن الشواهد التاريخية اليونانية تُثبت أن أرسطو ليس هو أول من تكلم في مبدأ عدم التناقض و خاض في تفاصيله . فقد سبقه إلي ذلك كثير من أهل العلم اليونانيين . و قبل ذكر الشواهد على ذلك يجب أن لا يغيب عنا أنه كما أننا بينا أن مبدأ عدم التناقض هو مبدأ فطري في الإنسان ،و لا تصح نسبته لأي إنسان بأنه هو مُكتشفه. فإنه لا يصح أيضا نسبته إلى أي إنسان بأنه مؤسسه و صاحبه ، بدعوى أنه تكلم فيه ،و كتب حوله. لأن هذا المبدأ لم يكن مجهولا لدى الإنسان إدراكا ، و لا وعيا ،و لا ممارسة ،و من ثم فمن يكتب

بحوثا في مبدأ عدم التناقض ، فهو لم يكتشف مجهولا لكي يُنسب إليه . و هذه المسألة فصلنا فيها عندما بينا لماذا لا يصح نسبة المنطق الإنساني إلى أي عالم من العلماء ؟[1]

و أما الشواهد التاريخية التي أشرنا إليها ، فأولها يتعلق بدور السفاسطة في الاهتمام بمبدأ التناقض و عدمه ، و مفاده أن المتدبر في أعمال السفاسطة العملية و المكتوبة –التي وصلتنا– يجدهم أنهم قد اهتموا كثيرا بمدأ التناقض من عدمه ، على المستويين النظري و التطبيقي . و معروف أن كثيرا منهم اشتهر بالتغليط و المهارة في الكلام لتحقيق غايات و أغرض في أنفسهم . و هذا الأمر لن يتحقق لهم إلا باهتمامهم البالغ بالتناقض وجودا و عدما . و على الرغم من التشنيع الذي لحقهم من خُصومهم كسقراط و أفلاطون ، فقد كانوا مُعلمين مُربين ،و اهتموا أكثر بالمهارة العملية التي تقوم على التمكن من استخدام الرأي و الجدل[2] . و هذا يتطلب منهم أيضا الاهتمام بمبدأ التناقض .

و من مظاهر ذلك أنهم – أي السفاسطة– تخصصوا في الجدل و تفرّغوا له و حذقوه ،و استخدموه في استنباط الحجج و المغالطات ، فكانوا يُفاخرون بتأييد القول الواحد و نقيضه على سواء[3] . و ((لم يكن ليتم لهم غرضهم بغير النظر في الألفاظ و دلالاتها ،و القضايا و أنواعها ، و الحجج و شروطها ، و المغالطات و أساليبها))[4]. و معنى هذا أنهم كانوا يجمعون بين النقيضين مع إنكار الناس عليهم . و لهذا أُتُهموا بسوء النية و طلب الدنيا ، حتى قال فيهم أرسطو : ((أبدا يقولون خلاف ما يظهر من ضميرهم و ما خفي))[5] . فمبدأ التناقض كان من أُسس مذهبهم ، مارسوه تنظيرا و تطبيقا ، الأمر الذي جلب لهم خصومة عامة الناس و علمائهم ، كسقراط، و أفلاطون ، و أرسطو . و هذا يعني أن معارضة أرسطو للسفاسطة كانت معارضة عادية طبيعية ، قد سبقه إليها أناس كثيرون . و هي معارضة فطرية في الإنسان ، بأنه ينكر القول باجتماع النقيضين ،و يُشنع على من

[1] سيأتي ذلك قريبا .
[2] ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٥٤ ، و ما بعدها .
[3] يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٥٨ .
[4] يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٥٨ .
[5] أرسطو : منطق أرسطو ، ص: ٩٠٢ .

يقول به و يقاومه أيضا . فهي لا تحتاج إلى عبقرية ، و لا إلى قدرات خارقة ، و من يتصدى للرد على القائلين به، فهو في الحقيقة لم يكتشف شيئا ، و إنما تفرغ للكتابة في أمر بديهي معروف ، ليس كشفا و لا إبداعا . و عليه فإنه لا يصح نسبة ذلك المبدأ إليه أبدا بدعوى أنه كتب فيه و رد عليه و على أصحابه .

و من ذلك أيضا أنهم –أي السفاسطة– استخدموا الجدال وسيلة تُمكنهم من قول الشيء و نقيضه . فالشيء عندهم قد يكون موجودا و غير موجود ،و العلم الحقيقي هو الذي يُعبر عن الحقيقة المتناقضة ، و يُمكّنك من القول بالشيء و نقيضه حول نفس الموضوع ، و تكون صادقا في التعبير عن حقيقته . فالتغير و ((الصيرورة يجعلان الحقيقة نسبية متغيرة جزئية مُتأثرة بالأفراد ، مُختلفة باختلاف الناظرين إليها . و النقيضان يُوجدان معا باستمرار))[1] . و جعل السفسطائي بروتاغوراس الإنسان مقياس كل شيء ، على أساس قوله بنسبية الحقيقة و تغيرها ، حسب مبدأ منطق كل شخص ، لا حسب المنطق الطبيعي فينا[2] .

واضح من ذلك أن السفاسطة قالوا باجتماع النقيضين ليس بحجة العقل الصريح ،و لا العلم الصحيح ،و إنما قالوا ذلك على أساس من أهوائهم و مغالطاتهم ،و هذا هو نهج أهل الأهواء و الظنون في كل زمان و مكان . و هم يعرفون ذلك يقينا بدليل شهادة العقل الذي في رؤوسهم ، و بدليل سلوكياتهم عندما يكون الجمع بين المتناقضين ليس في صالحهم ، فلا يجمعون بينهما ، و عندما يعترفون هم بذلك كما حدث لأحد كبرائهم : غورغياس ، إنه تكلم في التناقض و أنكر أن يتصف الشيء بصفة و نقيضها ، و هذا مُحال عنده . و أنكر أن يكون الشيء الواحد في مكانين مختلفين في آن واحد ، فهذا مُستحيل.[3].

و من ذلك يتضح أن السفاسطة كانوا على علم تام بالتناقض جمعا و تفريقا ، و تكلموا فيه ،و ليس أرسطو هو الذي تكلم في مبدأ عدم التناقض فهو متأخر . علما أن المبدأ هو فطري في الإنسان ، لهذا أنكر الناس على السفاسطة قولهم به ، بل و أنكره عليهم

[1] حسين حرب : الفكر اليوناني قبل أفلاطون ، ص: ٩١ .
[2] عبد الرحمن بدوي : ربيع الفكر اليوناني ، ط٨ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص: ١٧١، ١٧٢ ، ١٧٣ .
[3] عبد الرحمن بدوي : ربيع الفكر اليوناني ، ص: ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ .

أيضا بعض كبرائهم. و عليه فلا يصح القول بأن أرسطو هو واضع ذلك المبدأ . فهذا تحريف و تغليط و تدليس على الناس . فالرجل وجده مهيأ ، فدونه و توسع فيه . و السفاسطة كانوا على معرفة تامة به ،و حرصوا على مخالفته لتحقيق أغراض لهم ،و ليس أنهم لا يعرفونه ، أو أنهم كانوا يُؤمنون بحدوثه في الواقع حقيقة .

و الشاهد الثاني يتعلق بأحد كبار السفاسطة، إنه زينون الإيلي (ق: ٥ ق م) : تخصص في الجدل و التناقضات ،و يُعد مخترع الجدل العقلي في تاريخ الفلسفة اليونانية لا العالمية . أقامه على البراعة المنطقية العقلية الخالصة ، فنقل بذلك البحث الفلسفي عند اليونان إلى مجال العقل الخالص[١] . و هو مشهور بمفارقاته الأربع المتعلقة بالحركة[٢] .

و الشاهد الأخير – الثالث – يتعلق بدور أفلاطون في الاهتمام بمبدأ عدم التناقض ، فهو يرى أن العلوم مرتبة من ((الأخص إلى الأعم حتى يصل إلى مبدأين أساسيين : مبدأ عدم التناقض ،و مبدأ العلية . الأول قانون الفكر بين نفسه لا يُقام عليه برهان و لا اعتراض . و العلية قانون التغيّر ،و هو على شكلين: مبدأ العلية الفاعلية ، و العلية الغائية))[٣] .

و بذلك يتبين أن السفاسطة و سقراط و أفلاطون اهتموا بمبدأ عم التناقض ،و سبقوا أرسطو في الاهتمام به ،و مهدوا له الطريق ،و هيئوا له مادته تنظيرا و ممارسة . و يُعد السفاسطة أول من أُشتهر من اليونانيين أنهم تخصصوا في التناقضات العقلية جمعها و تفريقا ،و كانوا على دراية كبيرة بذلك : تنظيرا و ممارسة . فسبقوا بذلك أرسطو فيما كتبه عن مبدأ عدم التناقض و تفوقوا عليه لأنهم تمهروا في مبدأي التناقض و عدم التناقض . فأنكر عليهم الناس و أهل العلم قولهم باجتماع النقيضين . فجاء أرسطو و وجد الأرضية مهيأة فأخذ جانبا من عملهم ، و مما انتقدهم به أهل العلم و ركّز عليه ، و اختص به و نسبه إلى نفسه بعد زيادات شكلية و انتقادات هامشية أضافها إلي مما أخذه عن هؤلاء . و هذه العملية

[١] مصطفى النشار : تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، ج ١ ص: ٢٠٢، ٢٠٦ ، ٢١١ .
[٢] الموسوعة العربية العالمية ، مادة زينون الإيلي .
[٣] يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٩٤ .

نفسها حدثت عندما أخذ عنهم القياس الصوري ،و استحوذ عليه بدعوى أن قياسهم ظني و قياسه برهاني !!. فالرجل أخذ عنهم أساسيات منطقه المزعوم !! .

و الرأي السادس مفاده أن الباحث ماجد فخري يرى أن المنطق الصوري ((يكاد يكون من وضع أرسطو بحذافيره)) . فبينما بنى فلسفته الطبيعية و الإلهية على ما انتهى إليه الفلاسفة الذين سبقوه ، فإنه ((يكاد لا يكون له رائد في هذا الباب إذا استثنينا سقراط و أفلاطون اللذين نبّها إلى بعض أصول الحوار المنطقي ، كتحديد المفردات ،و أساليب التدليل ، و الإبطال بالقسمة و الخُلف التي تحفل بها المحاورات الأفلاطونية بالشواهد عليها. أما تصنيف مبادئ هذا العلم تصنيفا علميا واضحا فلم يُسبق أرسطو إليه أحد قط))[1] .

و أقول: إن قوله هذا فيه حق و باطل ، و فيه غلو و إغفال لحقائق كثيرة . لأنه أولا إن المنطق الصوري الذي نفخه و ضخمه أرسطو و أتباعه ، هو جزء صغير محدود الأهمية من المنطق الفطري في الإنسان الذي تقوم عليه كل عمليات البحث و الأقيسة و طرق الاستدلال الجزئية التي هي أصل العلم ،و عليها تقوم كل العلوم ، و من دونها لا مناهج بحث ،و لا علم و كليات .

و ثانيا إن الحقيقة الثابتة –التي كشفنا جانبا منها – هي أن أرسطو كما أنه أقام معظم إلهياته و طبيعياته على أعمال غيره من أهل العلم ، فإنه أقام أيضا ما كتبه عن المنطق عامة ، و الصوري خاصة أقامه على المنطق اليوناني – المعروف بالجدل – . و يمكن إرجاع أصول قياسه الصوري إلى من سبقه بسهولة ، و هذا أمر سبق أن أشرنا إليه و بينا الذين سبقوه في الكلام على التناقض، و القياس الصوري ،و على المقولات . مما يعني أن أرسطو توسع في ذلك ، فأخطأ أكثر مما أصاب في نظرته إلى القياس الصوري ،و مقارنته بالأقيسة الأخرى. و الحقيقة التي غابت عن الباحث ماجد فخري هي أن قياس أرسطو الصوري لم يأخذه فقط من سقراط و أفلاطون ، و إنما أخذه أيضا من السفاسطة ، فهم الذين برعوا فيه بشقيه الصحيح و الزائف ، و هم الذين نظّروا له و مارسوه بمختلف حالاته السلبية و الإيجابية .

---

[1] ماجد فخري: أرسطو : المعلم الأول ، ص: ٢٣ .

فجاء أرسطو و أخذ جانبا منه ، و نسبه إلى نفسه ، بعدما أضاف إليه أشياء ليست أساسية غالبا.

و ثالثا إن التصنيف في علم من العلوم ليس عملا أساسيا في العلم ، لأن العلوم وُجدت و مورست و دُرّست قبل أن تُدوّن كُتبها . و من يُصنفها لا يصح نسبتها إليه ،و إنما يكون قد شارك في خدمتها ،و ليس في نشأتها و لا في ابتكارها و تطويرها الحقيقي. و الراجح أن المنطق اليوناني كان مُدوّنا قبل أرسطو ، لكن مدوناته لم تصلنا كما هو معروف . و الشاهد على ذلك هو أنه سبق أن ذكرنا أخبارا نصت صراحة على أن المنطق اليوناني كان يُتعلّم ،و اهتم به السفاسطة كثيرا في تعليمه للناس من جهة ،و كان يُدرّس في بعض المدارس، كما هو الحال في أكاديمية أفلاطون ، الذي أهتم به ،و جعل تعلّمه ضروريا من جهة أخرى. و من يتتبع ردود أرسطو في كتبه المنطقية على مخالفيه يستنتج منها أن المنطق كان معروفا بمباحثه و مدوناته ،و كانت لأصحابه أقوال و مواقف كثيرا ما نقل بعضها أرسطو[1] . و هذا الاهتمام الكبير بالمنطق اليوناني قبل تدوين أرسطو له يتطلب التنظيم و التبويب و التدوين ، لتسهيل تدريسه و فهمه و ممارسته .

و أما تصنيفات أرسطو في المنطق فمن المعروف أن بعض أعماله المنطقية ، غير ثابتة النسبة إليه ، و أخرى مشكوك فيها ، فقد تكون من تأليف بعض تلامذته[2] . و هذا يعني أن أعماله المنطقية ليست كلها من تأليفه . و من جهة أخرى فأن المتدبر في مؤلفات أرسطو المنطقية ، ككتاب الشعر ، و الخطابة ، و الجدل ، و الأغاليط ، يجد قسما كبيرا منها هو جمع و نقل ، و تأريخ للمنطق ، أكثر مما هو إبداع و تصحيح ، و لهذا كثيرا ما وجدناه –في كتبه المنطقية– يرد على مخالفيه ،و يشتد في نقد بعضهم ،و ينقل أقوالهم و مواقفهم ، منها قوله: ((ما كان يفعل قانس في قياسه على أن النار هي بالتناسب ذات أضعاف كثيرة ، و ذلك أن النار تولدها سريع كما زعم ، و ما بالتناسب هو كبير الأضعاف قد تولد سريعا ...))[3] .

---

[1] أنظر مثلا : أرسطو : منطق أرسطو ، ص: ٣٦٧ .
[2] أرسطو : منطق أرسطو ، حققه عبد الرحمن بدوي ،ط ١ ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دار القلم ن بيروت ، ١٩٨٠ ، ص: ١١ .
[3] أرسطو : منطق أرسطو ، ص: ٣٦٧ .

و بناء على ذلك يُمكن القول : إن قسما كبيرا من المنطق الذي دوّنه أرسطو و ربما أكثره ليس من إبداعه ،و إنما وجده جاهزا يمثل المنطق اليوناني ، بعضه ربما وجده مدونا ،و بعضه الآخر غير مُدوّن ، و قسم منه ربما وجده مًنظما ، و بعضه وجده مُبعثرا .

و الرأي السابع مفاده أن الباحث ول ديورانت يري أن أهم ما أدخله أرسطو في الفلسفة هو مذهبه في القياس ، و هو كدليل مُكون من ثلاثة أجزاء: مقدمة كبرى ، و مقدمة صغرى ، و نتيجة ، و هي حقيقة مُسلم بها مُستنتجة من المقدمتين[1] .

و أقول : قوله هذا غير صحيح في معظمه ، لأن القياس الصوري ليس أرسطو هو الذي أدخله في المنطق و لا هو الذي اكتشفه، و لا هو الذي قسمه إلى ثلاثة أجزاء . و إنما هو قياس معروف يستخدمه الإنسان فطريا ضمن استخدامه لمختلف أنواع الأقيسة و الاستدلالات من جهة ،و قد اهتم به السفاسطة و سقراط أفلاطون ضمن اهتمامهم بعلم الجدل عامة و الرد على السفاسطة خاصة كما سبق أن بيناه من جهة أخرى . و الأمر الذي يُذكر أن أرسطو أدخله فيه ، هو في الحقيقة ليس جديدا ،و لا يصح نسبته إليه ، لأنه جاء إلى النتيجة و سماها الحد الأوسط ،و زعم أن قياسه الصوري يختلف عن القياس الصوري السُفسطائي و عن القياس الأفلاطوني المعروف بالقسمة الأفلاطونية . و هذا تغليط و تحريف ، لأن النتيجة كانت جزءا ثالثا و موجودة بالضرورة باسم النتيجة، و معروفة لدى الجميع ، لأنها هي المطلوبة من عملية القياس . فلا معنى لتسميتها بالحد الأوسط ثم الزعم بأن قياسه يختلف عن القياس الصوري لدى السفاسطة و أفلاطون . فقياسه لا يختلف عن قياس هؤلاء من ناحية شكله و مكوناته ، و الرأي الذي قال به ول ديورانت غير صحيح .

و الرأي الثامن مضمونه أن الباحث برتراند راسل يرى أنه ربما كان أشهر إسهام قدمه أرسطو للفكر المنهجي هو ((مؤلفاته في المنطق ، صحيح أن الكثير من هذه المؤلفات كانت

---

[1] ول ديورانت : قصة الفلسفة ، ص: ٨٠ .

مُستمدة من أفلاطون ،و لكن النظريات المنطقية كانت عند أفلاطون مُبعثرة بين مواد كثيرة ، على حين أصبحت عند أرسطو مركزة معروضة ...)) . و قال أيضا : و كان أفلاطون هو المصدر الذي استوحى منه أرسطو جانبا كبيرا من منطقه ، غير أن هذا لا ينقص من قدره شيئاً[1] .

و أقول: و قوله هذا صحيح لكنه ناقص ، صحيح لأنه أكد على أن أرسطو ساهم في علم المنطق و لم يُؤسسه و لا أبدعه ،و قد استمد كثيرا من مؤلفاته من أفلاطون . فهذا صحيح ، لكن الحقيقة أوسع من ذلك لأن المنطق عند اليونان لم يكن مُبعثرا ، و إنما كان قد أصبح فنا مُستقلا ساهم في تكوينه السفاسطة و سقراط و أفلاطون و غيرهم ، عُرف عندهم بالجدل ،و كانوا يتعلمونه كغيره من العلوم . فوجد أرسطو الأرضية مُهيأة بأساسياتها في الأصول و الفروع معا ، فجمع ذلك تدوينا و تعليقا ،و ركز على جانب منه ،و توسع فيه: نفخا و تضخيما ، تنظيرا و غلوا من جهة ؛ و أهمل الجانب الأساسي و الأهم من المنطق البشري من جهة ثانية ؛ و وقع في أخطاء و انحرافات منطقية كثيرة و فادحة من جهة ثالثة . و هذا العمل الذي قام به أرسطو هو في الحقيقة يُنقص من مكانته المزعومة ، و يضعه في مكانه الصحيح ،و هذا خلاف ما يدعيه الغلاة الذين رفعوا أرسطو فوق مكانته بما فعله في المنطق من ناحية ، و بما فعله هؤلاء حين أغفلوا عمل الذين سبقوه تقزيما لهم رفعا لشيخهم من ناحية أخرى .

الرأي الأخير — التاسع – مفاده أن الباحث ماهر عبد القادر محمد علي يرى أن أرسطو سُمي بالمعلم الأول و هذا حق ، لما قام به من عمل في المنطق الصوري خاصة نظرية القياس[2] .

و أقول: أولا لا يصح إطلاق اسم المعلم الأول على أرسطو ،و لا على غيره من فلاسفة اليونان ،و لا على غيرهم من علماء و مربي الأقوام الشعوب الأخرى . لأن أول من علّم الإنسان هو الله تعالى أولا ، لقوله سبحانه: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }– سورة البقرة:٣١–.

[1] برتراند راسل : حكمة الغرب ، ص: ج ١ ص: ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٧ .
[2] ماهر عبد القادر علي: المنطق و مناهج البحث ، ص: ٦٩ .

ثم تولى الوحي الإلهي تعليم الإنسان عن طريق الأنبياء ،و {عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ }-سورة العلق:٥- . كان أولهم آدم -عليه السلام- الذي علم أبنائه ما يحتاجون إليه من ضروريات الحياة . ثم واصل الأنبياء طريقه من بعده في تعليم الناس الدين و العلم و السلوك ،و سار على طريقتهم أيضا أهل العلم في حياتهم و من بعدهم . قال تعالى : {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى }- سورة طه:١٢٣- ، و {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }- سورة البقرة:٢١٣- ، و {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً }- سورة النساء١٦٥:- .

و الشاهد على ذلك أيضا أنه توجد شواهد من التاريخ القديم تشهد على ظهور حكماء عند السومريين و الصينيين و غيرهم علموا الناس الحكمة و العمران . و توجد إشارات توحي بأن هؤلاء الحكماء كانوا رُسلا ، أو مبعوثين ، و أو حكماء الإله سيدهم ، أو سيد الحكمة[١] .

و ثانيا إن عمل أرسطو في المنطق كان عاديا تماما ، غلب عليه الجمع و التدوين و التعليقات من جهة . و أفسده — تنظيرا و تطبيقا- أكثر مما أصلحه من جهة أخرى . و أخطأ فيه أخطاء جزئية و منهجية فاحشة فادحة تتعلق بكل أنواع القياس. و هو قد وجده جاهزا بأصوله الأساسية ، فأخذ منه جانبا و توسع فيه ،و نسبه إلى نفسه بغير حق ،و حَطّ فيه على مخالفيه تغليطا و تدليسا ، ذما و تقزيما في مواقف سجلها في كتبه المنطقية ، و قد ذكرنا طرفا منها . و عليه فإن عمل أرسطو في المنطق لا يُؤهله بأن يكون المعلم الأول فيه ، و لا في أي علم من العلوم .

---

[١] خزعل الماجدي : متون سومر ، ص: ٢٩٠ .

و إتماما لتلك الآراء و الردود أتساءل هنا بطرح بعض الأسئلة لها صلة مباشرة بما نحن فيه ، و أُجيب عليها بتركيز موجز .

الأول مفاده : لماذا اشتد أرسطو في انتقاد الجدل و أهله ، كالسفاسطة ، و سقراط ، و أفلاطون ؟ .

و أقول: بما أنه سبق أن بينا أن هؤلاء سبقوا أرسطو في الخوض في قضايا كثيرة من المنطق: تنظيرا و ممارسة . و بما أنه سبق أن بينا أيضا عمل أرسطو في المنطق ، يترجح عندي أنه فعل ذلك في موقفه من هؤلاء لتحقيق أمرين أساسيين: الأول ليُوهم الناس أن هؤلاء وقعوا في أخطاء كثيرة ،و صوابهم قليل ، و أنه هو الذي انتقدهم و أظهر أخطاءهم ، فالفضل يعود إليه قبل غيره . و الثاني لكي يتمكن من الاستحواذ على قسم من منطق هؤلاء- كمبدأ عدم التناقض ،و القياس الصوري- ، و ينسبه إلي نفسه . فالرجل قام بعملية سطو و استحواذ على قسم من ذلك المنطق .

و السؤال الثاني مضمونه : هل مؤلفات أرسطو المنطقية المعروفة هي حقا من أعماله العلمية ؟؟ .

و أقول : إنه كما تبين أن أرسطو لم يكن موضوعيا و لا نزيها في تناوله للمنطق من جهة تحامله على مخالفيه ،و تغييره لمعنى الجدل حسب مفهومه هو له ،و ليس حسب مفهومه المعروف بين أهل العلم . و أخذه أصول المنطق وأساسياته الفرعية عن غيره . فإن كل هذا — و غيره- يجعل الشك يحوم أيضا حول أعماله في المنطق . ففيما يخص كتبه المنطقية المشهورة ، فبعضها غير ثابت النسبة إليه ، و ما يزال الخلاف حولها قائما بين الباحثين . و قد ذكر الباحث عبد الرحمان بدوي أن كتاب المقولات وقع حوله خلاف بين الباحثين حول صحة نسبته إلى أرسطو بين مًصحح و نافٍ لها . و يرى هو أن فصوله الستة الأخيرة أغلب الظن أنها ليست من عمل أرسطو،و إنما هي من عمل أحد تلاميذه الأوائل[1] . و معنى ذلك أن أرسطو لم يكن وحده في ذلك العمل . و بناء على ذلك يبدو أن الأمر ربما

[1] أرسطو : منطق أرسطو ، حققه عبد الرحمن بدوي ،ط ١ ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دار القلم ن بيروت ، ١٩٨٠ ، ص: ١١ .

فيه أمور خفية مُبيتة . فلماذا لم تصلنا أعمال الأوائل المتعلقة بالجدل ؟ . و لماذا تصرّف أرسطو في معناه ؟ ،و لماذا بالغ هو في تقزيم عمل غيره و تعظيم عمله هو ؟ .و هل هذا العمل تم بأمره ، أو تلامذته هم الذين فعلوه ؟ . و لماذا نُسبت إليه أعمال ليست له ؟ . و لماذا حدث الغلو في عمل أرسطو المنطقي مع أنه كان عملا عاديا تماما ؟ . و ماذا يعني هذا ، فهل مارس أرسطو و تلامذته أو بعضهم عمليات سطو و طمس و مصادرات للاستحواذ على قسم كبير من الفكر اليوناني زمن أرسطو و بعده ؟؟ . نعم إنه بالنسبة إليَّ أنا شخصيا إن ذلك قد حدث فعلا بطريقة أو أخرى ،و الأدلة التي تُثبت ذلك كثيرة جدا ، هي مبثوثة في كتابنا هذا . و قد أشرنا إلى بعضها في الإلهيات و الطبيعيات و الإنسانيات ، عندما ذكرنا مرارا ما نقله أرسطو عن غيره صراحة ،و ما سكت عنه مع أنه ليس له ، و ما وجدناه من تشابه كبير بين كثير من أفكاره و أفكار الذين سبقوه .

و السؤال الأخير – الثالث – مفاده : هل يصح أن ننسب المنطق الصوري ، أو المنطق عامة إلى أرسطو كما فعل كثير من أهل العلم قديما و حديثا ، حتى أن أرسطو عُرف بصاحب المنطق ؟.

و أقول : أولا يجب أن لا يغيب عنا أن المنطق البشري بمعناه الفطري العملي هو قوة من قِوى الإنسان المعنوية التي لا يصح نسبتها إلى أحد . فنحن نحس به و نمارسه سواء عرفنا بعض خصائصه و آلياته أم لم نعرفها ، فهو يعمل فينا فطرياً . و عليه فإنه من الجريمة النكراء ، و الخطأ الفادح أن يُنسب هذا المنطق – الذي هو من أعظم النِعم الإلهية– إلى إنسان ، أو إلى شعب من الشعوب . و إنما يجب أن نفهم أن قولنا مثلا : المنطق اليوناني ، أو المنطق الصوري ، أو المنطق العربي ، أو المنطق الغربي ، المقصود منه ما كتبه هؤلاء عن المنطق ،و ما كانت لهم فيه من آراء و تفسيرات و اجتهادات تتعلق بالمنطق .

و أما إذا قال بعض الناس: لماذا لا ننسب المنطق إلى شخص، أو إلى شعب ، و نحن نرى كثيرا من الحقائق العلمية المكتشفة سُميت بأسماء مُكتشفيها ، مثل قناة فالوب الموجودة في الجهاز التناسلي للمرأة.

فأقول: إن ذلك لا يصح فيما يتعلق بالمنطق و لا يصدق عليه أيضا. لأن المنطق الإنساني يعرفه كل الناس قديما و حديثا ،و يُمارسونه فطريا سواء عرّفوا خصائصه و آلياته أم لم يعرفوها ، و لهذا كل الشعوب تُفرّق بين العاقل و المجنون ، و بين الغبي و الذكي ، و الفرق الأساسي بين هؤلاء هو سلامة المنطق .

و بناء على ذلك فلا يصح أن يأتي إنسان و يدعى أنه اكتشف المنطق الإنساني ، نعم قد تكون عنده آراء و اجتهادات تتعلق ببعض خصائصه ، لكن هذا لا يسمح له أبدا بأن يدعي أنه مُكتشف المنطق البشري . لأن ما جاء به هو رأي جزئي يتعلق بالمنطق المعروف عن الناس بذاته و كثير من خصائصه و ممارساته .

و أما ذلك المثال المتعلق بالمكتشفات العلمية ، فهو لا يصدق على المنطق ، لأن تلك الحقيقة العلمية هي جزئية كانت مجهولة لأهل العلم ، فلما اكتشفها بعضهم سُميت به . و هذا لا ينطبق على المنطق ، فهل إذا كتب أحدهم بحثا حول الشمس ننسبها إليه ، أو نوافقه إذا نسبها إليه بدعوى أنه كتب حولها مقالا ،و أو اكتشف بعض خصائصها ؟؟!! . و هل إذا أحدهم كتب بحثا حول الإنسان ، ننسبه إليه ، أو نوافقه إذا نسب الإنسان إلى نفسه . طبعا لا ، و ألف لا ، و هذا نفسه ينطبق على المنطق . و بناءً على ذلك فلا يصح أن ننسب المنطق الصوري إلى أرسطو ،و لا أن ننسب إليه المنطق اليوناني ، و لا أن ننسب إليه المنطق البشري . و إنما يجب أن ننسبه إلى الأفكار و الخصائص التي يتميز بها جانب من جوانبه ، كقولنا: المنطق التجريبي ،و لا ننسبه إلى الأشخاص ،و لا إلى الشعوب . و لهذا فقد أخطا من سمى أرسطو صاحب المنطق خطأً فاحشا .

و إنهاءً لهذا المبحث يتبين منه أن أرسطو وقع في أخطاء نظرية و منهجية كثيرة تتعلق بمواقفه من الاستقراء، و الجدل ،و القياس الصوري ، و القضايا المرتبطة بها. و قد ذكرنا على ذلك نماذج كثيرة أظهرت مدى جسامة انحرافه المنهجي، و فداحة كثير من أخطائه ،و سوء نيته و قلة موضوعيته في جانب كبير مما كتبه عن المنطق . و قد تضمنت تلك النماذج أكثر من ٣٨ خطأ و انحرافا منهجيا ، جنى بها أرسطو على نفسه و أتباعه ، و على العقل و العلم معا .

ب : من أخطاء أرسطو المتعلقة بالجانب التطبيقي من المنطق :

عندما مارس أرسطو منطق البحث و الاستدلال في المجال التطبيقي وقع في أخطاء و انحرافات منهجية كثيرة جدا ، منها ما يتعلق بالكليات التي توصل إليها . و منها ما يتعلق بالأقيسة التي استخدمها في استنتاجاته التي خرج بها . و منها ما يتعلق بعدم التزام أرسطو بشروط و أبجديات البحث العلمي : ممارسة و استدلالا . فما تفاصيل ذلك ؟ ، و ما هي الأسباب التي أوقعته في تلك الأخطاء و الانحرافات ؟ .

أولا: كليات تطبيقية خاطئة :

سبق أن أوردتُ في كتابي هذا نماذج كثيرة من الكليات الخاطئة التي استنتجها أرسطو من أبحاثه النظرية و التطبيقية ، و هنا سنذكر طائفة من كلياته ، بعضها سبق ذكره ،و بعضها الآخر لم يسبق ذكره . لكننا نركز عليها هنا من ناحية منطق الاستدلال و مدى انسجامها معه ، لا من جهة صحة المعلومات ، إلا بقدر ما يخدم الموضوع . و سنذكرها فيما يأتي من خلال ١٥ نموذجاً ، بحول الله تعالى .

الأول مفاده أرسطو ذكر أن أرحام جميع الحيوانات مُجزأة إلى جزأين أو قسمين مثل ((تجزؤ أنثى الذكورة بجزأين))[١] . و قوله هذا غير صحيح من الناحية العلمية ، و قد سق بيانه في الفصل الثاني . لكن الذي يهمنا هنا هو أن الرجل أصدر كلية تتعلق بأرحام جميع الحيوان ، يتطلب منه منطق البحث و الاستدلال ضرورة القيام باستقراء تام لجميع أرحام

[١] أرسطو : في كون الحيوان ، ص: ٦ .

الحيوانات لكي يستطيع إصدار هذه الكلية العامة الشاملة . لكنه لم يفعل ذلك بالتأكيد ، لأنه لا يُمكنه القيام بهذه التجربة التي ستشمل كل أرحام الحيوانات . و لأنه أخطأ في كليته ، فهي غير صحيحة قطعا . فلماذا سمح الرجل لنفسه أن يقول ذلك بلا تثبت ،و لا تجربة ؟! و على ماذا اعتمد في قوله بكليته ؟ .

واضح من كلامه أن أرسطو أهمل المعاينة و التجربة ،و قدّم عليهما التأمل النظري ،و هذا انحراف منهجي كبير جدا، و غير مقبول عقلا و لا علما . و اعتمد علي القياس النظري فيما قال به ، فاعتقد – بلا دليل صحيح- أن الرحم في أنثى الحيوان تقابله الخصيتان عند الذكر من جهة ، و بما أنهما مُجزأتان مُنفصلتان فكذلك رحم المرأة المقابل لهما مُجزأ مُقسم إلى قسمين من جهة أخرى . و هذا قياس غير صحيح ، كان عليه أن ينطلق من التجربة لا من القياس التأملي الظني ،و هذا خطأ منهجي فادح .

و من ذلك يتبين أن الرجل استخدم قياس التمثيل في غير محله ،و أخطأ في كليته التي قررها . و هي كلية لا تصلح لتكون مقدمة كبرى يُبنى عليها القياس الصوري الأرسطي ، لأنها ظنية و ليست يقينية . و أما لماذا هي ظنية و ليست كلية ؟ ! لأن أرسطو لم يلتزم بمنطق البحث و الاستدلال ، فتكلم بلا علم ،و لم يقم بالاستقراء الذي كان عليه أن يقوم به لكي يستطيع أن يُقرر كليته . فلا بالقياس الجزئي قام ، و لا إلى الكلية اليقينية و صل ،و لا تمكن من القيام بالقياس الصوري . لأنه أهمل الأساس الذي يُمكّنه من القيام بذلك.

و النموذج الثاني مفاده أن أرسطو ذكر أن ذكور الحيات ليس لها أنثيان و لا ذكر ، و الشاهد على ذلك أنه ((ليس لها ساقان ، و ليس لها أنثيان لحال طول أجسادها ، بل لها سبيل مثل سبيل السمك . و من أجل أن خلقتها من قِبل الطِباع مستطيلة ، لو كانت لها أنثيان لبرد الزرع لِحال إبطاء خروجه))[1] .

---

[1] أرسطو : في كون الحيوان ، ص: ١٠ .

و أقول : هذا الحكم الكلي غير صحيح من الناحية العلمية ، لأن الحقيقة هي أن لذكور الحيات خصيتان ، و لها عضوان ذكريان ، كل منهما يُسمى نصف القضيب ، و يقعان داخل الذيل ،و يبرزان إلى الخارج عبر فتحة الشرج . و أثناء التزاوج يلف الذكر ذيله تحت الأنثى مُدخلا أحد نصفي القضيب في مِذرقها[1] .

و أما من الناحية الاستدلالية فواضح أنه لم يجرب ،و لا قام باستقراء فيما قاله . لأنه لم يقل أنه جرّب ، و كليته الخاطئة شاهدة ضده . و هو قد صرّح بأنه اعتمد في تقرير كليته على قياسين ، هما : عدم وجود ساقين للحيات و هذا يعني-حسب زعمه- عدم وجود العضو الذكري ، الثاني هو طول الحية الذكر لا يتناسب مع وجود الخصيتين ، لأن ذلك يُؤدي إلى برودتهما . و هذان قياسان باطلان، و تعليلان فاسدان . لأنه لا يُوجد دليل يقول ، أو يُثبت بأن الحيوان الذي ليس له ساقان لا يكون له ذكر . فمن أين له هذا الحكم الذي هو أيضا من كلياته المزعومة ؟! . فهذا زعم باطل و مُخالف للحقيقة ، و كيف سمح لنفسه أن يتكلم بلا علم ؟ ! ، و كيف سمح لنفسه أن يُقدم تفسيراته النظرية الظنية التخمينية على التجربة و المعاينة ؟؟!!.

و من أين له أن طول جسم ذكر الحية هو السبب في عدم وجود خصيتين له ؟! . فهذا تفسير ظني لا يقوم على أساس علمي صحيح ، و مُخالف للحقيقة ، لأن الحقيقة هي أن ذكر الحية له أنثيان ،و لا دخل للطول في وجودهما من عدمهما، و الحية تحافظ على درجة جسمها حسب المناطق التي تعيش فيها ،و هي كافية للجسم كله بما فيه الخصية[2].فالرجل استخدم قياسا غير صحيح ، بناه على الظن لا على التجربة العلمية ، في موضع لا يصح فيه استخدام القياس الظني على حساب التثبت بالمعاينة و التجربة . و بما أنه أهمل التجربة و الاستقراء ، فقد أخطأ في كليته ، و لن يستطيع أن يستخدمها كمقدمة كلية لإنتاج القياس الصوري اليقيني .

---
[1] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الحية .
[2] أنظر مثلا : الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الحية .

و النموذج الثالث يتعلق بحرارة الجسم البشري ،و مفاده أن أرسطو ذكر أن الناحية اليسرى من جسم الإنسان أبرد من ناحيته اليمنى ، و هي أكثر برودة ((من سائر الحيوان))[1] .

و قوله هذا غير صحيح علميا ، لأن الثابت قطعا أن حرارة جسم الإنسان ثابتة في الأصل ، و تُقدر ب : ٣٧ درجة مئوية . لكن الذي يهمنا هنا هو أن أرسطو أخطأ في طريقة البحث و الاستدلال ، و عمم ملاحظته بلا تجربة و لا استقراء ، فأخطأ فيما قال به . فهو قرر أمرا مُخالفا لما يحسه كل إنسان من نفسه ، من أن جسمه له درجة حرارة واحدة في الظروف العادية من جهة ،و أن حرارة الناحية اليسرى من جسمه لا تختلف عن حرارة ناحيته اليمنى ، و أن اليسرى ليست باردة أصلا من جهة أخرى .

و عليه فهذا الرجل قد أنكر حقائق يحسها الإنسان من ذاته و يراها في غيره ، و قرر خلافها ليس لأن التجربة تُثبت زعمه ،و إنما فعل ذلك لالتزامات مذهبية يُؤمن بها ، مفادها أن الدماغ بارد ،و القلب حار ،و أن الدماغ هو الذي يُبرد القلب ، فيتأثر بذلك جسم الإنسان كله[2] . و بذلك يكون أرسطو قد داس على التجربة و الاستقراء ، و قدّم عليهما مذهبيته الزائفة .

و هو — في هذا النموذج– قد نَصّ على أمرين : الأول ناقشناه فيه، و الثاني زعمه بأن الناحية اليسرى من جسم الإنسان هي أكثر برودة من سائر الحيوان . و هذا تعميم بمثابة كلية ، تكلم فيه بلا علم و لا تجربة و لا استقراء صحيح . لأنه لا يصح أن يقوله إلا بعد أن يقوم بعملية استقرائية لحرارة أجسام كل الحيوانات ،و هذا لم يقم به ، و لا في استطاعته القيام به . فلماذا إذن سمح لنفسه أن يقُرر ذلك بلا تثبت ،و لا تجربة ؟؟!! . علما بأن الحقيقة هي أن حرارة أجسام الحيوانات ليست واحدة بالنسبة لبعضها ،و للإنسان أيضا . فمنها حيوانات حرارة أجسامها أكبر من حرارة جسم الإنسان ، و منها ما حرارتها قريبة من حرارته ، و منها ما هي أقل بكثير من حرارته[3] . فهذا الرجل أصدر كلية زائفة زعم أنها

[1] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٧٢ .
[2] سبق تناول ذلك في الفصل الثاني .
[3] أنظر مثلا : الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الحية ، و الحيوان ، و حيوان الدم الحار .

صحيحة ، من غير تثبت ، و لا معاينة ، و لا استقراء ، و هذا تصرف مرفوض منطقا و علما من جهة ، و هو نقض و هدم للمنطق الصوري الذي افتخر به من جهة أخرى .

و النموذج الرابع مفاده أن أرسطو نصّ على أن في ((قلوب الحيوان العظيم الجثة ثلاثة بطون ، و أما في قلب كل الحيوان الصغير الجثة فبطنان))[1].

و قوله هذا غير صحيح ، سبق أن بينا بطلانه من الناحية العلمية في الفصل الثاني ، و أثبتنا بأن الحيوانات الكبيرة منها ما لها أربعة بطون كالثدييات من البقر و الفيلة و غيرها ،و منها حيوانات صغيرة جدا كالطيور، قلوبها مُكونة من أربعة بطون أيضا ، و الضفدعة قلبها مُكوّن من ثلاثة تجاويف[2] . و نحن هنا يهمنا من مقولته الكُلية طريقة استدلاله العلمي فيما قال به . واضح من قوله أنه قرر كُليتين ، هما : الأولى نصت على أن قلب الحيوان الكبير الجثة يتكون من ثلاثة بطون . و الثانية نصت على أن قلب الحيوان الصغير الجثة يتكون من بطنين . و بما أنه قرر ذلك ، فهذا يستلزم منه أن يقوم باستقراء شامل تام للنوعين من الحيوانات لكي يستطيع أن يُقرر ذلك . و هذا بالتأكيد أنه لم يقم به قطعا ، لأنه لم يقل أنه قام بذلك ، و لأنه لن يستطيع القيام به ،لأنه ليس في مقدوره القيام به ، و لأنه أخطأ فيما قرره و قال به . فلماذا سمح لنفسه أن يتكلم بلا علم ،و يُقرر أمورا لم يُعاينها ،و لا تثبت منها ؟! . و هذا موقف ليس من المنطق و لا من أبجديات البحث التجريبي في شيء .

و الغريب من أمر هذا الرجل أنه قال كلاما لا يوجد أي شاهد صحيح يُثبت وجود علاقة بين عدد تجاويف قلب الحيوان و حجم جثته . فلا أدري من أين جاء بهذا الكلام الباطل، و أي قياس اعتمد عليه ؟؟ . فأين المنطق العلمي الذي تغنى به أرسطو و أتباعه ؟! . و ماذا نفعل بكلياته الزائفة العقيمة التي لا تصلح بأن تكون مقدمات يقينية نبني عليها القياس الصوري البرهاني حسب زعم أرسطو ؟!. و من جهة أخرى فهل يصح قياسه إذا استخدمنا هذا القياس : كل حيوان صغير الجثة قلبه مُكوّن من بطنين ،و الضفدعة حيوان صغير ، فقلبها مُكوّن من بطنين ؟ . إنه قياس صوري لا يصح ، لأن الضفدعة قلبها مُكوّن من ثلاثة بطون لا من بطنين !! .

---

[1] أرسطو : في أضاء الحيوان ، ص : ٧٣ .

[2] سبق توثيق ذلك في الفصل الثاني ، و أنظر أيضا : الموسوعة العربية العالمية ، مادة : القلب .

و النموذج الخامس مفاده أن أرسطو نَصّ على أنه ما كان من الذكور فهو أكثر ((أسنانا من الإناث ،و ذلك بيّن في الناس ،و المِعزى ،و الخراف ،و الخنازير . فأما في سائر الحيوان فليس يستبين))[1] .

و أقول: تعميمه هذا غير صحيح ،و قد سبق أن بينا بطلانه في الفصل الثاني ،و الذي يهمنا منه هنا هو طريقته في الاستدلال . إنه عمم كلية خاطئة دون تثبت و لا معاينة و لا تجربة استقرائية ، مع سهولة التأكد بالسؤال أو بالمعاينة فيما يخص إناث كثير من الكائنات . و الغريب في الأمر أن قوله السابق يتضمن تناقضين غريبين : الأول أنه قال : ((و ذلك بيّن في الناس ، و ...)) ، و معنى هذا أنه تأكد من قوله و استبان له بالمعاينة ، أو على الأقل أنه استبان له ذلك بواسطة غيره . لكن الحقيقة خلاف ذلك، لأن الحقيقة هي أن عدد أسنان المرأة يُساوي عدد أسنان الرجل ، و ليس أقل من أسنانه !! . فكيف استبان له ذلك ؟ ، فهل هذا الرجل يتعمد الكذب و التحريف و التدليس ، أم ماذا ؟؟!!.

و التناقض الثاني هو أن أرسطو عَمم حكمه الكلي ، ثم قال : ((فأما في سائر الحيوان فليس يستبين)) ، فبما أنه عمم كليته فهذا يتطلب منه أنه كان قد تحقق من الأمر بنفسه ، فلماذا يعود و يقول : إن ذلك غير مُستبين بالنسبة لسائر الحيوانات !! . فهذا نقض لتعميمه السابق ، فإما أنه قد تأكد من الأمر فيصح تعميمه الكلي ،و إما أنه لم يتحقق فلا يصح قوله و لا تعميمه . فالرجل ناقض الواقع و نفسه معا ، فأين مبدأ عدم التناقض يا رجل ؟؟!! .

و بناء على ذلك فأرسطو أخطأ في المنهج و النتيجة ، و تصبح كليته خاطئة غير منتجة عندما نُعبر عنها بقولنا: كل ذكور المخلوقات عدد أسنانها أكبر من عدد أسنان إناثها ، و الرجل ذكر ، فعدد أسنانه أكبر من عدد أسنان المرأة . و هذه نتيجة باطلة بلا شك . فأرسطو لا للاستقراء طبق ، و لا للمنهج العلمي التزم ،و لا للنتيجة أصاب ، و لا لنفسه و غيره احترم!!.

[1] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٦٥ .

و النموذج السادس يتضمن كلية مفادها أن أرسطو نصّ على أن كل الأجرام السماوية لا تتكون و لا تفسد ، استحال عليها الحدوث ، أو التغير ، أو التلاشي ،و هي تدور في أفلاكها دوراناً أزليا لا يطرأ عليها خلل قط[1] .

و قوله هذا غير صحيح ، سبق أن بينا بطلانه عقلا و علما و شرعا ،و يهمنا منه هنا منهج الاستدلال عند أرسطو . إنه قرر كلية شملت كل الأجرام السماوية من دون أي دليل صحيح ،و إنما اعتمد أساسا على رغباته و ظنونه و تحكماته و أقيسته الفاسدة . و هذا خلل منهجي كبير يطعن في منهجه الاستدلالي الذي أوصله إلى تقرير كلية هي من أخطر كلياته الفاسدة من جهة ،و التي أفسدت عليه جانبا كبيرا من فكره بناه عليها من جهة أخرى . فالرجل أقام أساسيات فكره على الظنون و الأهواء ، و الرغبات و التحكمات ،و لم يُقمها على العقل الصريح ،و لا العلم الصحيح . فأين مزاعمه حول طلب اليقين ،و القياس البرهاني ؟! ، و لماذا أقام أساسيات فكره على الظنون و الرغبات و لم يُقمها على اليقين و البراهين ؟! . إنه داس على كل ذلك و خرج لنا بكليات زائفة ، لا هي مقدمات يقينية ،و لا تنتج لنا قياسا برهانيا . فإذا قلنا : كل الأجرام أزلية ، و هذه الأجرام هي نفسها العالم ، فهذا يستلزم أن العالم أزلي . هذا قياس صوري صحيح شكليا ، لكنه باطل حقيقة ، لأن كليته –المقدمة الكبرى– التي أتحفنا بها أرسطو خاطئة . فأين المقدمات اليقينية التي دندن حولها أرسطو كثيرا عندما كان ينفخ و يُجعّد قياسه الصوري ،و يتهم أقيسة خُصومه بأنها ظنية لا يقينية ؟! .

و النموذج السابع يتعلق بظاهرة الحركة ، و مفاده أن أرسطو قرر كلية نَصّ فيها على أنه إذا وُجد شيء يتحرك ((دائما حركة مُستديرة ، فيجب أن يكون باقيا دائما))[2].

و قوله هذا غير صحيح علميا ،و قد سبق بيان ذلك في الفصل الثاني ، لكن يهمنا منه منهج أرسطو الاستدلالي فيما زعمه هنا . إنه أصدر كلية عامة حول الشيء المتحرك دوما حركة مستديرة بأنه أزليا أبديا ، من دون أن يُقدم لنا أي دليل منطقي صحيح ،ولا تجربة مادية ملموسة تُثبت زعمه . فمن أين له هذه النتيجة ؟! ، فهي لا توجد في الواقع

[1] ماجد فخري: أرسطو : المعلم الأول ، ص: ٥٥ .
[2] أرسطو : مقالة اللام ، مُلحقة بكتاب أرسطو عند العرب ، ص: ٤ .

لكي نتأكد منها ،و لا تُوجد أية طريقة يُمكن أن تُساعدنا على التأكد مما زعمه أرسطو !! . فلا توجد تجربة تُؤيد زعمه ، و لا يُوجد دليل عقلي صحيح يُثبته . لأن كلا من الواقع و العقل يشهدان ضده ، فنحن نرى في الواقع أنه لا فرق بين الحركة المستديرة ،و المستقيمة ،و لا المتعرجة ، فلكل منها له بداية ، و لكل منها مسارها الذي تتحرك فيه . و كما للمستقيمة بداية تبدأ فيها ثم تبقى تتحرك في مسارها ذهابا و أيابا حتى تتوقف . فنفس الأمر يحدث للحركتين الدائرية و المتعرجة . فهذا ما يشهد به الواقع ، و هو نفسه ينطبق على العالم بكل أجرامه ، فمع حركاته المتنوعة فهو مخلوق له بداية و ستكون له نهاية كما هو ثابت شرعا و علما . فمن أين جاء أرسطو بهذه الكلية الزائفة ، التي قررها بلا دليل صحيح من العقل ،ولا من التجربة ؟ ، و لماذا سمح لنفسه أن يتكلم بلا علم في أمر لا يُمكنه التيقن منه ؟؟ !!. إنه أبعد العقل الصريح و العلم الصحيح جانبا ،و ارتمى في أحضان الأوهام و الظنون و الرغبات ، فقرر كلية زائفة نقضت عليه منطقه العقيم القاصر أصلا .

و النموذج الثامن يتضمن كلية مفادها أن أرسطو نصّ على أن كل الكائنات الحية حادثة بأفرادها أزلية بأنواعها[1] .

و أقول : هذه كلية غير صحيحة علما و شرعا و عقلا ، و قد سبق بيان بطلانها في الفصلين الأول و الثاني . لكن يهمنا منها هنا طريقة الاستدلال التي بُنيت عليها . واضح من هذه الكلية أن أرسطو نقض بها المنطق عامة و منطقه الصوري خاصة ، لأن الثابت أن المقدمة الكبرى مُكوّنة من جزئيات تمّ استقراؤها ، و من خصائصها نتوصل إلى الكلية. و لكي تكون صحيحة يجب أن تكون مُعبرة عن صفات عناصرها ،و لا تحمل صفات ليست منها من جهة ، و يجب أن تكون مُستغرقة لجميع عناصرها بخصائصها من جهة أخرى ، و هذا لم يتوفر في هذا الكلية . و مثال ذلك أننا إذا قلنا : تبين من البحث و التقصي أن كل فرد من أفراد الجنس البشري مخلوق له بداية ،و هذا يستلزم الكلية الآتية : لا أحد أزلي من البشر . لكن لا نستطيع أن نستخرج من هذا الاستقراء هذه الكلية : كل البشر مخلوقين و نوعهم أزلي أبدي . و هذه هي الكلية التي قررها أرسطو . لا نستطيع تقرير ذلك لأمرين :

[1] سبق توثيق ذلك في الفصل الأول ،و هذه الكلية معروفة قالها الرجل على أساس قوله بأزلية الكون .

الأول هو أنه لا يُوجد كائن كلي يُسمى النوع البشري ليكون هو الأزلي . و الثاني هو أن كل إنسان له وجود فردي مخلوق حادث ، و بما أن كل البشر هم كذلك فهذا يستلزم أنهم غير أزليين ،و لا بد من وجود بداية للنوع البشري . و هذا الذي قرره العقل الصريح ، هو نفسه أكده أيضا الشرع و العلم معا[1] .

و من ذلك يتبين أن أرسطو انطلق من جزئيات استقرائية استنتج منها كلية ليست منها . فلا هي صحيحة ،و لا يقينية ،و لا حتى راجحة ، و لا تحتملها تلك الجزئيات . فكيف سمح لنفسه أن يستخرج كلية ذلك هو حالها من جهة ، و لا تنسجم مع طريقته القياسية الصورية في استخراج النتائج من مقدماتها من جهة أخرى ؟! .

و واضح من ذلك أيضا أن أرسطو فرض كليته على مُقدماته الجزئية فرضا قسريا ، ليس انطلاقا منها ،و إنما انطلاقا من رغباته و خلفياته المذهبية ، فحمّلها ما لا تحتمل ،و قوّلها ما لم تقل . و هذه جريمة في حق العقل عامة و المنطق خاصة.

و النموذج التاسع مفاده أن أرسطو نصّ على أن الحيوان المستقيم الأمعاء أكثر رغبة لشهوة الطعام من الحيوان غير المستقيم الأمعاء ، الذي هو أقل رغبة لطلب الطعام[2] .

و أقول: يتضمن كلامه تعميمين: واحد يخص الحيوان المستقيم الأمعاء ،و الثاني يتعلق بالحيوان غير المستقيم الأمعاء . قررهما من دون أن يذكر أنه اعتمد على استقراء ناقص و لا تام ، و لا ذكر لنا أمثلة واضحة دقيقة تتعلق بحيوانات معينة تشهد له على معاينته لما قرره ،و تساعدنا للتأكد مما قاله . فهل قوله هذا صحيح ؟ ، إنه ليس صحيحا ،و الرجل بناه أساسا على الظن لا على التجربة و الاستقراء الصحيح . فظن أن استقامة الأمعاء سببها رغبة الحيوان الشديدة إلى الطعام ،و يحدث العكس عند الحيوان غير المستقيم الأمعاء ،

---

[1] سبق بيان ذلك في الفصلين الأول و الثاني .
[2] أرسطو : في كون الحيوان ، ص: ٧ .

فتكون رغبته إلى الطعام أقل. فالرجل أخطأ في قياسه ، و لم يكن منطقيا و علميا من جهة التعليل و لا الوظيفة ،و لا المشاهدة .

فأما من جهة التعليل ، فسبب استقامة الأمعاء ليس سببه الأساسي هو الرغبة في الطعام ،و إنما هو هيئته الخَلْقية ، فبما أنه حيوان طويل الجثة كالثعابين و التماسيح مثلا ، فمن المنطقي جدا أن تكون أمعاؤها مستقيمة . لكنها لو كانت كالأبقار مثلا فمن المنطقي جدا أن تكون أمعاؤها مطوية و ليست مستقيمة .

و أما من جهة الوظيفة فليست الأمعاء و لا أشكالها هي التي تجعل الحيوان أكثر شهوة للطعام ، أو قليل الرغبة فيه . و إنما المعدة هي التي تستقبل الطعام ،و حجمها له دخل كبير في كمية ما يأكله الحيوان من جهة .و كميته مُرتبطة أيضا بجثة الحيوان و حاجته إلى الطعام بناء على طبيعته ،و نشاطه و تناسله ، و مناخه من جهة أخرى . و أما الأمعاء فليس دورها استقبال الغذاء ابتداء ، و إنما هي تستقبله مطحونا ناضجا تستخلص منه الغذاء ،و الأملاح ، و الماء ، و تطرح الفضلات خارج الجسم[1] .

و أما من جهة المشاهدة ، فالواقع يشهد أننا نجد حيوانات كثيرة الرغبة إلى الطعام مع اختلاف هيئات وضعية أمعائها ، كالزواحف و المواشي ،و الكائنات المائية و البرمائية ، منها : التماسيح ، و الحيتان ، و الأبقار ، و الفيلة ، و الجمال . و قد نجد اختلاف ذلك حتى في النوع الواحد ، كما هو حال الإنسان ، فيوجد من البشر من هو كثير الرغبة في الطعام ، و منهم من ليس كذلك . فهل الكثير الرغبة أمعاؤه مُستقيمة ،و الآخر أمعاؤه مطوية ؟؟!! . و كم من إنسان كان كثير الطعام ثم تغير حاله ، فأصبح لا يتناول إلا الضروري منه ، و قد يحدث العكس . فهل حدث تغيّر لوضعية و هيئة أمعاء هؤلاء ؟؟!!.

[1] أنظر : الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الأمعاء .

و النموذج العاشر مفاده أن أرسطو قرر كلية عامة نصّ فيها على أن ((كل مُتحرك فواجب ضرورة أن يكون يتحرك عن شيء ما))[1] .

و أقول: قوله هذا غير صحيح بتعميمه ،و فيه خطأ في طريقة تقريره و استقرائه . لأن الحركة هنا هي صفة لذات ،و ليست هي نفسها الذات . و بما أن الصفات تابعة للذات ، فلا يصح القطع بأن ((كل مُتحرك فواجب ضرورة أن يكون يتحرك عن شيء ما)) . و إنما الصواب هو أن نطرح الموضوع و نقرره انطلاقا من طبيعة الذات و حقيقتها ، التي عليها تقوم الصفات ،و تكون تابعة لها بالضرورة ، و ليس العكس . و عليه فيجب أن نقول : هل هذا المتحرك خالق أو مخلوق ؟ ، فإذا كان مخلوقا فبالضرورة أنه يحتاج إلى من يخلقه بذاته و صفاته ،و في هذه الحالة تكون حركته صفه تابعة له ،و ليست هي الأصل و المقياس لمعرفة حدوث الشيء من عدمه .

و إذا كان المتحرك هو الخالق ، فهو أزلي ،و ليس مخلوقا ، و صفاته أزلية تابعة لذاته بالضرورة . و في هذه الحالة تكون حركة الخالق كمالا و ليست نقصا من جهة ، و لا يحتاج إلى من يُحركه من جهة أخرى . لأنها صفة أزلية تابعة لذاته المقدسة الأزلية . و بذلك يكون الخالق أزليا مُحركا مُتحركا ،و ليس كما وصفه أرسطو بأنه المحرك الذي لا يتحرك . و لا يصدق عليه أيضا حكمه السابق بأن ((كل مُتحرك فواجب ضرورة أن يكون يتحرك عن شيء ما)) .

و من ذلك يتبين أن قول أرسطو لا يصدق على كل متحرك ،و لا يصح تقريره بالطريقة التي قرره بها . فالرجل أخطأ في كليته لأنه لم يحتكم فيها إلى العقل الصريح ، و إنما احتكم أساسا إلى رغباته و ظنونه ، و خلفياته المذهبية من جهة . و لأنه كان جاهلا بالله جهلا كبيرا حتى أنه لم يستطع أن يفرق بين الخالق و المخلوق تفريقا صحيحا حاسما من جهة أخرى . فانقلب ذلك سلبا على منهجه الاستدلال الذي صاغ به كليته السابقة.

[1] أرسطو : الطبيعة ، ج ٢ ص: ٧٣٣ . و عليه فإن الإله عند أرسطو لا يتحرك ،لأنه هو المُحرّك الذي لا يتحرك ، و قد سبق أن توسعنا في هذا في الفصل الأول .

و النموذج الحادي عشر يتضمن كلية تتعلق بدماغ الحيوان مفادها أن أرسطو نصّ على أن ((الدماغ بارد جدا أكثر من جميع الأعضاء الذي في أجساد الحيوان))[1] .

و أقول: قوله هذا ظاهر البطلان ،و قد سبق أن توسعنا فيه في الفصل الثاني ، لكن يهمنا منه هنا طريقة الاستدلال التي اتبعها فيه . فعلى ماذا اعتمد أرسطو في تقريره لحكمه هذا ؟! . فإذا كان اعتمد على المعاينة و التجربة ، فهما يُخالفان زعمه و ينقضانه كلية ، لأن الواقع يشهد خلاف زعمه . و إذا كان اعتمد على الاستنتاج المنطقي المجرد ، فهذا لا يُوجبه منطق صحيح ، و لا عقل صريح . فمن أين له بذلك الزعم ؟؟!! . إنه كعادته فعندما يُخالف العقل الصريح و العلم الصحيح ، فإنه يكون قد اعتمد أساسا على ظنونه و رغباته و تحكماته ، ثم لا يُبالي بعد ذلك أوافق العقل و العلم أو خالفهما !! . و هذا انحراف خطير عن منهج منطق البحث و الاستدلال ، بل إنه هدم له من جهة ،و هو جريمة نكراء ارتكبها أرسطو في حق المنطق و العقل و العلم من جهة ثانية .

و النموذج الثاني عشر مفاده أن أرسطو قرر أن ((ليس في كل دَسَم شيء من الماء ،و لا من الأرض بل من الريح . و لذلك يطفو على الماء ، لأن الهواء الذي فيه يحمله و يطفو ، مثل الذي يكون في وعاء ماء. و هذا علة خفته))[2] .

و أقول: قوله هذا غير صحيح علميا ، لأن الثابت أن الهواء غازات ، منها تتكون كل السوائل و المواد الجامد و الغازية حسب حالاتها ، منها الدهون و مشتقاتها من الزيوت و الدُسُم ، فالأصل الأول لكل تلك المواد واحد . و من المكونات الغازية المشتركة بين الماء و الزيوت و الدَسم نجد : الهيدروجين ،و الأكسجين . و سبب طفو الزيوت و الدُسم على الماء ، ليس هو كما قال أرسطو ، و إنما هو الاختلاف في درجة الكثافة ، و توجد بعض الزيوت هي أثقل من الماء[3] . و هو- أي أرسطو- في خطئه هذا قد يكون معذورا في أكثره ، لكنه غير معذور في طريقة الاستدلال . لأنه أصدر كلية خاطئة عممها على كل الدُسُم

---

[1] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٣٧ .
[2] أرسطو : في كون الحيوان ، ص: ٦١ .
[3] أنظر: الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الزيت ، الدهن ، الدهنيات .

من دون استقراء صحيح لأنواع الدسم. و إنما اعتمد على تفسير ظني غير ثابت تجريبيا ، فظن أن طفو الدسم على الماء سببه خُلوّه من الماء و من أي عنصر أرضي من جهة ، و أنه يوجد هواء بداخله هو الذي يحمله من جهة أخرى . و هذا تفسير غير صحيح كما سبق أن بيناه ، و الرجل لم يكتف بأنه أخطأ في التفسير ، و إنما عمم حكمه على كل دَسَم . و هذا انحراف منهجي كبير في الاستدلال ، لا يصح الوقوع فيه ، لأن الدَسَم أنواع كثيرة متباينة الخصائص لا يصح إصدار حكم عام ثم تعميمه من دون تثبت و معاينة و تجربة . فالرجل هنا أخل بشروط القياس التجريبي الاستقرائي ، فأخطأ في كليته ، التي لا يمكن أن تكون مقدمة كلية نبني عليها القياس الصوري اليقيني .

و النموذج الثالث عشر مفاده أن أرسطو قرر كلية جغرافية مفادها أن جميع الأنهار العظيمة في العالم تسيل من الجبل المطل على البحر المحيط[١] .

و قوله هذا مثير للضحك و ظاهر البطلان ، و قد سبق بيان ذلك في الفصل الثاني ، لكن يهمنا منه طريقة الرجل في الاستدلال . فواضح من قوله أنه أصدر كلية جغرافية تتطلب منه القيام برحلة استطلاع و معاينة للوقوف على مصبات جميع أنهار العالم الكبرى لكي يستطيع أن يُقررها . لكن الحقيقة هي أنه لم يحرك سكنا ، و إنما تكلم بظنونه و رغباته كعادته ، من دون حرج من نفسه و لا من غيره . فأين الاستقراء الذي بدونه لا يُمكن الوصول إلى المقدمة الكبرى ، و قد نصّ هو على ذلك صراحة في منطقه[٢] ؟؟!! . فكيف سمح لنفسه أن يُقرر كلية من دون استقراء شامل لكل عناصرها ؟! . و بما أنه أهمل الاستقراء ،و قرر كلية لم يتأكد منها ، فهذا يعني أنه يتعمد القول بلا علم ، و تدوين معلومات غير مُتأكد منها . و هذا غش سافر ، و تحريف مقصود عن سبق إصرار و ترصد . و بما أنه وصل إلى هذا المستوى من اللاعلمية ، فالرجل قد داس على منطقه و منهجه العلمي في البحث و الاستدلال ، و جعلهما من وراء ظهره ، و قدّم عليهما ظنونه و رغباته .

---

[١] ابن رشد : تلخيص الآثار العلوية ، ص: ٧٦ .

[٢] سبق نقل ذلك و توثيقه .

و النموذج الرابع عشر مفاده أن أرسطو عندما أشار إلى أن الملاحظ على الحيوان الكبير الجثة أنه قليل الزرع ، و أن الحيوان الصغير الجثة كثير الزرع ، طبق ذلك على الشجر الكبير بقوله : ((ما كان من الشجر عظيم الجثة لا يحمل ثمرة كثيرة))[1] .

و أقول: قوله هذا لا ينطبق على كثير من الأشجار الكبيرة الحجم من جهة ، و هو قد أخطأ في تعميمه و قياسه و تعليله من جهة أخرى . و تفصيل ذلك أنه لا يصح تطبيق ملاحظته المتعلقة بالحيوانات الكبيرة الجثة القليلة الإنجاب ، على الأشجار الكبيرة الحجم ، بأنها هي أيضا قليلة الثمار!!. فلا توجد بينهما علاقة لزوم ، و ليس من الحكمة و لا الصواب أن تكون موجودة . لأنه إذا كان الحيوان الضخم الجثة قليل الإنجاب كالفيل مثلا ، فإنه من الحكمة أن يكون كذلك ، لأن كثرة الإنجاب يضر بالطبيعة و الحيوانات الأخرى لما يسببه لها من تهديد في ذاتها و أمنها و غذائها مثلا . لكن ليس من الحكمة أن تكون الأشجار المثمرة الكبيرة الحجم قليلة الثمار ، و إنما العكس هو المطلوب ، لكي توفر الغذاء لمختلف أنواع الكائنات الحية. و من تلك الأشجار : شجرة الزيتون ، و البلوط ، و الجوز ، و التين ، فهي أشجار كبيرة الحجم كثيرة الثمار .

فواضح من ذلك أن أرسطو أستخدم قياس التمثيل ، فأخطأ في تعليله و تعميمه من جهة ،و في تقديمه على التثبت و المعاينة و سؤال أهل الخبرة بالأشجار من جهة أخرى . فكانت النتيجة أنه وصل إلى كلية غير صحيحة منهجا و لا نتيجة ،و لا تصلح لتكون مقدمة يقينية للقياس الصوري. أفلم يكن يعرف أنه توجد أشجار ضخمة كثيرة الثمار ، كأشجار الزيتون ، و البلوط ، و التين ،و الجوز ؟؟!! .

و النموذج الأخير – الخامس عشر– مفاده أن أرسطو وقع في أخطاء كثيرة بسبب تعميمه لحكمه من دون تأكد شامل تام من جهة ،و من دون احتياط ،و لا استثناء ،و لا تخصيص دقيق من جهة أخرى . مع أن المنطق العلمي الصحيح يفرض ذلك على صاحبه فرضا ، و لا يحق له تجاوزه . و إذا كان مارس استقراءً واسعا على جنس مُتعدد الأنواع ،و

[1] أرسطو : في كون الحيوان ، ص: ١٥٥ .

ليس عليها جميعا، فعليه هنا أن يحتاط أكثر لاحتمال أن تكون عناصر الأنواع غير المستقرأة لا ينطبق عليها ما وصل إليه من النتائج المتعلقة بالأنواع المستقرأة . و كل هذا لم يلتزم به أرسطو ،و لا احتاط له في كثير من مواقفه التي تتطلب الاستقراء بنوعيه–الناقص و التام– . و قد ذكرنا في كتابنا هذا عشرات النماذج التي عمم فيها أرسطو أحكامه من دون احتياط و لا تحفظ ، إما من دون استقراء أصلا ، و إما أنه مارسه جزئيا . و زيادة للفائدة و التوضيح أكثر، أذكر هنا المثال الآتي : مفاده أن أرسطو نصّ على أنه ليس لشيء من أجناس الأسماك أرجل ، و خطّأ من قال : إن لسمكة ماسكة السفينة أرجلا ، و إنما يُظن أن ((لها أرجلا لأن أجنحتها شبيهة بأرجل))[1] .

و قوله هذا صحيح يصدق على معظم الأسماك المعروفة ، لكن مع ذلك كان عليه أن يحتاط و لا يُعمم حكمه . لأن بما أنه لم يقم باستقراء لكل أسماك العالم ،و ليس في مقدوره القيام به ، فالمنطق العلمي يفرض عليه أن يتجنب القطع و التعميم . لأن الحقيقة هي أنه أخطأ في موقفه الذي عممه ، لأنه توجد أسماك غريبة و نادرة لها أرجل تمشي عليها حقا ،و ليست مجرد أجنحة ، فتمشي عليها و تسبح بها معا ، كما هو مُبين في الصور الآتية[2] رقم: ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ .

[1] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٨١ .
[2] الصور مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .





الصورتان رقم : ٦١، ٦٢ – سمكتان لهما أرجل–



الصورة رقم : ٦٣ – سمكة لها أرجل –



الصورة رقم: ٦٤ – سمكتان لهما أرجل –



الصورة رقم : ٦٥ — سمكة لها أرجل –

و من تلك النماذج– الهادفة و المتنوعة– يتبين أن أرسطو أصدر كليات كثيرة — ذكرنا منها ١٥ نموذجا– أخطأ فيها أخطاء منهجية و معرفية واضحة لا تقبل التبرير ، و قد زاد عددها عن ٣٠ خطأ و انحرافا منهجيا . و قد ركزنا عليها من جهة مدى التزام أرسطو بشروط تكوين الكليات القياسية الصورية اليقينية ، فاتضح أنه لم يلتزم بها ، و أخل بها إخلالا كبيرا . فترتب عن ذلك أنه فشل في الحصول على كليات صورية يقينية تكون بدورها مقدمات كبرى نبني عليها أقيسة صورية تكون نتائجها يقينية .

ثانيا: انحرافات و خصائص منطق البحث و الاستدلال:

وقع أرسطو في انحرافات و أخطاء كثيرة تتعلق بممارسته لمنطق البحث و الاستدلال ، أخل فيها بشروط و أبجديات البحث العلمي إخلالا كبيرا من جهة ؛ و نتجت عنها

سلبيات كثيرة أفسدت و شوّهت منطقه الاستدلالي من جهة أخرى . نذكر منها ١٤ نموذجا هي من باب التمثيل لا الحصر .

النموذج الأول منها أن أرسطو كثيرا ما اعتمد أساسا على أقيسته الظنية الفاسدة ، في تقرير أمور ملموسة ، على حساب المعاينة و التجربة و التثبت . فأوقعه هذا المسلك في أخطاء كثيرة لا يصح الوقوع فيها ، لأنه كان في مقدوره التثبت منها ، و تفادي الخطأ فيها . من ذلك قوله : ((فأما القرد فلأن صورته مُشتركة ، أعني أن فيها شِركة من صورة الحيوان الذي له رجلان،و الحيوان الذي له أربع أرجل ، فليس له ذنب و لا وركان . لأنه ذو رجلين اثنين فقط ليس له ذنب ،و لأنه ذو أربع أرجل ليس به وركان))[١] .

و قوله هذا فيه انحراف كبير عن الاستدلال الصحيح ، يتعلق بالقياس و التجربة ، و قد بناه على معلومتين غير صحيحتين . فأما المعلومة الأولى فإنه ليس صحيحا أن القرود ليست لها أذناب ، و إنما هي على نوعين ، منها ما ليس له أذناب كالقرد البربري ، و الأورانج أوتان ، و الشمبانزي ، و منها ما لها ذيول قصيرة ، و منها ما لها ذيول طويلة كالتي تعيش على الأشجار ، كالقرود النباحة و العنكبوتية[٢] .

و المعلومة الثانية هي أنه ليس صحيحا أن الحيوان الرباعي الأرجل ليس له وركان ، بل عنده وركان ، و حتى القرود أيضا لها وركان[٣] ،و قد سبق أن بينا ذلك في الفصل الثاني. فواضح من ذلك أن الرجل لم يتأكد من معلوماته ، و كان عليه أن يتثبت منها قبل استخدامه لها ، إما بالمعاينة المباشرة ، و إما بسؤال أهل الخبرة ، لكنه —كعادته — أهمل التجربة و التثبت و اعتمد على ظنونه و رغباته !! .

و أما الانحراف المتعلق بالقياس ، فأرسطو قد أخطأ في ممارسته ، لأنه لا توجد علاقة ضرورة بين وجود الرجلين و عدم وجود الذنب ،و لا توجد أيضا بين وجود أربع أرجل و عدم وجود الوركين . فقياسه لا يُوجبه عقل و لا واقع ، فمن أين له به ؟؟!! . فإذا كان

---

[١] أرسطو : طبائع الحيوان البري و البحري، ص: ١٣٤ .
[٢] الموسوعة العربية العالمية : مادة : القرد ، القرد البربري ، و ميشيل بورار : حياة القرود ، د ن ، ١٩٧٩ ، ص: ٤٨ و ما بعدها .
[٣] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : القرد .

الإنسان له رجلان و ليس له ذنب ، فإن الطيور لها رجلان و لها أذناب . و القرود تستطيع أن تمشي على رجلين و على أربع ، و منها ما له ذنب ، و منها ما ليس له ذنب . و كذلك عَظْم الوركين ، فوجوده لا يتوقف على عدد أرجل الحيوان ، ولهذا فهو موجود عند الكائن الثنائي الأرجل كالإنسان ، و عند الرباعي الأرجل كالحصان ، و الجمل[1] .

و النموذج الثاني مضمونه أنه من أخطر انحرافات منطق أرسطو عن الاستدلال الصحيح أن له مواقف افتري فيها على المنطق الفطري باسم البديهة و الطبيعة ، فعل ذلك خدمة لرغباته و مذهبياته و مصالحه . فعله مرارا بطرق و مسميات عديدة و متنوعة ، و لعل من أخطرها و أوضحها قوله المتعلق بالعبودية و الحرية ، فقال: ((يمكن بالبديهة أن نسموا بهذه المناقشة ،و نقرر أنه يُوجد بفعل الطبع عبيد و أُناس أحرار)) . و قال أيضا : ((الطبع يُنشئ الرق ، و لا ينشئ السكاف ،و لا عامل آخر))[2] .

و قوله هذا جريمة نكراء في حق المنطق و العقل و العلم ، و في حق الإنسانية جمعاء . لأنه مُغالط و مفترٍ يتعمد الافتراء على البديهة و الطبيعة ، مع أن الصواب هو عكس زعمه تماما . لأننا نعلم بالبديهة و الطبيعة أن البشر كلهم أحرار ، و أن الطبيعة تُنشئ الحرية لا الرق ، ،و أن ظاهرة الرق هي أمر طارئ عليهم ، و غير عادي و لا طبيعي ، أنتجته الأوضاع الاجتماعية الظالمة . و أما السكاف – الإسكافي- فقد أنتجته الظروف الاجتماعية العادية الطبيعية ، لأنه لابد للناس من سكاف يصنع و يُصلّح لهم أحذيتهم ، لكن الرق ليس ضروريا لهم . فهذا الذي تقوله الفطرة و البديهة ، و ليس ما زعمه أرسطو المدلس المسفسط ، الذي عكس الأمر لغاية في نفسه . و نحن هنا نحاسب أرسطو ليس لأنه أيد الرق ، فهذا أمر آخر مُرتبط بمصالحه و ظروفه ، و إنما نحاسبه و ننتقده لأنه افترى على المنطق و الطبيعة و البديهة ،و استخدم ذلك لتأييد أمر مُخالف للمنطق و البديهة و الطبيعة . فهذا الرجل لا يتورع من استخدام قدرته على السفسطة و الجدال ، لتوظيف المنطق و بدائه العقول و الفطرة ، لخدمة رغباته و مذهبياته و مصالحه المخالفة لما يُقرره العقل الصريح، و الفطرة السليمة ، و العلم الصحيح !! . فلو كان- في موقفه هذا- صادقا مع نفسه ،

[1] سبق توثيق ذلك و التوسع فيه في الفصل الثاني .
[2] أرسطو : السياسة ، ص: ١١٢ ، ١٣٠ .

موضوعيا في طرحه ، وفيا مُخلصا للمنطق الصريح و العلم الصحيح ، ما فعل الذي فعل . إنه افترى على العقل الفطري البديهي باسم البديهة و الطبيعة من جهة ؛ و استخدمه ليُقرر خلاف الموقف البديهي المخالف لما أراده أرسطو منه من جهة أخرى !! .

و بناء على ذلك فإن أرسطو– بمثل تلك المواقف و أخواتها– يكون قد سار على نهج السفاسطة الذين اشتد في انتقادهم ،و اتهمهم مرارا بالتغليط و التلاعب بالعقول لخدمة مصالحهم الدنيوية . لكن لا عجب في ذلك ، فَهُم سلفه ، و هو من تلاميذهم الذين تتلمذوا على تراثهم الجدلي ، فأتقن السفسطة و الجدال ، حتى أصبح من كبار سفاسطة اليونان و مجادليهم بطريقته الخاصة . و تراثه الفكري– الذي عرضنا جانبا كبيرا منه– شاهد دامغ على صحة ما قررته هنا !! .

و النموذج الثالث مضمونه أن من انحرافات منطق أرسطو و غرائبه أنه–في مواقف كثيرة– كان يسمح لنفسه أن يجعل رغباته و ظنونه ،و تحكماته و أوهامه مقدمات منطقية ، فيفرضها فرضا من دون دليل صحيح ، ثم يبني عليها أفكاره و استنتاجاته . و الأمثلة على ذلك كثيرة جدا ذكرناها في الفصول السابقة من هذا الكتاب . نُذَكّر بعضها فيما يأتي : منها قوله : إن المحرك الذي لا يتحرك يُحرّك الأجرام السماوية كما يُحرك المشتهي و المعقول ، على نحو ما تحركنا الأشياء المشتهاة و اللذيذة ،و لاسيما المعقولة[١] . و منها زعمه : إن الإله يفعل ضرورة لا اختيارا ، و لا يعلم شيئا عن هذا العالم و لا يهتم به . و هو عقل يتأمل ذاته أزليا ، فهو العقل و العاقل و المعقول[٢] . واضح من هذه الأباطيل و الأوهام و الخرافات– التي سبق إبطالها– أن أرسطو داس على المنطق الصريح ، و ارتمى في أحضان الأوهام و اللامنطق و اللاعلم . فأين البرهان و اليقين اللذان تغنى بهما أرسطو كثيرا ؟؟!!. و كيف سمح لنفسه أن يتكلم بلا علم، و يخوض في أمور لا يمكنه رؤيتها و لا التأكد منها بذاتها و لا بآثارها ؟؟!! .

و النموذج الرابع مفاده أن من انحرافات أرسطو و أخطائه المتعلقة بمنطق البحث و الاستدلال انه اتخذ مواقف بناها على مقدمات لم يتأكد من صحتها ، و استخدم فيها

[١] ابن رشد : تفسير ما وراء الطبيعة ، ج ٣ ص: ٣٠٥ و ما بعدها .
[٢] علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي ، ج ٢ ص: ٢٠١ .

أقيسة غير صحيحة ، لكنه أكد على صحة نتائجها ، من دون تثبت و لا معاينة ، لا احتياط و لا استثناء . و قد ذكرنا على ذلك نماذج كثيرة فيما نقدم من كتابنا هذا ، نذكر منها هنا واحدا فقط . مضمونه أن أرسطو ذكر أن عدد بيضات أنثى القنفذ خمس ، و هي مستوية الاستدارة بسبب أن جسمه الخارجي مستوي الاستدارة من كل ناحية ، فكانت البيضة على شكله[1]. و كلامه هذا باطل جملة و تفصيلا ، لأن معظم القنافذ ولادة و ليست بياضة ، و أجسامها مستطيلة ، و ليست مُستديرة ،و بيضاتها لا يمكن أن تكون مستدير لأن القنفذ أصلا يلد و لا يُبَيّض . و حتى إذا فرضنا جدلا أنها بياضة و شكلها الخارجي مستدير فإن هذا لا يجعل البيضة مستوية الاستدارة بالضرورة ، لأنها صغيرة و توجد في الأحشاء الداخلية ، فهي قد لا تتأثر بالاستدارة الخارجية للجسم .

و من جهة أخرى فإن قوله باستدارة بيضة القنفذ استدارة كاملة ، كما أنه كان قياسا ناقصا و في غير محله ، فإنه لا يتفق أيضا مع قول سابق له نصّ فيه على أنه : ليس في بطون القنافذ((شيء لحمي البتة))[2] . و هذا يعني أن صلابة و عدم لحمية بطونها يجعل بيضاتها مستطيلة لا مُستديرة !! .

و النموذج الخامس مضمونه أن من خصائص منطق أرسطو أنه يستخدم السفسطة و التدليس و التغليط باسم المنطق ، و هذا يعني أن منطق أرسطو هو منطق انتهازي مُغالطي ، يُفسد المنطق الطبيعي و يفتري عليه باسم المنطق ، حتى أدخل منطقه في محنة لم يتمكن من الخروج منها . من ذلك انه سبق أن ذكرنا مرارا أنه زعم أن المحرك الذي لا يتحرك هو الفاعل الأزلي ، و أنه هو المحرك و الفاعل لهذا العالم . لكنه يعود و يزعم أن الإله لا فعل و لا اختيار له ،و أنه ليس هو الذي حرّك العالم تحريك فعل و قصد ،و إنما هو علة غائية للعالم الذي تحرك وحده في عشقه للمحرك الذي لا يتحرك ، و غير ذلك من خرافات و أباطيل أرسطو المتعلقة بإلهياته[3] . واضح من هذا الكلام الباطل أن أرسطو لم يكن يحتكم إلى العقل الصريح ، و لا إلى العلم الصحيح ، و إنما كان يُعبر عن رغباته و أهوائه و ظنونه باسم

[1] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ١١٢ ، ١١٣ .
[2] نفس المصدر ، ص: ١١١ .
[3] عن ذلك و غيره راجع الفصل الأول .

المنطق ، مُستخدما إياه وسيلة يُقرر بها ما يريد ، لا مرجعا يحتكم إليه . و هذه هي السفسطة بعينيها ، فهو هنا لا يختلف عن السفاسطة الذين اشتد في انتقادهم و التشنيع عليهم . فهو سفسطائي مثلهم يُمارس السفسطة بطريقته الخاصة .

و النموذج السادس مفاده أن من انحرافات منطق الاستدلال عند أرسطو أن له مواقف كثيرة قرر من خلالها وجوب نتائجها انطلاقا من الظن لا اليقين من جهة ، و من دون أي دليل مقبول يُرجح ما ذهب إليه من جهة أخرى . فمن ذلك أنه يقول: ((و يجب أن يُظن ذلك من ...)) ، و ((فإذا وجب أن يُظن أن ...)) ، و ((كان القول يُوجب أنه ينبغي أن يُظن أن ...))[1] . و هذا أسلوب مرفوض عقلا و علما ، لأنه يتضمن نقضا لمنطق الاستدلال القائم أساسا على الدليل الصحيح في المواقف المتضمنة للوجوب و اللزوم ،و الجزم و التأكيد . كما أنه لا يصح قوله و لا الاعتماد عليه أيضا ، لأنه إذا كان أمرا ثابتا يُوجب بطريقة سليمة نتيجة صحيحة فإنه لا يصح أن نقول : وجب أن يُظن ، أو : ينبغي أن يُظن ، أو : يجب أن يُظن . و إنما يجب علينا أن نجزم بالنتيجة دون ظن .

و إذا كان ذلك الأمر غير ثابت ،و يُوجب بطريقة غير سليمة نتيجة معينة غير مُتأكد منها ، فإنه لا يصح أن نقول : يجب أن يُظن ، أو ينبغي أن يُظن ، حسب تعبير أرسطو ، و إنما علينا أن نُبعد الوجوب و اللزوم ،و نقول مثلا : من المحتمل أن يكون كذا . أو من الراجح أن يكون كذا ، أو ربما يكون كذا و كذا ، و غيرها من صيّغ الاحتمال و الترجيح . لكن أرسطو أهمل هذا ،و أوجب أمورا بالظن دون اليقين ، مع أن الوجوب و اللزوم يتطلبان اليقين لا الظن و لا الترجيح . فواضح من ذلك أن أرسطو ينطلق من رغباته و ظنونه ، و قناعاته الذاتية يُوجب بها نتائج و أمور غير ثابتة استدلالا و لا علما .

و النموذج السابع يتضمن حكما عاما يتعلق بأزلية السماء ، مفاده أن أرسطو نصّ على أن السماء ليست مُكوّنة و لا مُولدة ، و ((لا يمكن أن تقع تحت الفساد)) كما قال بعض الناس ،و لكنها ((لا مبدأ لها و لا منتهى في الدهر كله ، و هي علة الزمان ، الذي

[1] ابن رشد : تفسير ما وراء الطبيعة ، ص: ٣٥١، ٣٥٢ .

لا نهاية له مُحيطة به)) ، فالسماء دائمة غير واقعة تحت الفساد و الفناء[1] . و أنه قد استبان له و صح عنده- بناء على مقدماته و قياساته- أن السماء غير مصنوعة و لا مُكونة ، و أنها دائمة [2] .

و أقول : قوله هذا غير صحيح سبق أن بيّنا بطلانه علماً و شرعاً و عقلاً في الفصلين الأول و الثاني ، لكن الذي يهمنا منه هو منهج أرسطو في الاستدلال . فواضح من قوله أنه أصدر حكما قطعيا لا شك فيه حسب قوله . و هذا انحراف بيّن في مجال منطق الاستدلال العلمي ، لأنه خاض في أمر غيبي لا يُمكنه رؤيته ،و لا التأكد مما قاله ، و لا كان عنده دليل قطعي يثبت قوله . لذا كان عليه أن لا يجزم قطعا بما قاله ،و إنما يقوله بالترجيح و الاحتمال و عدم القطع . فالرجل قطع بأمر معتمدا على الظن و التخمين ، و مُنطلقا من رغباته و خلفياته المذهبية في الإلهيات ، و هذا مُخالف لما يتطلبه المنطق العلمي الصحيح من الاحتياط و الاحتراز و عدم التسرع عندما نخوض في أمور لا نراها ،و لا يُمكننا التأكد منها . لكن الرجل باع المنطق الفطري ،و منطقه الصوري و ضحى بهما من أجل مكاسب مذهبية تتعلق بعقيدته الزائفة .

و أما إذا قيل : إن الرجل اعتمد في ذلك على مقدمات و أقيسة أشار إليها بنفسه ،و لم يكن كلامه بلا دليل . فإننا نقول: هذا صحيح ، لكن الرجل اعتمد على ظنيات و تخمينات ،و رغباته و خلفياته المذهبية ، و لم يعتمد أبدا على دليل صحيح من العقل و لا من العلم ،و هذا سبق أن ناقشناه و بينا زيف و بطلان مقدماته في الفصل الأول . فالرجل – بسبب انحرافه المنهجي و العقدي- جعل ظنونه و رغباته و حتى خرافاته جعلها مقدمات و مقاييس اعتمد عليها في قوله بأزلية العالم و أبديته . فالرجل لو اعتمد على العقل الصريح ، و العلم الصحيح ما أخطأ فيما قال به، و بما أنه أخطأ فيه ، فهذا دليل قطعي على أنه اعتمد على الظنون لا على العلم . فهو إما أنه تعمد وصف ظنونه بأنها أدلة صحيحة ، و هذا يعني أنه مُدلس و مغالط و ليس بثقة . و إما أنه لم يكن قادرا على التمييز بين الأدلة

---

[1] ابن رشد : شرح السماء و العالم ، حققه أسعد جمعة ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، ٢٠٠٢ ، ج ٢ ص: ٣ ، ٤ .

[2] ابن رشد : شرح السماء و العالم ، ج ٢ ص: ٢٣٠ .

الصحيحة القطعية و بين الأدلة الظنية و الزائفة ، و في هذا الحالة فهو لم يكن في المستوى المطلوب من ناحية منطق البحث و الاستدلال ، و ما عليه إلا أن ينسحب و لا يتكلم بلا علم . و في الحالتين فهو ليس أهلا لممارسة البحث العلمي الصحيح في مثل هذه القضايا .

و النموذج الثامن مفاده أن من انحرافات أرسطو الاستدلالية أنه كثيرا ما يستدل على أمور برغباته و ظنونه من دون دليل صحيح يُثبتها أولا ، ثم يُثْبت نتائجها ثانيا . من ذلك أنه عندما قال : إن السماء واحدة استدل على ذلك بقوله : ((و أما السماء واحدة فبيّن ... فإذا كان المحرك الأول الذي لا يتحرك واحد بالكلمة و العدد ، فإذاً ينبغي أن يكون المتحرك أبدا حركات مُتصلة واحدة فقط ، فإذا سماء واحدة فقط))[1] . و قال أيضا : ((إنا قد بينا و أوضحنا بالمقالات المقنعة و البراهين الشافية ،و حققنا أن السماء كلها تكون من أسطقس ،و أنه لا يُمكن أن تقع تحت الفساد ...))[2] .

و أقول: قوله هذا غير صحيح سبق بيان بطلانه في الفصلين الأول و الثاني ،و الذي يهمنا منه هنا طريقة استدلاله . فالرجل قرر أمورا و أكد على صحتها دون دليل صحيح ، كقوله : ((و أما السماء واحدة فبيّن)). و هذا غير ثابت و لا هو بيّن ، لأن ما نراه من السماء ليس دليلا على أنه لا توجد إلا سماء واحدة ، لأنه من الممكن جدا أن توجد أجرام و سماوات فوق ما نراه بأعيننا من السماء الدنيا . فليس بيّن قوله و لا ثابت ، و لا يصح له أن يجزم بذلك إلا إذا تأكد منه بالرؤية أو بالآثار الصحيحة الدالة عليه . و بما أن هذا لم يكن في متناوله ، فكان عليه أن يسكت و لا يجزم ، و لا يتكلم بلا علم صحيح ، هذا هو الذي يفرضه عليه منطق البحث و الاستدلال .

و منها قوله : ((إنا قد بينا و أوضحنا بالمقالات المقنعة و البراهين الشافية ،و حققنا أن ...)) . واضح منه أن الرجل لم يكن في مستوى التفكير العلمي الصحيح الذي يلتزم- في بحوثه - بالتفرّيق بين الدليل الصحيح ، و الدليل الضعيف و ما ينتج عنهما . فهو قد اعتمد على ظنون و رغبات ، و تأملات نظرية كانت مقدمات بنى عليها مواقفه ، ثم زعم

[1] ابن رشد : تفسير ما وراء الطبيعة ، ج ٣ ص: ٣٥٤ ، ٣٥٥ .
[2] ابن رشد : شرح السماء و العالم ، ج ٢ ص: ٣ ، ٤ .

أنه حقق ذلك ،و بينه بالمقالات المقنعة و البراهين الشافية . و هذا كله زيف و تحريف و تخريف . فهل هذا الرجل كان لا يُفرق بين الظنون و التأملات ،و بين الأدلة و البراهين و الحجج الصحيحة ، أم أنه كان يعرف ذلك لكنه تعمد وصف ظنونه و أوهامه و رغباته بأنها براهين و مقالات مُقنعة ، لتحقيق مكاسب مذهبية ؟؟!! . و أياً كان الجواب فالرجل هنا لم يلتزم بمنطق البحث و الاستدلال فيما يتعلق بالإلهيات و الفلك ، كما لم يلتزم به في الطبيعيات و الإنسانيات .

و منها قوله : ((فإذا كان المحرك الأول الذي لا يتحرك واحدا بالكلمة و العدد ، فإذاً ينبغي أن يكون المتحرك أبدا حركات مُتصلة واحدة فقط ، فإذا سماء واحدة فقط)) . فمن أين له أن وحدة الإله تستلزم مُتحركا له حركات أزلية مُتصلة واحدة تُعطي سماء واحدة فقط ؟؟!! ، هذا زعم باطل عقلا و شرعا و علما ، لأنه قول بلا علم ، كان عليه أن يُثبته بالدليل الصحيح أولا قبل قوله ،و هذا لم يفعله ،و لن يستطيع القيام به . و من أين له أن الإله له كلمة واحدة و فعل واحد ؟ ، و لماذا لا يكون الإله فعال لما يريد ،و يفعل ما يشاء و يختار ،و يتكلم بما يريد، و متى يريد ؟؟ !! . و لماذا لا يكون خلاقا كثير الخلق ؟؟ !! . أليس الإله الذي لا يستطيع فعل ذلك ليس إلهاً ؟؟! ، و أليس القول بما زعمه أرسطو هو نقض لمبدأ الألوهية من أساسه ؟؟!! . واضح إنه لن يستطيع أن يُجيب جوابا صحيحا ،و إنما هذا الرجل داس على العقل الصريح و العلم الصحيح ،و جعل أهواءه و ظنونه مقدمات بنى عليها مواقفه السابقة ، و زعم أنها صحيحة بالضرورة ، مع أنها في الحقيقة هي من أباطيله و خرافاته . فأين اليقين الذي أكثر الكلام حوله في كتبه المنطقية و غيرها ؟ ! ، و أين المقدمات اليقينية التي دعا إلى طلبها لاستخدامها في القياس الصوري ؟!. و هل من المنطق الجزم بأمور لا يستطيع العقل إدراكها مُشاهدة و لا بواسطة آثارها ؟! .

و النموذج التاسع يتعلق بطائفة من خصائص منطق أرسطو السلبية التي لا يُقرها عقل صريح ،و لا علم صحيح . منها أن أرسطو كان يحمل منطقا مريضا مغشوشا ، مُخلطا مُتناقضا ، مُعوجا نفعيا ، لا يتحرج من تناقضاته و خرافاته ، و لا من ظنونه و أقيسته

الفاسدة ،و لا من انحرافاته المنهجية في البحث و الاستدلال . كما أنه لا يتورع من جعل رغباته و تحكماته مقدمات يبني عليها أفكاره ، و قد يجعلها نتائج لغير مقدماتها، و يُكذّب بها الواقع المحسوس ،و يتكلم في أمور كأنه رآها و تأكد منها ، مع أن الحقيقة أنه ما رآها و لا تثبت منها . كما في زعمه بأن الدماغ بارد و لا عروق فيه ولا دم ، و لا اتصال له بأي عضو في الرأس . و زعمه بأن كليتي الإنسان شبيهة بكليتي البقر لأنهما((مركبتان من كِلى صغار كثيرة ...))[1] .

و النموذج العاشر يتعلق أيضا بطائفة أخرى من خصائص منطق أرسطو و حصيلة عمله ، منها أنه منطق فشل في إنشاء فلسفة تقوم على المنطق الصريح و اليقين الصحيح ؛ و إنما أقامها أساسا على المتناقضات و الظنيات ، و التدليسات و الخرافات ،و كثرة الأخطاء العلمية و الانحرافات المنهجية . كزعمه بوجود أزليين ، و قوله بتعدد الآلهة ، و قوله بحكاية العاشق و المعشوق ، و أن الإله لا فعل له ،و لا اختيار ،و لا علم له بالعالم . و كقوله بأن المنطق الصوري أفضل الأقيسة ،و أنه أساس العلم اليقيني . و إهماله للتجربة و استخدامه لظنونه و خلفياته المذهبية الزائفة في العلوم التجريبية ، و غير هذا كثير جدا . فهو منطق عجز عن القيام بنقد علمي للمنطق البشري من جهة ، و فشل في القيام بنقد علمي صحيح للإلهيات و علوم الطبيعة و الإنسان من جهة أخرى .

و النموذج الحادي عشر مفاده أن من خصائص منطق أرسطو أيضا أنه أنشأ فكرا غلب عليه التناقض: مُنطلقا و تطبيقا ، مع أن المعروف عنه أنه ركز كثيرا على مبدأ عدم التناقض في منطقه ، فلم ينتفع به إلا قليلا . و تفصيل ذلك هو أن منطق أرسطو أنشأ فكرا جمع بين المتناقضات فيما يتعلق بالإلهيات ،و قد سبق أن ذكرنا على ذلك نماذج كثيرة ، كقوله بوجود أزليّين ، و نسبة الفعل للإله ثم نفيه عنه ، و القول بأزلية العالم ثم الزعم بأن له بداية تحرك فيها . و من جهة أخرى أنه–أي منطق أرسطو – أنتج فكرا الغالب عليه أنه مُتناقض مع حقائق علوم الطبيعة و الإنسان . فهو منطق أنتج فكرا معظمه غير منطقي و لا علمي.

---
[1] سبق التوسع في ذلك و توثيقه في الفصل الثاني .

و النموذج الثاني عشر مضمونه أن من أهم خصائص منطق أرسطو أنه عاجز من داخله لا يستطيع تحمل أعباء و تضحيات ما تتطلبه منه الأقيسة التجريبية من جهة ؛ و فيه غرور كبير و رعونة نفس ، و منفوخ بمرض التعالم و التعالي من جهة أخرى . لذا وجدنا أرسطو يُفضل التأمل النظري على التجريبي ،و يزدري القياس الجزئي و يُفضل عليه القياس الصوري التجريدي . و يُقدم ظنونه و رغباته على المعاينة و الاستقراء . و قد ضربنا على ذلك أمثلة كثيرة جدا ، نذّكر منها هنا واحدا فقط . مفاده أن أرسطو نصّ على أن الجبال الشاهقة هواؤها حار جدا ، لأنه ((مُتحرك ، و قريب من حركة النجوم))[1] . و بما أن كلامه هذا باطل جملة و تفصيلا ، فهذا يعني أنه تكلم بلا علم ، و لم يُعاين ذلك بنفسه . فلماذا لم يُكلف أرسطو نفسه بأن يصعد إلى قمم الجبال العالية ليتأكد من نفسه ؟! ، و لماذا لم يسأل أهل الخبرة بذلك؟؟!! .

و النموذج الثالث عشر مفاده أن من أهم صفات منطق أرسطو و مميزاته أن فيه غلوا كبيرا أوصل إلى نتائج هزيلة جدا ، و قد تجلى ذلك في جانبين : الأول أنه غالى كثيرا في الاهتمام بطلب اليقين من الناحية النظرية عندما تكلم عن القياس الصوري من جهة . و عندما انتقد أقيسة السفاسطة و أفلاطون و وصفها بأنها ظنية ضعيفة لا توصل إلى اليقين من جهة أخرى . و الجانب الثاني يتمثل في أنه منطق غالى كثيرا – من الناحية التطبيقية– في إهمال التثبت و المعاينة و التجربة من جهة . و في الكلام بلا علم و عدم الاحتياط لمواقفه من جهة ثانية ، و في تقديم ظنونه و رغباته و تأملاته على العقل و العلم من جهة ثالثة . فأوصله ذلك الغلو إلى نتائج كارثية أفسدت معظم فكره .

و النموذج الأخير — الرابع عشر — مضمونه أن من خصائص منطق أرسطو أنه منطق أفسد نفسه بنفسه من جهتين أساسيتين: الأولى أنه أخطأ أخطاء فادحة في مواقفه النظرية من المنطق عامة ، و القياس الصوري خاصة . و الجهة الثانية مفادها أنه– أي منطق أرسطو– عندما دخل الميدان التطبيقي لم يلتزم بمنطق البحث العلمي الصحيح في مجالي البحث و الاستدلال . فأفسد بذلك منطقه بنفسه: تنظيرا و ممارسة .

---

[1] سبق توثيقه في مبحث الأخطاء الجغرافية .

و قبل إنهاء هذا المبحث أذكر هنا أهم نتائجه ، منها إن أرسطو أخطأ في المنطق أخطاءً منهجية أساسية أفسدت منطقه و مواقفه من الأقيسة الجزئية ، فقزّمها و لم يضعها في مكانها الصحيح من جهة ، كما أنها أفسدت موقفه من القياس الصوري ، فغالى فيه و لم يضعه في مكانه الصحيح من جهة أخرى . فانفلت منه المنطق الصحيح ،و لم يتمكن من التحكم فيه تحكما صحيحا . فانعكس هذا سلبا على معظم فكره ، فلا هو أقامه على العقل الصريح، و لا على العلم الصحيح ،و إنما أقامه أساسا على ظنونه و رغباته ، و تأملاته و أقيسته الفاسدة .

و النتيجة الثانية مفادها أن الكليات التي توصل إليها أرسطو من ممارسته للعلوم – التي سبق ذكرها– ثبُت أنها غير صحيحة ؛ و سبب ذلك هو إما أنه توصل إليها باستقراء غير صحيح ، أو بلا استقراء أصلا. و هذا إهمال للتجربة و الاستقراء معا ، و خروج عن قياسه الصوري ، و عن منطق العلم التجريبي . و بذلك يكون أرسطو هو الذي نقض منطقه الصوري بنفسه من جهة ، و هدم جانبا كبيرا مواقفه النظرية من الأقيسة الجزئية عندما اشتغل بالعلوم التجريبية من جهة أخرى .

و النتيجة الثالثة مضمونها أنه من غرائب أرسطو و تناقضاته أنه من المعروف عنه أنه أهمل الاستقراء و قزّمه في كتبه النظرية ، و أهمله في مواقف كثيرة جدا عندما اشتغل بالعلم التجريبي ؛ ، لكنه عندما مارس ذلك اجتهد في طلب العلم الكلي فتوصل إلى كليات كثيرة ، وظّفها في بحوثه !! . فكيف استطاع التوصل إلى الكثير منها مع أنه قد أهمل الطريق الوحيد الموصل إليها و هو الاستقراء ، بل لم يستخدمه أصلا في كثير منها ؟؟!! . نعم هذا من غرائب الرجل و تناقضاته ، إنه طلبها من غير طريقها الصحيح ، إنه طلبها بظنونه و تأملاته ،و رغباته و مذهبياته . فضاعت منه الكلية اليقينية ،و حرم نفسه من ممارسة قياسه الصوري ، لأنه لا قياس صوري صحيح دون مقدمة كبرى صحيحة!!.

و النتيجة الرابعة مفادها أن أرسطو كثيرا ما استخدم أقيسة تطبيقية خاطئة في غير مواضعها الصحيحة ،و بغير اهتمام و احتياط ، و بلا تثبت و لا تجربة . و جرّب منطقه الصوري في علوم الطبيعة ، فلم يلتزم بشروطه النظرية الموصلة إليه من جهة ، و فرضه قسرا على مواضيع كثيرة فأوصله ذلك إلى كليات لا يقين فيها .

و النتيجة الأخيرة مضمونها أن أرسطو لم يحترم مناهج العلوم التي اشتغل بها ، في حالات كثيرة جدا ، بل إنه داس عليها مرارا و تكرارا . فكثيرا ما فرض عليها رغباته و ظنونه ،و أقيسته و خلفياته المذهبية . فلا هو التزم بالشروط التطبيقية للأقيسة الجزئية عامة ، و لا هو التزم بالاستقراء خاصة . و هذا هو السبب في كون كثير من كلياته غير صحيحة .

و إنهاءً لهذا المبحث يتبين منه أن أرسطو أخل كثيرا بشروط و أبجديات منطق البحث و الاستدلال ، و قد اتضح ذلك جليا من خلال النماذج التي ذكرناه للتمثيل لا للحصر . فأوقعه ذلك في أخطاء و انحرافات منهجية كثيرة زادت عن ١٥ خطا و انحرافا منهجيا . و أظهرت أن منطق البحث و الاستدلال الأرسطي هو منطق ضعيف عاجز ، مغشوش مُتناقض ، فاسد مُسفسط ، ظني فاشل ، مُغالٍ في التأملات النظرية الظنية على حساب التأملات العلمية التجريبية .

و ختاما لهذا الفصل أورد هنا طائفة من أهم نتائجه المتعلقة بمواقف أرسطو من المنطق– تنظيرا و ممارسة– . أولها أنه تبين قطعا أن أرسطو لم يكن مُتمكنا و لا متقنا للمنطق عامة و الصوري خاصة ، و لا تمهر فيهما تنظيرا و لا ممارسة . فقد كانت أخطاؤه المنهجية فادحة أفسدت عليه تفكيره المنطقي من جهة. و عندما مارسه في علوم الطبيعة لم يلتزم به ،و وقع في أخطاء فادحة نَقَضه بها من جهة ثانية . و هدمه عندما لم يلتزم بشروط الاستقراء في مواضع كثيرة جدا أوصلته إلى الخروج بكليات خاطئة و ظنية ليست يقينية من جهة ثالثة . و أدت إلى انهيار قياسه الصوري لانعدام الكلية اليقينية الصحيحة ، التي يجب أن تكون مستغرقة لكل عناصرها لكي تنتج لنا نتائج يقينية ،و بذلك يكون أرسطو قد وضع حدا لمنطقه الصوري و دفنه بيده . فلا هو فهم المنطق البشري فهما صحيحا ،و لا هو التزم

بقياسه العقيم عندما خاض في العلوم الطبيعية ،و لا نجح في تطبيقه ، و لا هو التزم بما يفرضه عليه القياس الجزئي– الذي ازدراه– من القيام بالتجارب و المعاينات وفق ما تتطلبه العلوم التجريبية . و ربما تكون هذه النتيجة هي من أخطر و أعجب و أغرب النتائج التي توصلنا إليها في ذكر جنايات أرسطو على العقل و العلم في مجال منطق البحث و مناهج الاستدلال .

و النتيجة الثانية مفادها أنه قد تبين أن أرسطو كان من أكثر فلاسفة اليونان اهتماما بالمنطق ، و ممارسة له ، و تأليفا فيه . لكنه من جهة أخرى فهو من أكثرهم خطأ فيه ، و إفسادا له ،و اعتداء عليه ، ،و إهمالا له. بل إنه كثيرا ما فرّط فيه و هدمه ، و باعه بثمن بخص ، فقدّم عليه رغباته و ظنونه و مذهبيته ، بل و حتى خرافاته . و الشاهد الدامغ على ذلك هو فكره الهزيل الضعيف المملوء الأخطاء العلمية و الانحرافات المنهجية في مختلف العلوم التي خاض فيها، و قد بينا أن معظم إلهيات أرسطو هي هدم للمنطق و العلم معا . فلو كان منطقه علميا سليما قويا ما كان ذلك هو حال فكره !! .

و النتيجة الثالثة مضمونها أنه قد اتضح — بالأدلة الدامغة– أنه لو كان عمل أرسطو في المنطق صحيحا تطبيقا و منهجا لانتفع به صاحبه أولا ،و لأنقذه مما وقع فيه من مئات الأخطاء العلمية و الانحرافات المنهجية التي شملت إلهياته و طبيعياته و إنسانياته . و الحقيقة الثابتة هي أن صاحبه كان هو أول من دفع الثمن غاليا ، فبدأ بصاحبه فصرعه ، و ورّطه ،و كبّله ، و أورده الموارد المهلكة ،و أضحك عليه الناس ،و أوقعه في أخطاء فاحشة فادحة . فكان أرسطو كان أول ضحايا منطقه علما و تطبيقا و منهجا . فجنى بذلك على نفسه و أتباعه و على العقل و العلم معا ؛ و أدخل عقله و عقل أتباعه و المتأثرين به في محنة لم يتخلّصوا من آثارها السيئة إلى يومنا هذا .

و النتيجة الرابعة مفاده أنه قد تبين من تاريخ المنطق عند اليونان أنه لا يوجد في الحقيقة منطق أرسطي و آخر غير أرسطي ،و إنما الصحيح أنه يُوجد منطق يُوناني شارك في نشأته

،و تعليمه و تدوينه و تقعيده أهل العلم اليونانيين عامة ، و السفاسطة ،و سقراط ،و أفلاطون ، و أرسطو خاصة . و قد عُرف بينهم أولا بالجدل ، و منه أخذ أرسطو القياس الصوري ، فاهتم به و توسع فيه ،و صنف فيه و في المنطق عامة كتبه المنطقية المعروفة . فكانت أعماله هذه تدوينا للمنطق اليوناني : جمعا و شرحا ، تقعيدا و تأريخا من جهة . و هي في الحقيقة لا تختلف عن أعماله الأخرى في الإلهيات و الطبيعيات و الإنسانيات ، فقد كانت أساسا تدوينا و تأريخا للعلم اليوناني ، أكثر مما كانت إتقانا و إبداعا ، و تمحيصا له من جهة أخرى . و بناء على ذلك فلا يصح أن يُنسب منطق اليونان لأرسطو ، و لا لغيره من اليونانيين ، و إنما هو فن شارك في نشأته و تطويره و تدوينه علماء اليونان عامة و كبراؤهم خاصة .

و النتيجة الخامسة مضمونها أنه اتضح أن القياس الصوري يجب أن يُوضع في المكان الذي يُناسبه ،و أن لا يُحمّل ما لا يحتمله ، و أن الغلو فيه يُفسد العقل و العلم ،و يُصيبهما بالعقم ، و أن أرسطو كان في مقدمة المغالين فيه ، فأولاه أهمية لا يستحقها أبدا. لأنه أولا أن القياس الصوري هو نتيجة و ثمرة لغيره ، فهو محكوم بجزئياته من جهة ، و لا وجود حقيقي له في الواقع كقياس صوري من جهة أخرى . و ثانيا إن الاكتفاء به يعني الجمود و عدم التوليد و الاكتشاف . و ثالثا إنه لابد لنا في الواقع من الاستمرار في البحث عن الكليات ، و لا يتم ذلك إلا بالعودة إلى الأقيسة الجزئية في الواقع ، و لا نعود إلى الكليات التي وصلنا إليها ، لأنها هي في ذاتها محدودة المجال حسب عناصرها الممثلة لها ،و لا تصلح خارج مجالها . و رابعا إن نتيجة القياس الصوري معروفة مسبقا ، فإذا عرفنا العنصر فلا نحتاج إلى الرجوع إلى العملية الثلاثية للوصول إلى النتيجة . فنحن نبقى دائما محتاجين إلى القياس الجزئي دائما فهو المنتج الدائم و ليس القياس الصوري ، الذي لا ينتج إلا ما تضمنه سابقا ،و لا يعطي إلا بجزئي يشمله مُسبقا .

و النتيجة السادسة مفادها أنه تبين لي يقينا أن المنطق الصوري لم يكن يحتاج أبدا إلى تلك الجهود المضنية و الأوقات الثمينة التي بذلها من أجله أرسطو و أتباعه و المهتمون به إلى يومنا هذا . و الشاهد على ذلك الأمور الأربعة الأساسية الآتية : أولها هو أن حصول العلم

—النظري و التطبيقي– لا يتوقف على معرفة المنطق الصوري أبدا، فيمكننا أن نطلب ذلك العلم من دون أي حاجة ضرورية بالعودة إليه . و الثاني إنه قياس ثانوي في العلم و ليس أساسيا ، لأنه هو نفسه نتيجة للقياس الجزئي و تابع له وجودا و عدما و تفعيلا . و الأمر الثالث أنه مولود لا يلد علما جديدا ، و إنما يلد علما قديما معروفا مُسبقا. و الأمر الأخير —الرابع– أنه قياس فيه ضعف ذاتي بسبب تركيبته الداخلية: تكوينا ، و تفعيلا ، و نتيجة . و لهذا اهتم به السفاسطة كثيرا ، لأنه يتناسب مع نزعتهم الجدلية التدليسية التغليطية التي كانت غالبة عليهم . فجاء أرسطو و سار على نهجهم بطريقته السفسطائية الخاصة به .

و النتيجة السابعة مضمونها أنه تبين بالتجربة أن المنطق الصوري الأرسطي حمل ثقيل جدا ، إنه فن المعاناة و تضييع الأوقات و الجهود ، و تكسير الرؤوس و شغلها بالشقشقات و العبارات الجوفاء . إنه فن مملوء بالأغلال و القيود التي تُفسد الفكر و تُعوّقه ، و تُخرجه عن مساره الفطري . إنه فن حصيلته الصحيحة هزيلة جداً لا تكاد تُذكر ،و ما صح منها يُمكن الاستغناء عنه كلية ، و أخذه مباشرة بمنطقنا الفطري بطريقة سهلة سلسة . إنه فن من جهله يربح كثيرا و لن يخسر شيئا ، و من أخذ به ، فإنه سيخسر كثيرا ، و لن يربح منه شيئا له قيمة حقيقة ،و إن وَجَد قليلا منه ، فإنه موجود خارج منطقه بشكل أسهل و أوفر ، و أحسن و أضمن . لذلك و غيره ، فالمنطق الصوري فن لا يحتاج إليه العقل الصريح ،و لا العلم الصحيح ،و لا تتوقف عليه العلوم بما فيه المنطق الصحيح ، فنشأتها و تطورها لا يتوقفان على العلم به .

و النتيجة الثامنة مفادها أنه تبين لي أن الذي أفسد المنطق الصوري: تنظيرا ،و ممارسة ، و حصيلة ، هو أرسطو نفسه!!. إنه هو الذي أفسده بأهوائه و ظنونه ،و انحرافاته المنهجية ، أفسده تنظيرا ، و تطبيقا ،و مردودية . فأدخله في محنة لم يتمكن من التخلّص منها ، و لا استطاع أن يتجنب آثارها السيئة عليه.!!.

و النتيجة الأخيرة – التاسعة – مضمونها أنه تبين قطعا أن أرسطو وقع في أخطاء و انحرافات كثيرة جدا تتعلق بالمنطق تنظيرا و ممارسة ، زادت عن أكثر من ٦٨ خطأ و انحرافا منهجيا ، و هي عينات من باب التمثيل لا الحصر . و هذا ليس بالأمر الهين ، بل إنه أمر خطير جدا ، انعكست آثاره السيئة على أرسطو و أتباعه إلى يومنا هذا من جهة ؛ و بها جنى على العقل و العلم قديما و حديثا من جهة أخرى .

الفصل الخامس

خصائص فكر أرسطو و ظاهرة الغلو في تعظيمه

أولا: ظاهرة الغلو في أرسطو و فكره .

ثانيا: أهم خصائص فكر أرسطو .

خصائص فكر أرسطو و ظاهرة الغلو في تعظيمه

غالى كثير من أهل العلم – قديما و حديثا – غلوا كبيرا في مواقفهم المعَظِمة لأرسطو و فكره ، حتى أخرجهم ذلك عن حدود العقل الصريح و العلم الصحيح . فضخموا الجوانب الإيجابية القليلة و نفخوها ، و أغفلوا الصفات السلبية الكثيرة جدا و قزّموها و هوّنوا منها .

فما تفاصيل ذلك ؟ ، و ما هي أسباب غلو هؤلاء ؟ ، و ما هي أهم خصائص فكر أرسطو طاليس ؟ .

أولا: ظاهرة الغلو في أرسطو و فكره :

نورد هنا طائفة من أقوال أهل العلم المغالين في فكر أرسطو و صاحبه ، ثم نعلق عليهم بالرد و المناقشة حسب الطريقة التي اتبعناها في كتابنا هذا .

أولهم الفيلسوف المشائي أبو الوليد بن رشد الحفيد(ت ٥٩٥هجرية) إنه وصف[١] أرسطو بأنه الحكيم الأول[٢]. و أنه لم يُقصّر في موقفه من هالة الشمس و القمر[٣] ، فهكذا ينبغي أن ((يُفهم الأمر عن أرسطو في هذه الأشياء ، لا أنه قصّر قي ذلك و ترك شيئا يجب ذكره في هذا العلم و لا في غيره . فسبحان الذي خصّه بالكمال الإنساني،و كان المدرَك عنده بسهولة ، هو المدرَك عند الناس بعد فحص طويل و صعوبة كثيرة .و المدرك عند غيره بسهولة خلاف المدرك عنده . و لذلك كثيرا ما ينشأ للمفسرين شكوك على أقاويل هذا الرجل ، ثم يتبين بعد زمان طويل صواب قوله ، و تقصير نظر الغير ، بالإضافة إلى نظره . و بهذه القوة الإلهية التي وُجدت فيه كان هو الموجد للحكمة و المتمم لها . و ذلك شيء يقل وجوده في الصنائع ، أي صناعة كانت ، فكيف في هذه الصناعة العظمى ؟ . و إنما قلنا أنه الموجد و المتمم لأن ما سلف لغيره في هذه الأشياء ليست تستأهل أن تُجعل شكوكا على هذه الأشياء ، فضلا عن أن تكون مبادئ . و إذ قد تبين هذا ، فإذن ليس في أقاويل أرسطو شيء يحتاج إلى تتميم ، كما زعم أبو بكر بن الصائغ-ابن باجة- . نعم فيها أشياء كثيرة لم يفهمها هو و لا نحن بعده ،و بخاصة في الكتب التي لم تصل إلينا ، فيها أقاويل المفسرين . و لذلك كان الواجب عليه أن يستعمل الفحص عن كلامه لا بتلك الأشياء الخارجة عن طريقة التعليم))[٤] .

---

[١] سنعتمد في ذلك على كتب ابن رشد أولا ،و على مصنفات الرشديين المتخصصين في ابن رشد عندما يتعذر علينا العثور على بعض أقوله من كتبه مباشرة .

[٢] ابن رشد : تهافت التهافت ، ص: ٢٢٠ . و سبق أن بينا بطلان وصف أرسطو بأنه المعلم الأول ،و لا الحكيم الأول أيضا .

[٣] سبق أن بينا خطأ موقف أرسطو من هالة الشمس و القمر في الفصل الثالث .

[٤] ابن رشد : تلخيص الآثار العلوية ، ص: ١٤٥ ، ١٤٦ .

و وصفه أيضا بأنه أكبر الناس عقلا ،و هو الذي ألف علوم المنطق و الطبيعيات ، و ما بعد الطبيعة و أكملها . و سبب قوله هذا هو أن جميع الكتب التي أُلفت في هذه العلوم قبل مجيء أرسطو لا تستحق جهد التحدث عنها . ثم قال : ((نحمد الله كثيرا على اختياره ذلك الرجل –أي أرسطو– للكمال ، فوضعه في أسمى درجات العقل البشري ،و التي لم يستطع أن يصل إليها أي رجل في أي عصر))[1] . و هو أعقل اليونان و واضع علوم المنطق و الطبيعيات ،و ما وراء الطبيعة و متممها ... و لا وجدوا خطأ فيها ، ...و ((يُوجب تسميته ملكا إلهيا لا بشرا)) ،و إننا نحمد الله حمدا كثيرا لأنه قدّر الكمال لهذا الرجل، و وضعه في درجة لم يبغلها أحد غيره من البشر في جميع الزمان ،و ربما كان البارئ مُشيرا إليه لما قال في كتابه ((و الفضل لله يُؤتيه من يشاء))[2] ، و برهانه لهو ((الحق المبين ،و يمكننا أن نقول عنه : إن العناية الإلهية أرسلته إلينا لتعليمنا ما يمكن علمه))[3] .

و من ذلك أيضا أنه –أي ابن رشد– كان يعتقد أن نظر أرسطو فوق نظر جميع الناس[4] .و أنه قال – فيما بعد الطبيعة قولا ((تاما و حل كل الشكوك في ذلك))،و ((رأيه هو الرأي الذي تنفصل عنه جميع الاعتراضات ، و تنحل به جميع الشكوك الواقعة في المبادئ))[5] .

و الثاني هو الباحث مصطفى النشار: زعم أن أرسطو اكتشف علم المنطق ، و كان هو المعبر عن عصره باكتشافه الاستقراء و القياس ، و هو مُكتشف المنطق الصحيح للتفكير الإنساني ،و قد طبقه في كتبه الفلسفية و العلمية،و به كشف مغالطات التفكير السفسطائي[6]. و كان له الفضل في ((تأسيس الفلسفة كعلم ،و له أصوله و منهجه و غاياته . كما كان له فضل تأسيس معظم العلوم المعروفة ، مثل المنطق ،و علم النفس ،و علم الأخلاق ،و علم السياسة ، فضلا عن العلوم الطبيعية المختلفة كعلم الطبيعة ،و الفلك

---

[1] عاطف العراقي : الفيلسوف ابن رشد ، ص: ٥٣ .
[2] هذه الآية ذكرها بالمعنى ،و نصها هو ((ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ))-سورة الجمعة : ٤ - .
[3] فرج أنطون : ابن رشد و فلسفته ، ص: ٨٨ .
[4] الجابري: ابن رشد ، ص: ١٦٥-، ١٦٦ .
[5] محمد المصباحي : الوجه الآخر لحداثة ابن رشد ، ص: ٧٦ .
[6] مصطفى النشار : تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، ص: ج ٢ ص: ١٢ . و نظرية العلم الأرسطية ، ، ص: ٧٧ .

، و علوم الحياة ،و خاصة علم الحيوان)). و وصفه بأنه كان ((فيلسوفا مُبدعا ،و منطقيا فذا ، و عالما حاول تخليص العلم من كثير من الخرافات و الأساطير التي علقت به في المراحل السابقة)) ، و ((كان حريصا في أبحاثه عن الحيوان مثلا ، أن يفحص ما يأتيه من معلومات من خلال ما يُشاهده هو بعينه ، و يزنه بميزان عقله)) [1].

و الثالث هو الباحث ولتر ستيس: ذكر أن أرسطو بمؤلفاته عن الحيوان أسس علم الحيوان ، و لم يكن هناك أحد قبله قام بدراسة خاصة لهذا الموضوع)) . و كان فذا في كل أنواع المعرفة ، مما يستحيل بالنسبة لرجل واحد في الأزمنة الحديثة))[2] .

و الرابع هو الكاتب ول ديورانت : أشار إلى أن أرسطو وضع علم الفلك ، و أوجد علم الأحياء . و أن أول تميّز عظيم تميز به أرسطو عن سلفه ، و كان من ((وضعه و تفكيره هو وضعه لعلم جديد هو المنطق)) .و أن فلسفته كانت ((غزوا للعالم أفضل من غزو الأسكندر للعالم و انتصاره الهمجي)). و أن العلم قبل أرسطو كان جنينيا ، فَوُلد بمجيئه[3] . ثم زعم أن فلسفة أرسطو أبدعت النُظم الفكرية ،و أكثرها تأثيرا ،و قد وضعها عقل واحد فقط . و نحن نشك في ((أن يكون مُفكر آخر قد ساهم بمثل هذه الكثرة في تثقيف العالم و تنويره . لقد استمدت الأجيال كلها من أرسطو ، و وقفت على كَتفيه لترى الحقيقة . لقد استمدت ثقافة الإسكندرية العظيمة من كتاباته ، و استوحت إلهامها و معرفتها الغزيرة من فلسفته . و لعب منطقه دورا كبيرا في تشكيل العقول في العصور الوسطى البربرية ، و في تثقيفها و تهذيبها ، و صقلها و تنظيمها في أفكار مُتماسكة مُنظمة))[4].

و الخامس هو الباحث فؤاد الأهواني : يقول : ((لم يكن أرسطو صاحب المنطق فقط ، بل يمكن القول : إنه صاحب كل علم ، و واضع أُسس معظم فروع العلوم الطبيعية ...))[5].

[1] مصطفى النشار : نظرية المعرفة عند أرسطو ، ص: ٦ ، ١٤ .
[2] ولتر ستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٢١٣ .
[3] ول ديورانت : قصة الفلسفة ، ص: ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ١٠٩ .
[4] نفس المرجع ، ص: ١٢٢ .
[5] فؤاد الأهواني : المدارس الفلسفية ، ص: ٦٢ .

و السادس هو الباحث يوسف كرم وصف أرسطو بأنه ((واضع المنطق و الفلسفة الأولى ،و العلم الطبيعي)) . و أنه ((بوضعه للمنطق قد يسر للناس مثل هذا العلم ، و بصّر العقل بنفسه ، و أبلغه رشده))[1]

و سابعهم الباحث ماجد فخري وصف أرسطو بأنه ((أعظم عباقرة الفكر في التاريخ إطلاقا))[2] .

و آخرهم – الثامن- محمد عابد الجابري قال: لا يُجادل ((أحد في العصور القديمة و لا الحديثة ، في أن أرسطو يستحق أن يُوصف بأنه كان نابغة أو بحر العلوم))[3] . و أنه أقام فكره على نظام البرهان ، و لم يُقمه على البيان و لا العرفان[4].

و ردا على هؤلاء أقول : إن معظم ما زعمه هؤلاء هو باطل جملة و تفصيلا ، جمعوا فيه بين الغلو و المبالغات ، و المجازفات و الأخطاء الفادحة ، و الأقوال غير المسئولة ، و التعصب الممقوت لأرسطو و فلسفته. و هؤلاء الغلاة هم على طريقة شيخهم في الغلو و السطو و الاستحواذ على أفكار غيره كما سبق أن بيناه ، فهم أيضا سطوا على العلوم التي كانت قبل أرسطو و نسبوها إلى شيخهم و نفخوه بها من جهة . و أغفلوا ما قام به العلماء قبل أرسطو، و قزّموهم من جهة أخرى . و هؤلاء – و أمثالهم- إما أنهم لا يعون ما يقولون ، أو أنهم تعمدوا قول ذلك لغايات في أنفسهم . و كتابنا هذا هو دليل دامغ قاطع على بطلان مزاعمهم ، من جهة ،و هو شاهد قاطع كاشف لأباطيلهم و مغالطاتهم من جهة أخرى . و قد تبين من أقوالهم أن فيهم تعصبا كبيرا لأرسطو بالباطل، وهم غُلاة حقا، ارتكبوا جرائم نكراء تجاه أنفسهم و الإنسانية ، و في حق العقل و العلم معا، أولهم ابن رشد . و هذا الرجل- أي ابن رشد- أمره غريب جدا ، تجاوز حدود الشرع و العقل و العلم في غلّوه و مدحه لشيخه أرسطو من جهة . و دلت أقواله على أنه رجل مريض فيه جهل كبير

[1] يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١٦٢، ١٦٩ .
[2] ماجد فخري: أرسطو : المعلم الأول ، ص: ٧ .
[3] الجابري : ابن رشد ، ص: ١٧٣ .
[4] تكوين العقل العربي ، ص: ٢٤٤، ٣٢٩، ٣٢٨ ، ٣٢٩ . و بنية العقل ، ص: ٣٨٤ ، ٤١٦ . و التراث و الحداثة ، ص: ١٤٢ ، ٢٠٤.

،و سلبية و انهزامية ممقوتتين من جهة أخرى . و قد أفردتُ له كتابا للرد عليه[1] . و فيما يأتي نرد على هؤلاء ردا عاما جامعا ، فنقول و بالله التوفيق :

أولا ليس أرسطو هو الذي أنشأ الفلسفة ،و لا الإغريق هم الذين أنشؤوها ، لأنها ظهرت قبلهم بقرون مديدة . لأن الفلسفة بالمعنى العام الصحيح تعني توظيف الإنسان فكره لتلبية ما يريده من أفكار و إجابات ، و حاجيات متنوعة . و الفلسفة و العلم- بمعناهما الواسع - وُجدا بالضرورة مع وجود الإنسان ، فلا إنسان دون فلسفة ، و لا إنسان دون علم، و لا علم دون فلسفة ،و لا فلسفة دون علم . و عليه فإن كل الشعوب كانت لها فلسفات و علوم بالضرورة المنطقية و العملية ، سواء دونتها أو لم تدوّنها ، و سواء كانت راقية أو منحطة ، و سواء وصلتنا أم لم تصلنا . و قد كانت فلسفاتهم متداخلة بعلومهم ، و علومهم مُتداخلة بفلسفاته ،كما هو حاصل في زماننا هذا . فالتفلسف ليس حكرا على شعب دون آخر ،و لا على طائفة معينة من الناس دون غيرها ، فيمكن أن يظهر الإنسان الفيلسوف في أي شعب من الشعوب ،و في أي زمن من الأزمنة . و الشواهد الآتية تُثبتُ ذلك بوضوح :

منها ما سجله القرآن الكريم و بعض المصادر التاريخية القديمة من نماذج الحوارات و التأملات الفلسفية المؤمنة منها و الضالة ، تشهد على أن الإنسان مُتفلسف بطبعه . فأما من القرآن الكريم ، فمنها قوله تعالى :((وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ، تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ، لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ، فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ، فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَاب))-سورة غافر:٤١-٤٥ - . فهذا نص هام جدا يُصّور لنا منطق الإيمان و البديهة القائمة على العقل الصريح من جهة . و يكشف عن مشاعر و تأملات و ردود ذلك الإنسان المؤمن من جهة أخرى .

[1] عنوانه : نقد فكر الفيلسوف ابن رشد الحفيد ، و الكتاب منشور ورقيا و إلكترونيا .

و منها أيضا قوله تعالى : {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ }- سورة الجاثية:٢٤- ، و {إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ }- سورة المؤمنون:٣٧- . و هذا نص يكشف لنا عن منطق الضالين من الملاحدة و الشُكاك في موقفهم من الحياة الدنيوية : نشأة و ممارسة و مصيرا من جهة . و يكشف عن منهج تفكيرهم و بعض شبهاتهم التي تعلقوا بها و قد استنتجوها بمنطقهم المعوج من جهة أخرى .

و أما من التاريخ القديم فقد عثرت على نصين يتعلقان بالتأمل الفلسفي المضطرب للإنسان الذي يعيش أزمة نفسية و فكرية . الأول مفاده أن أحد البابليين الملتزمين بدينه تأمل شقاءه الدنيوي ،و سعادة غيره فكتب يقول[1] : ((

لم أكد أصل الى الحياة حتى عبرت الزمن المحدد
فاستدرت ... انه شر ... وشر أكثر
زاد الجور علي ولم أستطع بلوغ حقي
صرخت الى الهي ولكن لم ينظر الي
توسلت الى الهتي ولكنها لم تعن برفع رأسها
ان العراف بعرافته لم يحدد مستقبلي
والساحر بضحية لم يستطع أن يجعل محاكمتي جلية
لقد تحدثت الى العراف ولكن لم يعلمني شيئا
ان الساحر برقاه لم يستطع أن يحل اللعنة التي أنا هدفها

[1] أنظر : ل ، ديلا بورت : بلاد ما بين النهرين : الحضارتان البابلية و الأشورية ، ط ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧ ، ص: ٢١٢-٢١٣ .

ما أكثر اختلاف الأحداث فى العالم !
لقد نظرت ورائى : فوجدت الشر فى عقبى
كأنما لم أكن أقدم التقدمات بانتظام لالهى
وكأنما كنت لا أخلد ذكرى آلهتى فى الوليمة
وكأنما لم أحن وجهى وكأنما لم ينظر الى عبادتى
فكنت كمن توقفت الصلوات والابتهالات فى فمه

وكنت كمن انتهى يومه الالهى . لقد مات القمر الجديد
وأصبحت مثل ذلك الذى اضطجع على جانبه واحتقر صورهم
والذى لم يعلم أتباعه الخوف والاجلال
والذى لم يذكر الهه والتهم الطعام المخصص له
والذى هجر الهته ولم يأت بالمقرر عليه
والذى كان ظالما ، والذى نسى مولاه

والذى نطق كلمة الهه القوى باستخفاف
انني أصبحت مثل ذلك الرجل
ان مضطهدى يتبعنى كل يوم
وعند قدوم الليل لايدع لحظة أتنفس فيها
ان أعصابى تتفكك من كثرة اضطرابى
وقواى تنحل وادى فالا سيئا

فأرانى ملقى على سريرى كالثور ملوثا ببرازى كالشاة
لقد عذبت الساحر عضلاتى المريضة .
وضللت العراف التنبؤات التى جاءته عنى
ان صاحب الرقى لم يفهم شيئا عن مرضى
ولم يضع العراف حدا لعجزى
ولم يأت الهى لعونى ولم يأخذ بيدى
ولم ترحمنى الهتى ولم تسر الى جانبى
القبر مفتوح ومسكنى تم الاستيلاء عليه (١)
وانتهى الحزن على حتى قبل أن أموت
لقد رددت كل الناس « كم هو مهدم ! »
وسمع عدوى بذلك وتهللت أساريره
لأن بشارة الخبر قد وصلته فانبثق النور من قلبه » .

واضح من النص أن هذا الإنسان فيه إخلاص لدينه لكنه قليل العلم ، أُحادي النظرة إلى موضوع الخير و الشر . لم يكن يعرف الإله الحق و لا دينه ،و إنما كان على دين الشرك و الظنون و الأهواء . لذلك لم يجد إجابات صحيحة لتساؤلاته ،و مع أنها معروفة شرعا و عقلا . و لم يُدرك أن خالقنا سبحانه و تعالى خلقنا لنعبده ،و أنه كما يبتلي بالشر و الضراء ، فإنه يبتلي أيضا بالخير و السراء . و الذي يهمنا من هذا النص هو طابعه التأملي الفلسفي العملي .

و أما النص الثاني فيتضمن قصيدة شعرية لأحد المصريين القلقين الشاكين ، يقول فيها [1]:

[1] نعيم فرج : موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص: ١٠٠- ١٠١ .

إن الذين بنوا لأنفسهم قصوراً لم يبق شيء من بيوتهم فما الذي حدث لهم ؟ ولم يأت أحد من هناك فيقص علينا ما أصبحوا عليه ويخبرنا عن مصيرهم ، فتطمئن قلوبنا ونرتاح ، حتى نسرع أيضاً إلى المكان الذي ذهبوا إليه . فتمتع واجعل قلبك ينسى اليوم الذي يضعونك فيه في القبر لترتاح . ارم بكل الاحزان وراء ظهرك ، وفكر في السرور حتى يأتي ذلك اليوم الذي تصل فيه إلى ميناء تلك الأرض التي تحب الهدوء (الموت) . مر وراء رغبات قلبك مادمت حياً .

اسكب العطور فوق رأسك ، وألبس أفضل أنواع ملابس الكتان .
دع الغناء والموسيقى أمام ناظريك ، وأكثر بما لديك من ملذات .
لا تجعل قلبك ينقبض ، ولا تحمّل نفسك الهم حتى يأتي يوم الندب عليك .
اقضِ يومك سعيداً ولا تشغل نفسك بشيء .

استمع إليّ . لا يستطيع أحد أن يأخذ أمواله معه ، ولن يعود ثانية من يموت .

واضح من النص أنه من كلام أحد الدهريين الضالين ، الذين أشار إليهم القرآن الكريم ، و هو نفسه الذي يقوله الدهريون المعاصرون . و هو كلام أقامه صاحبه على ظنونه و أهوائه ، فهو شكك في المعاد الأخروي ، دون دليل صحيح ، و تعلق بظن دون دليل يُثبته . و اعتراضاته بعضها صبياني ،و أخرى ضعيفة جدا . كما أن نصيحته للإنسان ليست من المصلحة الحقيقية ، و لا من العقل الصريح، و لا من العلم الصحيح في شيء ، فهي نصيحة مسمومة قاتلة مدمرة . لأن الإنسان العاقل الذي لم يعرف الإله الحق ،و لا وجد الدين الصحيح ، عليه أن يحتاط لنفسه و يخاف عليها ،ولا يُنكر أمرا لم يتأكد من وجوده بدعوى أنه لم يره . فهذا اعتراض صبياني تافه ، لا يصح قوله عقلا و لا علما ، ليس هنا مجال الخوض فيه . و خلاصة الأمر أن الإنسان العاقل لا يعمل كما فعل هذا المصري المريض المِشكاك ، و إنما يعتقد و يقول لنفسه و غيره : أنا آمنتُ بالله و المعاد الأخروي بدليل العقل و البديهة ، و المنفعة المشروعة ، فأعيش مُطمئنا في الدنيا ، و عندما أموت إذا وجدتهما- أي الله و المعاد- ربحت كل شيء ، و إذا لم أجدهما فقد ربحت طُمأنينية الدنيا و لم أخصر شيئا في الحياة و لا الممات . لكن ذلك المصري و أمثاله عندما كفروا بالله و المعاد

الأخروي فهم إن عاشوا سعداء في الدنيا- و السعداء منهم قليل- ، فإنهم عندما يموتون سيخسرون كل شيء إذا وجدوا الله و المعاد ، و لن يربحوا شيئا إذا لم يجدوهما . فمن الرابح إذاً ؟؟!! . لكن الذي يهمنا هنا هو النزعة التأملية الفلسفية العملية التي تضمنها هذا النص .

و من تلك الشواهد أيضا أن أرسطو نفسه ذكر أن الفلسفة الإلهية كانت مزدهرة عند الكلدانيين . و علّق على ذلك ابن رشد بقوله : ((يُظن أن الحكمة كانت قد كملت عندهم ، إلا أن ما بقي من تلك الأقاويل يجري مجرى اللغز))[١] .

و منها أيضا شواهد تتعلق بالفلسفة عند المصريين ، فقد كانت عادة الطلاب اليونانيين أنهم يُسافرون إلى مصر لتعلم الفلسفة [٢] . و قد وصلتنا برديات مصرية لكبار حكماء مصر منهم : كاأرسو ، و بتاح حبت ، و إبور ، و نيكرع . و قد تناولت كتبهم الأخلاق ،و الحكمة ،و التربية ، من مواضيعها : أدب المحادثة ، و العدالة و الحقيقة ، و الحكمة السياسية و طريقة الحكم ، و احترام الشعب ، و تمجيد صناعة الكلام و المحادثة ، و واجبات الحاكم ، و فن الحياة ، و غيرها من المواضيع [٣] . و من حِكم أحد علمائهم و وزيرهم بتاح حوتب أنه قال [٤] : ((لا يُداخلنك الغرور بسبب علمك ولا تتعال لأنك رجل عالم . استشر الجاهل كما تستشير العالم ، لأنه ما من أحد يستطيع الوصول إلى آخر حدود الفن ، ولا يوجد الفنان الذي يبلغ الكمال في إجادته . إن الحديث الممتع أشد ندرة من الحجر الأخضر اللون ، ومع ذلك قد تجده لدى الاماء اللاتي يجلسن إلى الرحى » ...

---

[١] ابن رشد : تفسير ما وراء الطبيعة ، ج ٣ ص: ٣٥٦ ، ٣٥٧ .
[٢] ديوجين لايرتيوس : المختصر ، ص: ٤٩ .
[٣] خزعل الماجدي : الدين المصري ، د ١ ، دار الشروق ، الأردن ، ١٩٩٩ ، ص: ٢٨٩ و ما بعدها .
[٤] نعيم فرج : موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص: ١٠١ .

فواضح من ذلك أن القوم كانت لهم فلسفتهم في الحياة ،و كتبوا حولها بطريقتهم التي تناسبهم . و قد تركوا من خلفهم تراثا فكريا غزيرا مكتوبا على الجدران و البرديات تناول مختلف مجالات الفكر و العلوم[1] .

و ثانيا إن العلوم قد ظهرت قبل أرسطو و حضارة اليونان بعدة قرون في بلدان كثيرة من العالم ، و كانت متنوعة و مزدهرة حسب زمانها. و عن شعوبها أخذ اليونانيون معظم أصول حضارتهم و كثيرا من فروعها. فالعلم لم يُولد بمجيء حضارة الإغريق و لا بمجيء أرسطو .و الشواهد الآتية تثبت ذلك و توضحه بشيء من التفصيل:

أولها مفاده أن العلم كان مزدهرا جدا في الحضارة السومرية في العراق ، استمرت في العراق أكثر من ١٥ قرنا قبل الميلاد ، و اختفت نحو ٢٠٠٠ قبل الميلاد[2] . و قد ظهرت فيها المدارس في نحو القرن ٢٠ قبل الميلاد . و بلغ عدد الكهنة الذين كانوا يُمارسون الكتابة الألوف على اختلاف تخصصاتهم[3] . قدمت الحضارة السومرية للبشرية أساسيات و قواعد الحضارة الإنسانية ، التي قامت عليها العلوم التي وصلتنا . منها الكتابة ، و التشريع ، و الآداب ، و الصناعات ، و الفنون ، و الطب ، و العمارة ، و غير ذلك[4] .

و من ذلك الازدهار أنه تم العثور على مصنفات كثيرة من آثار البابليين و الآشوريين ، صنفوها في مختلف العلوم ، و هي أدلة دامغة على ازدهار العلوم بحثا و تأليفا و تطبيقا و إبداعا في ذلك الزمن القديم. منها : قوائم مُعجمية لغوية ، و معاجم خاصة بالمترادفات ، و رسائل في الفلك ،و الرياضيات ،و الجغرافيا ، و الطب ، و الكيمياء ، و علم الحيوان ،و علم النبات ، و غيرها ، و هي مجموعة ((تُروّع المرء حقا بسعتها و تنوّعها))[5] . هذه الأعمال الهامة جدا تستلزم بالضرورة استخدام مناهج علمية تجريبية بالضرورة ، و توجب توصل أصحابها إلى استخراج و اكتشاف كليات و قوانين و قواعد تتعلق بتلك العلوم .

---

[1] سنذكر منها نماذج فيما يأتي .
[2] خزعل الماجدي : متون سومر ، ص: ٢٤ .
[3] خزعل الماجدي : متون سومر ، ط١ ، الدار الأهلية ن الأردن ، ١٩٩٨ ، ص: ١٨ .
[4] خزعل الماجدي : متون سومر ، ص: ١٠ .
[5] سبتينو موسكاني : الحضارات السامية القديمة ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، دار الرقي ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص: ٩٣ ، ٩٤ .

و الشاهد الثاني يتعلق بعلم الفلك ، فقد كان عند المصريين متطورا حسب عصرهم ، لذا وجدنا بعض كبار فلاسفة اليونان طلب الفلك بمصر ، مثل طاليس[١] . و أقام البابليون علم الفلك على أُسس رياضية ، و توصلوا إلى نتائج هامة ، منها اعتبار الشمس مركز الكون ، و القول بتأثير القمر في المد و الجزر ،و استخدموا آلات في أرصادهم . و قسموا دائرة السماء إلى ١٢ جزءا ، و رصدوا بعض الكواكب كالزهرة . و استخدموا ساعات مائية لمعرفة أجزاء الليل ، و ساعات شمسية لقياس أجزاء النهار[٢] . و بفضل ما كان عندهم من معارف فلكية هامة ، تمكنوا من التنبؤ بحدوث الخسوف و الكسوف ، و عرفوا متى يكون القمر أقرب مسافة من الأرض ، و استخدموا التقويمين الشمسي و القمري . و قد بنوا علم الفلك على أُسس سليمة ، و عنهم أخذه الإغريق[٣].

و الشاهد الثالث يتعلق بعلم الطب : وصفا و تشريحا و ممارسة ، فقد دلت الألواح الطينية الأشورية التي تعود إلى ما بين: ٦٦٨-٦٢٦ قبل الميلاد ، دلت على أن الطب الأشوري عرف تشريح الحيوان و مقارنته بالإنسان ، و هذا مكنهم من معرفة وظائف أعضاء الإنسان ، فكانت لهم معرفة دقيقة بأحشاء الجسم و أوصافها و وظائفها كالقلب ،و الكبد ،و البنكرياس ،و الطحال ، و عمليات التنفس و الرئة و قياس النبض ... وذُكرت فيها أيضا الخطوات السليمة للعلاج الجراحي ، كالتنظيف ، و التعقيم . و كان لأطبائهم عمليات جراحية كثيرة ، كتجبير الكسور ،و التدخل لالتقاط الجنين بملقط و سحبه . و دلت الآثار على أنه كان لأطباء الأشوريين بحوث أو كتب تتعلق بالطب . و قد تطورت على أيديهم صناعة الأدوية ، عندما ازدهرت عندهم الكيمياء[٤] .

---

[١] ديوجين لا يرتيوس: المختصر ، ص: ٧ .
[٢] محمد أبو المحاسن عصفور : معالم حضارة الشرق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص: ٢٥١ .
[٣] نعيم فرج : موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دار الفكر ، دمشق ، ص: ٥٤ . و محمد أبو المحاسن عصفور : معالم حضارة الشرق ، ص: ٢٥١ .
[٤] خزعل الماجدي: بخور الآلهة ، ط١ ، الأهلية للنشر ، الأردن ، ١٩٩٨ ، ص: ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٣ .

و توصل البابليون إلى معلومات هامة تتعلق بالتشخيص ، و التشريح ، و العقاقير . و أقاموا طبهم على التخصص ، كالجراحين و المعالجين بالأعشاب . و صنفوا الأمراض ، و وصفوا أعراضها و علاجها ،و كيفية استعمال الأدوية المتنوعة ، . و قسموا الأدوية حسب مصدرها : نباتية ، حيوانية ، معدنية ،و حسب استعمالها أيضا ، كالتي تُستعمل خارج الجسم ، و تُتناول عن طريق الفم . و استخدموا آلات لوضع الأدوية في أماكن دقيقة من الجسم ، كالعين و الأذن[1] .

و من ذلك أيضا فقد درس السومريون و البابليون و الأشوريون تركيب أجسام الحيوانات المذبوحة ، و فحصوها بدقة . و قد وصلتنا تصاميم لأكباد مصنوعة من الطين بشكل رائع ، لها عدة أغراض ، منها وسائل إيضاح في علم التشريح[2] .

و منها أنه وصلتنا برديات طبية هامة عن الطب المصري ، منها بردية طولها ١٥ قدما ترجع إلى نحو القرن ١٧ قبل الميلاد ، تضمنت ٤٨ حالة من الحالات الجراحية التطبيقية . و لكل حالة بحث دقيق حولها بطريقة قطاعية : تشخيصا ، و فحصا ، و علاجا . و تضمنت أيضا تعليقات حول المصطلحات العلمية الواردة فيها . و أشار كاتبها إلى حقيقة لم تُعرف في الكتب الطبية إلا في القرن ١٨ م ، هي أن المخ هو المركز المسيطر على أطراف الجسم[3] . و منها بردية أخرى تعود إلى نفس الفترة تناولت وصفا للطب ،و القلب و الأوعية ، و وظائف الأعضاء ، . و شملت أيضا على باب مُطوّل في الأورام ،و عليه ثَبْت بأسماء ٧٠٠ دواء لكل الأمراض التي كانت معروفة لديهم ، كأمراض البطن ، و الجلد ، و العين ، و الجروح[4] . و منها بردية تضمنت ٧١٠ تشخيصات من أمراض النساء و التوليد . و وصفت أيضا أقماع اللبوس لمنع الحمل ، في ثلاث صفحات ، بدأت بالحديث عن المرض ، ثم أعراضه ، و تشخيصه ، و علاجه و العقاقير الموصوفة له[5] . و كانت في مصر مدارس

---

[1] محمد أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق ، ص: ٢٥٤ .
[2] نعيم فرج : : موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص: ٥٥ .
[3] السيد النشار : تاريخ الكتب و المكتبات في مصر القديمة ، دار الثقافة العلمية ، مصر ، ١٩٩٩ ، ص: ٣٨ .
[4] نفسه ، ص: ٣٨ .
[5] نعيم فرج :نفس المرجع ، ص: ٣٩ . و سمير أديب : نفس المرجع ، ص: ٥٧١ و ما بعدها .

مُتخصصة في الطب ، كمدرسة ساو ، و أون في مصر القديمة ، و كان طلابها يقيمون فيها بفضل نظامها الداخلي[1] .

و الشاهد الرابع يتعلق بعلم النبات و الزراعة و علم الحيوان ، و مفاده أن أطباء الأشوريين قاموا بإحصاء النباتات الطبية ، من أعشاب ،و أشجار ، و جذور ، و قد ورد ذلك كثيرا في وصفاتهم الطبية[2]. و كانت للبابليين مصنفات في النبات تميزت بالدقة ، فجعلوها في مجاميع مُتشابهة ، من جهة أشكالها ،و ثمارها ، و ميزوا بعض أنواع الأشجار بين ذكورها و إناثها[3] . و كانت للسومريين و البابليين و الأشوريين قوائم ذات هدف تعليمي تحتوي أسماء النبات و الحيوانات و المعادن[4] . و قد تم العثور على بحث يعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد كُتب باللغة السومرية في علم الزراعة دُرست فيه خصائص التربة و النباتات الزراعية و غيرها[5].

و فيما يخص علم الحيوان فقد وضع البابليون -في بلاد ما بين النهرين- قوائم عن الحيوانات التي عرفوها ،و ضمنوها معلومات قيمة عنها ،و قسموها إلى أنواع و أجناس مُتشابهة ، على طريقة التصنيف العلمي[6] .

و الشاهد الخامس يتعلق بعلم الرياضيات ، و مفاده أن البابليين عرفوا – نحو القرن ١٨ قبل الميلاد – نظم المعادلات الخطية ، و المعادلات التربيعية ، و المتواليات الحسابية ، و نظرية مربع الوتر قبل أن يعرفها الإغريق ب : ١٥٠٠ عام[7] . و في مصر تم العثور على بردية بردية ترجع إلى القرن ١٦ قبل الميلاد ، تحتوي على ستة تمارين رياضية ، تناولت مساحة كل من المستطيل ،و الدائرة ، و المثلث ،و الهرم الناقص ،و طريقة التقسيم المساحي ، مع

[1] سمير أديب : موسوعة الحضارة المصرية ، ص: ٥٧٤ .
[2] خزل الماجدي : بخور الآلهة ، ص: ١٧٤ .
[3] محمد أبو المحاسن عصفور ، معالم حضارات الشرق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص: ٢٥٢ . و سمير أديب : موسوعة الحضارة المصرية القديمة ، دار العربي ، القاهرة ، ٥٦٦ و ما بعدها .
[4] نعيم فرج : موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص: ٥٤ ، ٥٥ . و سمير أديب : موسوعة الحضارة المصرية القديمة ، ص: ٥٦٩ و ما بعدها .
[5] نعيم فرج : : موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص:، ٥٥ .
[6] محمد أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق ، ص: ٢٥٢ .
[7] س ن بريو شنكين : أسرار الفيزياء الفلكية و الميثولوجيات القديمة ، ص: ٨٣ .

الاستعانة بالأشكال التوضيحية . و منه بردية أخرى طولها نحو ١٧ قدما ، تضمنت ٩٠ مسألة حسابية[١] . و قد قال هيرودوت : ((إن المصريين أساتذة علم الهندسة))[٢] .

و الشاهد السادس يتعلق بعلم الكيمياء ، و مفاده أنه وصلتنا بعض الكتابات المكتوبة باللغة السومرية تضمنت وصفات حول كيفية تحضير الأحجار الاصطناعية كاللازورد[٣] . و عرف البابليون كثيرا من خواص الطين و الأصباغ و المعادن . و عرفوا طريقة التزجيج ، و العجائن ، و اللدائن الكيميائية . و أتقنوا كثيرا من الصناعات الكيميائية ، و كانت لهم في ذلك مؤلفات ، و قد عُثر على بعضها . و وصلتنا أيضا أسماء أكثر من ١٢٠ نوعا من الأدوية المعدنية[٤] .

و آخرها– الشاهد السابع– يتعلق بالفكر السياسي الشوري ، و مفاده أن التاريخ قد سجل أن الشعب السومري– في العراق– كانت له دولة شورية ، – ديمقراطية بلغة الغرب– لها مجالس تشبه النواب ،و مجلس الشيوخ ، الأول مُكون من المواطنين الذكور القادرين على حمل السلاح ، و الثاني للأعيان . و يرى الباحث خزعل الماجدي أن النظام البرلماني في سومر هو أول برلمان سياسي معروف في تاريخ الإنسان المكتوب. و كانت للسومريين دويلات المدن ، تقوم على اللامركزية السياسية ، لكنها توحدت عندما تغلب عليها الملك لوكال زاكيري ، فحكمها نحو ٢٩ سنة[٥] .

و ثالثا إنه كما أن العلوم قد نشأت و ازدهرت قبل حضارة اليونان ، فهي أيضا قد ظهرت و ازدهرت في بلاد اليونان قبل أن يُولد أرسطو ، مما يعني — بالضرورة– أنه ليس هو الذي أنشأها . و قد طلبها الإغريق من خارج وَطّنهم ، ثم وطنوها في بلادهم ،و توسعوا فيها تنظيرا و ممارسة. فمن ذلك أن الفيلسوف طاليس طلب علم الفلك بمصر[٦]. و نقل أصول الهندسة المصرية إلى اليونان ،و عَلّم تلميذه بيتاجوراس ما تعلمه من مصر، و وجهه

[١] السيد النشار : تاريخ الكتب و المكتبات في مصر القديمة ، ص: ٣٧ .
[٢] نعيم فرج : موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص : ١١٩ .
[٣] نعيم فرج : : موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص:، ٥٥ .
[٤] محمد أبو المحاسن عصفور ، معالم حضارات الشرق ، ص: ٢٥٣ .
[٥] خزعل الماجدي : متون سومر ، ص: ١٣ ،٤٦ ، ٥٠ .
[٦] ديوجين لا يرتيوس: المختصر ، ص: ٧ . و فؤاد الأهواني : المدارس الفلسفية ، ص: ٣٨ .

إلى مصر ليتم فيها دراسة الرياضيات[1] . و رحل الفيلسوف اليوناني كليوبول في صباه إلى مصر ليتعلم الفلسفة حسب عوائد زمانه[2] . و منهم الفيلسوف ديموقريطس فقد تعلم في بلاد اليونان علم المنطق ،و الفلك و الطبيعة ، ثم رحل إلى مصر و الهند لطلب المزيد من العلم[3] .

و منهم أيضا أفلاطون ، إنه رحل إلى مصر و أمضى فيها مدة طويلة قُدرت ب ٢٢ سنة طلبا للعلم ، فكان مما طلبه : الهندسة ، و الفلك ،و اللاهوت ،و العلم المقدس[4] . و كان يحث أصحابه على تعلم الرياضيات كما تعلمها هو من المصريين ، و علموها لأولادهم . و عاب على معاصريه من أهل العلم الإغريق ترفعهم المصطنع عن الاهتمام بفروع الحساب و قضاياه . و ذكّرهم بفضل المصريين عليهم في معرفة أحجام الأشياء ذات الطول و العرض و العمق[5] .

و بقي ديموقريطس في مصر ٠٥ سنوات تعلم خلالها الفلك و الهندسة[6] . و رحل إيدوكس إلى مصر طلبا للعلم ، فبقي فيها مدة ١٣ سنة مُقيما في مجمع الكهنة . و نُسب إليه أنه ترجم كتبا فلكية مصرية إلى اللغة اليونانية[7] .

و أخذ اليونانيون عن مصر و بلاد الرافدين علوما كثيرة ، منها الطب و الفلك ، و الهندسة و الرياضيات ، و قسمة النهار إلى ١٢ جزءاً ، و قسمة الدائرة إلى ٣٦٠ درجة. و أخذوا الحروف الأبجدية عن الفينيقيين[8] . و قد سبقتهم شعوب تلك المناطق إلى استخدام وسائل مختلفة في البحث العلمي منها الرصد[9] .

---

[1] سمير أديب : موسوعة الحضارة المصرية ، ص: ٨٤١ .
[2] ديوجين لا يرتيوس : المختصر ، ص: ٤٩ .
[3] مختصر ترجمة مشاهير الفلاسفة ، ص: ٧٩ ، ١١٥ .
[4] سيرج سونيرون : كُهان مصر القديمة ، ترجمة زينب الكردي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ، ص: ص: ١٢٦ ، ١٢٧ .
[5] سمير أديب : موسوعة الحضارة المصرية ، ص: ٨٤١ .
[6] سيرج سونيرون : كُهان مصر القديمة ، ص: ١٢٧ .
[7] سيرج سونيرون : كُهان مصر القديمة ، ص: ١٢٧ ، ١٢٨ .
[8] ماجد فخري : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٠٦ .
[9] محمود علي محمد : الأصول الشرقية للعلم اليوناني ، ط١ ، عين للدراسات و البحوث ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص: ٣١ ، ٣٢ . و فؤاد الأهواني : المدارس الفلسفية ، ص: ٦ ، ٧ .

ثم أنهم بعد ذلك وَطّنوا تلك العلوم في بلادهم و نهضوا بها ،و ازدهرت على أيديهم و أضافوا إليها كثيرا مما اكتشفوه من أفكار و إبداعات، و ظهر فيهم علماء و فلاسفة في مختلف العلوم . منهم طاليس ، قال بأن الأرض مركز العالم [١] . و أفلاطون قال بكروية الأرض و ثباتها و مركزيتها للعالم[٢] . و إيدوكس ، من أشهر فلكيي اليونان ، نُسب إليه أنه ترجم كتبا فلكية مصرية إلى اللغة اليونانية[٣] . وعنه أخذ أرسطو معظم فلكه ،و قد سبق أن بينا ذلك في الفصل الثالث .

و من تلك العلوم أيضا : علم النبات ، فقد اهتم به بعض أهل العلم اليونانيين ، منهم صاحب أرسطو وخليفته على مدرسته : ثاوفراسطس ، كان متخصصا في النبات ، و صنف فيه كتابا اهتم فيه بتاريخ النبات و علله ،و كان كتابه هذا عمدة علم النبات إلى العصر الحديث[٤] . و من ذلك أيضا أن مدرسة أفلاطون مع تركيزها على الرياضيات فإنها لم تهمل علوم الأحياء ، فكانت لها بحوث حول النباتات من جهة خصائصها و طِباعها . و عندما مات أفلاطون واصل خليفته على مدرسته ابن أخته : سبيسيبوس اهتمامه بالنبات ، فصنف فيها كتبا بقيت منها بعض الشذرات[٥] .

و منها علم الحيوان ، فقد تكلم فيه بعض أطباء اليونان و علمائهم من جهة طِباعه و أعضائه ، بحكم تخصص بعضهم كأطباء ، أو بحكم رغبتهم و فضولهم و اهتمامهم بتدوين ما يرونه في رحلاتهم . و منهم أبقراط له رسالة صغيرة عن القلب فيها وصف للبطينين ،و الأوعية الكبرى و صماماتها[٦] . و منهم أنبادوقلس تكلم عن القلب و وصفه بأنه مركز الجهاز الدموي ، و هو الذي يحمل الهواء إلى جميع أجزاء الجسم[٧] . و منهم : ديموقراطيس ، ، صنف كتاب الحيوان ، ذكر فيه طبائعه و منافعه[٨] .

---

[١] ديوجين لا يرتيوس: المختصر ، ص: ٧ .
[٢] دحام إسماعيل العاني: موجز تاريخ العلم ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم و التقنية ، الرياض ، ٢٠٠٢ ، ج ١ ص: ١٠٨ .
[٣] سيرج سونيرون : كُهان مصر القديمة ، ص: ١٢٧ ، ١٢٨ .
[٤] فؤاد الأهواني : المدارس الفلسفية ، ص: ٦١، ٦٢ .
[٥] فؤاد الأهواني: المدارس الفلسفية ، ص: ٤٢ .
[٦] مصطفى غالب : أبقراط ، ص: ٥٩ .
[٧] نفسه ، ص: ٥٩ .
[٨] محفوظ علي عزام : في الفلسفة الطبيعية عند الجاحظ ، ط ١ ، دار الهداية ، مصر ، ١٩٩٥ ، ص: ٨٠ .

و اهتمت به أيضا مدرسة أفلاطون ، فهي مع تركيزها على الرياضيات ، فقد اهتمت أيضا بالعلوم الأخرى ، منها علم الحيوان من جهة عاداته و طِباعه . ثم عندما مات أفلاطون و خلفه على مدرسته ابن أخته : سبيسيبوس واصل الاهتمام بهذا العلم ، و صنف فيه كُتبا ، وصلنا منها أجزاء تبحث في الأسفنج و المحار[١] .

و أما بالنسبة لعمل أرسطو في علم الحيوان عند اليونان ، فهو في الحقيقة قد أشار مرارا إلى بعض الذين سبقوه في الكتابة حول هذا الموضوع . من ذلك أنه أشار إلى أراء بعض الذين سبقوه حول تزاوج بعض الطيور دون ذكر أسمائهم كلهم ، لكنه ذكر منهم أنكساغوراس[٢] .

ومنها قوله عن الطبيب اليوناني أقطسياس (ق: ٥ ق م) : ((فهو يزعم في بعض كتبه أن أرض الهند سبعا يُسمى باليونانية مارطيخورس))[٣] .

و منها أنه اعترف صراحة بأنه وُجد في السابقين من تكلم بحكمة و فلسفة في طبائع الحيوان[٤] . كما أنه كثيرا ما نقل أشياء عن الحيوان عن غيره من دون إشارة إلى ذلك ، منها نقله عن هيرودوت ما ذكره عن الحمار الهندي[٥] ، و فك التمساح فقد ذكر هيرودوت أن التمساح لا يستطيع تحريك فكه السفلي دون العلوي ، فهو ينفرد بذلك عن باقي الحيوانات التي تحرك السفلي لا العلوي[٦] . و نقل أرسطو أشياء كثيرة عن غيره دون أن يُشير إلى ذلك[٧]. ذلك[٧]. من ذلك أنه أخذ برأي أبقراط في قوله بأن الدماغ بارد[٨] . و أخذ برأيه في قوله بتأثير بتأثير الحرارة و الرياح في نوع الجنين ،و نقل عنه ما رواه عن الرعاة في أنهم يعرفون تأثير الرياح في نتاج غنمهم[٩] . و أرسطو لم يُشر إلى ذلك عندما نقلنا قوله في الفصل الثاني . و إكثار

[١] فؤاد الأهواني: المدارس الفلسفية ، ص: ٤٢ .
[٢] أرسطو: في كون الحيوان ، ص: ١١٦ .
[٣] أرسطو : طباع الحيوان ، ص: ٦٤ .
[٤] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: ٨ ، ٩ .
[٥] وشرحنا ذلك و وثقناه في الفصل الأول .
[٦] هيرودوت : تاريخ هيرودوت ، ترجمة عبد الإله الملاح ، المجمع الثقافي ، أبو ضبي ، ٢٠٠١ ، ص: ١٦٤ .
[٧] [٧]حسب إطلاعنا على مؤلفاته التي تحصلتُ عليها.
[٨] مصطفى غالب : أبقراط ، ص: ١٤٧ .
[٩] مصطفى غالب : نفسه المصدر ، ص: ١٠١ ، ١٠١ .

أرسطو من الاعتماد على أبقراط في علم الحيوان معروف و ثابت ، كما حكاه ابن رشد عن جالينوس ،و قد أوردناه في الفصل الثاني.

و يرى الباحث برتراند راسل أن أرسطو كان عالما مرموقا في علم الأحياء ، مع بعض الأخطاء الغريبة إلى حد ما[1] .

و قوله هذا غير صحيح في معظمه ، و يبدو أنه لم يقرأ كل أعمال أرسطو المتعلقة بعلم الأحياء ، أو أنه مر عليها سريعا مرور الكرام كما يقولون . لأن الحقيقة هي أن أرسطو لم يكن عالما مرموقا قط في علم الحيوان ، و لا تخصص فيه تخصصا حقيقيا ،و لا أولاه ما يستحق من الاهتمام ، بل أفسده أكثر مما أصلحه ، و اعتدى عليه مرارا و تكرارا . و أخطاؤه ليست قلية أبدا ، بل هي كثيرة جدا جدا تُقدر بالمئات من جهة ؛ و هي ليست غريبة إلى حد ما فقط ، و إنما كثير منها غريب جدا ، و يُثير التعجب و الضحك ،و يطعن في أمانة و نزاهة أرسطو نفسه من جهة أخرى . و قد وصف أحد الباحثين عمل أرسطو في علم الأحياء بقوله : ((إن مؤلفات أرسطو في البيولوجيا غريبة، فهي خليط مُشوّه من الشائعات و الأقاويل ، و الملاحظات الناقصة ،و التفكير بالتمني ،و السذاجة ، و سرعة التصديق))[2] . و قوله هذا كلام جيد و صحيح يصدق على أعمال أرسطو في علم الأحياء الأحياء ،و إن كانت الحقيقة أكثر من ذلك .

و منها أيضا علم الطب ، فقد كانت لليونانيين مدرسة طبية مُتميزة ، اشتهر فيها أطباء كبار كانت لهم مصنفات و تجارب و أعمال طوّرت الطب اليوناني ، منهم : القمايون الكروتوني ،و أنكساغورس، و أبقراط[3] . و قد ألف هذا الأخير كتبا في مختلف مجالات الطب و وظائف الأعضاء ، منها: الطب القديم ، و القلب ، و العين[4] .

و أما فيما يخص دور أرسطو في الطب اليوناني ، فالحقيقة هي أن أرسطو لم يكن طبيبا ، و ما كتبه عن الطب و ما يتعلق به ، فمعظمه نقله عن غيره من الأطباء و المهتمين

---

[1] برتراند راسل : حكمة الغرب ، ج ١ ص: ١٢٠ ، ١٢٢ .

[2] إمام عبد الفتاح إمام : أرسطو و المرأة ، ص: ٦٧ .

[3] بول غليونجي : الطب عند الإغريق ، ط ١ ، دار المستقبل ، الإسكندرية ، ١٩٩٥ ، ص: ٢٣ ، ٢٥ ، و ما بعدها .

[4] عبد الفتاح جنون : بقراط و المدرسة البقراطية ، مقال مأخوذ من الشبكة المعلوماتية ، ص: ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .

بعلم الحيوان . منهم أبقراط ، فقد اعتمد عليه اعتمادا أساسيا فيما كتبه عن الطب و ما يتصل به من طباع الجسم و وظائف الأعضاء حسب شهادة الطبيب جالينوس[1] .

و أما ما قول الباحث مصطفى النشار من أن ارتباط أرسطو بعلم الحيوان و التاريخ الطبيعي بدأ مُبكرا عندما ((كان والده الطبيب يصحبه في جولاته الطبية ، ثم ظل مُتعلقا بهذا النوع من الأبحاث في أثينا))[2] . فهذا غير ثابت و لا يصح ، لأن والده تُوفي و أرسطو كان ما يزال حدثا ، فلم يأخذ عنه مهنة الطب[3] . و ذكر ديوجين لايرتيوس أن أرسطو فقد أباه و أمه في زمن صغره جداً[4] .

و فيما يخص علم الرياضيات،عند اليونانيين فقد اهتمت بها المدرستان الملطية و الفيثاغورية ، وجمع بينهما أفلاطون في مدرسته ، لكن دور أسطو في ذلك لا يكاد يُذكر . و السبب في ذلك –كما ذكره برتراند راسل – أن أرسطو كان أقل فهما للرياضيات ،و أشد كرها للاتجاه الرياضي الذي كانت عليه مدرسة أستاذه أفلاطون خاصة بعد وفاته . و لم يكن ميالا إلى الفلسفة الرياضية لأفلاطون ، بل ((إنه لم يفهما أبدا في الواقع)) . و أما آراؤه في الفيزياء و الرياضيات فكانت ((مُضطربة إلى حد ميئوس منه . و الواقع أن أفلاطون الذي جمع بين تراث المدرستين الملطية و الفيثاغورية كان في هذه الناحية أفضل منه بكثير))[5] .

و من علومهم أيضا : علم النفس ، هذا العلم ليس أرسطو هو الذي أسسه ، و هو من أقدم علوم الإنسان نظرا لأهميته الدنيوية و الأخروية: نشأة و مصيرا و معاملة . و لهذا تكلمت فيه الأديان و المذاهب منذ القديم ،و كان الأنبياء– عليهم الصلاة و السلام– من أكثر الناس اهتماما به : نشأة ، و مصيرا ، و تربية و ممارسة ، و هذا واضح جدا مما ذكره

---

[1] ابن رشد : رسائل ابن رشد الطبية ، ص: ١٦٧، ١٨٥، ٢٢٠ .
[2] مصطفى النشار : نظرية العلم الأرسطية ، ص: ١٦٧ .
[3] إميل برهيية : تاريخ الفلسفة : الفلسفة اليونانية، ط ٢ ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ج ٢ ص: ٢٢١ . و يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ١٤١ .
[4] ديوجين لايرتيوس : المختصر ، ص: ١١٨ .
[5] برتراند راسل : حكمة الغرب ، ج ١ ص: ١٢٠ ، ١٢٢ .

الله تعالى عن النفس الإنسانية من كل جوانبها في القرآن الكريم . و قد وصلنا تراث فكري قديم تكلم عن النفس الإنسانية من عدة جوانب ، وجدناه عند المصريين و السومريين ، و الآشوريين و البابليين[1] .

و قد خاض فلاسفة اليونان في النفس : نشأة ، و سلوكا ، و مصيرا قبل أرسطو . و من المعروف أن كلا من سقراط و أفلاطون اهتما كثيرا بذلك . فجاء أرسطو و واصل الكلام في الموضوع معتمدا أساسا على ما كتبه هؤلاء ، و عن أفلاطون أخذ القول بالنفس الكلية و العقل المفارق ،و كل منهما استفاد في ذلك من نظرية العقل عند أنكساغوراس[2] .

و ذكر الباحث إرنست رينان أن جميع نظرية العقل عند أرسطو أقتبسها من الفيلسوف أنكساغوراس ،و أرسطو نفسه اعترف بذلك ، و قد نقل من كلامه نصا طويلا أورده بعبارة أنكساغوراس في كتابه النفس ،و عرضها أيضا في الجزء الثاني من الطبيعيات بصراحة كما عرضها صاحبها أنكساغوراس [3]. ،و أخذ عن أبقراط رأيه في إثبات الطبيعة و النفس و الجوهر[4] .

و قد كتب أرسطو في النفس بمنهجه المعروف الغالب عليه ، فخاض فيها بطريقة تأملية ظنية جمعت بين الخطأ و الصواب ،و منها ما هو أوهام و خرافات ، كموقفه من أصل النفس و مصيرها . و منها ما هو صحيح يتعلق بالأمور العادية من صفات النفس التي يعرفها معظم الناس ،و هذا لا يصح نسبته إليه ،و لا إلى غيره لأنه من البديهيات و المحسوسات المعروفة . فعمل أرسطو في النفس لا يختلف عن عمله في العلوم الأخرى ، و إن اختلفت نسبة المساهمة و الأهمية ، لكنه ليس إنشاءً و لا تتميما .

[1] أنظر مثلا: سمير أديب : موسوعة الحضارة المصرية ، ص: ٨٢ و ما بعدها ، ٣٢٦ و ما بعدها . و نبيلة محمد عبد الحليم : معالم العصر التاريخي في العراق القديم ، دار المعرف ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص: ٨٢ ، و ما بعدها ، ١١٨ ، و ما بعدها ، ١٣٨ و ما بعدها .و خزعل الماجدي : الدين المصري ، د ١ ، دار الشروق ، الأردن ، ١٩٩٩ ، ص: ٢٨٩ و ما بعدها ..

[2] ابن رشد : تلخيص ما بعد الطبيعة ، ص: ٥٣ . و حسين حرب : المرجع السابق ، ص: ٨٧ .

[3] إرنست رينان : ابن رشد و الرشدية ، ترجمه عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص: ١٣٧، ١٣٨ .

[4] ابن رشد : رسائل ابن رشد الطبية ، ص: ١٦٧، ١٨٥، ٢٢٠ .

و أما بالنسبة لعلم التجارة و الثروة و الملكيات ، و النُظم و الدساتير السياسة عند اليونانيين ، فقد كتب حولها كثير من المفكرين اليونانيين قبل أن يكتب فيها أرسطو نفسه باعترافه هو شخصيا ، و ذكر بعضهم بأسمائهم ، منهم : شاريس الباروسي ، و أبللدور اللمتوسي ،و أفلاطون ، و فلياس الخلقيدوني ، و غيرهم[1] . ثم جاء أرسطو و كتب حول تلك المواضيع معتمدا أساسا على ما كتبه هؤلاء : شرحا و تعليقا ، مناقشة و استفادة [2] .

و فيما يخص السياسة فمن المعروف أن أرسطو كان محافظا جدا في كثير من أعماله السياسية ، فقد ساير أفلاطون في كثير من مواقفه ،و رفض النظام الديمقراطي بمبررات ضعيفة ،و ألف كتابه السياسة متابعا لشيخه في كتابه عن السياسة الذي لخصه ابن رشد الحفيد[3] . و هو قد أخذ معظم فكره السياسي عن شيخه أفلاطون من دون جديد يُذكر في الغالب ، و قد وافقه في رفض نظامي الطغيان و الديمقراطي[4] .

فواضح مما ذكرناه أنه كما أن العلوم كانت قد نشأت و ازدهرت قبل أن تظهر حضارة الإغريق ، فقد تبين أيضا أنها كانت قد ظهرت و نشطت في بلاد الإغريق قبل أن يكتب أرسطو مصنفاته بمدة طويلة . فكيف يكون هو مُكتشفها و مُؤسسها . ؟! ، أليس القول بذلك هو جهل ، أو تعصب أعمي ، أو هما معا .

و رابعا إن قول ول ديورانت غير صحيح في معظمه ، بدليل الشواهد الآتية : أولها إن فلسفة أرسطو لا يصح وصفها ككل بأنها إبداع بالمعنى الإيجابي ، و إنما هي فلسفة خليط من التناقضات و الأوهام و الرغبات ، و من الأخطاء و الانحرافات و الخرافات ، و الآراء و

---

[1] أرسطو : السياسة ، ص: ١٣٢ و ما بعدها ، و ١٥٤ و ما بعدها .

[2] نفسه ، ص: ١٣٢ و ما بعدها ، و ١٥٤ و ما بعدها .

[3] ابن رشد : تلخيص السياسة لأفلاطون ،ترجمة حسن مجيد العبيديو فاطمة كاظم الذهبي، ط١ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٩٨.

[4] أنظر مثلا : أميرة مطر: الفلسفة اليونانية ، ص: ١٤٨، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٩١، ١٩٢، ٤٨٤ .و نور الدين حاطوم و آخرون : موجز تاريخ الحضارة ، ص: ٤٣٦ . و مصطفى النشار : نظرية المعرفة ، ص: ١٣١ . و عبد الرحمن بيصار : الفلسفة اليونانية ، ص: ١٠٤ و ما بعدها ، ١١٠، ١٤٠ .و تأملات في الفلسفة الحديثة و المعاصرة ، ص: ١٨٦ . و علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي، ص: ١٨٢، ٢٣٤ ، ٢٤٠ . و جورج طرابيشي : وحدة العقل العربي ، ص: ٩٢ .

الاجتهادات ، و ليس فيها من صحيح الأفكار و صوابها إلى القليل . و من جهة أخرى فإن القول بأن هذه الفلسفة هي من وضع أرسطو ، هو من باب التجاوز و التساهل ، و إلا فإن الحقيقة ليست كذلك ، و لا يصح أن يُنسب إليه كل ما في فلسفته على أنه هو مُكتشفه و مُقننه . فهذا زعم باطل، لأن هذه الفلسفة المنسوبة إليه معظم أصولها ،و أساسيات فروعها ليست من إنتاجه ،و إنما أخذها عن غيره ، بطرق مختلفة ، بعضها بالنقل المباشر ،و بعضها بالنقل المسكوت عنه ، و بعضها بالسطو و الاستحواذ ، و بعضها أضافه إليها تلاميذ أرسطو . ثم تصرّف فيها أرسطو تدوينا و تحريرا ، صياغة و شرحا ، نفخا و تجعيدا ، تقديما و تأخيرا . و عمله هذا أمر عادي تماما ، و ليس كله إبداعا حقيقيا ، و ما فيه من الإبداع ليس معجزا و لا خارقا، و ما فيه من الأباطيل و الأخطاء ،و الانحرافات و الظنون و الخرافات أكبر من ذلك الإبداع . و هذا الجانب الإيجابي الصغير لا يستحق كل ذلك الغلو و التهويل و المبالغات إلى حد التقديس الاعتقاد بعصمته كما فعل ابن رشد . فهؤلاء ضخموا الصواب القليل ، فحوّلوه من حبة صغيرة إلى قبة كبيرة ، و تغافلوا عن أخطائه و انحرافاته الكثيرة ، و هوّنوا من خطرها ،و اعتذروا له في بعضها ، فتحولت تلك الأخطاء من قبة كبيرة إلى حبة صغيرة مُهمشة منسية . و عملهم هذا جريمة نكراء في حق العقل و العلم و الإنسانية جمعاء .

و الشاهد الثاني مفاده هو أن فلسفة أرسطو إذا كانت ساهمت في تثقيف و تنوير كثير من شعوب العالم ، فإنها أفسدتها و أخرتها أكثر مما نفعتها . و لا يصح القول بأنها ثقفت العالم و نوّرته ، فهذا تحريف و افتراء على الحقيقة ، لأن هناك شعوبا لم تصلها فلسفة اليونان قديما و لا في العصور الوسطى ،و كانت مُكتفية بما عندها من علم ، كما هو حال الشعوب التي كانت تسكن في اليابان و الصين ،و استراليا[1] . بل أكثر من ذلك فإن المسلمين أقاموا حضارة التوحيد و العلم ،و المعرفة و الأدب قبل أن تُترجم فلسفة اليونان ، و عندما تُرجمت إلى اللغة العربية ، فقد فُرضت عليهم فرضا من بعض ملوك بني العباس . و مع ذلك فقد رفضوها و نبذوها ، و حاصروها و قاوموها قرونا من الزمن ، و لم يقبلها منهم إلا

[1] هذا بنيته على أساس ما أعرفه من أن تلك الشعوب لم تُترجم إليها فلسفة اليونان .

قلة مهزومة مخدوعة. و لم يكن المسلمون في حاجة أبدا إلى فلسفة أرسطو المملوءة بالضلالات و الكفريات ،و الأباطيل و الخرافات[1] . بل و العالم كله لم يكن في حاجة إليها أيضا ، و نحن نعلم يقينا أن الإنسان المعاصر لم يحقق ما حققه من انتصارات و فتوحات باهرة في مجال العلم و التكنولوجيا ، إلا بعدما تخلى على معظم فلسفة أرسطو و ركلها ركلا . أوليس القول بأن فلسفة أرسطو ثقفت العالم و نورته ، ثم السكوت عن سلبياتها و جرائمها و أباطيلها الكثيرة جدا ، هو جريمة كبرى في حق العقل و العلم ؟؟! .

و الشاهد الأخير – الثالث – مفاده أن الحقيقة هي أن أرسطو هو الذي وقف على أكتاف العلماء الذين سبقوه من اليونان و الشعوب الأخرى ، فأخذ معظم فكره منهم بطريقته الخاصة ، فنُسب إليه ذلك ظلما وزورا و عدوانا . فمن فوق أكتافهم رأى كثيرا من الحقائق ،و فاتته حقائق كثيرة بسبب انحرافاته المنهجية المتعلقة بمنطق البحث و الاستدلال .

و الحقيقة الثانية هي أن الأرض التي بُنيت فيها الأسكندرية مدينة المستعمر الأسكندر المقدوني ، هي أرض مصر التي كان لها السبق في إنشاء العلوم و تطويرها ، و هي التي صدّرت العلوم إلى بلاد الإغريق ، و كانت تستقبل طلابهم ، و قد تعلم فيها كبار علمائهم . فهذه الأرض لم تكن في حاجة إلى فلسفة أرسطو ، و إنما الاستعمار اليوناني – الذي شجعه أرسطو – هو الذي أدخل فلسفة هذا الرجل إلى مصر عندما احتلها الأسكندر .

و أما قوله بأن فلسفة أرسطو كانت ((غزوا للعالم أفضل من غزو الأسكندر للعالم و انتصاره الهمجي)) . فإن الحقيقة هي أن غزو كل من فلسفة أرسطو و الأسكندر للعالم كان ظلما و شراً كبيرا ، و ضررهما كان أكبر من نفعهما بفارق كبير جدا من جهة ،و أن كلا من أرسطو و تلميذه الأسكندر شارك في الغزوين من جهة أخرى . فأرسطو هو الذي ربى الأسكندر ،و شجعه على التوسع و احتلال و استعباد غير اليونانيين ، فهو بذلك يكون قد شارك في الغزو العسكري . و هو قد غزا العالم بفلسفته ، لكنه لم يكن غزوا أفضل من الغزو الأول، فهما شران مُتكاملان ، و وجهان لعملة واحدة . لأن فلسفته لا

[1] للتوسع في ذلك أنظر كتابنا : مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية .

تقل ضررا و فسادا عن غزو الأسكندر ، بل إنها قد تفوقه ضررا : فكرا و سلوكا. فلا ننسى أنها فلسفة من خصائصها أنها : شركية دهرية خرافية ، ظنية سفسطائية تدليسية ، طبقية عنصرية مُتعصبة ، أفسدت العقائد و السلوك ، و العقل و العلم معا.

و أما تلميذه الأسكندر فهو قد شارك في الغزوين من جهتين: الأولى أنه هو الذي قاد الغزو العسكري بنفسه . و الثانية أنه ساهم في الغزو الثاني — الفلسفي- لأنه قدم مساعدات مادية و تشجيعية كثيرة لأرسطو للقيام بأبحاثه الفلسفية و العلمية من جهة[1] ، و أغلب الظن أنه كان داعية لفكر شيخه و ناشرا له في مجالسه و توسعاته من جهة أخرى .

و خامسا إن القول بأن أرسطو مكتشف المنطق و مؤسسه ، هو زعم باطل ، فلا هو اكتشف المنطق عامة ،و لا الصوري خاصة . و لا هو علّم الناس يُفكرون ،و لا هو الذي وضع منطق البحث و الاستدلال . و هذا أمر سبق أن توسعنا فيه و بينا حقيقته في الفصل الرابع فلا نعيده هنا.

و سادسا إن القول بأن أرسطو أقام فكره على البرهان ، فهو زعم باطل من ثلاث جهات : الأولى إنه سبق أن بينا بالأدلة الدامغة أن أرسطو بنى فكره أساسا على إلهياته ،و هذه الإلهيات سبق أن بينا أنه بناها على الظنون و التناقضات و الرغبات و الخرافات ، و أن معظمها باطل شرعا و عقلا و علما . و بناءً على هذا فإنه لن يستطيع بناء أساسيات فكره على البرهان و اليقين . و الثانية سبق أن أثبتنا أن أرسطو أخطا في موقفه من القياس الجزئي و الشمولي ، و أنه هو شخصيا ذكر أن برهانه القياسي قائم على الاستقراء ،و بما أنه قياس ظني يحتمل الخطأ و الصواب ، فإنه لن يستطيع أن يُقيم فكره على أساس منطقي يقيني . و الجهة الثالثة هي أن أرسطو عندما مارس منطق البحث و الاستدلال وقع في أخطاء و انحرافات منهجية كثيرة جدا ، و هذا دليل قاطع على أنه لم يقمه على البرهان و اليقين . و إنما أقامه على منطق بحث ظني يحتمل الخطأ و الصواب ، كغيره من أهل العلم ،و لم يختلف عنهم في ذلك . و إنما أختلف عنهم بكثرة أخطائه و انحرافاته المنهجية بسبب

---

[1] سبق توثيق ذلك .

انحرافه في موقفه من الأقيسة ، و إهماله للمنهج التجريبي و عدم الالتزام بشروطه عندما مارسه عمليا .

و هؤلاء المبالغون في وصف ما كان عند أرسطو من علوم ، و وصفه بالنبوغ و العبقرية هم على خطأ من جهتين: الأولى إنهم نسوا أو تناسوا أن ما جمعه أرسطو من علوم و مذاهب في كتبه ، لا يدل بالضرورة أنه كان عالما بها ، و أنه من إبداعه . و الحقيقة هي أن قسما كبيرا مما جمعه أرسطو كان فيه جامعا مُدونا : ملخصا لبعضه ، و شارحا لآخر ، و ... . و قسم آخر سطا عليه و استحوذ عليه ، فزاد فيه و نفخه و جعده و نسبه لنفسه . و قسم آخر مارسه عمليا فخلّط فيه نقلا و تجربة ، اجتهادا و استنتاجا ، مع كثرة الأخطاء و الانحرافات المنهجية. و تصرفاته هذه سبق أن بيناها و وثقناه فيما تقدم من كتابنا هذا.

و الجهة الثانية هي أن لا شك أنه كان لأرسطو قسط من العلوم ، لكنه لا يرفعه أبدا إلى أن يجعله نابغة فيها ،و مُنشئا لها ، و بحر العلوم ، و كبير العباقرة . فلا يغيب عنا أنه إذا فرضنا جدلا أنه كان بُحيرة من العلوم ، فيجب أن لا ننسى بأنه كان بحرا من الأوهام و الظنون ،و الأخطاء الفادحة و الانحرافات المنهجية القاتلة . و إذا وصفناه جدلا بأنه كان بحرا كبيرا من الإيجابيات و الكمالات في العلم ، فقد كان بحرا مُحيطا من السلبيات و النقائص في كل العلوم التي كتب فيها . و بذلك يتبين أن الرجل لو كان مُتحكما فيما جمعه مُتقنا له مُتمهرا فيه ، ما كان ذلك هو حاله من كثرة الأخطاء و الانحرافات المنهجية ،و غيرها من النقائص و السلبيات.

و أخيرا- سابعا – إن وصف أرسطو بأنه أعظم عباقرة الفكر في التاريخ إطلاقا ، و أنه كان فذا ، هو وصف غير صحيح ،و قول بلا علم ، و مجازفة مجانية لا مُبرر صحيح لها عقلا و لا علما . و الحقيقة هي أن أرسطو هو فعلا من عباقرة العالم في الفكر ، لكنه لا يُمكن بأي حال من الأحوال أن يكون أعظمهم ،و لا أولهم ، ولا ثانيهم و لا ثالثهم و لا رابعهم ، و لا ... . لأن العبقرية الحقيقية لا تُقاس بغزارة الإنتاج العلمي ،و لا بكثرة الأتباع

،و لا بالشهرة و الهيمنة ، و لا بالتأثير لمجرد التأثير ، و لا بكثرة الكلام و السفسطة و الجدال ، و لا ... ، و إنما تُقاس أساسا بثلاثة مقاييس ، هي : سلامة منطق البحث و الاستدلال ،و صحة النتائج ،و التأثير الصحيح الإيجابي في الواقع . فهل فكر أرسطو حقق ذلك ؟ . طبعا لا ، إنه فشل فيه فشلا ذريعاً . لأنه أولا سبق أن بينا أن أرسطو أخطأ أخطاء منهجية و تطبيقية كثيرة تتعلق بمنطق البحث و الاستدلال فلا نعيدها هنا .

و ثانيا سبق أن ذكرنا عشرات النماذج من أخطاء أرسطو في الإلهيات و الطبيعيات و الإنسانيات ،و تبين منها أنها أخطاء مست معظم أصول فكره و أساسيات فروعه من جهة. و أنها من الكثرة بحيث لا يُمكن قبولها و لا تبريرها ، و قد ذكرنا منها أكثر م ٣٣٧ خطأ و انحرافا منهجيا ، ذكرناها كعينات من باب التمثيل لا الحصر من جهة أخرى .

و ثالثا إنه إذا نظرنا إلى ما قدمه للعقل الصريح و العلم الصريح ، نجده لم يُقدم لهما من الصواب إلا القليل ، لأنه ليس لديه من ذلك إلا القليل، و فاقد الشيء لا يُعطيه . و مقابل ذلك نجده قد أضر بهما ضررا كبيرا ، و أفسد العقائد و السلوك بشركياته و أوهامه و خرافات ،و دهرياته. و المعروف من تاريخ العلم الحديث أنه علم قام أساسا على هدم و نقض معظم فكر أرسطو و لم يقم عليه[1] . و فكر هذا حاله لا يُمكن أن يكون صاحبه أكبر عباقرة العالم بأي حال من الأحول ،و من يقول بذلك فهو إما أنه لا يعي ما يقول ، أو أنه قاله لغاية في نفسه على حساب العقل و العلم معا .

و أما من جهة أنه- أي أرسطو- كان فذا فريدا في العالم ، فهذا صحيح من الناحية السلبية لا الإيجابية . فأرسطو يمكن أن نصفه بأنه كان فيلسوفا غريبا فريدا بكثرة أخطائه و انحرافاته ،و مجازفاته و سفسطاته ،و حماقاته و خرافاته ،و تعصباته و عنصريته .

و بما أن الأمر كما سبق أن بيناه من غلو هؤلاء و انحرافهم عن منطق البحث و الاستدلال ، فمن أين جاءهم ذلك الغلو الممقوت شرعا و عقلا و علما ؟ . أولا إن أصل هذا الغلو وضعه أرسطو نفسه و ورّثه لأصحابه ، فهو كبيرهم الذي علمهم الغلو بالباطل .

[1] سنعود إلى هذا الموضوع لاحقا بحول الله تعالى .

فهو الذي كان مغاليا في منطقه الصوري العقيم ،و مغاليا في كثرة انحرافاته المنهجية و أخطائه العلمية[1] . و كان مُغاليا في انتقاده لخصومه خاصة السفاسطة ، فقد أخذ قسما كبيرا من فكرهم و تبناه ، ثم أنقلب عليهم ذما و تشويها و تخطئة .

و ثانيا ثم جاء أتباعه من بعده فساروا على نهجه في الغلو و التعصب للباطل ، و تجاوزوه حتى بلغ بعضهم درجة التهور و التعصب الأعمى ،و تجاوز حدود الشرع و العقل و العلم كما هو حال ابن رشد و أمثاله. إنهم وقعوا في ذلك بسبب تعصبهم الأعمى ،و ضعف منطقهم الفطري الصريح ،و قلة زادهم من العلم الصحيح ، و انهزاميتهم النفسية تجاه شيخهم و فكره ، و رضاهم على أنفسهم بما هم فيه من تقليد و سلبية ،و انهزامية و غلو في أرسطو . حتى أنهم كثيرا ما يبحثون عن أي شيء يمدحون به أرسطو، حتى و إن كان ذلك تافها ، أو ليس خاصا به . حتى أن بعضهم عندما لا يجد ما يرد به على الانتقادات الموجهة لأرسطو فإنه قد يقول كما فعل ابن رشد: إنهم لم يفهموا أرسطو . أو يقول بعضهم : أتباعه هم الذين انحرفوا عن شيخهم ،و ليس أرسطو مسئولا عما وقع فيه أتباعه من غلو و تقديس و انحراف . فهمهم الأول و الأساسي هو الدفاع عن شيخهم بحق و بغير حق . مع أن الحقيقة الناصعة شاهدة ضدهم ،و تنادي عليهم ، و تندد بهم . لكن لا حياة لمن تنادي ، فقد أعماهم التعصب للباطل !! .

و حتى أن بعضهم يُغمض عينيه عن أخطاء أرسطو و انحرافاته المنهجية المقدرة بالمئات ، ثم يأتي بجزئية أصاب فيها أرسطو فيضخمها و ينفخها و يُجعّدها و يجعلها أصلا و منهجا مُتبعا عند شيخه ، مع أن الحقيقة خلاف ذلك تماما ،و هذا الذي وقع فيه هؤلاء الغلاة و أمثالهم . فحولوا الحبة الصغيرة جدا إلى قبة كبيرة جدا!! . و من كل ذلك يتبين أن أصل غلو هؤلاء في شيخهم مصدره أرسطو أولا ، ثم هم أنفسهم ثانيا .

[1] سبق توثيق ذلك .

و أشير هنا أيضا إلى أمر هام جدا ، مفاده أنه كما حدث غلو باطل في تعظيم أرسطو و فكره ، فقد حدث أيضا غلو باطل في الحكم و تقييم حضارة اليونان عامة . فكثيرا ما نجد أن حضارتهم توصف بأنه مُعجزة[1]. و هذا لا يصح ، لأنه ما كان لهم تحقيق ذلك لولا استفادتهم من الحضارات السابقة لهم كالسومرية ، و المصرية ، و البابلية ، و الأشورية ، و الفارسية ، و الهندية نو الصينية ،و قد سبق بيان هذا و توثيقه . فلا يصح وصفها بأنها معجزة ، لأن ما حققه اليونان هو أمر طبيعي عادي جدا ساروا فيه على طريقة الذين سبقوهم ،و الذين جاؤوا من بعدهم . فأي إعجاز حققوه ، لم يُحققه غيرهم ؟؟! ، و ما هو الشيء المعجز الذي عجز غيرهم عن القيام به قبلهم و بعدهم ؟؟ . و أليس الفعل إذا تكرر و أمكن القيام مثله لا يصبح معجزة ؟؟ . و أليس أعمالهم العلمية جمعت بين الإيجابيات و السلبيات ، و بين الحقائق و الأباطيل ،و بين الاجتهادات و الخرافات ، فهم في ذلك لا يختلفون عن حضارات الشعوب الأخرى ؟؟!! . و حتى إذا كانوا قد تميزوا بصفات ظهرت فيهم أكثر مما ظهرت في غيرهم ، فهذا ليس معجزة ،و لا خاصا بهم ، فيُمكن تقليدهم في ذلك ، بل و التفوق عليهم فيه أيضا .

و إنهاء لهذا المبحث يتبين أنه لا يوجد علم اكتشفه أرسطو و سبق إلى الكتابة فيه . فكل العلوم التي كتب فيها كانت موجودة عند اليونان و شعوب أخرى . و لا يوجد علم واحد أتقنه أرسطو نظريا و ممارسة ، فقد أخطأ في كل ذلك أخطاء فاحشة ذكرنا منها المئات فيما تقدم من كتابنا هذا . و كل الإضافات التي زادها معظمها عادية جمعت بين الإيجابيات و السلبيات ،و الخطأ و الصواب . و الحقيقة الثابتة هي أن أرسطو شارك في تأسيس بعض العلوم و في تطوير العلوم التي كتب فيها من جهة ،و شارك أيضا في إفسادها و تأخيرها تنظيرا و ممارسة من جهة أخرى. فالرجل لم ينشئ علما من العلوم بمفرده ،و لا أتقن واحدا منها إلى درجة الإتقان الدقيق و التمهر الفائق المبدع تنظيرا و لا ممارسة و لا صوابا. و لم يكن من العلماء و لا من الفلاسفة الراسخين في العلم الذين جمعوا بين سلامة المنهج ،و صحة التطبيق و النتائج.

[1] أنظر مثلا : خزعل الماجدي : متون سومر ، ص: ١٣ .

علما بأن الفضل – في تأسيس أي علم– و إن كان يناله كل من شارك فيه حسب دوره ، فإن الفضل أولا يعود لمن كانت له الأسبقية في الكتابة لأول مرة في علم جديد ، حتى و إن كان عمله ناقصا . لأن الاكتشاف و الإبداع أصعب من التطوير و التتميم في الغالب الأعم . ثم بعد ذلك يتفاوت فضل كل مُشارك في تأسيس و تقعيد ذلك العلم ، حسب سلامة و قوة منهجه،و صحة و أهمية نتائجه . و لا يُوجد أي علم كان أرسطو هو أول من خاض فيه، و لا يوجد أي علم كتب فيه أرسطو بمنهج علمي كامل صحيح ، و لا توصل فيه إلى نتائج كثيرة هامة و صحيحة ،و إنما العكس هو الذي حدث كما سبق أن بيناه في فصول كتابنا هذا .

ثانيا: أهم خصائص فكر أرسطو :

سبق أن أشرنا– فيما تقدم من كتابنا هذا– إلى طائفة كبيرة من خصائص فكر أرسطو ، و منها ما يستطيع القارئ أن يستنتجها بنفسه . و نحن هنا سنورد منها طائفة بطريقة مركزة دون توسع و لا توثيق إلا عند الضرورة ، لأنه سبق توثيقها و شرحها ، إلا القليل منها الذي يتطلب ذلك .

أولها إنه فكر يفتقد إلى كثير من الموضوعية و الأمانة العلمية ، فقد سبق أن ذكرنا شواهد كثيرة كان أرسطو يتعمد الكلام فيها بلا علم ، و لا تجربة ، و لا تثبت . و قد يتظاهر أنه جرّب و عاين و هو لم يفعل ذلك ، حتى أنه قد يقول في بعضها بأنه حقق ، و هو لم يُحقق و لم يُحرك ساكنا . و كان ينقل كثيرا من كلام غيره و يسكت عنه ، أو يذكره بصيغة توحي بأنه كلامه . و كثيرا ما كان يشتد في انتقاد معارضيه ثم يأخذ برأيهم بطريقة أو أخرى ، و هذا حدث له مع أفلاطون ، و السفاسطة و غيرهم ،و كتبه مملوءة به ، و قد سبق أن ذكرنا نماذج كثيرة على ذلك . فالرجل كان مُخلا بالموضوعية و الأمانة العلمية إخلالا كبيرا جدا ، و ليس له منها إلا القليل .

و فيما يأتي نذكر بعض مواقف أهل العلم من موضوعية أرسطو و أمانته العلمية . أولها موقف العالم أبي الريحان البيروني (ت ٤٤٠ هجرية) وصف طريقة أرسطو في قوله

بأزلية العالم بأنها تمويهية ، و أنه مُزخرف ((لكفرياته))،و أنه مُتبع لهواه[1] . و هذا طعن صريح من البيروني في أمانة أرسطو و موضوعيته ، و انتقاده صحيح بلا شك ، سبق أن ذكرنا شواهد كثيرة تشهد له بالصحة . فأرسطو يُموه ، و يُزخرف ، و يتبع هواه لتأييد أفكاره .

و الثاني موقف الباحث برتراند راسل إنه يرى أن من المأمون أن نثق في أرسطو عندما يسرد آراء أفلاطون ، أما عندما ينتقل إلى تفسير معناها فإنه لا يعود موثوقا منه)) . و كذلك في تعليقاته على الفلاسفة الآخرين السابقين له ، فإنه عندما ((يُقدم سردا مباشرا لأرائهم تستطيع أن تعتمد على ما يكتب ؛ أما التفسيرات فلا بد أن تُؤخذ كلها بحذر))[2] .
و أقول: كلامه هذا صحيح ، لكنه ناقص لأن موضوعية أرسطو في النقل نسبية جدا ، و لا يلتزم بها في كل أحواله ، و قد نقل أمورا على أنه رآها و هو لم يراها[3] .

و الثالث موقف الباحث إرنست رينان عبّر عنه بقوله : إن أرسطو كان يأخذ أفكارا من مدارس قديمة ، ثم يُدخلها في نسقه الفكري من ((غير أن يُكلّف نفسه عناء التوفيق بينها و بين لمحاته الخاصة))[4] . و هذا طعن صريح في موضوعية أرسطو و أمانته العلمية . فذلك السلوك يندرج ضمن ما ذكرناها مرارا بأن أرسطو كان يُمارس السطو ، و الانتقاء ، و الاستحواذ، ثم ينسب ذلك لنفسه بطريقة أو أخرى .

و الرابع موقف الباحث مصطفى النشار مفاده أن أرسطو كان على درجة عالية من الإخلاص للفكر و حب المعرفة . و لا شك أن أرسطو كان ((يسعى دائما إلى الحقيقة ما وسعه السعي مُتمسكا بالسير في طريقها ما وسعه السير))[5] .
و أقول: إن قوله هذا فيه حق وباطل ،و باطله أكثر من حقه ، فأما الحق الذي فيه فلاشك أن أرسطو كان يتمتع بقسط من الموضوعية و العلمية و الاجتهاد للوصول إلى

[1] عبد الكريم اليافي : البيروني و ابن سينا ، ط1 ، دار الفكر ، سوريا ، ٢٠٠٢ ، ص: ٣٧ .
[2] برتراند راسل : حكمة الغرب ، ج ١ ص: ١٢٠ ، ١٢٢ .
[3] ذكرنا على ذلك نماذج كثيرة فيما تقدم من كتابنا هذا .
[4] إرنست رينان : : ابن رشد و الرشدية ، ترجمه عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص: ١٣٧ ، ١٣٨ .
[5] مصطفى النشار : نظرية المعرفة عند أرسطو ، ص: ١٧ ، ١٨ .

الحقيقة . و هذا ليس خاصا به ، فهو موجود عند أهل العلم عامة ،و إن اختلفت نسبته من عالم إلى آخر. و أما الباطل فقوله بأن أرسطو كان على درجة عالية من الإخلاص للفكر و البحث دائما على الحقيقة . فهذا غلو و لا يصدق بهذه الدرجة على أرسطو . لأنه سبق أن بينا أرسطو كثيرا ما كان يُهمل المقدمات العلمية الصحيحة و يُقدِّم عليها رغباته و ظنونه ، و تحكماته و مصالحه لتحقيق مكاسب مذهبية و دنيوية . و هذا ضربنا عليه أمثلة كثيرة تتعلق بالإلهيات و الإنسانيات .

و بينا أيضا أن أرسطو لم يكن حريصاً على التثبت و المعاينة ، ففي كثير من المواقف كان يُهمل ذلك و يعتمد عل ظنونه و أقيسته الفاسدة ، فأوقعه هذا في أخطاء و حماقات و انحرافات غريبة و مُضحكة . و قد وقع في أخطاء لا يصح الوقوع فيها ، لسهولة التأكد منها ، فلو كان حريصا كما زعم النشار ما وقع فيها أبدا . فأرسطو كثيرا ما كان مهملا للتثبت و المعاينة ، و عاجزا عن القيام بأبسط التجارب كما سبق أن بيناه. فأين ما زعمه الرجل ؟ ! .

و الموقف الأخير- الخامس – يخص الباحث ولتر ستيس مفاده أن أرسطو كان يُحب الحقائق و الوقائع ،و ما يُريده هو دائما المعرفة العلمية المجدة)) ،و ((لم يكن هناك إنسان أكبر احتفاءً بالوقائع من أرسطو كما هو واضح من أبحاثه عن الحيوانات ، و التي هي حافلة بالأدلة عن الصبر الغريب و العمل المتأني في جميع الحقائق))[1] .

و أقول: إن كلامه هذا فيه حق و باطل ، و باطله أكثر من حقه ، و يُشبه إلى حد كبير قول الباحث مصطفى النشار . و لا يصح الجزم بما قاله المؤلف من أن أرسطو كان دائما يحب المعرفة ،و أنه لم يكن إنسان أكثر منه احتفاء بالوقائع . فهذا لا يصح من جهتين : الأولى لا يصح قوله من الناحية النظرية ، لأن القول به يتطلب المعرفة التامة بنية أرسطو في كل أعماله العلمية ،و هذا لا يُمكنه معرفته . و لأن القول به يتطلب منه القيام بعملية

[1] ولتر ستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٢١٤ .

إحصاء شاملة لكل الباحثين لكي يعرف درجة احتفائهم بالوقائع و مقارنته بحال أرسطو . و هذا لا يمكنه القيام به أبدا ، و من ثم لا يصح أن يُصدر ذلك الحكم في حق أرسطو . فهو حكم غير علمي ، و لا يمكن للمؤلف أن يتحقق منه .

و الجهة الثانية تتعلق بالجانب التطبيقي ، فالرجل اعتمد على مواقف لأرسطو اجتهد فيها ،و أظهر حرصا على الاهتمام بها ، ثم عمم حكمه على سلوك أرسطو من جهة . و ضرب صفحا على مئات المواقف التي أهمل فيها أرسطو المنهج العلمي الصحيح في البحث و الاستدلال من جهة أخرى . و هذا موقف غير علمي ، و فيه تدليس و تغليط و تحريف للحقائق . و لو كان أرسطو حريصا على المعاينة و التثبت ،و أجراء التجارب و الصبر عليها في كل أحواله كما زعم المؤلف ، ما وقع في مئات الأخطاء و الانحرافات المنهجية .فلو كان أرسطو كما زعم ولتر ستيس ما قال بأن في قلب الحصان و البقر عظام . و لا قال : إن عدد أسنان المرأة أقل من عدد أسنان الرجل . و لا قال: إن دم حيض البنت الحدث أبيض . و لا قال : إن قِمم الجبال حارة . و لا قال : إن الدماغ لا دم فيه ، و غير متصل بأي عضو من الجسم . و غير ذلك كثير جدا جدا ، من أخطاء أرسطو و غرائبه و حماقاته !! .

و الخاصية الثانية مفادها أنه فكر مُغالٍ في التجريد غير العلمي ، فقد أقامه أرسطو على التأمل التجريدي أكثر مما أقامه على التأمل التجريبي بفارق كبير جدا . و من جهة أخرى فإن أصول فكره التجريدي لم يُقمها على التأمل التجريدي الصحيح القائم على الفطرة و البديهة و العقل الصريح، و العلم الصحيح ، و إنما أقامها أساسا على الظنون و الرغبات و التحكمات كما فعل في الإلهيات . فأنقلب هذا سلبا على إلهياته خاصة و فكره عامة . و الصواب هو أنه كان عليه أن يجمع بين التأملين بإنصاف و توازن ،و بعقلانية و علمية .

و الخاصية الثالثة إنه فكر قائم على انحراف منهجي كبير في البحث و الاستدلال ، شمل المجالين التنظيري و التطبيقي معا . فلم يلتزم فيهما أرسطو بمنطق البحث العلمي السليم القائم على العقل الصريح و العلم الصحيح . فأخل بذلك إخلالا كبيرا ، و لم يلتزم به في الإلهيات ، و لا في الطبيعيات ، و لا في الإنسانيات . فكانت حصيلة فكره أنه أنتج فلسفة هزيلة ضعيفة البنيان ، و كثيرة الأخطاء و الانحرافات ، و التناقضات و المغالطات من جهة ؛ و قليلة التمحيص و الإبداع ، و كثيرة الجمع و التدوين من جهة أخرى .

و الخاصية الرابعة إنه فِكر كان عائقا كبيرا أمام تقدم و انتصار العقل الصريح و العلم الصحيح ، فأخرهما قرونا من الزمن ، بسبب كثرة انحرافاته المنهجية في الإلهيات و الطبيعيات و المنطقيات ،و ما ترتب عنها من كثرة الأخطاء و الانحرافات في كل مجالات الفكر التي خاض فيها أرسطو . و للباحث برتراند راسل رأي في هذا الموضوع يقول فيه : ((و لقد كان تأثير أرسطو من الناحية التاريخية معوقا ، و يرجع ذلك أساسا إلى الجمود الأعمى و الذليل لدى الكثير من أتباعه . لكن هذا شيء لا يُمكننا نلقي فيه اللوم على أرسطو نفسه))[1] . و قوله هذا ناقص ، لأن السبب الحقيقي في أعاقة فكر أرسطو للعقل و العلم هو أرسطو نفسه من جهتين : الأولى إنه أقام فكره على منطق بحثي استدلالي منحرف فاشل ، عاجز عقيم[2] . و فكر هذا منهجه فهو بالضرورة معوّق للعلم و مُؤخر له ، و قد أنتج فكرا أضر العقل و العلم أكثر مما نفعهما. و الجهة الثانية إنه هو شخصيا كان عليه – في حياته- أن يحث تلامذته على طلب الدليل ،و الحرية في الفكر ،و عدم التقيد بأقواله إذا قام الدليل على خلافها[3] .

و من جهة أخرى يتحمل تلامذته المسؤولية من ناحتين أيضا : الأولى كان عليهم أن لا يسيروا على منهج شيخهم في البحث و الاستدلال ،و لو بحثوا في ذلك بالعقل الصريح و العلم الصحيح لتبين لهم انحراف منهج شيخهم و عقمه . و الناحية الثانية كان عليهم أن لا يُقلدوا شيخهم ، و أن لا يُغالوا في تعظيمه ،و أن يجعلوا البرهان هو الحكم لا أرسطو و لا

[1] برتراند راسل : حكمة الغرب ، ص: ١٢٣ .
[2] سبق إثبات ذلك و توثيقه ، و كتابنا هذا كله شاهد قطعي دامغ على قولنا .
[3] كلامنا هذا نوجهه إليه إذا كان لم يقل لههم ذلك ، و أما إذا كان قاله لهم فلا يُوجه إليه .

غيره من العلماء ، لأن الحَكم في العلم هو البرهان لا الرجال . لكنهم فعلوا خلافه و سار على نهج شيخهم المنحرف تنظيرا و ممارسة !! .

و الخاصية الخامسة إنه فِكر يجد أصوله و معظم فروعه الأساسية في التراث اليوناني خاصة ،و العالمي عامة . يجد قسما منها بطريق مباشر ،و يجد قسما آخر بطريق غير مباشر . و قد سبق أن أقمنا الأدلة الصحيحة على ذلك في مجال الإلهيات الطبيعيات و الإنسانيات. مما يعني أن أرسطو كان قليل الإبداع كثير الجمع و السطو و الاستحواذ على فكر غيره من العلماء ، مُستخدما في ذلك مختلف الأشكال و الوسائل الممكنة .

و الخاصية السادسة إنه فِكر أجرم في حق الإنسان و العلم جرائم نكراء قديما و حديثا . فأفسد عقائد و سلوكيات أُمم من الناس، و أذهب جهودهم و أوقاتهم سدى من جهة . و كان داعية للطبقية و العنصرية و اللامساواة ،و مشجعا للظلم و داعيا لاحتلال الشعوب الضعيفة من جهة ثانية . و أخّر العلم و أعاقه و أفسده أكثر مما نفعه من جهة ثالثة . فعل كل ذلك بسبب كثرة انحرافاته و أخطائه ، و شموله للإلهيات و الطبيعيات و الإنسانيات بمنهج منحرف . فهو فكر الغالب عليه أنه فاسد مُدمر مسموم لا يصلح للعقل ، و لا للعلم ، و لا للمجتمع . و كتابنا هذا سِجل مملوء بتفاصيل جنايات أرسطو على العقائد و السلوك ، و العقل و العلم ، فلا نعيد ذكرها هنا . و الأمر المؤسف أيضا أن جناياته ما تزال تُفسد عقائد و تصورات و سلوكيات كثير من أهل العلم إلى يومنا هذا . و هي جرائم نكراء لا تقل خطرا عن الجرائم الكبرى التي ارتكبها الطغاة السياسيون– قديما و حديثا– في حق الشعوب الضعيفة .

و الخاصية السابعة إنه فِكر فيه غرور و تسلط كبير ، فكثيرا ما كان يفرض آراءه الباطلة فرضا بلا دليل صحيح ، و يتذرع و يحتج بحتميات زائفة يحتمي بها ،و يتسلط بها على مخالفيه . كزعمه بأن الرق أمر طبيعي ،و أن اليوناني سيد بالطبيعة و الفطرة . و أنه لم يكن للإله فعل و لا اختيار في ظهور العالم . و أن السفاسطة ((أبدا يقولون خلاف ما يظهر

من ضميرهم و ما خفي))[1] . فواضح من ذلك أن أرسطو كثيرا ما فرض رغباته و تحكماته و ظنونه على مخالفيه بدعوى الحتمية الطبيعية ، و ما هي بحتمية ،و لا ضرورة ،و لا طبيعة مفروضة . و إنما استخدم ذلك سفسطة و تدليساً ، تغليطاً و تسلطاً لتأييد آرائه و فرضها على أنها صحيحة حتمية يجب قبولها بالضرورة .

و الخاصية الثامنة إنه في عمومه فِكر يحمل معاول هدمه من داخله ، فهو عقلاني المظهر سُفسطائي الباطن ، مُتناقض البناء مع مكوناته الداخلية ،و مع حقائق العقل الصريح و العلم الصحيح . فإذا حللناه و فككناه و محصناه تمحيصا عقلانيا علميا أنكشف أمره ،و هدم نفسه بنفسه تنظيرا و ممارسة . و هذا أمر سبق أن بيناه و أقمنا الأدلة الدامغة على صحته،و فلا نعيده هنا.

و الخاصية التاسعة إنه فِكر مُخلّط يفتقد إلى المنهج البحثي الاستدلالي المنسجم السليم الصحيح ، فقسم كبير منه بناه أرسطو على ظنونه و تحكماته ،و تناقضاته و خرافاته . و قسم كبير آخر بناه على منطقه الصوري العقيم . و قسم كبير آخر أقامه على منهج قياسي و تجريبي صحيح . و قسم كبير آخر أقامه على منهج تجريبي فاسد مجازف أخل فيه إخلالا كبيرا بشروط منطق البحث التجريبي . و قسم كبير آخر أقامه على السفسطة و التدليس، و الأقيسة الفاسدة و المبالغات .

و الخاصية العاشرة إنه فِكر لم يكن يحمل مشروعا إنسانيا إصلاحيا صحيحا يكون مُنقذا حقيقياً للإنسان على المستويين الفكري و السلوكي . فهو لم يكن كذلك و لا يستطيع أن يكون مشربعا نهضويا إصلاحيا مُنقذا للإنسان . لأنه فكر قائم على منطق بحث استدلالي فاسد . و لأنه فكر يقوم على عقائد دهرية شركية صابئية مُفسدة لعقل الإنسان و فكره و سلوكه . و لأنه فكر استبدادي تسلطي عنصري يشجع على الظلم و احتلال الشعوب الضعيفة ،و يُكرّس الطبقية و التسلطية في المجتمع . و لأنه فكر معظم أًصوله و أساسيات

[1] أرسطو : منطق أرسطو ، ص: ٩٠٢ .

فروعه باطلة مملوءة بالأخطاء و الانحرافات المنهجية ، فأساء بذلك إلى العقل الصريح و العلم الصحيح و أفسدهما ، أكثر أفادهما بفارق كبير . فهو فكر لا يصلح –في معظمه– بأن يكون مُنقذا للإنسان في العقائد و الإلهيات ،و لا في منطق البحث و الاستدلال ،و لا في الطبيعيات و الإنسانيات .

و الخاصية الحادية عشرة إنه فِكر طلب علوم الطبيعة و هو مُهمل و مُقزّم لمنهجها التجريبي . فدفع الثمن غاليا ، بأن عاقبته عقابا شديدا قاسيا ، ففضحته و بينت أخطاءه العلمية و الانحرافات المنهجية أكثر مما فضحته العلوم الأخرى. و هذا واضح جدا فيما ذكرناه من كتابنا هذا ، فقد تبين من الفصلين الثاني و الثالث أن أخطاء أرسطو الكثيرة و الفادحة ، و الواضحة و الملموسة، و الغريبة و المضحكة كانت تتعلق أساسا بعلم الأحياء و الفلك و الجغرافيا .

و الخاصية الثانية عشرة إنه فِكر قام أساسا على الظن لا على البرهان ، فقد أقامه صاحبه على ظنونه و تحكماته، و رغباته و خرافاته أكثر مما أقامه على الدليل الصحيح و اليقين الصريح . و قد تجلى ذلك بوضوح في إلهياته و موقفه من منطق البحث و الاستدلال منهجا و تطبيقا . فغلب عليه الظن و السفسطة على حساب اليقين و البرهان . و الذين يُروّجون بين الناس– قديما و حديثا– بأن أرسطو أقام فكره على اليقين و البرهان يرتكبون جريمة نكراء في حق العقل و العلم معا .

و الخاصية الثالثة عشرة إنه فِكر كثيرا ما أقامه صاحبه على المغالطات و التشهير بالغير ،و تضخيم أخطائهم ، مع أنه وقع في نفس أخطائهم و انحرافاتهم المنهجية ، بل أكثر منهم في مواقف عديدة . من ذلك أنه اشتد في نقد السفاسطة بحق و بغير حق ، ثم فعل مثلهم تنظيرا و ممارسة . و قد اشتد في نقد بعض المهتمين بالحيوان بقوله : ((و إنما يقول هذا القول بنوع انبساط و خِفة عقل ،و قلة نظر في الأشياء))[١] . ثم هو نفسه نقض انتقاده هذا ، فلم يلتزم به ،و تكلم بلا علم مرارا و تكرارا . و وقع في أخطاء كثيرة فادحة

[١] أرسطو : في كون الحيوان ، ص: ١١٦ .

تتعلق بعلوم الطبيعة عامة و الحيوان خاصة ، و بعضها هي من الغرائب و الحماقات التي لا يصح أن يقع فيها عالم في أي حال من الأحوال .

و الخاصية الرابعة عشرة إنه فِكر قام على كَمٍ هائل من الألفاظ و التعريفات ،و المصطلحات و المنقولات. لكنه كَم معظمه فارغ ، فلا رصيد حقيقي له من العقل الصريح و العلم الصحيح . فليس فيه من الصواب إلا القليل ، و الغالب عليه أنه كَمٌ هائل من الأخطاء و الانحرافات ،و التدليسات و السفسطات ،و الظنون و الرغبات .

و الخاصية الخامسة عشرة إنه فِكر نقض منطقه بنفسه . و ذلك أن صاحبه عندما مارس منطق البحث و الاستدلال في علوم الطبيعة لم يُحسن استخدام القياس الجزئي و لا الصوري– الشمولي – ، و لا التزم بشروط تطبيقهما. فوقع في أخطاء و انحرافات كثيرة من جهة ، و لم يُوصله منطقه الصوري إلى اليقين و البرهان إلا قليلا من جهة أخرى .

و الخاصية السادسة عشر إنه فِكر استنزف من صاحبه و أتباعه أوقاتا و جهودا كبيرة جدا لا يستحقها أبدا من جهة ؛ و أورث فيهم سلبية و انهزامية عطلت قدراتهم العقلية في النقد و التمحيص و الإبداع من جهة أخرى . مع أنه فكر هزيل مُتناقض مخالف للعقل الصريح و العلم الصحيح في معظم أصوله و أساسيات فروعه . إنهم عجزوا عن القيام بذلك إلا قليلا ،و أذهبوا جهودهم و أوقاتهم في شرحه و تلخيصه و الدفاع عنه بالباطل غالبا .

و ذلك واضح جدا في أعمال كبار و أعلام الفلاسفة المسلمين ، كالفارابي ، و أبي سليمان السجستاني ،وابن رشد الحفيد . فالفارابي مثلا أحصيتُ من مؤلفاته ١٠٠ كتاب معظمها في الفلسفة ليس من بينها و لا كتاب واحد مُخصص لنقد الفلسفة اليونانية في أي جانب من جوانبها . من بينها ١٩ كتابا في شرح تلك الفلسفة ، معظمها في شرح كتب أرسطو ، و منها ٢٢ مُختصرا غالبها في المنطق الأرسطي[1] .

---

[1] ابن أبي أُصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ج ١ ص: ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

فواضح من ذلك أن هذا الرجل أمضى معظم حياته العلمية في خدمة الفلسفة اليونانية عامة و الأرسطية خاصة ، و هذا عجز و سلبية و انهزامية . إنه أمضى قسما كبيرا من حياته في خدمة فلسفة مملوءة بالخرافات و الأباطيل ،و الضلالات و الأخطاء العلمية و الانحرافات المنهجية !! . إنه اختار لنفسه التبعية و السلبية بدلا من التحرر و الإيجابية، و الاجتهاد و الإبداع . فلو وفر تلك الجهود في نقد تلك الفلسفة و نقضها ، لكان ذلك أحسن له ،و لقدم للعلم خدمات جليلة جدا تساعد في تطوّره سريعا من جهة ، و لأخرج نفسه من أسر الفلسفة اليونانية عامة و الأرسطية خاصة من جهة أخرى . لكن المؤسف أن الفارابي رضي لنفسه أن يكون تلميذا سلبيا خدوما لتلك الفلسفة . حتى أنه يُروى أنه سُئل : هل أنت أعلم أم أرسطو ؟، فقال : ((لو أدركته لكنت أكبر تلاميذه)). و رُوي عنه أنه قال : ((قرأتُ السماع لأرسطو أربعين مرة ، و أرى أني محتاج إلى معاودته)) [1] . و يقصد به كتاب الطبيعة ، و وقوله هذا عورة من عوراته ، و شهادة ضده ، إنه أمضى وقتا طويلا ، و جهدا كبيرا في قراءة كتاب الطبيعة قراءة سلبية تبجيلية ، فكان من الذين يصدق عليهم قوله تعالى : {الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً }-سورة الكهف:١٠٤- . و هذا الكتاب موجود بين أيدينا و قد قرأته مرتين مُتفرقتين فوجدته قليل الصواب كثير الكلام و الشقشقات و السفسطات من جهة ، و كثير الأخطاء و الانحرافات المتعلقة بالإلهيات و الطبيعيات من جهة أخرى ، فلا يستحق أن يُقرأ أربعين مرة ، و لا عشر مرات ، و لا خمس مرات .

و أما أبو سليمان السجستاني(ت بعد:٣٩١هجرية) ، فهو صاحب كتاب صوان الحكمة ، كان يحفظ أقوال فلاسفة اليونان ، كديموقراطيس ،و أفلاطون ، و أرسطو [2] . و من مؤلفاته: مقالة في أن ((الأجرام العلوية طبيعتها طبيعة خامسة ،و أنها ذات أنفس ،و أن النفس التي هي النفس الناطقة)) [3] . فهذا الرجل أمضى أوقاتا كثيرة ،و بذل جهودا كبيرة لحفظ أباطيل و خرافات ، و حقائق و شركيات فلاسفة اليونان ، فلم تنفعه في إبداع فلسفة

---

[1] نفس المصدر ، ج ١ ص: ٤٠٠ .
[2] حسن حنفي: من النقل إلى الإبداع ، مج ١ ج ١ ص: ١١٨ .
[3] ابن أبي أُصيبعة : المصدر السابق ، ج ١ ص: ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

نقدية هدمية ،و إنما نفعته في تكرار و خدمة ما أنتجه هؤلاء. كالمقالة التي أشرنا إليها ، فهي في الحقيقة خرافة من خرافات أرسطو ، لا مهارة فيها و لا إبداع . و إنما هي تمثل جانبا من جوانب إلهيات أرسطو الشركية الخرافية ، فنصت على أن الأجرام السماوية ليس طبيعتها كطبيعة العناصر الأربعة المكونة لعالم الكون و الفساد ،و هي: الهواء ،و النار ، و التراب ، و الماء . و إنما هي مكونة من عنصر خامس مخالف في طبيعته عن العناصر الأربعة الأخرى ، لذا فهي جواهر أزلية خالدة عاقلة ذات أنفس . و هذه مزاعم و خرافات مُخالفة للشرع و العقل و العلم ، لأنه من الثابت شرعا و علما أن الكون ليس أزليا ،و أنه مخلوق من مادة واحدة[1] .

فواضح من ذلك أن هذا الرجل حفظ أقول فلاسفة اليونان ليس لنقدها و إنما لخدمتها و الدفاع عنها حتى و إن كانت تخالف الشرع ،و لا أساس صحيح لها من العقل و لا من العلم . فأذهب جهوده و أوقاته و حماسه فيما ضرره أكثر من نفعه بفارق كبير جدا .

و أما ابن رشد فهو قد أوّل الشرع تأويلا تحريفيا ليتفق مع فلسفة أرسطو، فيما يتعلق بأزلية العالم و الصفات[2] . و أمضى معظم حياته العلمية في شرح و تلخيص ،و تجميع مؤلفات أرسطو . و قد قُدرت مؤلفات ابن رشد ب: ١١٨ كتابا ، معظمها في الفلسفة اليونانية عامة و الأرسطية خاصة ، و غالبها في الشروح و الملخصات ،و قُدر المشروح منها ب: ٣٨ كتابا معظمها لأرسطو ، و قليل منها في الفقه و الأدب[3]. و قد كانت أعماله في شرح الكتب الفلسفة و تلخيصها و تجميعها ، هي أكبر ((بكثير من مؤلفاته التي لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة))[4]. و في مقابل ذلك لم أعثر له على أي كتاب خصصه لنقد إلهيات أرسطو ، و لا طبيعياته، و لا منطقه ، مع أن فكر هذا الرجل هو فكر هزيل مُتناقض ، و معظم أصوله و أساسيات فروعه غير صحيحة و قد سبق تبيان ذلك.

[1] سبق تناول ذلك عندما تكلمنا عن أزلية الكون و حدوثه .
[2] أنظر مثلا كتابنا : نقد فكر الفيلسوف ابن رشد الحفيد ، ص: ٢٨ و ما بعدها ، ٤٤ و ما بعدها .
[3] الجابري : ابن رشد ، ص: ١٦٠ و ما بعدها . و محمد عمارة : المثالية و المادية ، ص: ٩٩ و ما بعدها . و بركات محمد مراد : تأملات في فلسفة ابن رشد ، ص: ٢٤-٣١ .و مراد وهبة : ابن رشد و التنوير ، ص: ٦٣
[4] حسن حنفي : من النقل إلى الإبداع ، مج ١ ج ١ ص: ١٠ .

و الخاصية الأخيرة- السابعة عشر- إنه فِكر قليل الإبداع كثير الأخطاء و الانحرافات و الجنايات ،و هذا أمر سبق أن أقمنا الأدلة الدامغة القاطعة على صحته ،و قد زاد مجموع الأخطاء و الانحرافات المنهجية التي أوردتها في كتابي هذا ، عن ٣٣٧ خطأً و انحرافا منهجيا ذكرتها كعينات من باب التمثيل لا الحصر ، و إلا فهي أكثر من ذلك بفارق كبير جدا . فما هي الأسباب التي أوقعت أرسطو في ذلك ؟، و هل كان معذورا فيه ، و يصح الاعتذار له في ذلك ؟ .

و أقول: أولا إن أسباب كثرة أخطاء أرسطو و انحرافاته المنهجية ليست أسبابا سطحية و لا عرضية ،و لا خاصة بعلم دون آخر و إنما هي أصيلة و عميقة نابعة من صميم فكر الرجل و مكوناته الأساسية، و تشمل كل مجالات فكره . و يمكن تركيز أسباب ذلك في سببين رئيسيين: الأول منهجي ، و الثاني تطبيقي . فالأول يتمثل في انحراف منطق البحث و الاستدلال لدى أرسطو ، فهو منهج يغلب عليه الظن و عدم التوليد . و توضيح ذلك من ناحيتين : الأولى أنه فِكر فضل التأمل التجريدي الظني على الفكر التأملي التجريبي الصحيح ، فكثيرا ما رأيناه يُفكر بظنونه و رغباته و تحكماته ،و يُقدمها على بدائه العقول و حقائق العلوم . و الثانية إنه فِكر أهمل القياس الجزئي المنتج للعلوم و المطوّر لها ،و اهتم بالقياس الصوري الذي هو فرع لا أصل ، و فضّله على القياس الجزئي بأنواعه ، و قد سبق أن بينا ذلك و وثقناه في الفصل الرابع . و هذا كله جعل منهجه البحثي الاستدلالي ظنيا قاصرا عقيما في الغالب من جهة ، و أنقلب سلبا على نتائجه من جهة أخرى . لأن الانحراف في المنهج يُؤدي بالضرورة إلى كثرة الأخطاء و الانحرافات ،و قلة الصواب ، و العكس صحيح .

و أما السبب الثاني المتعلق بالجانب التطبيقي فله جانبان : الأول إنه من المنطقي جدا أن يُهمل أرسطو التجارب و المعاينات الميدانية ، لأنه ينظر إليها باحتقار و ازدراء بناءً على خلفيته المذهبية المتعلقة بمنطقه في البحث و الاستدلال . و الجانب الثاني يتمثل في أن أرسطو عندما مارس جانبا من العلوم التطبيقية الطبيعية و الإنسانية لم يلتزم بشروطها و أبجدياتها التي يفرضها عليه المنهج التجريبي . فقد ذكرنا نماذج كثيرة من مواقف كانت تتطلب منه التثبت ، أو المعاينة ، أو التجربة ، فلم يفعل ذلك ، و بنى مواقفه على ملاحظات جزئية

ناقصة ، أو على ظنونه و رغباته و خلفياته المذهبية . فهذا الرجل أمره غريب جدا ، فكان يتكلم في كل شيء بمنهجه الفاسد ، و لا نكاد نعثر له على قول يقول فيه بصراحة : أنا لا أعرف . فكان يتكلم بعلم و بلا علم ،و فيما يُدركه و ما لا يُدركه ، و فيما تَثبّت منه و ما لم يَتثبّت منه . و هذا غرور كبير ،و رعونة نفس ،و اعتداء على العقل و العلم ، و جهل كبير بحقيقة العلوم و مناهجها .

و ثانيا ففيما يخص الاعتذار لأرسطو ، فعموما أنه لم يكن معذورا في معظم مواقفه ،و لا يصح الاعتذار له في غالبية أخطائه و انحرافاته المنهجية لأمرين أساسيين : الأول هو أن قسما كبيرا منها كان في مقدور أرسطو تجنب الخطأ فيها ، إما بالمعاينة ، أو بالتجربة ، أو بسؤال أهل الخبرة . لكنه أهمل كل ذلك و تكلم بلا علم ، فكيف يصح أن يُعتذر له في ذلك ؟؟!! .

و الأمر الثاني مفاده أن قسما كبيرا من أخطائه سببه تخلف العلم في زمانه ،و عدم توفر الوسائل التي تُمكّنه من التأكد مما قاله ،. و هذا هو معذور فيه عُذرا جزئيا فقط من جهة ، و يبقى مسئولا عنه ،و لا يصح الاعتذار له فيه من جهة أخرى . لأنه – في مثل هذه الحالات- لم يحترم فيها منطق البحث و الاستدلال ، و إنما خاض فيها بلا علم ،و جزم بصحة آرائه و ملاحظاته من دون أي دليل صحيح يُثبتها . مع أنه كان من الواجب عليه – عقلا و علما – أن يتجنب ذلك الجزم و القطع، و يجعل آراءه ظنية احتمالية ،و يحتاط لنفسه فلا يقطع و لا يُعمم ، و يترك الأمر معلقا . و بذلك يتبين أن الرجل هو الذي أورد نفسه الموارد المهلكة ، و لا يصح السكوت عنه ،و لا مسايرته في أقاويله ،و الاعتذار له و تدليله .

و ربما يقول بعض الناس: إن أرسطو كان معذورا فيما وقع فيه من أخطاء و انحرافات ، فماذا كان بيده أن يفعل ؟ ، فعندما لم تسعفه الوسائل اجتهد بعقله لمعرفة ما غاب عنه.

و أقول: هذا اعتراض وجيه مبدئيا ،و تبرير مقبول بصفة عامة ، لكن لا يصح استخدامه مع أرسطو في معظم أخطائه و انحرافاته . لأنه أقمنا الأدلة القطعية أنه أهمل

التثبت و المعاينة و التجربة ، مع أنه كان قادرا على القيام بذلك . و أنه خاض في أمور لم يكن في مقدوره الخوض فيها ، لكنه خاض فيها و تكلم بلا علم ، و هذا هو الانحراف المنهجي الذي أفسد به أرسطو جانبا كبيرا من فكره . فهو هنا لم يتكلم بعقل صريح ،و لا بعلم صحيح ،و إنما تكلم بظنونه و تحكماته و رغباته. فهو هنا غير معذور ، لأنه لم يلتزم بما يفرضه عليه منطق البحث و الاستدلال ، و كان في إمكانه أن يجنب نفسه كثيرا من الأخطاء و الانحرافات لو التزم بذلك .

و ربما يقول بعض الناس : لا يصح انتقاد فكر أرسطو في كثرة أخطائه و انحرافاته المنهجية بعلوم عصرنا ،و إنما يُنقد بعلوم عصره ؟!.

و أقول: أولا هذا اعتراض لا يصح ، و من المغالطة القول بأن نقد أي فكر يجب أن يكون بمقياس عصره فقط . فهذا زعم باطل ، و الصواب هو أن ننقد أي فكر كان بالاحتكام إلى الحقيقة وحدها ، من دون حصر لها بزمان و لا بمكان ، و الشرط الوحيد فيها هو أن نحتكم إلى الحقائق لا إلى الظنون و لا إلى الرغبات و لا إلى الاحتمالات ، على أن نأخذ تلك الحقائق من الوحي الصحيح ، و العقل الصريح ، و العلم الصحيح . و بناءً على ذلك فإنه من حقنا أن ننقد أي فكر - قديما كان أو حديثا – بالاحتكام إلى تلك المصادر المعرفية التي منها العلم الحديث . و أرسطو نفسه كان – في انتصاره لفكره- يحتكم إلى علم عصره ، و قد نقد به فكر السابقين و المعاصرين له . فمن حقنا نحن أيضا أن ننقده بالاحتكام إلى علوم عصرنا .

و ثانيا إنه من حقنا أن نحتكم إلى علوم عصرنا ،و نتشدد في انتقادنا لأرسطو ، و محاسبته حسابا عسيرا ،لأنه كان كثير التجاوزات والانحرافات ،والمجازفات و الاعتداد بالنفس . فجعل نفسه من أهل البرهان و اليقين و جعل مخالفيه من أهل الجدل و الظن . لذا وجدناه يصدر أحكاما كثيرة يزعم أنها صحيحة بالضرورة و الوجوب ،و هي في الحقيقة ما هي إلا ظنون و رغبات ، و تحكمات و احتمالات مُخالفة للوحي الصحيح ، و العقل الصريح ، و العلم الصحيح .

علماً بأن تبرير أعمال أرسطو ،و السكوت عن أخطائه و انحرافاته ،و عدم لومه و تحميله مسؤولية ما قام به ، هو في الحقيقة جريمة نكراء : شرعا و عقلا و علما ، لا يصح السكوت عنها أبدا . فلابد من عرض فكره على ميزان الوحي الصحيح ،و العقل الصريح ،و العلم الصحيح ، لتمييز صحيحه من سقيمه من جهة ، و ليأخذ صاحبه مكانه الحقيقي المناسب له ، بلا إفراط و لا تفريط ،و بلا تضخيم و لا تقزيم من جهة أخرى . و بذلك لا نظلم الرجل ،و لا نتعصب عليه ،و لا نحرمه حقه ، ولا نحكم عليه إلا بالحق ،و لا نُدلّله و نبالغ في مدحه و الثناء عليه بما لا يستحقه .

و أُشير هنا إلى أن أُناسا ربما يعتقدون أنه لم يكن في الإمكان نقد فكر أسطو في زمانه ،و لا في العصر الوسيط ،و لم يصبح هذا مُمكنا إلا في العصرين الحديث و المعاصر . و هذا اعتقاد باطل ، لأن فكر أرسطو هو فكر هزيل ضعيف مُسفسط فاسد من داخله منهجا و تطبيقا . و كان في مقدور أي باحث موضوعي نزيه مُتسلح بالعقل الصريح و العلم الصحيح أن يرد عليه ، و يُقوّضه من أساسه . و في حضارتنا الإسلامية ظهر علماء كبار[1] ردوا عليه ردا علميا صحيحا في كثير من جوانبه قبل الثورة العلمية الحديثة ، بل إنهم ساهموا في ظهورها بتلك الردود العلمية القوية التي ردوا بها على فكر أرسطو .

و من تلك المبررات و الاعتذارات لأرسطو أن الباحث ولتر ستيس عندما أشار إلى كثرة أخطاء أرسطو المتعلقة بالحيوانات ، و ذكر أنها أصبحت ضربا من قبيل الخيال ، عقّب على ذلك بقوله : ((و لكن كان هذا أمرا مُحتماً في طفولة العلم))[2].

و أقول: تبريره هذا غير صحيح في معظمه ، و البحث العلمي هو البحث العلمي في كل زمان و مكان ، له أبجدياته و شروطه يجب الالتزام بها . و لو التزم أرسطو بمنطق البحث و الاستدلال التزاما كاملا و صحيحا لجنب نفسه مئات الأخطاء العلمية و الانحرافات

[1] منهم : الغزالي ، و البيروني ، و ابن تيمية . و عن ذلك أنظر كتابنا : مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية . و كتاب : حوار البيروني و ابن سينا ، لعبد الكريم اليافي .
[2] ولتر ستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٢١٣ .

المنهجية . و قد سبق أن ذكرنا نماذج كثيرة من مواقفه أخطأ فيها بسبب إهماله و تقصيره و ازدرائه للمنهج التجريبي ، مع سهولة التثبت و المعاينة و التجربة ، فلا دخل هنا لحكاية طفولة العلم . فالأخطاء و الانحرافات الكثيرة التي وقع فيها أرسطو لم تكن مُحتمة أبداً ، لأنه كان من السهل تجنب الخطأ فيها . لكن عجز الرجل و إهماله و غروره كل ذلك أوقعه في أخطاء كثيرة فادحة فاحشة ، و لا دخل فيها هنا للحتمية و لا لطفولة العلم . فالعلم هو العلم من جهة منطق البحث و الاستدلال ، فمن التزم به التزاما صحيحا كاملا ، كَثُر صوابه و قل خطؤه ،و من أهمله ،و أخل بشروطه كَثُرت أخطاؤه و انحرافاته ،و قل صوابه ،و هذا هو الذي ينطبق على أرسطو.

و أشير هنا إلى أن بعض الباحثين المعاصرين عندما يذكرون طائفة من أخطاء أرسطو ، يقولون : إن تلك الأخطاء لا ((تقلل بحال من الأحوال من قيمة الإنجازات العظيمة التي حققها للعلم و البشرية على السواء)) [1] .

و أقول: هذا قول غير صحيح في معظمه ، لأن أخطاء أرسطو ليست أخطاء عادية من جهتين : الأولى أنها أخطاء قائمة على انحراف منهجي كبير و خطير يتعلق بمنطق البحث و الاستدلال ،و قد سبق أن بينا ذلك مرارا ، فهي أخطاء و انحرافات حتمية لابد منها بسبب هذا الانحراف المنهجي. و الجهة الثانية هي أن أخطاء أرسطو و انحرافاته ليست قليلة العدد محدودة المساحة ، و إنما هي أخطاء و انحرافات كثيرة جدا تُقدر بالمئات و تغطي كل تراثه الفكري . و هذا يعني بالضرورة أن ما قدمه فكر أرسطو من صواب للعقل و العلم قليل جدا ،و ما قدمه لهما من أخطاء و انحرافات ، و ما ترتب عنها من سلبيات و جرائم كثيرة جدا جدا !! .

و قبل إنهاء مبحث الخصائص ، أُشير هنا إلى أن بعض الناس قد يقولون : لقد أكثرتَ من ذكر سلبيات فكر أرسطو ، ألم تكن له إيجابيات فتذكرها له ؟؟.

[1] حسي علي: علم الأحياء عند أرسطو ، دار قباء ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص: ٤٧ .

و أقول : نعم لفكر أرسطو إيجابيات ، لأنه لا يُمكن أن يُوجد فكر ما كله أخطاء و سلبيات ، فلا بد له من إيجابيات و إن كانت قليلة ، و إلا ما قال به أحد . و هذا هو حال فكر أرسطو ، فإيجابياته قليلة و سلبياته كثيرة جدا من جهة ،و هي إيجابيات الغالب عليها أنها إيجابيات جزئية لا تتعلق بأصول فكر أرسطو و قواعده من جهة أخرى . علما بأن كثيرا من الخصائص التي يُقال أنها من إيجابيات فكر أرسطو هي في الحقيقة ليست كذلك كليا أو جزئيا . و إذا كان من الواجب علينا أن نعترف للرجل بصوابه و إيجابياته القليلة ، و نمدحه عليها ؛ فإنه من الواجب علينا أيضا أن ننتقده و نُبين أخطاءه و انحرافاته و سلبياته الكثيرة ،و نذمه عليها من جهة أخرى . فهذا الرجل يستحق الذم و القدح أكثر مما يستحق المدح و التبجيل . فهو كما أنه – أي أرسطو– من كبار أذكياء العالم و نُظاره ، فهو أيضا من كبار سفاسطته و مُدلسيه . ومع أن كتابنا هذا خصصناه لسلبيات الرجل لا لإيجابياته ، و ضمناه منها ما يكفي للحكم على الرجل ،و الرد على معظم الإيجابيات المنسوبة إليه خطأً ، أو زوراً ، أو غلوا ، فإننا – مع ذلك – فسنذكر بعضها و نرد عليها ردا مُركزا مُجملا حسب ما يتطلبه المقام ، و بالله التوفيق .

الأولى مفادها أن فكر أرسطو وُصف بأنه كثير التأليف أنتج ثروة مُعتبرة تشهد لصاحبها بالاجتهاد و الإبداع و العطاء الغزير . فقُدرت مُصنفاته بالمئات ، فقيل بلغت ٤٠٠ كتاب ،و قيل بلغت الألف مُصنف ، شملت علوما كثيرة . لكن لم يبق منها إلا القليل[١] .

و أقول : أولا إن كثرة التأليف لا تدل بالضرورة على العبقرية و الإبداع ، بل إنها قد تدل على عكس ذلك . فهي إذن قد تدل على ذلك و قد لا تدل عليه . و عليه فقد توجد العبقرية و الإبداع مع قلة التأليف ، فيكون الكم قليلا و النوعية جيدة ، و قد يُوجدان مع كثرة التأليف فيكون الكم كثيرا و النوعية جيدة ممتازة . لكن لا شك أن الحالة التي يتوفر فيها الكم و النوعية الجيدة أحسن من الحالة التي تتوفر فيها النوعية الجيدة دون الكم الغزير . و هذه الأخيرة هي أحسن بلا شك من الحالة التي لا يتوفر فيها كم و لا نوعية جيدة ،و

[١] ول ديورانت : قصة الفلسفة ، ٧٥ ، ٩٦ .

أحسن من التي يتوفر فيها كم بلا نوعية جيدة . و حالة مؤلفات أرسطو أنها كم كثير بنوعية جيدة قليلة مقابل نوعية رديئة كثيرة جدا : أصولا و فروعا ، تنظيرا و ممارسة .

و ثانيا يجب أن لا يغيب عنا أن كثيرا من الكتب التي نُسبت إلى أرسطو ، منها ما هو ليس من مؤلفاته ، و منها ما هو غير ثابت النسبة إليه ، و منها ما هو من تأليف بعض تلامذته[1]. و أما ما ذكره الباحث ماجد فخري من أن أرسطو ألف في ١٢ سنة فقط أهم ((((آثاره العلمية و الفلسفية ،و حتى لو افترضنا —كما يقول أحد الثقات- أن طلاب أرسطو كانوا يشتركون معه في عملية التقميش و التنقيب ، فإن نتاجه الفكري يبقى فريدا من نوعه في تاريخ البشر العقلي))[2] . فقوله هذا فيه غلو كبير ،و لا يصح أيضا . لأن الحقيقة هي أن أرسطو تفرّغ للبحث بعد شيخه أفلاطون نحو ٢٥ سنة ، و ليس ١٢ سنة من جهة[3] ، كما أن ١٢ سنة تكفي لمن يتفرغ للبحث العلمي و معه من يجمع له المادة العلمية و يُنظمها و يُحررها بأن يُؤلف كتبا كثيرة من جهة أخرى . و إذا أضفنا إلى ذلك أن أرسطو كان كثير الجمع و النقل ، و السفسطة و السطو على أعمال غيره ، مع قلة التحقيق و التثبت و إجراء التجارب ، فإن هذا يزيد أكثر في ارتفاع عدد مصنفاته .

و ليس صحيحا أن نتاج أرسطو الفكري كان فريدا في تاريخ البشر العقلي . فهذا زعم باطل ، لأنه وُجد من أهل العلم من ألف أكثر منه كماً و جودة ، كما هو حال الشيخ ابن تيمية فقد أحصاها الحافظ الذهبي فبلغت ألف مُصنف[4] ،و كان أحيانا يُؤلف كتابا صغيرا في يوم واحد ، بل في جلسة بين الظهر و العصر[5] . و هذا أيضا عادي بالنسبة للشيخ ابن تيمية ، لأنه كان مُتفرغا للعلم ،و يتكلم من حفظه ، و له ذكاء حاد و غزير العلم[6] ،و كان سريع الكتابة ،و له تلاميذ يُبيضون كتبه[7] . فابن تيمية و أمثاله عندهم التأليف سهل جدا ،

[1] أنظر ما كتبه عبد الرحمن بدوي عن ذلك في تقديمه لكتاب : منطق أرسطو ، ص: ١١ .
[2] ماجد فخري: أرسطو : المعلم الأول ، ص: ١٢ .
[3] سنوثق ذلك في هذا المبحث عندما نتكلم عن موسوعية أرسطو .
[4] الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ ص : ١٤٩٧ .و محمد بن عبد الهادي : طبقات علماء الحديث ج ٤ ص : ٤٨٨ .و ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ ص : ١٥١ . .و السيوطي : طبقات الحفاظ ص : ٥٢١ .
[5] محمد بن عبد الهادي : نفس المصدر ج ٤ ص : ٢٩٢ .
[6] محمد ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ .
[7] نفس المصدر ، ص : ٦٥ .

فيمكن أحدهم أن يُؤلف كتابا في يوم ، أو في يومين ، أو في ثلاثة أيام . لأن احدهم يجلس للعلم ، أو يأتيه سؤال ، فيتكلم ساعة أو ساعتين أو ثلاثة ، و تلامذته يكتبون ، فينتهي المجلس و قد أنجز كتابا في مسودته ، ثم يُبيض و يخرج كتابا كاملا في نفس اليوم ، أو في اليوم الثاني ، أو الثالث . فالنتيجة واضحة هي أن علماء كابن تيمية و أمثاله قد يُؤلف احدهم عشرة كتب متوسطة الحجم في سنة واحدة . و بذلك يسقط ذلك الزعم الذي قاله ماجد فخري في مدحه لأرسطو .

و الإيجابية الثانية مفادها أنه ربما يُقال : إن فِكر أرسطو هو فِكر شمولي جمع صاحبه علوما كثيرة .

و أقول: إن ظاهرة الشمولية ليست خاصة بأرسطو و لا تقتصر عليه فقط ، فالتاريخ يشهد بوجود موسوعيين كثيرين قديما و حديثا جمعوا علوما كثيرة . فمن اليونانيين ديموقريطس جمع علوما كثيرة كالطب ، و الرياضيات ، و الفلك و الجغرافيا ،و الزراعة و الصنائع و غيرها من العلوم[1] . و قد شهدت حضارتنا الإسلامية عددا كبيرا من هؤلاء ، كابن قتيبة الدينوري ، و الجاحظ ،و الطبري ، و ابن سينا ،و ابن الجوزي ، و ابن رشد ، و ابن تيمية ، و السيوطي ، و غيرهم كثير جدا . لكن العبقرية الحقيقية ليست في كثرة جمع العلوم ،و لا تُقاس بها ، و إنما هي أساسا في سلامة المنهج البحثي الاستدلالي ،و توفر الإبداع و الجودة و الصواب : كَماً و نوعاً . و هذا لم يتوفر في موسوعية أرسطو إلا قليلا ، بالمقارنة إلى ما جمعه من علوم .

و لا يغيب عنا أن الشمولية قد تكون وبالا على صاحبها إذا لم تتم بطريقة صحيحة ، فتأخذ منه جهوده و أوقاته في الجمع و الحفظ ،و تفوّت عليه الفهم و التمحيص و الابتكار ،و تحرمه من التخصص الدقيق الذي يُوصله إلى درجة التمهر و الإتقان . و هذا الذي وقع فيه أرسطو ، فقد طلب العلم كبيرا ، فبدأه و عمره ١٨ سنة ، ثم أمضى فترة تتلمذه على أفلاطون مدة ٢٠ سنة ، و بما أنه عاش ٦٣ سنة[2] ، فيكون قد تفرّغ للبحث العلمي مدة ٢٥ سنة . و هذه المدة لا تكفيه لكي يُنجز أبحاثه الموسوعية و يُتقنها و يتمهر

[1] يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٤٩ .
[2] ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: ٩٩ ، ١٠٠ .

فيها . فأصبح الغالب على الرجل الجمع و التدوين ، و السطو و الاستحواذ ، و إهمال التثبت و التجربة ، و التعليقات السطحية و السفسطائية هنا و هناك . مارس ذلك كثيرا على حساب التخصص الدقيق المبدع ،و قد انعكس ذلك بوضوح في كثرة أخطائه و انحرافاته المنهجية ، التي سبق أن فصلناها. فأضرته موسوعيته أكثر مما نفعته ،و أخرته أكثر مما قدمته . إنه كتب في علوم كثيرة لم يُتقنها ،و لا هي من تخصصه،و لا التزم بمناهجها و شروطها !! . فضاعت منه أوقات و جهود كبيرة ، كان من الأولى أن يصرفها في مجال محدود يتفرغ له إتقانا و إبداعا .

و الثالثة مفادها أنه ربما يُقال أيضا : إن من أكبر إيجابيات فكر أرسطو أنه هيمن على العقل البشري أكثر من عشرين قرنا من الزمن، كان فيه سيدا بلا فكر يُنازعه ،و لا يُساويه ،ولا يُنافسه، و لا يُقاربه .

و أقول: أولا إن هيمنة فكر ما على أهل العلم في عصر من العصور، فإن هذا لا يعني بالضرورة أنه فكر صحيح ،و ما قدمه كان إيجابيا . فقد يكون الأمر كذلك و قد لا يكون ،و لا بد من العودة إلى هذا الفكر نفسه لتمحيصه و نقده لمعرفة حقيقته من جهة ، و لمعرفة حقيقة ما قدمه للعلم و الناس في الواقع من جهة أخرى .

و ثانيا ليس صحيحا أن الفكر الأرسطي قد هيمن على كل العقل البشري طيلة تلك القرون . لأنه وُجد كثير من أهل العلم من رفضه و قاومه و انتقده نقدا علميا صحيحا ،و هدّم جانبا كبيرا منه قبل العصرين الحديث و المعاصر . و قد كان علماء أهل السنة من الأوائل الذين تصدوا للفكر الأرسطي ، فقاوموه بشدة علماً و عملاً ، كأبي بكر الباقلاني، و أبي عمر بن الصلاح ، ابن تيمية ، و ابن قيم الجوزية ،و غيرهم كثير[1] .

و ثالثا إن تلك الهيمنة التي حققها الفكر الأرسطي كانت سلبياتها أكثر من إيجابياتها بفارق كبير جدا ، فأضرت العلم أكثر مما نفعته و أخرته أكثر مما قدمته من جهة . و لولا

[1] للتوسع في ذلك أنظر كتابنا : مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية ، و الكتاب منشور ورقيا و إلكترونيا .

سلبية أتباعه و انهزامية أكثر أهل العلم زمن هيمنته ، ما كان له أن يسود و يُهيمن من جهة أخرى . فهو فكر لم يسد و لم يُهيمن لسلامة منهجه العلمي و صحة مضامينه ،و إنما حقق ذلك لعوامل أخرى كانت في صالحه . فحقق هيمنة لا يستحقها ،و لا هو أهلا لها. فلما جاء العلم الحديث انكشفت حقيقته الزائفة بشكل أكبر منهجا و تطبيقا .

و الإيجابية الرابعة مفادها أن أرسطو كان يدعو ((إلى الدقة في تدوين الملاحظات للوصول إلى الحقائق ،و عدم الاعتماد على ملاحظة الآخرين))[١] .

و أقول : إذا صح أن أرسطو قال ذلك ، فهذا لا يعني أن تلك الميزات كانت ميزات أساسية لفكره . و الصحيح هو أن ذلك ليس صفة أساسية لفكر أرسطو ، بل هي صفة جزئية لا تصدق إلا على قسم صغير من فكره ،و قد أخل بها إخلالا كبيرا في بحوثه العلمية . فقد سبق أن ذكرنا عشرات النماذج كان فيها أرسطو يروي عن الرواة الأخبار الضعيفة و الباطلة ، بل و حتى الخرافية . كما أنه كان يُهمل التثبت و المعاينة و التجربة ، و يتكلم بلا علم ، بل أنه – في بعض المواقف- كان يُوهمنا بأنه جرّب و شاهد و هو لم يقم بذلك أصلا !! .

و الإيجابية الأخيرة – الخامسة [٢]- مفادها أن بعض الناس ربما يقولون : إن من إيجابيات فكر أرسطو أنه فكر عقلاني طرحه صاحبه بطريقة عقلانية منظمة مُحكمة مترابطة كونت في النهاية نسقا فكريا كاملا كما هو واضح من فلسفته. و قد أشار بعضهم إلى هذا صراحة . فذكر الباحث ماجد فخري أن لأرسطو نسقا فكريا امتاز أيضا بدرجة كبيرة جدا من التماسك و الإحاطة و العمق[٣] . و ذكر الباحث مصطفى النشار أن أهمية فكر أرسطو تكمن أساسا في الإحكام المنطقي ،و الإبداع المنهجي الذي كُتب به[٤] .

---

[١] ماهر عبد القادر : المنطق و مناهج البحث ، ص: ١٤٤ .
[٢] أكتفينا بهذه النماذج من الإيجابيات المزعومة ، لأنها تكفي لإثبات ما قلناه . و إلا هناك إيجابيات أخرى مزعومة ، لذلك ضربنا عليه صفحا ، لأن الرد عليها واضح مُبين في كتابنا هذا ، و تسقط بمجرد الإطلاع عليه .
[٣] ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية .
[٤] مصطفى النشار / المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية ، ص: ٢٠٢ .

و أقول: أولا إن الحقيقة هي أن أرسطو طرح فكره بطريقة عقلية و ليس بطريقة عقلانية . و الفرق بينهما – في تصوري- أن العقلانية تعني الاحتكام إلى العقل الصريح ،و الأخذ به في كل الحالات و المواقف ، و هذا لا يصدق على معظم أصول فكر أرسطو و أساسيات فروعه ،و قد سبق بيان ذلك فيما تقدم من كتابنا هذا . و أما الطريقة العقلية ، فهي التي طرح بها أرسطو فكره ، بمعنى أن العقل كان وسيلة طرحها . و هذه الخاصية ليست خاصة بأرسطو و فكره ، و إنما هي وسيلة كل الناس عامة ،و أهل العلم خاصة ، فكلهم يطرحون أفكارهم بطريقة عقلية .

و ثانيا إن أرسطو قد دوّن فكره أساسا بطريقة عقلية غير عقلانية ، فهي طريقة عقلية جمعت بين التغليط و التدليس ، و السفسطة و الجدل ، و ليس فيها من العقلانية الصحيحة إلا القليل . فأنتج فكرا مملوءا بالتناقضات و الأخطاء العلمية ،و الانحرافات المنهجية و المزاعم الباطلة، و قد سبق أن أثبتنا ذلك بالأدلة الدامغة القاطعة . و أما ما يظهر من فكره من صبغة عقلية مُنظمة ، فهي ميزة صحيحة ، لكن لا تخصه وحده ، ففي مقدور أي عالم مُتضلع في علمه أن يطرح فكره بنفس الطريقة ، بل و أحسن منها . و قد سبقه إليها السفاسطة و سقراط و أفلاطون . فالمتدبر في محاورات سقراط و أفلاطون يجدهما كثيرا ما يُنظمان أفكارهما ،و يتدرجان في المناقشة ،و طرح المقدمات بطريقة عقلية للوصول إلى النتائج المرجوة[1] .

و أما السفاسطة فهم أبرع من الجميع في طرح أفكارهم بطريقة عقلية منظمة . فمعروف عنهم أنهم أتقنوا فن التعليم و التربية، والخطابة و الجدال ،و القدرة الفائقة على الإقناع بالحق و الباطل . فهم أتقنوا طريقة العرض العقلي المنظَمة لأفكارهم ، لكنها كانت طريقة عقلية جمعت بين الحق و الباطل ،و غلب عليها التدليس و التغليط ،و التلاعب بالألفاظ . فعُرفت طريقتهم هذا بأنها سُفسطائية ، من يُمارسها فهو سُفسطائي[2]. لكنها في النهاية طريقة عقلية

[1] سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل المخصص للمنطق .
[2] سبق توثيق ذلك في الفصل الثالث المخصص للمنطق .

مُنَظمة مُحكمة مبنية على مقدمات و نتائج مرجوة مُسبقا ، في إمكان أصحابها استخدامها في الحق و الباطل .

و من ذلك يتبين أن طريقة أرسطو العقلية في عرض أفكاره لا تختلف عن طريقة سقراط و أفلاطون عامة ،و طريقة السفاسطة خاصة . فهو قد توسع في طريقته العقلية كالسفاسطة ، و بما أنه سبق أن بينا أن فكره مملوء بالتناقضات و الأخطاء ،و الانحرافات و المزاعم ، فهو فكر الغالب عليه أنه فكر سُفسطائي قلبا وقالبا ، صاغه أرسطو بطريقة سُفسطائية خاصة به ، فهو قد أتقن منطق السفسطة و لم يُتقن منطق البديهة و العلم . فظهر لكثير من الناس أنه يُمثل نسقا فكريا مُحكما ، فانخدعوا به ،و هذا غير صحيح ، و قد تبين — من الأدلة الدامغة– أنه فكر زائف و سفسطائي ، و هزيل ضعيف في صميمه ، يحمل معاول هدمه من داخله .

و ثالثا إن النظرة العلمية الدقيقة الصحيحة و الشاملة لفكر أرسطو تبين عكس ما قاله الباحث ماجد فخري . فهو فكر هزيل ضعيف قائم أساسا على التناقضات و الظنون ،و الرغبات و الانحرافات المنهجية من جهة ، ثم ترتب عن ذلك تطبيقات عملية كثيرة الأخطاء و الانحرافات المنهجية في كل المجالات التي كتب فيها أرسطو من جهة أخرى . و كلامنا هذا ليس كلاما فارغا ، و إنما هو كلام علمي أقمناه على الأدلة الدامغة القطعة التي سبق أن بيناها و وثقناها في الفصول السابقة فلا نعيدها هنا .

و أما خاصية الإحاطة فهي أساسا إحاطة جمع و تدوين ، و لم تكن إحاطة إتقان و إبداع و تمهر في معظم الأحيان . فهي إحاطة موسوعية تجميعية يُمكن أن يقوم بها كثير من أهل ؛ كما أن قسما كبيرا منها كان إحاطة سطو و استحواذ مارسهما أرسطو ، و ربما تلامذته أيضا ، تم ذلك بطرق شتى سبق أن ذكرنا نماذج منها .

و أما خاصية العمق ، فهي خاصية ضعيفة و لا تمس حقائق الأمور في كثير مما كتبه أرسطو . و قد سبق أن بينا مدى ضعف و تناقض أفكاره الميتافيزيقية من جهة ؛ و لو كان فكره عميقا رزينا ما وقع في أخطاء و انحرافات منهجية جمعنا منها أكثر من ٣٣٧ خطأ و

انحرافا من جهة أخرى . و لو كان عميقا ما وقع في أخطاء فادحة مُضحكة لا يقع فيها أبسط باحث من أهل العلم ، بل لا يقع فيها حتى إنسان عادي من الناس . كزعمه بأن عدد أسنان المرأة أقل من عدد أسنان الرجل ، و أن قلب الخيل يُوجد بداخله عَظْم ، و أن البنت الحدث دم حيضها أبيض اللون ، و أن الدماغ بارد ،و لا عروق ولا دم فيه ،و غير ذلك من أخطاء الرجل و حماقاته المضحكة .

لكن يبدو أن ماجد فخري اغتر –ككثير من أهل العلم- بالصبغة العقلية التي طرح بها أرسطو فكره ، و لم ينتبه إلى أن هذه الصبغة هي صبغة شكلية سُفسطائية ، مبنية أساسا على الظنون و التناقضات، و الشقشقات و التلاعبات ، و كثرة الأخطاء و الانحرافات ، و ليس فيها من العمق العلمي الصحيح إلا القليل.

و أما ما ذكره مصطفى النشار فردنا السابق ينطبق على جانب كبير مما ذهب إلى قوله . لكن – مع ذلك – أقول : إن أرسطو لم يُقم فكره على إحكام منطقي أبدا ، و قد سبق أن أثبتنا أنه بناه أساسا على ظنونه و رغباته، و تحكماته و خرافاته ،أكثر مما بناه على العقل و العلم من جهة ،و إنما صاغه بطريقة ظاهرها طابع منطقي مُحكم ، و باطنها سَفسطائي تدليسي من جهة أخرى . كما أنه لم يُقمه على منطق صريح ،و لا على إبداع منهجي صحيح ، و إنما أقامه على انحراف في موقفه من منطق البحث و الاستدلال . و قد بينا بالأدلة الدامغة أن الرجل أخطأ في موقفه من الأقيسة ، و لم يفهمها فهما صحيحا ،و لا التزم بها عندما مارسها في الواقع، فأوقعه هذا في أخطاء و انحرافات كثيرة جدا . فأين الإحكام المنطقي و الإبداع المنهجي المزعومان ؟؟!! .

و قبل ختام هذا الفصل أشير هنا إلى أمرين هامين : الأول مفاده أن الباحث الأرسطي مصطفى النشار حاول إنكار كون العلم الحديث قد قام بثورة على أرسطو و فكره ، فعل ذلك بمبررات ضعيفة جدا، لا تصلح دفاعا عن فكر أرسطو[١] .

---

[١] مصطفى النشار : نظرية العلم الأرسطية ، ص: ١٣٠، ١٣١ ، ١٤٧ و ما بعدها .

و أقول: إن قوله هذا غير صحيح في معظمه ، و الرجل غالٍ مُتعصب بالباطل ، مُنكر للحقيقة في رابعة النهار . لأنه أولا إن كلا من العقل الصريح والعلم الصحيح كانا قد أظهرا بطلان معظم فكر أرسطو قبل العلم الحديث . و قد تجلى ذلك بوضوح في مجالين أساسيين : الأول إنه فِكر مُخالف للوحي الصحيح في معظمه بإلهياته و طبيعياته و إنسانياته ، و من يُخالف الوحي الإلهي فهو باطل بالضرورة . و هذا يعني أنه عندما أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبيه محمد-عليه الصلاة و السلام- قام بذلك الدليل الإلهي القاطع على بطلان معظم فِكر أرسطو .

و المجال الثاني تجلى في أعمال و مواقف علماء الإسلام الذين تصدوا للرد على الفلسفة اليونانية عامة و الأرسطية منها خاصة . فقد أقام هؤلاء الأدلة الدامغة على بطلان معظم تلك الفلسفة في إلهياتها و منطقها. و قد أشرنا إلى بعضهم فيما تقدم من هذا الفصل[1] .

و ثانيا إنه عندما جاء العلم الحديث واصل ما تم في العصر الإسلامي من نقد و هدم لفكر أرسطو . اثبت صحة ما قرره الوحي الصحيح ،و ما نص عليه و قرره علماء الإسلام الذين ردوا عليه . فأقام العلم الحديث الأدلة العلمية الصحيحة على بطلان إلهيات أرسطو ،و معظم طبيعياته و منطقياته و إنسانياته . و كتابنا هذا هو نموذج دامغ على صحة كلامنا هذا ، لأنه جمع –في رده على فكر أرسطو- بين الوحي الصحيح ، و العقل الصريح و العلم الحديث الصحيح .

و الحقيقة هي أنه لما كان فكر أرسطو ثورة على العقل الصريح، و العلم الصحيح، و أساء إليهما و تجاوزهما بظنونه و رغباته و خرافاته . فإنهما قد انتقما منه بحق و عدل ،و ثارا عليه في فترات متفرقات من التاريخ[2] . لكنهما أجهزا عليه في العصرين الحديث و المعاصر ، فردا عليه ردا حاسما قاطعا ،و حطماه تحطيما لا نهوض له بعده رغم أنف المحرفين و المغالطين و

[1] للتوسع في ذلك أنظر كتابنا : مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية .
[2] كما حث على يد كبار علماء الإسلام الذي ردوا على أرسطو في الإلهيات و المنطق ، و عنهم أنظر كتابنا : مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية .

المدلسين الذي-هم في الحقيقة- يُواصلون نهج شيخهم- في السفسطة و التعلق بالأوهام و الظنون ، و الدفاع بالتعصب و الباطل على فكر أرسطو من جهة ،و إغفال أخطائه و انحرافاته الكثيرة ،و نفخ و تجعيد صوابه القليل من جهة أخرى . و هذا عمل إجرامي ليس من العقل، و لا من العلم ، و لا من الحيدة العلمية في شيء.

و الأمر الثاني مفاده أنه قد يعترض بعض الناس على مؤلف هذا الكتاب بقوله : إن مؤلف هذا الكتاب قد غالى في انتقاده لأرسطو كما غالى أتباعه و محبوه في تعظيمه من جهة . و أنه قد جرّد أرسطو من معظم أو كل إيجابياته و أعماله العلمية المعروفة بين أهل العلم من جهة أخرى.

و أقول: هذا اعتراض وجيه ، و قد يخطر على كل من قرأ هذا الكتاب . لكنه لا يصح ، لأنه أولا إن كتابي هذا مُخصص للجانب السلبي من فكر أرسطو ، فمن الطبيعي جدا ،و من المطلوب أيضا أن نتوسع فيه ،و نترك ناحيته الإيجابية جانبا ، مع عدم نسيانها طبعا . و أنا لم أنكر جانبه الإيجابي القليل ، و قد أشرتُ إليه مرارا ، لكن لم أجعله أصلا لفكر الرجل ،و قد أقمتُ الأدلة الدامغة على صحة موقفي هذا ، بأن معظم أصول فكر أرسطو و أساسيات فروعه غير صحيحة . و فكر هذا حاله لا يُمكن أن تكون الإيجابيات هي أساسه .

و ثانيا يجب قبل الاعتراض على أي ناقد إذا خالف المألوف المشتهر بين الناس ، أن يُنظر أولا إلى أدلته و لا يُنظر إلى الأمور التي أثبتها أو نفاها هل هي مُخالفة للمعروف بين أهل العلم أم موافقة له ؟ . فالحَكَم في مثل هذا المواقف هو الدليل الصحيح فقط ، و لا دخل هنا للعلماء كأشخاص ، و لا للعدد من جهة الكثرة و القلة . فالحق لا يُعرف بذلك ،و إنما يُعرف أولا بالدليل. و من أنكر على غيره أمرا عليه أن يحتج عليه بالبرهان ، لا بفلان و فلان.

و ثالثا هل التعصب لهذا الرجل ، و الدفاع عنه هما أمران ضروريان ؟؟!! . لاشك أن ذلك مطلوب بالحق و في الحق ،و ليس مطلوبا في الباطل . و بما أن الأمر هكذا ، فإذا

قامت الأدلة الصحيحة على صحة ما وصلتُ إليه و قررتُه ، فيجب الاعتراف به ، و يُوصف أرسطو بما يستحقه ،و هذا هو الحق و العدل ، بدليل الشرع و العقل و العلم .

و رابعا إن اتهامي بالغلو في انتقاد أرسطو ، فلا يصح من وجه ،و يصح من وجه آخر . فلا يصح لأني لم أكذب على أرسطو و لا حرفتُ كلامه حسب نيتي و علمي بنفسي . فكل انتقاد و جهته إليه إلا كُنت مدعما موقفي بأدلة و شواهد صحيحة ، كما هو مُبين في كتابي هذا . و لا يصح أن يُتهم من يفعل ذلك بأنه غالى في انتقاد من انتقده .

لكنه يصح بالنظر إلى أن الذين غالوا في تعظيم أرسطو و السكوت عن أخطائه ، مع تدليله و الاعتذار له ، هم قد فعلوا ذلك بالباطل و الافتراء و التدليس . و أما أنا فقد بالغتُ و غاليتُ في انتقاده بالحق و لم أكذب عليه ،و لا حرّفتُ كلامه . فشتان بين من غالى بالباطل ، و بين من فعل ذلك بالحق !! . فلا بد من رد الغلو الباطل بالغلو الحق ، لأن السكوت عما أرتكبه أرسطو من جرائم في حق العقل و العلم هو جريمة نكراء ، لا يصح السكوت عنه أبدا ، و الله أعلم بالصواب .

و ختاما لهذا الفصل يتبن أن الغلاة في أرسطو و فكره كانوا قديما ،و ما يزالون حديثا على نفس النهج تعصبا و غلوا ، تدليسا و سفسطة ، تضخيما و نفخا لإيجابيات أرسطو القليلة الهزيلة من جهة ؛ و إغفالا و تقزيما لسلبياته و أخطائه و انحرافاته الجسيمة و الكثيرة من جهة أخرى. فهم غلاة في التضخيم و المبالغات ،وغلاة في التقزيم و الإغفالات . و بذلك فهم يقومون بعمل تحريفي ليس من الموضوعية و لا من الأمانة العلمية في شيء . و يرتكبون جرائم شنعاء في حق العقل و العلم ، لأنهم انتصروا لشيخهم و فكره على حساب الانتصار للعقل الصريح و العلم الصحيح .

و اتضح أيضا أن الخصائص السلبية هي الأصل الذي قام عليها فِكر أرسطو : منهجاً و تطبيقا ،و ليست الخصائص الإيجابية هي الأصل الذي قام عليها فكره . فالجانب

السلبي هو الأصل العريض في فلسفة أرسطو ،و الجانب الإيجابي هو الاستثناء الضيق الذي ميّز جانبا صغيرا من فلسفته . و هذا خلاف ما ادعاه الأرسطيون و أتباعهم من المتقدمين و المتأخرين ، الذين استخدموا الغلو و التدليس ، و التضخيم و الإغفال لإقناعنا بخلاف ما أثبتناه و قررناه . فساهموا بذلك في إخفاء جانب أسود كبير من فكر أرسطو ، و استمرار تأثيره السلبي في إفساد العقل و العلم معا .

الخاتمة

تبيّن من هذا الكتاب أن جنايات أرسطو على العقل و العلم تمثلت في جانبين أساسيين : الأول يتعلق بكثرة الأخطاء و الانحرافات المتعلقة بالعلوم و مناهجها . و الثاني يتعلق بالآثار السلبية التي ترتبت عن الجانب الأول ، في مجال العقائد و التصورات و السلوكيات . و قد أوضحنا الجانبين بعشرات النماذج و الانتقادات ، توصلنا من خلالها إلى استنتاجات و فوائد ، و قناعات وحقائق كثيرة و خطيرة و هامة جدا.

فمن ذلك أنه تبين بما لا يدع مجالا للشك أن أرسطو كان كثير الأخطاء و الانحرافات المنهجية في كل العلوم التي خاض فيها . و قد أحصيتُ منها أكثر من ٣٣٧ خطأً و انحرافا منهجيا ، ذكرتها من باب التمثيل لا الحصر ،و قد أغفلتُ أخطاء و انحرافات أخرى تزيد عما ذكرته . مما يعني بالضرورة أن الرجل لم يكن مُتمكنا و لا مُتقنا للعلوم التي كتب فيها ، منهجا و لا تطبيقا من جهة ، و أن كثرتها تُشير إلى أنها ليست أخطاء عادية ،و إنما هي أخطاء غير عادية سببها عميق يعود إلى الانحراف في منطق البحث و الاستدلال من جهة أخرى .

و تبين أيضا أن معظم أصول فكر أرسطو و أساسيات فروعه غير صحيحة ، و هذا يعني–بالضرورة– أن فلسفته غير صحيحة في معظمها من جهة . و أن الفلسفات التي جاءت من بعده و تبنت أفكاره هي أيضا غير صحيحة في معظمها من جهة أخرى . منها فلسفة المشائين من النصارى و المسلمين ،و فلسفة الرشديين و الأرسطيين المحدثين.

و اتضح أيضا أن معظم إلهيات أرسطو غير صحيحة ، مخالفة للوحي الصحيح ،و العقل الصريح و العلم الصحيح . أقامها أساسا على ظنونه و رغباته ،و تحكماته و خرافاته ، أكثر مما أقامها على دليل الفطرة و العلم و البديهة . فأوصله ذلك إلى مواقف و نتائج باطلة

دلت على أنه كان جاهلا بالله جهلا كبيراً من جهة . و أن إلهياته تقوم على عقيدة دهرية شركية صابئية عبثية من جهة أخرى .

و تبين أن أرسطو خاض في علوم الطبيعة مُهملا لمناهجها الطبيعية ، مُقدما عليها منهجه التأملي التجريدي الصوري في كثير من المواقف. فأوقعه ذلك في أخطاء و انحرافات فاحشة فادحة ، كثير منها لا يقبل الاعتذار و لا التبرير أبدا . كقوله بوجود عَظْم في قلب الحصان و البقر ، و أن الدماغ بارد لا دم فيه ،و أن عدد أسنان المرأة أقل من عدد أسنان الرجل ،و غيرها كثير جدا .

و منها أنه تبين أن أرسطو لم يكن مُفكرا إنسانيا حرا ،و لا مُصلحا اجتماعيا داعيا إلى العدل و المساواة في كثير من المواقف التي اتخذها من قضايا عصره الاجتماعية و الإنسانية . و إنما كان فيها مُفكرا طبقيا ذاتيا ، و نفعيا مُتعصبا ، و عنصريا مُشجعا على الظلم . فزعم أن الرق طبيعي حتمي ،و أن الجنس اليوناني أفضل الأجناس ،و أن من حقه أن يحتل الشعوب الأخرى.

و اتضح أيضا أنه ليس أرسطو هو الذي اكتشف المنطق عامة ،و لا الصوري خاصة ،و إنما هو واصل الاهتمام به شرحا و توسيعا و تدوينا من جهة . و أنه لم يكن مُتمكنا و لا مُتمهرا فيه تنظيرا و لا مُمارسة من جهة ثانية. و لا كان مُلتزماً بمنطق البحث و الاستدلال تطبيقا ، و لا موضوعية ، و لا أمانة من جهة ثالثة . فأوقعه ذلك في السطو و الاستحواذ على أفكار ليست له ، فتبناها و نسبها إلى نفسه بطرق شتى .

و تبين أن ما ينطبق على عمل أرسطو في المنطق ينطبق على عمله أيضا في العلوم الأخرى .فقد أقمنا الأدلة الدامغة على أن أرسطو لم يُتقن علما واحدا من العلوم إتقانا كبيرا مُبدعا ،و لا أنشأ و لا أسس واحدا منها –أ ي العلوم– . و إنما كانت له مشاركات في تأسيس طائفة منها ، مع اختلاف نسبة مساهمته فيها من علم إلى آخر .

و أخيرا فقد اتضح جليا أن أرسطو ارتكب جرائم كبيرة و كثيرة ، و خطيرة في حق نفسه و أتباعه ،و في حق الإنسانية جمعاء ، و في حق العقل و العلم . فأفسد بها العقول و منطقها ،و العلوم و مناهجها ، و العقائد و سلوكياتها . و الذين يدافعون عنه باستخدام الانتقاء و التغليط و التدليس ،و نفخ و تجعيد صوابه القليل ،و إغفال أخطائه و انحرافاته المنهجية الكثيرة جدا ، فهم غلاة مُتعصبون بالباطل مُشاركون لشيخهم في جرائمه التي ارتكبها حق العقل و العلم معا .

تمّ الكتاب ، و لله الحمد أولا و أخيرا .

أ ، د : خالد كبير علال

١٤٣٢/٢٠١١ ، الجزائر

من مصادر الكتاب و مراجعه :

١-القرآن الكريم .

٢- ابن أبي أُصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، حققه نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ،بيروت ، د ت .

٣-ابن تيمية : الرد على المنطقيين ، دار المعرفة ، بيروت .

٤- ابن قيم الجوزية : إغاثة اللهفان ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٥ .

5- ابن رشد : تفسير ما وراء الطبيعة ، ط١ ، دار إدريس ، سوريا ، ٢٠٠٧ .

٦- ابن رشد : تلخيص السياسة لأفلاطون ،ترجمة حسن مجيد العبيدي و فاطمة كاظم الذهبي، ط١ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٩٨.

٧- ابن رشد : رسائل ابن رشد الطبية ، حققه سعيد زايد ، و جورج قنواتي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

٨- ابن رشد : شرح السماء و العالم ، حققه أسعد جمعة ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، ٢٠٠٢ .

9 -ابن رشد : الآثار العلوية ، حققه سهير فضل الله ، و سعاد عبد الرازق ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

١٠- ابن رشد : تلخيص الآثار العلوية ، حققه جمال الدين العلوي ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٤ .

١١- ابن رشد : كتاب تلخيص ما بعد الطبيعة ، حققه عثمان أمين ، شركة البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

١٢- أحمد فؤاد كامل: ما بعد الطبيعة عند ابن رشد ، ضمن كتاب أعمال ندوة ابن رشد .

١٣- ابن رشد : شرح السماء و العالم ، حققه أسعد جمعة ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، ٢٠٠٢ .

١٤- ابن رشد : تهافت التهافت ، تهافت التهافت ، حققه صلاح الدين الهواري ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٦ .

15- ابن حجر : الدرر الكامنة ، ،بيروت دار الجيل ، ١٩٩٣ .
١٦- أحمد علي عجيبة : دراسات في الأديان الوثنية القديمة ، ط ١ ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .
17- أرسطو : كتاب الطبيعة ، حققه عبد الرحمن بدوي، الدار القومية للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
١٨ - أرسطو : مقالة اللام من كتاب ما بعد الطبيعة ، مُلحقة بكتاب
١٩- أرسطو : مقالة الجما من كتاب ما بعد الطبيعة ،، ملحقة بكتاب الميتافيزيقا لإمام عبد الفتاح إمام ، نهضة مصر ، القاهرة ، ٢٠٠٥ .
٢٠-أرسطو : الكون و الفساد ، ترجمة أحمد لطفي السيد ، الدار القومية ، القاهرة ، د ت ، ص: ٢١٥ .
٢١- أرسطو : كتاب النفس ، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، ط ١ ، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٤٩
٢٢- أرسطو : في أعضاء الحيوان ،- من كتاب الحيوان – حققه كروك رمكة ، مجمع العلوم الملكية الهولندي، ١٩٧٨ .
٢٣- أرسطو : طبائع الحيوان البري و البحري، المقالة : ١٤ ، حققه عزة سليم سالم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥ .
٢٤- أرسطو : في كون الحيوان ، المقالات : ١٥ – ١٩ ، ترجمة يحيى بن البطريق ، حققه يان بروخمان ، و ويوان دروسات لولوقس ، مؤسسة دي خُوي ، رقم : ٢٣ ، بريل ، بمدينة ليدن ، ١٩٧١ ٣ .
٢٥- أرسطو : طباع الحيوان ، حققه عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٧ .
٢٦- أرسطو : السياسة ، ترجمة لطفي السيد ، منشورات الفاخرية ، د ت .
٢٧- أرسطو : نظام الأثينيين ، ترجمة طه حسين ، دار المعارف ، مصر ، د ت .
٢٧- أرسطو : منطق أرسطو ، حققه عبد الرحمن بدوي ،ط ١ ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دار القلم ن بيروت ، ١٩٨٠ .

٢٨- إرنست رينان : ابن رشد و الرشدية ، ترجمه عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

٢٩- إمام عبد الفتاح إمام : أرسطو و المرأة ، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ١٩٩٦ .

٣٠- أميرة مطر: الفلسفة اليونانية : تاريخها و مشكلاتها ، القاهرة ، دار قباء ، ١٩٩٨.

٣١- إميل برهيية : تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة جورج طرابيشي ، ط ٢ ، دار الطليعة ، بيروت، ١٩٨٧ .

٣٣- آن تري هوايت : النجوم ، ترجمة إسماعيل حقي ، ط٧ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٩٢ .

٣٤- برتراند راسل : حكمة الغرب ، سلسلة المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون ، الكويت ، رقم : ٦٢ .

٣٥- بركات محمد مراد : تأملات في فلسفة ابن رشد ، ط ١ ، المصدر لخدمات الطباعة ، القاهرة ، ١٩٨٨ .

٣٦- بريو سينكين : أسرار الفيزياء الفلكية و الميثولوجيا القديمة ، ترجمة حسان ميخائل إسحاق ، ط ١ ، دار علاء الدين ، دمشق ، ٢٠٠٦ .

٣٧- بول غليونجي : الطب عند الإغريق ، ط ١ ، دار المستقبل ، الإسكندرية ، ١٩٩٥.

٣٨- جمال الدين أفندي : طبيعيات البحر و ظواهره ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

٣٩- جفري بارندر : المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، عالم المعرفة ، رقم : ١٧٣ ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون ، الكويت.

٤٠- جورج طرابيشي : وحدة العقل العربي الإسلامي ، ط٢ ، دار الساقي ، بيروت ، ٢٠٠٢ .

٤١- حسن حنفي:من النقل إلى الإبداع ،دار قباء ،القاهرة ٢٠٠٠ .

٤٢- حسن أبو العينين : جغرافية البحار و المحيطات ، ط٦ ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، مصر ، ١٩٨٢ .

٤٣ –حسن سيد أبو العينين : أصول الجغرافيا المناخية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية .

٤٤ – حسين علي: علم الأحياء عند أرسطو ، دار قباء ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .

٤٥ – حسين حرب : الفكر اليوناني قبل أفلاطون ، ط ١ ، دار الفكر اللبناني، بيروت ، ١٩٩٠ .

٤٦ –خزعل الماجدي : متون سومر ، ط١ ، الدار الأهلية ، الأردن ، ١٩٩٨ .

٤٧ – خزعل الماجدي : الدين المصري ، د ١ ، دار الشروق ، الأردن ، ١٩٩٩ .

48- خزعل الماجدي: بخور الآلهة ، ط١ ، الأهلية للنشر ، الأردن ، ١٩٩٨ .

٤٩ – ديوجين لا يرتيوس: مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ، ترجمة عبد الله حسين ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦ .

50- دافيد برجاميني : الكون ، دار الترجمة ، بيروت .

٥١ – دحام إسماعيل العاني : موجز تاريخ العلم ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم التقنية ، الرياض ، ٢٠٠٢

٥٢ – ديف روبنسون ، و جودي غروفر : أقدم لك الفلسفة ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، .٢٠٠١

٥٣ – الذهبي : تذكرة الحفاظ ، حققه عبد الرحمن المعلمي ، بيروت دار إحياء التراث العربي ، د ت .

٥٤ – روبير بلانشي : المنطق و تاريخه ، ترجمة خليل أحمد خليل ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .

٥٥ – روبرت أغروس و جورج ستانسيو : العلم في منظوره الجديد ، المجلس الوطني للثقافة ، الكويت .

٥٦ – شوقي أبو خليل : الإنسان بين العلم و الدين ، دار الفكر ، دمشق.

٥٧ –عاطف العراقي : الفيلسوف ابن رشد و مستقبل الثقافة العربية ، القاهرة ، دار الرشاد ، ١٩٩٩ .

58- عبد الرحمن بدوي: أرسطو عند العرب لعبد الرحمن بدوي، ط٢ ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٨ .
٥٩- عبد الرحمن بدوي : ربيع الفكر اليوناني ، ط٨ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩ .
٦٠- عبد الرحمن بيصار : الفلسفة اليونانية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٣. [١]
٦١- عبد الرحمن بيصار : تأملات في الفلسفة الحديثة و المعاصرة ، المكتبة العصرية ، بيروت
.
٦٢ -عبد الكريم اليافي : حوار البيروني و ابن سينا ، ط١ ، دار الفكر، سوريا ، ٢٠٠٢.
٦٣- عبد الفتاح محمود ويدار: علم النفس التجريبي المعملي ، المكتب العلمي ، الإسكندرية ، ١٩٩٧
٦٤-عبد العزيز الأهواني : المدارس الفلسفية ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
٦٥- عبد الحميد سماحة : في أعماق الفضاء ، ط ٣ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٠.
٦٦- علي حسن موسى و آخرون : تاريخ علم الفلك ، ط١ ، دار دمشق ، دمشق ، ١٩٨٤ .
٦٧- علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي: أرسطو و المدارس المتأخرة ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، د ت .
٦٨- علي بن هادية : القاموس الجديد للطلاب ، ط ٧ ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٩١ .
٦٩- فرج أنطون : ابن رشد و فلسفته ، ط٢ ، المؤسسة الوطنية للاتصال ، الجزائر ، ٢٠٠١ .
٧٠- س ، بريو شنكين : أسرار الفيزياء الفلكية و الميثولوجيات القديمة ، ترجمة حسان ميخائيل إسحاق ، ط ١ ، دار علاء الدين ، دمشق ،٢٠٠٦ .
٧١- سبتينو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، دار الرقي ، بيروت ، ١٩٨٦ .

٧٢- سمير أديب : موسوعة الحضارة المصرية القديمة ، دار العربي ، القاهرة .
٧٣- سيرج سونيرون : كُهان مصر القديمة ، ترجمة زينب الكردي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .
٧٤- السيد النشار : تاريخ الكتب و المكتبات في مصر القديمة ، دار الثقافة العلمية ، مصر ، ١٩٩٩ .
٧٥- السيوطي : طبقات الحفاظ ، ،ط ٢ بيروت ، دار الكتب العلمية ،١٩٨٨ .
٧٦- ل ، ديلا بورت : بلاد ما بين النهرين : الحضارتان البابلية و الأشورية ، ط ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧ .
٧٧- ماجد فخري : تاريخ الفلسفة اليونانية : من طاليس إلى أفلاطون و برُقلس- ط١ ، دار العلم للملايين ، ١٩٩١ .
٧٨- ماجد فخري: أرسطو : المعلم الأول، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٨ .
٧٩- ماهر عبد القادر محمد علي: المنطق و مناهج البحث ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٥
٨٠- محمد ثابت الفندي: أصول المنطق الرياضي ، ط١ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٢ .
٨١-محمد رشاد الطوبي: ((فمنهم من يمشي على بطنه)) ، دار المعارف، مصر ، د ت .
٨٢- محمد فتحي عبد الله : الجدل بين أرسطو و كانط ، ط١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ١٩٩٥ .
٨٣- محمد وادفل : : خُصوصيات الجدل الرواقي ، مجلة دراسات ، ٢٠١٠ .
٨٤- محمد المصباحي : الوجه الآخر لحداثة ابن رشد ،ط١، دار الطليعة ، بيروت، ١٩٩٨ .
٨٥- محمد عابد الجابري : تكوين العقل العربي ، ط٨ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، د ت .
٨٦- محمد عابد الجابري : بنية العقل العربي ، ط ٧ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٤ .

٨٧- محمد عابد الجابري : التراث و الحداثة - دراسات و مناقشات – ط٢ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٩ .
٨٨- محمد عابد الجابري : ابن رشد ، سيرة و فكر ، ط٢ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠١ .
٨٩- محمد أبو المحاسن عصفور : معالم حضارة الشرق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٧ .
٩٠- محمد بن عبد الهادي : طبقات علماء الحديث ، حققه أكرم البوشي ،و إبراهيم الزيبق ،ط١ ،بيروت مؤسسة الرسالة ،١٩٩٦ .
٩١- محمد ابن عبد الهادي : العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام بن تيمية، حققه محمد حامد الفقي ، القاهرة مطبعة حجازي ، ١٣٦٥هـ/١٩٣٨ .
٩٢- محمد عمارة : المثالية و المادية في فلسفة ابن رشد ، ط٢، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ .
٩٣- محمد علي محمد : الأصول الشرقية للعلم اليوناني ، ط ١، عين للدراسات و البحوث ، القاهرة ، ١٩٩٨ .
٩٤- محمود علي محمد : الأصول الشرقية للعلم اليوناني ، ط١ ، عين للدراسات و البحوث ، القاهرة ، ١٩٩٨ .
٩٥- محفوظ علي عزام : في الفلسفة الطبيعية عند الجاحظ ، ط ١ ، دار الهداية ، مصر ، ١٩٩٥ .
٩٦- مراد وهبة : ابن رشد و التنوير ، ط١ ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ، ١٩٩٨ .
٩٧- مصطفى النشار : نظرية العلم الأرسطية ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، .١٩٩٥
٩٨- مصطفى النشار : تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠ .
مصطفى النشار : المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، ط١ ، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٧.
٩٩- مصطفى النشار: نظرية المعرفة عند أرسطو ، ط ٣ ، دار المعارف ، ١٩٩٥ .
١٠٠- مصطفى غالب : فيثاغورس ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٧ .

١٠١- منصور حسب النبي: الإشارات القرآنية للسرعة العظمى و النسبية ، دار المعارف ، القاهرة، ٢٠٠٢ .
١٠٢- منصور حسب النبي : الزمان بين العلم و القرآن ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .
١٠٣- مها أحمد السيد : محاورات أرسطو و أصولها ، ط١ ، دار الوفاء ، الأسكندرية ، ٢٠٠٨ .
١٠٤- الموسوعة العربية العالمية ، النسخة الإلكترونية ،(١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م .
١٠٥- الموسوعة العربية الميسرة ، دار إحياء التراث العربي .
١٠٦- نبيلة محمد عبد الحليم : معالم العصر التاريخي في العراق القديم ، دار المعرف ، القاهرة ، ١٩٨٣ .
١٠٧- نعيم فرج : موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دار الفكر ، دمشق .
١٠٨- هيرودوت : تاريخ هيرودوت ، ترجمة عبد الإله الملاح ، المجمع الثقافي ، أبو ضبي ، ٢٠٠١ .
١٠٩- وولتر ستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
١١٠- ول ديورانت : قصة الفلسفة ، ط ٦ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٨٨ .
١١١- ول ديورانت : قصة الحضارة ، د ن ، د ت .
١١٢- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، ١٩٣٦ .
١١٣- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار القلم ، بيروت.

فهرس المحتويات

أ: من أخطاء أرسطو المتعلقة بالجانب النظري من المنطق

أولا : الاستقراء .

ثانيا : الجدل .

ثالثا : القياس الصوري :

رابعا: آراء و ردود حول عمل أرسطو في المنطق و أهميته

ب : من أخطاء أرسطو المتعلقة بالجانب التطبيقي من المنطق

أولا : كليات تطبيقية خاطئة .

ثانيا: انحرافات و خصائص منطق البحث و الاستدلال.

الفصل الخامس

خصائص فكر أرسطو و ظاهرة الغلو في تعظيمه

أولا: ظاهرة الغلو في أرسطو و فكره .

ثانيا: أهم خصائص فكر أرسطو .

الخاتمة :

مصنفات للمؤلف :

١- صفحات من تاريخ أهل السنة و الجماعة في بغداد .

٢-الداروينية في ميزان الإسلام و العلم .

٣- قضية التحكيم في موقعة صفين – دراسة وفق منهج علم الجرح و التعديل

٤- الثورة على سيدنا عثمان بن عفان – دراسة وفق منهج علم الجرح و التعديل-

٥-مدرسة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي و تدوينه .

٦- الصحابة المعتزلون للفتنة الكبرى – دراسة وفق منهج أهل الجرح و التعديل

٧- الأزمة العقيدية بين الأشاعرة و أهل الحديث .

٨- أخطاء المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون في كتابه المقدمة

٩- الأخطاء التاريخية و المنهجية في مؤلفات محمد عابد الجابري و محمد أركون

١٠-أباطيل و خرافات حول القرآن الكريم و النبي محمد-عليه الصلاة و السلام- -دراسة نقدية لدحض أباطيل الجابري ،و خرافات هشام جعيط-

١١-نقد فكر الفيلسوف ابن رشد الحفيد —على ضوء الشرع و العقل و العلم —

١٢-التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي- خلال العصر الإسلامي-

١٣-بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى-وفق منهج علم الجرح و التعديل- .

١٤- مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية .

١٥- وقفات مع أدعياء العقلانية - قراءة نقدية لفكر حسن حنفي ، و نصر حامد أبي زيد ، و هشام جعيط ، و أمثالهم- .

١٦- تناقض الروايات السنية و الشيعية حول تاريخ صدر الإسلام- مظاهره و آثاره ، أسبابه و منهج تحقيقه- .